الدكتور منير العجلاني

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
استاذ في الجامعة السورية ووزير المعارف
(سابقاً)

تاريخ مملكة في سيرة زعيم

فيصل

ملك المملكة العربية السعودية وإمام المسلمين

الطبعة الأولى – عام ١٩٦٨

ترتيب الكتاب

تبدأ سيرة الفيصل العظيم في الصفحة « ٣٣ » من كتابنا •

ولكننا قدمنا بين يديها كلمات عن بعض مواقف الفيصل وجوانب من أخلاقه ، ولم نلتزم فيها التسلسل ، لانها لمحات وقبسات •

وقد تحدثنا بعد ذلك عن طائفة من آراء الفيصل في السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع •



صاحب الجلالة الملك فيصل

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

أهدي هذا الكتاب :
إلى كل سعودي ،
وإلى كل عربي ،
وإلى كل إنسان حر ،
ليزداد حباً بفيصل ،
وإكباراً لكفاحه ،
واعتزازاً بزعامته .

الضمير صنع ملكا

هذه الكلمة قالها دورميسون ؛ ولكنني استعيرها منه ، لأنها أفضل وصف للفيصل ، فهو حقاً : الضمير صُنِع حاكماً وملكاً .

.. والضمير هو : الإخلاص !

وقد عرفوا الإخلاص بأنه التوافق بين الأفكار والمشاعر ، وبين الأقوال والأعمال ، وبين السياسة والمبادىء ! .

.. وفيصل مخلص لدينه ، مخلص لعروبته ، مخلص لبلده ، مخلص لعمله .

وإخلاصه يتحقق كل يوم : عطاءً موصولاً ، وسهراً دائماً ، وخدمة مستمرة.

جاء أحدهم يوماً إلى وزير المعارف ، وكنت عنده ، وقال له :

« شهدت جلالة الملك فيصل اليوم في مكتبه ، وقد تعبتُ من طول ما رأيته يعمل ، ولكنه هو لم يتعب ولم يملّ ، وما أدري .. من يطلبُ منه كل هذا ، وهو ملك ، وليس فوقه أحد ! »

فقال له الوزير : « إنه ملك محتسب . إنه يحتسب ما يعمله عند الله » !

ما أروع هذا الوصف ، وما أشبهه بوصف دورميسون ، وإن اختلفت العبارات ! .

من يشاهد الفيصل ، وهو يعالج سياسة البلاد بدأب عجيب ، يجمع فيه بين التوفر على دراسة أمور الدولة العليا والمشاريع الكبرى والقضايا الطارئة الملحة ، وبين الجلوس للناس : يخاطب كل انسان على قدر عقله ، ويعطي كل انسان حظا من عنايته ، ويقرأ كل كتاب يقدم اليه ، ويصغي إلى كل طلب يعرض بين يديه ، بينا يحرم نفسه وأسرته من وقته الا قليلا ..

من يشاهد قيام فيصل بأمر أمته هذا القيام ، وتعهده لها هذا التعهد ، لا يسعه إلا أن يقول ، مع لوموند: لقد استحق الفيصل الملك بعرق جبينه !

ومع دورميسون : إن الفيصل هو .. « الضمير صنع ملكاً » !

لذلك يجب على كل عربي أن يمحض هذا الملك العظيم والزعيم المخلص : الحب والولاء والإكبار ، لأنه رمز حي للوطن العربي الكبير ، في حفاظه على تقاليده الأصيلة وتراثه التليد ، وفي أشواقه إلى مستقبل مجيد ، تستعيد فيه الأمة العربية مكانتها ، وتؤدي في العالم رسالتها .

اسم الكتاب

تخيرت لكتابي هذا العنوان :

تاريخ دولة في حياة رجل

ورآه صديق لي، فقال: إنه عرف مثل هذا العنوان في كتب شرقية وغربية .. وأوصاني بأن ألتمس غيره !

فليعذرني إن عصيت أمره، فلم أغير اسم الكتاب، إلا قليلاً .. حتى لا أحرم شرف المعنى !

ذلك أن عنوان الكتاب قوي الدلالة على موضوعه، ولن يغني اسم آخر غناءه!

وحسبي أن أقول : إن تاريخ المملكة العربية السعودية، منذ عرفت بهذا الاسم، عام ١٩٣٢، ممتزج بحياة فيصل امتزاجاً كاملاً ..

فقد عاش الفيصل، بقلبه وفكره،
كل آمال بلاده ،
وكل آلامها ،
ووعى تاريخها ،
وحمل رسالتها ،
ورعى نهضتها ،
وكان سيفها ودرعها ..
فهو في كل لحظة من حياتها ،
وهي، في كل لحظة من حياته .

وليس معنى ذلك أننا نجهل فضل منشيء هذه المملكة وأعظم زعيم في تاريخ الجزيرة العربية الحديث: **الملك عبد العزيز** .

وكيف ؟ ! .. **وعبد العزيز**، في سيرة الفيصل : **اسم يتردد، ومجد يتجدد، وفضل يتوكد !**

وهل الفيصل إلا بضعة منه ، وصورة باقية عنه؟

– إنه تلميذ مدرسته، ومكمل رسالته !

...

وما أجملها كلمة، سمعتها من المرحوم جميل مردم، أحد زعماء الشام، قال:

«إن الجزيرة العربية تخرج كل مئـة سنة أو نحو ذلك عبقرياً جباراً لا يقاس بنبوغه أحد، وقد أنجبت في هذا العصر الملك عبد العزيز؛ وكان يجب علينا أن ننتظر قرنـاً آخر لنرى عبقرياً من طرازه ..

ولكننا فوجئنا بظهور (الفيصل) ولمعانه في حياة أبيه» .

...

فلنحمد الله على هذا العطاء الموصول !

– إنها سلسلة أنوار، من مطلع أقمار!

بين يدي الكتاب

يا صاحب الجلالة،
« ان اعجابي بشخصيتك وعبقريتك، واكباري لقيامك العظيم بأمر أمتك، كانا عندي كالنداء الى كتابة سيرة لك، يتدارسها الناس في كل مكان، لان حياة العظماء مدرسة وقدوة للأفراد، وذكر وفخر للشعوب . »
المؤلف – ١ –

نشرت عن الفيصل مقالات بارعات،
وتحدث بمزاياه عظماء العالم،
وصدرت كتب كثيرة، وصف فيها أصحابها جوانب من شخصية الفيصل العظيم، وتكلموا عن طائفة من أعماله وآرائه..
ولكن الناس ما زالوا يترقبون سيرة كاملة للفيصل، منذ طفولته حتى اليوم.

سوف تظهر للفيصل أكثر من سيرة، معبرة عن اعجاب كاتبيها بهذه الشخصية الكبيرة، ومحققة رغبات الملايين من المسلمين والعرب والأجانب الذين يتوقون الى الاطلاع على مزيد من أخبار هذا الزعيم العبقري .

وها نحن نقدم الى الناس كتابنا ، فخورين معتزين، لأننا استطعنا أن نسبق غيرنا الى هذا العمل الجليل، وقد وفقنا الله الى جمع شيء من الأخبار المتفرقة أو المطوية، وسنوفر على من يأتي بعدنا بعض العناء في البحث عن المصادر!

لقد ذكر أمين الريحاني في كتابه «تاريخ نجد وملحقاته» أن المغفور له الملك عبد العزيز ، كان يملي عليه الكثير من الوقائع ، فيكتبها هو، ثم يعيد قراءتها على جلالته فيصححها له ..

ونحن لم نستطع أن نحصل من الفيصل، أطال الله عمره، على مثل هـــذه الأمالي والتصحيحات، لكثرة مشاغله ولأن الصحف تدون كثيراً من الوقائع في ترتيبها الزمني ، وهكذا حرمنا من تأليف كتاب نضع بين يديه هذه الجملة الحلوة:

«فيصل قال لنا..»

(١) أنظر تاريخ البلاد العربية السعودية، الجزء الاول، للمؤلف .

.. ولكننا استطعنا ، على كل حال، أن نخرج كتاباً مستمداً ، في كثير من فصوله، من أحاديث الفيصل وخطبه العامة .

يروى عن الملك ألفونسو الثالث عشر أنه قال لمؤرخه مداعباً: «لقد تقاسمنا التاريخ؛ نحن نصنعه، وأنتم تكتبونه!»

ونحن، هنا، لم نكتب التاريخ وحدنا، وإنما جعلنا التاريخ نفسه، إن صح هذا التعبير، يكتب حقائقه ..

ذلك أننا ضمّنا كتابنا صفحات نابضة بالحياة، يتحدث فيها الفيصل هو نفسه.. لا يتحدث للمؤلف، ولكنه يتحدث للشعب، للحقيقة، للتاريخ.. فيشعر القاريء أنه واقف بين يدي صانع التاريخ، جلالة الفيصل، يراه ويستمع إليه، وقد نضرب مثلاً على ذلك كلامنا عن أزمة اليمن، والبريمي، وفلسطين والسياسة العربية، والاقتصاد الحر، والتقدمية والرجعية الخ .. الخ..

فإذا فاتتنا كلمة «**فيصل قال لنا**»،لم تفتنا كلمة في مثل بهائها وإن لم ننفرد بها، كلمة : «**قال فيصل**» .. **والفيصل بعدُ، خير من يتحدث عن المملكة، لأن حديثه: أعمال ناطقة، وأقوال صادقة، لا تكلف فيها، ولا تزيد ، ولا دعوى !**

وقبل أن نختم هذه الكلمة، نحب أن يعرف كل قاريء لهذا الكتاب أننا نصف الفيصل ولا نمتدحه، وربما نقصنا جلالته حقه بجهلنا أو اهمالنا كثيراً من مواقفه العظيمة، لأنه قام في حياة أبيه، وفي عهد أخيه، ثم في هذا العهد الذي يتولاه هو نفسه، بأعمال كثيرة جليلة في خدمة الشعوب الإسلامية والعربية والانتصار لقضاياها ومساعدة المؤسسات والافراد، لا تزال مطوية عن الجمهور حتى خصائص الفيصل لا يعرف كل واحد منهم إلا بعضاً منها، والمصادفات تكشف أحياناً عن أيادي الفيصل المجهولة، لأنه انما يعمل حسبة لوجه الله، لا ليقال إنه عمل !

وقديماً، قال المثل التركي: أطعم السمك في البحر، السمك لا يعرف من أطعمه، ولكن خالق السمك يعرفه!

وما ذنبنا إذا كان وصفنا لأعمال الرجل العظيم ومزاياه يبدو لبعض الناس كأنه مديح وإطراء؟

إنك لترى المنظر الرائع فتصفه ببعض صفاته..فهل يسمى هذا مدحاً أم وصفاً؟

فوق الالقاب

وقد عبر الشيخ حسن آل الشيخ، وزير المعارف ومن أعلام النهضة الفكرية والدينية في المملكة عن هذا المعنى ، فقال ، في كلمة رائعة يخاطب فيها الفيصل :

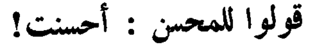
(يا صاحب الجلالة !

قلت لنا في لقائك القريب مع أبنائك في العاصمة الطيبة ، لا تقولوا : صاحب الجلالة ، ولا صاحب العرش .. ونحن نقول اليوم لك :

إن كل لقب ووصف سيظل متدانياً أمام ما يشعر به نحوك كل أبناء شعبك من الحب والإجلال والتقدير ، فأنت تشرف الالقاب ولا تشرفك .

وحبنا لك في القلوب والمشاعر .

وليس فيما أقوله مديح أو إطراء ، فأنا أعلم بعدك عن المظاهر ، وكراهيتك للإطراء ، ولكنك قلت لنا في أكثر من لقاء :



قولوا للمحسن : أحسنت!

.. وللمسيء : أسأت !

وعلى هدي من توجيهك البناء ،
نقول اليوم لك ،

وبملء قلوبنا وحناجرنا :

أحسنت !

.. لأنك تعمل من أجلنا ،

.. ولأنك تسهر لراحتنا ،

.. ولأننا نضع أيدينا معك ،
في مشرق كل صباح :

على نصر جديد
وفخار تليد !)



الشيخ حسن آل الشيخ

مناصب

الفيصل اصغر شاب في العالم

تولى مهمة سياسية

ففي عام ١٩١٩ م . أرسله أبوه عبد العزيز في مهمة سياسية إلى الغرب، وكان في الرابعة عشرة من عمره ! »

أصغر قائد

وفي عام ١٩٢٠ عينه أبوه قائداً على الجيش النجدي، الزاحف إلى عسير، فقاتل البغاة وانتصر عليهم نصراً مؤزراً وعاد إلى الرياض بإكليل الغار .

أصغر رئيس حكومة

وفي أول عام ١٩٢٦ اختير الفيصل رئيساً للحكومة في الحجاز ونائباً عاماً للملك ورئيساً لمجلس الشورى فكان أصغر فتى يتولى رئاسة الحكومة .

أصغر وزير خارجية

ولعله كان أيضاً أصغر وزراء الخارجية في العالم سناً، لأنه تولى الوزارة عام ١٩٣٠ وكان في الرابعة والعشرين .

(والفيصل اليوم عميد رجال الدولة والسياسة، لقديم اشتغاله، بالسياسة والحكم) .

العبقرية المبكرة ..



صورة يدوية للفيصل في طفولته

الفيصل

رئيس مجلس الوكلاء

وفي عام ١٩٣٢ م. اختير الفيصل رئيساً لمجلس الوكلاء .

نائب رئيس مجلس الوزراء

وفي عام ١٩٥٣ م. قبيل وفاة الملك عبد العزيز ،أحدث نظام مجلس الوزراء واختير الفيصل نائباً لرئيس الوزراء .

ولي العهد

وفي نوفمبر من عام ١٩٥٣ ، بعد وفاة الملك عبد العزيز ، وتولي سعود الملك بويع الفيصل ولياً للعهد .

رئيس مجلس الوزراء

وفي أغسطس من عام ١٩٥٤ تولى الفيصل رئاسة مجلس الوزراء

الوصي على العرش

وفي أواخر آذار من عام ١٩٦٤ (أوائل ذي القعدة عام١٣٨٣) اختير الفيصل وصياً على العرش .

ونقلت اليه جميع سلطات الملك ، فهو الملك على الحقيقة ،بينما أبقوا لأخيه سعود اسم الملك فقط .

ملك البلاد وإمام المسلمين

وفي ٢ نوفمبر عام ١٩٦٤ (٢٧ جمادى الآخرة عام ١٣٨٤) نودي بالفيصل ملكاً على المملكة العربية السعودية وإماماً للمسلمين وبويع باجماع الشعب .

والخبرة الطويلة



صورة يدوية للفيصل

مدرسة الفيصل

يقول المثل : « الناس على دين ملوكهم » .

... ففي عهد الملك الصالح ، يكثر الصلاح وتعم الفضائل .

وفي عهد الملك الفاسد يشيع الفساد .

ما هي فضائل العهد الفيصلي ؟

لقد علّم الفيصل المواطن العربي السعودي،أو عمّق في نفسه :

١ ـ التمسك بالدين والاعتزاز به

٢ ـ حب الوطن ، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

٣ ـ التضامن مع الشعوب الإسلامية .

٤ ـ الأخوة مع البلاد العربية .

٥ ـ الأحتكام الى الشرع واحترام النظام .

٦ ـ « الجدّية » في السلوك العام.

٧ ـ الصدق في القول والاخلاص في العمل، والوفاء بالعهد .

٨ ـ البساطة في الحياة والمظاهر، والديمقراطية والتواضع .

٩ ـ توقير الكبير والعطف على الصغير .

١٠ ـ وبالجملة كل مكارم الأخلاق ..

ولقد ظهر أثر الفيصل في كل فئات المجتمع ، ابتداء من عشيرته المقربين ، فإن الناس بطبعهم يميلون الى تقليد رؤسائهم ويتقربون منهم باتباع طريقتهم ، وفضيلة الزعيم العبقري المؤمن أنه يستطيع أن يغلب عقولهم على أهوائهم .

على صعيد السياسة

على صعيد الأفكار السياسية، انطلق ـ بعد حملات التوعية التي قام بها الفيصل في طول البلاد وعرضها ـ هذا الشعار الملهم، الذي يدل على الأصالة وكراهية « التبعية » والتقليد :

« إسلامية، لا شرقية ولا غربية !

ولا اشتراكية ولا شيوعية ! »

ذلك ان الفيصل أعلنها صيحة مدوية ونداء أبياً عزيزاً :

« نحن أصحاب تاريخ، وتراث، وأمجاد ... ديننا خالد، ومجدنا طريف

وتالد، كان مكاننا في مقدمة الشعوب، فلن نرضى بأن نكون في مؤخرتها؛ وقدنا العالم بهدينا، فلن نقبل بالمباديء المستوردة » الخ.. الخ..

ليست فضيلة الفيصل الكبرى أنه صنع لبلاده قوانين كثيرة جديدة، وهو قد صنع لها قوانين ، وما ننكر ذلك ، ولكن فضيلته الكبرى هي أنه لم يشأ أن يخاطب غرائز الجماهير ويثير أحقادها كما فعل بعض الحكام .. فليس وراء ذلك إلا الخراب، بل مثل هذا الموقف نوع من الخيانة لأمانة الله وأمانة الأمة؛ ولكن الفيصل ضرب للناس الأمثلة وعلمهم (أو زادهم علماً) بأن الإنسان الشريف السعيد في الدنيا وفي الآخرة، هو الذي يلتزم بأحكام الشرع ، ويعرف أن عليه واجبات مقدسة نحو الآخرين، مثل معرفته بحقوقه وأكثر ،

وهكذا ساهم الفيصل في تنشئة المواطن الصالح، الواعي، الشريف، بينما استغل بعض الحكام غرائز فئة من الشعب فطووا عنه صفحة الشريعة، وصفحة الواجب، وصفحة الشرف، وحرضوه على العدوان على الآخرين وأقاموا في كل مكان حروباً أهلية .. ليشبعوا شهواتهم الى التسلط والسيطرة» .

تتيه بعض الحكومات دلالاً على شقيقاتها .. بأنها تملك « دساتير كاملة » تقدمية، حسنة التبويب، بارعة الصياغة، .. شديدة الإغراء .. من آخر ، « صرخة » وأحدث « طراز » !

ولكنك تجد وراء ذلك أمناً مفقوداً، وعدلاً مضيعاً، وكرامة مهدورة ، وفقراً، ومرضاً، وفساداً ..

وكثيراً ما تعصف الانقلابات بتلك الدساتير ، وبالقائمين عليها، ثم يأكل رجال الانقلابات بعضهم بعضاً، ويعاد تخريب البلاد واستباحة أمنها واقتصادها وكرامة أبنائها، وهكذا دواليك !...

اما المملكة ، فلا ترسلها في الفضاء دعاوى عريضة ..

.. ولكنها بدينها القويم ، وبخلقها الكريم ، وبالتفافها حول زعيمها العظيم، تنعم بالأمن والعدل والاستقرار والإزدهار، وتمضي في طريق القوة والعزة والمجد بخطى ثابتة، موزونة، وتحقق كل يوم انتصارات جديدة !

زعيم يقدس الشرف

قال الجنرال كارل فون هورن، كبير المراقبين الدوليين، في كتابه «جندي في خدمة السلام» — ١ — :

(سافرت الى جدة لمقابلة الأمير فيصل، الذي أصبح ملكاً فيما بعد، وهو رجل **فذ، وحكيم، ووقور**.

ومنذ أن قابلته في قصره الخاص، **شعرت بأنني أمام رجل يقدس الشرف، وأنه**، بخلاف المألوف في بعض حكام العرب، **يهتم بصالح شعبه، وأنه شخص يفيض جاذبية، ويجمع في شخصيته بين القوة واللين**»

ويردف الجنرال قائلاً :

«وحين جاء وقت الاستئذان بالانصراف، التفت إلي سمو الأمير فيصل، وقال لي، **بلغة انكليزية رفيعة**، إن بوسعي الاعتماد على تعاونه معنا، وإنه يتوقع من الامم المتحدة أن تحصل على تعاون مماثل من المصريين»

ما قاله الجنرال عن الفيصل يدل على ذكاء الجنرال وحسن مراقبته لأخلاق الناس، وهي مراقبة أكثر صعوبة من مراقبة التحركات أو العمليات العسكرية.

إن حديثه عن جمع الفيصل بين القوة واللين، ملاحظة نبيهة، لأن من أبرز مزايا الفيصل أنه حليم وحازم، وقوي ولين، فهو يشتد حيث تنبغي الشدة، ويلين حيث يجب الرفق.

ولكن النقطة التي تعنينا الآن، هي أن الجنرال أدرك بسرعة، وعلى هدى التجربة العملية، مزية كبيرة وخلقاً أصيلاً في الفيصل، وهو ما عبر عنه بقوله:

«**شعرت بأنني أمام رجل يقدس الشرف !**»

ولو أن الزعماء كلهم يقفون وراء العهد الذي يعاهدونه والوعد الذي يقطعونه، كما يقف الفيصل، ولو أنهم، فوق هذا، يغضبون جميعاً لكرامة أمتهم وشرفها، في السر والعلانية، لا لمجرد الدعوى والدعاية .. كما يغضب الفيصل، إذن لكنا في مقدمة الشعوب !

---

(٢) ترجم الكتاب الى اللغة العربية ونشرته دار النهار في بيروت .

احاديث فيصل المرتجلة

في دلالتها علي عبقريته ونباهته وديبلوماسيته البارعة

قال لي صديق عاش في أمريكا :

لقد سحرني الفيصل وبهرني ..

حضرت مرة الى الفندق الذي ينزل فيه سموه في نيويورك ، فوجدت مئات من الصحفيين والمراسلين ومندوبي الاذاعات يتزاحمون حوله، وكل واحد يلقي سؤالاً ، والاسئلة بعضها دقيق، وأكاد أقول محرجاً جداً.. وليس مع الفيصل أحد يساعده، وليست بين يديه أوراق أو وثائق يرجع إليها ، وأعترف لك بأنني خفت على سموه ... وقلت في نفسي : ألهمه الله أن يطلب الإجابة على الاسئلة كتابة .. فيتسع بين يديه الوقت للتفكير وإحكام الأجوبة!

.. ولكن الفيصل العظيم ، بهدوء عجيب لم تنل منه الاسئلة المستفزة كثيراً أو قليلا، أخذ يجيب ببراعة خارقة عن كل سؤال، ويتخلص بدبلوماسية ولباقة من كل إحراج، حتى أشبع فضول الصحفيين كلهم، وحتى سمعت بعض الصحفيين — الذين جاؤوا ليحرجوه فقط — يقول بعضهم لبعض : قيل لنا ان الامير فيصل لم يتخرج في جامعة .. ولكننا نرى الآن أنه يجب على ساستنا ، أن يكملوا دراستهم على أيدي هذا الاميرالعربي العبقري .

إن مواقف فيصل السياسية، كلها، تدل على عبقريته ودهائه وسعة حيلته وقوة أعصابه، مع شدة تمسكه بمثله العليا، وكأنه المعني بقول الشاعر :

(اذا منعت منك السياسة نفسها فقف وقفة قدّامه تتعلم) !

وكم حاول بعض الصحفيين الاجانب أن « يستدرجوا » الفيصل الى قول كلمات « يستغلونها » ، في إثارة الشقاق بينه وبين بعض رجالات العرب، أو دفعه الى اعلان موقف معين، فكانوا يخرجون من بين يديه، وهم مقتنعون تماماً بأنهم أمام طراز نادر جداً من الزعماء السياسيين، الذين تكشف لهم عبقريتهم ونباهتهم كل أبعاد الكلمات والاسئلة، ويقولون بسرعة أقوالا حكيمة يحتاج غيرهم في صياغتها إلى زمن طويل أو لا يوفقون الى مثلها أبداً .

إن القضية ليست قضية مؤتمرات صحفية وأجوبة بارعة فقط ولكنها قضية عبقرية وذكاء وحكمة وديبلوماسية ودهاء، تظهر آثارها في كل مجال،

خلال العدوان الثلاثي

—

الفيصل يدفع الملك سعود الى موقف الكرامة !

فيصل يقول :

«لقد نشأنا تحت الخيام، ونحن مستعدون للعودة الى ظلالها، ولئن نخسر ملايين البترول، خير لنا من أن نخسر الشرف !»

بعد وقوع العدوان الثلاثي على مصر، تقرر عقد اجتماع للملوك العرب ورؤسائهم في بيروت، انتصاراً لحق العرب ودفاعاً عن كرامتهم، ولكن الملك سعود أظهر تردداً بل اعراضاً عن حضور هذا الاجتماع، لأنه كان يخشى، في زعمه، معارضة الأميركيين، وخسارة موارد البترول، وربما موارد الحج أيضاً..

ورأى الفيصل أن موقف الملك سعود هذا يمس كرامة العرب ويؤذي سمعة المملكة، فقال له بكل صراحة، ما معناه :

«ما هذا التعلق بالمال ؟

لقد كنا نعيش تحت الخيام، ونستطيع أن نعود إليها ..

فلئن نخسر المال خير من أن نخسر الشرف !»

وقدم إلى أخيه الملك كتاب استقالته !

ولما رأى الملك سعود صلابة موقف الفيصل، تراجع، وقبل أن يحضر الاجتماع (ويضيف السعودي الكبير الذي وقف على هذا الحادث أن الملك سعود عاد فادعى أنه لا يستطيع السفر بالطائرة لأنه يخشى أن تقوم «اسرائيل» بإسقاطها من الجو حين تمر على مقربة منها .. فشجعه الفيصل حتى ركب الطائرة..

— ولكنه أمر الطائرة بعد ذلك بالهبوط في منتصف الطريق، وتابع طريقه بالسيارة الى بيروت — وهذه قصة أخرى! —)

حادث التجاء الكيلاني

الانكليز يتراجعون امام تصميم الفيصل

فيصل يقول :

لن تصل بريطانيا إلى من نجيره الا على جثثنا !

قابل الممثل البريطاني في جدة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز، بعد وصول المرحوم الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني الى المملكة، وأبلغه أن بريطانيا العظمى تعتبر الكيلاني «مجرم حرب»، وتطلب تسليمه فوراً الى حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

وسمع الأمير فيصل –وكان وزيراً للخارجية– كلام الممثل البريطاني ، الذي كان يحمل طابع التهديد والوعيد .. فلم يملك الصبر حتى يأتي الجواب من أبيه – وكان ذلك من عادته وأدبه أمام والده دائماً – فخاطب الممثل السياسي البريطاني بكلمات قوية، أبية، جاءت على سمعه كأنها ضربات سيف :

«إعلموا أن رشيد عالي الكيلاني هو عندنا لاجيء سياسي، وقد قبلنا التجاءه وارتبط بذلك شرفنا، فلن نسلمه قط، ومن اراد أن ينتزعه من بيننا فسوف يجدنا أمامه، ولن يخلص إليه إلا على جثثنا نحن آل سعود .. قبل كل الناس !

أما اذا كنتم تريدون رجلاً تجعلونه الضحية أو الفداء .. فخذوا أي واحد منا، وأنا في المقدمة، ونفذوا فيه أقصى عقوباتكم، لأنه لم ينفذ أمركم .. بتسليم المستجير بحماه !»

قال هذا أو ما في معناه، ثم أقبل على أبيه الملك عبد العزيز يسأله العفو عن تسرعه في الرد، لأن الأمر يتصل بالشرف والكرامة المهددين .

وطبعاً، بارك الملك قول ابنه الفيصل وأيده. وأبلغ الممثل البريطاني حكومته ما سمعه وما شاهده، من استعداد السعوديين للموت دفاعاً عن جارهم وعن شرفهم، فتراجعت الحكومة البريطانية ورفعت عن الكيلاني تهمة «المجرم السياسي» وسكتت عن بقائه في المملكة بصفة لاجيء سياسي .

(أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا   وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا)

زعامة بنيت على المحبة

مشهد خالد لا يمحوه من نفسي شيء، وكم تمنيت أن أكون رساماً لأجسده في خطوط وألوان، كما خلد كبار الرسامين بعض صور الحب الرفيع .

كان الأمير فيصل مريضاً ، فذهبت إليه أعوده ، ودخلت عليه حجرة نومه الفسيحة، وكان الفيصل جالساً على سريره المنصوص في صدر الحجرة، وإلى طرف السرير كان يجلس عمه الأمير عبدالله بن عبد الرحمن ، وكان يكلمه بصوت خفيض لا يكاد يسمع .

وكانت في الحجرة مقاعد كثيرة مصفوفة على طول الجدران، ولكنها كانت جميعها فارغة .. لأن الأمراء والعلماء، كلهم، آثروا الجلوس على الارض، متحلقين حول السرير، في صمت وقور، وعيونهم ترنو الى الفيصل، وكأنها تخاطبه بلغتها ، قائلة : «شهد الله أننا نحبك من أعماق قلوبنا، وأننا نعرف فضلك على هذه الأمة، وإننا لنتمنى أن نمرض نحن كلنا وتشفى أنت وحدك، لأن أحداً منا لا يستطيع أن يغني في زعامة هذه الأمة والقيام بأمرها والدفاع عن كرامتها، غناءك! فليحفظك الله لنا وليهبك الصحة والنشاط والقوة من أجلنا ، من أجل بلادك!»

وقفت مذهولاً ، وأكاد أقول مسحوراً، بين زوار الفيصل وبين السرير فأومأ إلي أحدهم بالجلوس، ففعلت، وكانت نفسي ممتلئة من روعة هذاالمشهد.

ولما خرجت وتحدثت الى بعض الأمراء الذين خرجوا مثلي، وسمعت منهم عبارات الحب العميق الصافي للفيصل، تذكرت القول المشهور: «ما أحب أحد أحداً، كما أحب أصحاب محمد محمداً» ، وهو القول الذي فسروا به جانباً من أسباب نجاح المسلمين في دعوتهم وحروبهم، في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

إن هذا الحب الذي بعثه الفيصل في نفوس القوم هو من اعظم أسرار نجاح المملكة، فقد ملك الفيصل القلوب بأخلاقه وكرم عنصره، كما أرضى العقول بعبقريته وحكمته وسياسته .

لقد وضع الله سبحانه محبة الفيصل في القلوب، لما في قلبه هو من محبة للناس. وأكرم بها زعامة تقوم على محبة الشعب وولائه الكاملين .

سمعة الفيصل العالمية

—

للفيصل سمعة عالمية ، وليس المسلمون والعرب، هم وحدهم ، الذين يعرفون مزايا الفيصل العظيمة ويقدرون جهاده وجهوده وخدماته، ولكن العالم كله ينظر إليه بتقدير وإكبار، وهذا عز للمسلمين عامة وللعرب خاصة .

وقد أشار الى ذلك وزير الإعلام الشيخ جميل حجيلان — في مقدمته على كتاب «المملكة العربية السعودية، في مرآة الصحف العالمية» —فقال :

«لقد استقطب العهد الفيصلي ، منذ طلوع فجره، قدراً كبيراً من الاهتمام العالمي الذي يستقي مما للفيصل العظيم، أميراً ووليّاً للعهد ونائباً للملك ورئيساً للوزراء ثم ملكاً، من مقام عالمي مرموق تدعمه الانجازات الاصلاحية التي اقترنت باسمه في البلاد السعودية، وتعززه شهرته كرجل سلام ، وكحاكم حريص على قيم العدالة والإنسانية، وكرجل دولة جعل الوفاق رائده والحلم رفيقه والعقل دليله، فلا عجب ان تمتع بهذا التقدير الرفيع ، ولا عجب اذا بعث هذا التقدير ثقة عالمية به، تنطق بها شهادات الصحافة العالمية .»

وقد كشفت الزيارتان التي قام بهما جلالته، منذ وقت غير بعيد، إلى بريطانيا العظمى، التي كانت تؤلف أكبر أمبراطورية في العالم القديم، وإلى الولايات المتحدة، التي تتزعم العالم الحر في هذا الوقت، عن مبلغ تقدير الاوروبيين والأميركيين لشخصية الفيصل، وإن اختلفت بينهم وبين المملكة المصالح والسياسات أحياناً .

قالت الملكة (اليزابيت الثانية) ، ملكة انكلترا ورئيسة «الكومونولث» :

إننا في بريطانيا، ننظر الى تقدم بلادكم بكل إعجاب وتقدير، وإننا نعترف بصفة خاصة بالإنجازات البارزة التي حققتموها جلالتكم، بقيادة المملكة العربية السعودية في ظروف صعبة للغاية ..

إنني وزوجي وجميع سكان هذه الجزر، نرحب بجلالتكم .. كبطل قومي وسياسي عالمي» .

ومما قاله جورج براون وزير الخارجية البريطانية :

«إن جلالتكم قد استهدفتم في سياستكم خير المنطقة وازدهار شعوبها بكل تصميم وإصرار .

إن صوت المملكة العربية السعودية قد أصبح مسموعاً في جميع أنحاء العالم، ليس بسبب حجمها أو ثروتها الطائلة، ولكن لأن جلالتكم قدم لها القيادة والتصميم الواعي، الذي يعترف به الكثير في منطقة الشرق الاوسط، بالشكر والتقدير» .

ومما قاله الرئيس جونسن رئيس الولايات المتحدة الاميركية .

(إن بلادكم ، يا صاحب الجلالة ، تحت حكمكم الرشيد ، قد أحرزت خطوات واسعة في سبيل التقدم والنجاح .

وإنه ليوم عظيم أن يكون بيننا زعيم محترم، حائز على إعجاب شعبه، وإعجاب الشعب الأميركي) .

ومما قاله دين راسك وزير خارجية أمريكا :

(إنكم خير ابن لخير أب .

إن الاسم الذي تحمله يعبر عن الفصل والمضاء، ولقد خدمتم بلادكم بشجاعة واستقامة .

بدأتم هذه الخدمة عندما كنتم في السن الرابعة عشرة من عمركم .

إن ما عملتموه، وما أحرزتموه من نجاح في ميادين الثقافة والمرافق العامة وفي رفع مستوى بلادكم وشعبكم لمما يشهد على حكمتكم واستقامتكم وأعمالكم الجليلة، وهذا ما نقدره فيكم كل التقدير .

.. إننا نأمل أن الزعامة التي مارستموها حتى الآن ستستمر ليس بين إخوانكم العرب والمسلمين فحسب، وإنما في مختلف أنحاء العالم) .

« حضور » الفيصل

كلمة « وجود » أو « حضور » .. نستعملها هنا، مجاراة للكتاب العرب الجدد الذين أخذوا هذا التعبير عن الغربيين، ويقصد به امتلاء بلد من اسم رجل، لكثرة آثاره، واتصال أعماله، وقوة زعامته، فاسمه على كل لسان، وحبه في كل قلب، وآثاره الناطقة بفضله في كل مكان، فهو كما يقال: مالىء الدنيا وشاغل الناس، بل مالىء قلوبهم وألبابهم ..

« وجود » الفيصل، في المملكة، يشعر به كل صحفي أو سياسي بل كل ضيف يزور المملكة، مثل شعور أبنائها .. مثل شعور كل انسان يدخل روضة فيها وردة رائعة، يملأ أريجها الجو، ويأخذ حسنها الأبصار، حتى ليكاد يتلخص فيها حسن الروضة كله، وإن لم تكن هي إلا قطعة نفيسة منها، ولكنها رمزها وزينتها والمعبرة عن جمالات الروضة وكمالاتها.

وجود الفيصل لا تفرضه على الناس وسائل الدعاية، ولكن وسائل الدعاية تقوى به وتستوحي من أعماله وأحاديثه الشيء الكثير من مادتها؛ انها تقول بعض ما يصنع .. ولكنها لا تصنع ما لم يعمل ..

كثير من الحكام تدق لهم طبول « الدعاية » في حياتهم، ثم تنسى أسماؤهم فلا يذكرهم ذاكر، أما الفيصل فسوف يقدره مؤرخ المستقبل أكثر مما يقدره الناس اليوم، لأن أثره عميق وباق، وكلما أمعن الباحث في آثاره ظهرت لها أبعاد جديدة.

إنه مبشر منذ اليوم بخلود اسمه الى ما شاء الله بين عظماء العالم.

لقد تكاملت صورته، وعلت مكانته، وتكاثرت مآثره ومفاخره، ويستطيع كل مؤرخ أن يتناول من أعماله مادة لكتابة لا تنفد ولا تغيض، وإن كان فيصل ماضياً قدماً في طريق المجد، مستمراً في العطاء.

المؤسس الثاني

إن فيصل واعٍ أكثر من أي انسان آخر في المملكة للمسؤوليات التاريخية، ومن هنا تصميمه الذي لا يلين ولا ينحرف على حفظ التراث المجيد ومقاومة كل تصرف أو سلوك من شأنه ان يعرض هذا التراث للخطر.

لقد مضى والده المغفور له الملك عبد العزيز بفخر تأسيس هذه المملكة، وهو عمل عظيم خالد لا يجارى فيه، ولكن الفيصل ثبت قواعد الملك، وصانه وطوره، فهو يعد بمنزلة « المؤسس الثاني »، أمدّ الله في حياته.

صفات ابيه

الفيصل، كما قلنا، تلميذ أبيه المغفور له عبد العزيز ومكمل رسالته، وهو يتصف بكثير من صفات أبيه، وقد تحدث الفيصل منذ عشرين عاماً أو أكثر عن أبيه حديثاً عدّد فيه أبرز مزاياه، ولذلك حرصنا على إثبات هذا الحديث هنا بنصه الحرفي :

(ليس من اليسير أن أتحدث عن والدي كملك، لأن ذلك من حق التاريخ وحده، وربما كان غيري أقدر مني على إنصاف رجل عظيم بنى ملكاً بعصاميته وحفظ للعرب تراثاً مجيداً في البلاد المقدسة، وأقام الأمن والنظام في بقاع كانت تسودها الفوضى ويهددها الخوف في طرقها وأرجائها وتتألف من مقاطعات وإمارات وقبائل شتى، في مساحات شاسعة .

غير أنني أستطيع أن أذكر بعض مزاياه التي هيأت له أن يبقي هذا الملك وأن يشيد هذا المجد والسلطان، على الرغم مما صادفه من شدائد واهوال لم تثنه عن الوصول إلى غايته ولم تصرفه عن تحقيق أهدافه :

١ ــ قوة الإيمان

وأولى هذه المزايا التي يتصف بها : قوة الإيمان، فما رأيته، منذ نشأت، قد ضعف إيمانه بالله أو تخلى عن ثقته بنصر الله، ولقد أصيب في عنفوان صباه بضياع إمارة أبيه عبد الرحمن الفيصل على الرياض وسقوطها في أيدي منافسيه آل الرشيد، فرحل مع والده وأهله الى الكويت، وكان في الحادية عشرة، ونزلوا ضيوفاً على شيخها الشيخ مبارك وانضموا اليه في محاربته لابن الرشيد وعلى الرغم من هزيمتهم في عدة معارك فإنه ما كاد يستعيد تنظيم جيش أبيه الصغير، ، في ذلك الوقت، حتى ذهب لاستعادة بلاده، تحدوه قوة إيمانه، وقد صمم على الموت أو الفوز بالرياض .. حتى أعادها وأعاد إليها مجد آبائه !

٢ ــ قوة الإرادة والشجاعة

وثانية هذه المزايا التي يتسم بها جلالته: قوة ارادته وشجاعته التي تبرز في أحرج المواقف وأدق الظروف.

وأذكر على سبيل المثال أنه كان في موقعة تدعى «موقعة الحريق» فدارت الدائرة أثناء القتال على جيشه وهمّ الجنود بالفرار فبرز في مقدمة الصفوف ممتطياً جواده متقلداً سيفه ونادى:

«أيها الاخوان، من كان يحب عبد العزيز فليتقدم .. ومن كان يؤثر الراحة والعافية فليذهب الى أهله، فوالله لن أبرح هذا المكان حتى أبلغ النصر أو أموت» .. فسرت الحماسة والحمية في نفوس الجند، وعادوا فشدّوا على اعدائهم، وكان لهم الفوز.

وحدث أن قبائل العجمان بالأحساء ارادوا أن يستقلوا بأعمالهم ويتصرفوا وحدهم في منطقتهم فأبى ذلك عليهم، وخرج جلالته اليهم بجيشه ووقعت بينه وبينهم عدة معارك، وكاد في النهاية أن يخسر المعركة الفاصلة، فقد أطلق أحدهم عليه رصاصة أثناءها فأصابته في حزامه المملوء بالرصاص حول وسطه فانفجرت أربع رصاصات منها وشقت بطنه شقاً تدلت منه أمعاؤه، فأسرع الى ربطها بحزام آخر، وعاد الى ميدان المعركة، وكان الجند قد ضعفت عزيمتهم وتزعزعت شجاعتهم لما أصاب قائدهم، فوقف جلالته وقال لهم:

«أيها الاخوان! لو أنني بقيت وحدي دونكم فلن أتقهقر، وقد عزمت أن أدفن هنا أو أبلغ النصر، فمن شاء أن يبقى معي، فليعمل مشكوراً، ومن شاء أن يعود فليرجع الى أهله غير مأسوف عليه».

فأجابه الجند: «نحن معك يا عبد العزيز حتى الشهادة»!

وكان الفوز لهم في النهاية، وكانت الدائرة على تلك القبائل.

الحكمة والأناة

٣ — وثالثة هذه المزايا **حكمته وأناتـــه في معالجة أمور دولته**، وهو يتوخى حل المشاكل بالسلم أولاً، كما إنه متسامح مع خصومه، واسع الصدر لا يدخر وسعاً في استخدام المرونة والأناة ووسائل اللين، ولا يلجأ الى الشدة حتى يستنفد هذه الوسائل.

وأذكر أنه لما وقع الخلاف بينه وبين المرحوم الإمام يحيى إمام اليمن السابق لم يتعجل الشدة، وجعل يحاول حل ما وقع بينهما من خلاف باللين والحلم حتى كدنا نحن أبناءه ورجال دولته أن نرميه بالضعف، ولكنه لم يعبأ بنا، وسار في

طريقه الى الحد الذي لا ملام عنده للائم، ثم اضطر الى السيف اضطراراً!
وعندما توسط سادة العرب بين الملكين كان أسرع الى الكف عن القتال .

الحزم

وقد تمّ له بفضل سياسة الحكمة والحزم التي يسير عليها في ادارة بلاده الواسعة **إقرار الأمن على منوال غير معروف في أكثر البلاد حضارة ومدنية،** فاطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم، حتى ندر وقوع الحوادث العادية، والفضل في ذلك الى

أب للشعب كله

الى يقظته الزائدة، وأخذه المجرمين بالشدة .

أما جلالة والدي الملك عبدالعزيز كأب، فأني أستطيع أن أقول أن كل فرد في شعبه يعتبره أباً له، لما عرف عنه من عنايته بأبناء رعيته وعطفـــه الكبير وحنانه الواسع .

ان والدي في تربيته لنا يجمع بين الرحمة والشدة ولا يفرق بيننا وبين أبناء شعبه، وليس للعدالة عنده ميزانان يزن بأحدهما لأبنائه ويزن بالآخر لأبناء الشعب، فالكل سواء عنده والكل أبناؤه!

وأذكر أن أحد إخوتي الاطفال اعتدى على طفل آخر، فما كان من جلالته إلا أن عاقبه وبعث به الى الحبس، ولم يشفع له أنه ابن الملك .

وليس لشفقة والدي وحنانه على أبنائه وأحفاده حدود، فهو يغمرهم بعطفه في كل آن، ويحب أن يراهم يومياً وبخاصة صغارهم، فيجتمعون بعد مغرب كل يوم في قصره فيجلس إليهم ويلاطفهم واحداً واحداً ويقدم إليهم الهدايا والحلوى .

ويحب جلالته المباسطة على المائدة خلال تناول الطعام ويمازح أبناءه وجلساءه ثم يحادثهم أحاديث طلية لا أثر للكلافة فيها، ويعاملهم كما يعامل خاصته، معاملة الصديق للصديق وهم يحبونه حباً جماً .

الانتفاع بالعلوم الحديثة

ومن مزاياه الحميدة أنه **يحب الانتفاع بالعلوم الحديثة** ويرى أن **نأخذ من**

المدنية أفضل ما فيها ونترك مساوئها .

الحرص على الأخوة العربية

وجلالته يتفاءل اليوم بالتعاون القائم بين رؤساء الدول العربية وقادتها وشعوبها ويرى **جامعة الدول العربية هي خير وسيلة في العصر الحديث لجمع كلمة العرب** والدفاع عن حقوقهم وتضامنهم في كل ما يعرض من مشاكل) .

هذه الصفات التي ذكرها الفيصل لأبيه، هي صفاته هو أيضاً، فإيمانه بالله قوي، وشجاعته مشهورة، وإرادته متى عزم على أمر لا تلين، وحكمته وأناته فوق الوصف، وقد تكلمنا في فصل خاص عن أخلاق الفيصل، ولكننا نحب الآن أن نشير الى يقظته وحزمه في حفظ الأمن ومكافحة الجريمة.

العناية بالأمن

يتحدث الفيصل عن عناية والده بالأمن، ويقظته الدائمة وأخذه المجرمين بالشدة .

ومن الحق أن نقرر أن حكام آل سعود توارثوا جميعاً، لا نكاد نستثني أحداً، العناية بالأمن، فهو عندهم مع العدل على مستوى واحد، أو هما توأمان

وقد أصبح أمن هذه البلاد بفضل الله ثم بفضل الحكام السعوديين، وخصوصاً الملك عبدالعزيز والفيصل، مضرب المثل في جميع أنحاء العالم العربي، كما تحدث عنه المؤلفون في كتبهم .

يولي الفيصل قضية الأمن، على كل المستويات، شطراً كبيراً من عنايته .

وقد حدثني أحد سفراء المملكة أنه كان في مكتب الأمير فيصل، وكان رئيساً للوزراء — قبل توليه الملك — فدخل عليه موظف كبير يرتجف من هول النبأ الذي يحمله .. ودنا من الفيصل، وهمس بين يديه كلمات بصوت متهدج .. ثم ابتعد ليسترد أنفاسه! .

كان هذا الموظف ينتظر من الفيصل أن يستدعي إليه فوراً .. الوزراء والأمراء وكبار رجال الجيش والأمن ليتخذ معهم قرارات خطيرة في هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم الذي جاء من أجله!

ولكن الموظف فوجيء .. بانصراف الفيصل الى الشأن الذي كان فيه ، وكأن شيئاً لم يكن !

وقدر الفيصل، طبعاً، ما يعتلج في صدر الموظف الكبير ، فابتسم له واستدناه منه وقال له :

- «تقول .. إن صحفياً أجنبياً أخبرك أن انقلاباً يهيأ هنا .. فإذا كان هذا الصحفي، وهو غريب عن البلاد، يعرف من أمور شعبها وأخبار أمنها، ما أجهله أنا، فيصل، رئيس الحكومة، المسؤول عن أمن المملكة، فمعنى ذلك أنني لا أستحق البقاء في مكاني » !

إن الفيصل، على يقظة رؤساء الأمن، وحسن قيامهم بواجبهم، لا يعفي نفسه قط من العناية المباشرة الموصولة بأمور الأمن ، وله أجهزة وأشخاص في داخل المملكة وخارجها يوافونه بالتقارير و«المعلومات» عن التحركات المشبوهة و«التراتيب» و«الخطط» التي تتصل، من قريب أو بعيد، بسياسة الدولة السعودية وأمنها، .

ان شؤون الأمن تابعة إجمالاً لوزارة الداخلية ، التي يتولاها سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ، وهو من أعز الأمراء وأعقلهم ، وأعرقهم في السياسة والحكم .

الرحمة والقوة

والفيصل ، على رحمته ورقة قلبه وعاطفته ، بل شاعريته ، لا يعرف الهوادة ولا يلين أمام القتلة السفاكين والمخربين الذين يعيثون في الأرض فساداً ..

إنه كالقاضي العادل النزيه الذي يشفق من ذبح عصفور، ولكنه لا يتردد عن الأمر بتنفيذ القتل على من يستحق القتل، من المجرمين، امتثالاً لأوامر الله عز وجل وتطبيقاً لأحكام الشرع .

الملك

الحكم في المملكة حكم اسلامي، شوري، ملتزم بأحكام الدين، ومقيد بالنظام الأساسي، والأعراف، وليس حكماً مطلقاً.

والفيصل ملك، ولكنه يختلف عن الملوك، بأنه ملك — إمام، وقد بايعه أصحاب الحل والعقد، ثم أفراد الشعب، بالملك والإمامة والزعامة بيعة عامة، وفوضوا اليه السلطة، على أساس العمل بكتاب الله وسنة رسوله.

فهو إذن يستمد سلطته من الشعب ويتكلم باسمه ويعمل نيابة عنه، ملتزماً بأحكام الشرع، متقيداً بالنظام.

التمثيل الشعبي الديمقراطي — ومن ناحية التمثيل الشعبي الديمقراطي، لا يوجد فرق بين ملك المملكة العربية السعودية وبين رئيس الولايات المتحدة الاميركية، مثلاً.

بل نستطيع التوكيد بأن الفيصل أكثر تمثيلاً لشعبه من الرئيس الأميركي، لأن الرئيس الأميركي رشحه حزب وانتخبه أنصار الحزب وأما الفيصل فرشحه أصحاب الحل والعقد وبايعه الشعب كله!

سيقال لنا:

إن أمريكا تملك مجلساً للشيوخ ومجلساً للنواب، أي «الكونغرس»، وهو يقيد حريات الرئيس الأمريكي ويراقبه، وفي أمريكا حزبان قويان، فلا يستطيع أي رئيس جمهورية أن يخرج عن إرداة حزبه!

وهذا صحيح!

ولكن النظام الاميركي موضوع للأميركيين وما يصلح لهم لا يصلح للمملكة العربية السعودية.

أما خضوع الرئيس لسلطان الحزب فليس دائماً .. فضيلة! وإن ملكاً أو رئيس دولة يقف حيادياً، فوق الأحزاب والمصالح الخاصة، وينذر نفسه للمصلحة العامة وحدها، ولا يخاف في الله لومة لائم، أفضل من رجل يداري التكتلات المالية والسياسية ويخشى معارضتها له! ..

وقد عدلت المادة السابعة المذكورة بتاريخ ١٤ – ٧ – ١٣٨٤، فأصبح نصها المعدل كما يأتي :

«مجلس الوزراء هيئة نظامية يرأسها جلالة الملك .

وتعقد اجتماعاته برئاسة جلالته أو نائب رئيس مجلس الوزراء»

وهكذا اندمجت رئاسة الحكومة برئاسة الدولة، ولم تعودا منفصلتين، فليس هناك رئيس دولة هو الملك ورئيس حكومة هو رئيس مجلس الوزراء، وإنما اتحدت الرئاستان في شخص الملك .

أما اجتماعات مجلس الوزراء فيمكن أن تعقد برئاسة الملك، أو برئاسة نائبه.

مجلس خاص استشاري

كان للمغفور له الملك عبد العزيز مجلس استشاري خاص، ربما دعوه : «مجلس الربع» يحضره رجال الملك الذين يطمئن إلى إخلاصهم وعقلهم وتجربتهم فيتذاكر معهم أمور الدولة الهامة والقضايا الطارئة الملحة، ثم يكون لنفسه رأياً ويتخذ قراراً .

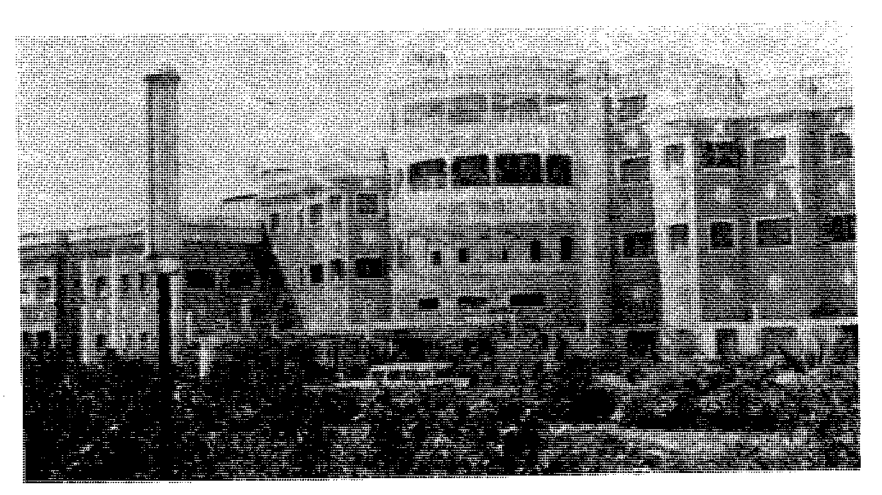
ولجلالة الملك فيصل – وهذا أمر يجهله كثيرون – مجلس استشاري ، كمجلس أبيه، وما هو بمجلس رسمي، له نظامه المكتوب، واجتماعاته المحددة، ولكنه على كل حال، يجتمع أحياناً وتعالج فيه أمور مهمة، ويشترك فيه: نائبا الملك في رئاسة مجلس الوزراء الأمير خالد بن عبد العزيز والأمير فهد بن عبد العزيز وعم جلالته الأمير مساعد بن عبد الرحمن وزير المالية والأقتصاد الوطني ، والأمير سلطان بن عبد العزيز ، وزير الدفاع الوطني ، وهكذا يبدو هذا المجلس كأنه «مختصر» من مجلس الوزراء، ولكنه في الحقيقة غير قاصر على الوزراء، إذ يشترك فيه أيضاً الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ، رئيس الحرس الوطني ، كما يحضره ، من غير الأمراء : الدكتور رشاد فرعون، ولمعاليه منزلة خاصة ، اكتسبها بنزاهته وإخلاصه ، الى سابقته وعلمه .

المشاركة في السلطة – أقام النظام الى جانب الملك مجلس وزراء، فالملك لا يحكم بمفرده، وإنما يحكم مع مجلس الوزراء ومن خلاله، وإن كانت لجلالته الكلمة العليا .

مجلس الوزراء

يتألف مجلس الوزراء من :

جلالة الملك فيصل رئيس مجلس الوزراء	وزير الخارجية
سمو الأمير خالد بن عبد العزيز ولي العهد	نائب رئيس مجلس الوزراء
سمو الأمير فهد بن عبد العزيز	نائب رئيس مجلس الوزراء الثاني وزير الداخلية .
سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن	وزير المالية والإقتصاد الوطني
سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز	وزير الدفاع الوطني والطيران .
الشيخ حسن آل الشيخ	وزير المعارف (والصحة بالنيابة)
الشيخ أحمد زكي اليماني	وزير البترول والثروة المعدنية .
الشيخ جميل حجيلان	وزير الإعلام
الشيخ محمد عمر توفيق	وزير المواصلات (ووزير الحج والأوقاف بالنيابة) .
الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل	وزير العمل والشؤون الإجتماعية
الشيخ حسن مشاري	وزير الزراعة والمياه
الشيخ عابد شيخ	وزير التجارة والصناعة



مبنى رئاسة مجلس الوزراء

القوى الموجهة

«القوى الموجهة» ، مصطلح غربي، يعنون به مختلف القوى والعناصر التي توجه السلطات الحاكمة، فتملي عليها سلوكاً معيناً وتلزمها برغبات خاصة أو تمنعها من تحقيق بعض الأعمال أو اصدار بعض الأنظمة .. فهي قوى تحدّ من حركة السلطة الحاكمة وحريتها، وترسم لها أحياناً، الطريق .

القوى الموجهة ، في بلاد الغرب ، هي الاحزاب والنوادي والجمعيات والصحافة، ورجال الدين، والشركات الكبرى والخ.

وقد تكون القوى الموجهة فكرة أو شعاراً أو عقيدة دينية ..

وربما أطلق على اجتماع كثير من هذه القوى في وجهة واحدة وإطباقها على رأي واحد اسم: «الرأي العام» .

ان الساسة لا يكتفون في الحكم على الأوضاع القائمة في دولة معينة بما يعرفونه من تنظيماتها الحكومية ودساتيرها وأنظمتها، فالنصوص لا تكفي وحدها في تكوين فكرة صحيحة عن حقيقة الحكم في أية دولة، ولذلك يستقصون ما وسعهم الاستقصاء أحوال القوى الموجهة !

لنأخذ مثلاً على سلطان القوى الموجهة: ما كان من أمر الملك سعود . فقد تصرف بالحكم في البلاد على وجه مخالف للمصلحة العامة فتألبت عليه القوى الموجهة في البلاد ، فكان نصيبه الخلع .

ما هي القوى الموجهة في المملكة العربية السعودية ؟

يصعب علي أن أحدد هذه القوى على وجه صحيح، فذلك مطلب عسير جداً قد يعجز عنه غيري أيضاً من الرجال الذين يعرفون من أمر المملكة أكثر مما أعرف !

ولكنني سأحاول الإجابة عن هذا السؤال الخطير جواباً مقارباً ..

وأحب قبل كل شيء، أن ألفت النظر الى أن ملك المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر ، لا يقـــارن بأخيه الملك السابق ، فهو لا يستمد قوته من الملك وحده، ولكنه أقوى زعيم شعبي في المملكة، والثقة بشخصه وبتصرفاته عظيمة جداً ، لدينه وعقله وحكمته ، ولذلك لا يفعل إلا ما يرضي الله والناس، ومتى دعا إلى إصلاح وقع التسليم من الجمهور بضرورته وسلامته.

وبعد هذه الملاحظة العابرة، نقول: إن القوى الموجهة في المملكة تتألف من رجال الدين والأمراء، ثم من الموظفين والمثقفين ورؤساء العشائر ووجوه البلد والتجار الخ.. وربما أطلق على طليعة القوى الموجهة، الاسم الفقهي المعروف: **أصحاب الحل والعقد، أو أصحاب الرأي .**

وإذا تركنا جانب الاشخاص والجماعات، رأينا أن القوة التي تسيطر على كل شيء، ولها الأولوية دائماً، هي القوة الروحية الكبرى : الدين .

إن مبحث الدين، كقوة توجيه، مبحث خطير، لا يتسع له هذا الكتاب كله، وقد تحدثنا عن الدين في غير موضع فلنكتف الآن بمعالجة القوى الموجهة التي تتمثل في الاشخاص والجماعات . وخصوصاً : رجال الدين والامراء .

رجال الدين

يتولى علماء الدين شؤون الافتاء والقضاء والتعليم الديني والتعليم النسوي وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والامامة والخطابة في المساجد الخ..

ويشرف على المناصب الدينية ويقوم بأجلها شيوخ من أسرة **«آل الشيخ»** ، وهم سلالة المصلح الديني والإجتماعي الكبير وأحد مؤسسي الدولة السعودية الاولى: الإمام محمد بن عبد الوهاب .

وأغلب الظن أن قيادة الشؤون الدينية ستظل في أيدي علماء من آل الشيخ وقتاً طويلاً، ولا يعني ذلك أنهم يستأثرون بها، فإننا نجد كثيراً من المناصب المهمة جداً كرئاسات الجامعات والكليات والمعاهد الدينية ومناصب القضاء والافتاء ورئاسات المحاكم ونحو ذلك يتولاها علماء من غير هذه الاسرة الكريمة، ويلاحظ، على كل حال، أن كثيراً من الأسر التي عرفت قديماً باشتغالها بأمور الدين وظهور العلماء فيها، ما تزال على عهدها السابق، وهذا الإستمرار، الذي يشبه التوارث، ليس بالشيء المستنكر، وإنما هو فضيلة من الفضائل، وقد عرف التاريخ في بلاد إسلامية كثيرة أسراً توارث أفرادها القضاء ابناً عن أب، وكانوا كلهم من أصحاب الفضل .

والخلاصة فاننا نضع علماء الدين، وفي مقدمتهم آل الشيخ ، في طليعة القوى الموجهة في الدولة، إلى جانب الأمراء، ونعترف لهم بفضلهم ومساهمتهم في استقرار الأمور في المملكة ، ونقول بكل صراحة إنهم، في جملتهم، لا يمثلون جانب « التعصب » في المملكة ، كما يقول بعض الكتاب الغربيين ، فالتعصب الذي يقف أمام الإصلاحات ، إنما يصدر عن بعض الجهلاء من

الأمراء

لنذكر أن آل سعود هم الذين أنشأوا الملك، وأنهم كانوا في أول الأمر : العمال الذين بنوا البيوت بسواعدهم، وغرسوا الأشجار بأيديهم ، والجنود الذين قاتلوا دفاعاً عن حوزتهم بسيوفهم، وبذلوا عرقهم ودمهم في سبيل إنشاء الملك الصغير في الدرعية، ثم وسعوا هذا الملك بجهدهم ودمهم أيضاً، واستعادوه ثلاث مرات بعد تآمر الأجانب عليه ، ووطدوا الأمن في البلاد بعد أن كان يتخطفها قطاع الطرق والبدو المغيرون ، ونصروا الدين واعلوا كلمته بعد أن كان دعاته المصلحون مستضعفين والجهال والسحرة مسيطرين على عقول العامة ، ووحدوا البلاد بعد أن كانت متفرقة ، وأعزوها بعد أن كانت ضعيفة وحرروها بعد أن كانت ترسف في أغلال الأجانب أو المغتصبين ..

متى ذكرنا هذا التاريخ الحافل، لم نستغرب أن يكون لأمراء آل سعود مثل هذه الهالة من السناء والبهاء .

ليس للأمراء من الامتيازات ما يجعلهم قادرين على تجاوز الأنظمة والتدخل في شؤون الحكم، فهم من هذه الناحية كسائر أفراد الأمة، باستثناء امتيازات بسيطة أكثرها شكلي أو «بروتوكولي» ، فالأمراء يتقدمون على الوزراء، وهم يرتبون أنفسهم في أماكنهم بحسب ترتيب أسنانهم، وإذا كان العم أصغر سناً من ابن أخيه، مثلاً، فابن الأخ يجلس قبل عمه، فالعبرة للسن، لا لدرجة القرابة.

وقد وضع الفيصل قواعد جديدة لتوزيع المخصصات المقررة للأمراء ، قضت بخفضها، وجعلت العبرة في المفاضلة بينهم لدرجة قرابتهم من الإمام فيصل بن تركي . أما الملك سعود، الذي أبقوا له مخصصات حسنة بعد خلعه ، فقد قطعوها عنه بعد تصريحات وتصرفات له لا تنسجم مع رسالة البيعة والولاء التي أرسلها الى أخيه جلالة الملك فيصل .

وقد وضعت الترتيبات لإنشاء صندوق توفير للأمراء، تمهيداً لإيجاد موارد خاصة لهم تخفف من مساهمة الخزينة .

عدد الأمراء كبير ، ومكانتهم في الشعب كبيرة، فإذا اجتمعوا على رأي، كانت لهذا الرأي قيمته العظيمة، ومن هنا نعدهم قوة موجهة ذات شأن في المملكة . وقد كان للأمراء أثر عظيم جداً في تطور أزمة العرش .

والأمراء في جملتهم محبون للفيصل، مقدرون لفضله، مسلمون بزعامته .

ويعتبر صاحب السمو الملكي الأمير الجليل عبدالله بن عبد الرحمن ، لسنه وفضله ، عميد الأسرة السعودية ، وسموه صديق حميم للفيصل منذ الصغر ، والفيصل يحبه ويجله ويجلسه دائماً الى يساره وبذلك يدلل على حبه له ويضرب للناس مثلاً في توقير الأصغر للأكبر .

القوات المسلحة

من حسن حظ المملكة أن رجال القوات المسلحة فيها يدركون أن واجبهم المقدس هو الدفاع عن سلامة البلاد وحدودها والولاء الكامل للملك ـ الإمام وحكومته، وذلك هو شأن الجندي المثالي في البلاد العريقة بالحضارة .

لقد لعبت الأهواء والمطامع والدعايات والأموال الأجنبية بعقول طائفة من العسكريين في بلاد أخرى فتدخلوا في سياسة البلاد وقاموا بانقلابات وسفكوا دماء وخربوا وأمعنوا في الدمار والتخريب، بينما تدق طبولهم معلنة الانتصارات لخداع الجماهير .. ولا شك أن هذه التجارب كانت عبرة للجيوش العربية التي بقيت على ولائها وطيب عنصرها، كالجيش السعودي.(١)

---

(١) المملكة لا تقوي جيشها للدفاع عن أرضها وسلامتها فحسب، ولكن لتقوم بالتزاماتها المعنوية نحو العالم العربي وبتعهداتها في القيادة الموحدة ومؤتمرات القمة .

وقد قفزت موازنة الدفاع الوطني هذا العام – ١٩٦٧ – إلى أكثر من ألف مليون ريال . ولا شك أن أحداث اليمن والعدوان الإسرائيلي، من أسباب هذه الزيادة .

تولي الحكومة الطيران والدفاع ضد الطائرات عناية خاصة، وتشير الصحف بين آونة وأخرى الى اتفاقات تعقدها وزارة الدفاع لتقوية سلاح المملكة الجوي ولإنشاء المطارات والقيام بأعمال التدريب والصيانة وإقامة شبكة الرادار . وتعاقدت الحكومة أيضاً مع الشركتين البريطانيتين المنتجتين لطائرات « لايتننغ » و « الهوكر هنتر » لتزويد المملكة بالطائرات الحربية الحديثة .

كما تعاقدت مع شركة راثيون الاميركية لتزويد المملكة بالصواريخ . ويقال انه تم التعاقد مع بريطانيا على تزويد المملكة بصواريخ موجهة من نوع (ثندربرد) وان المملكة بدأت تتسلم طائرات جبارة للنقل العسكري من طراز (س. ١٣٠) ، تستطيع الإقلاع من الأدغال والأحراج بواسطة الصواريخ، وبها طيار الكتروني يتحكم في قيادتها وثلاثة رادارات جوية .

وبذلك تكون المملكة واحدة من (١٢) دولة تملك هذا السلاح .

وتملك وزارة الدفاع مصنعاً اشترته من فرنسا لصنع الذخائر والقنابل .

المثقفون – لا يؤلف المثقفون في أية أمة كتلة واحدة منسجمة، فميولهم مختلفة، ولكن رغباتهم على اختلافها تدخل في حساب الحكومات .

المرأة

لا نستطيع حتى الآن أن نعدّ المرأة عنصراً من عناصر القوى الموجهة في المملكة، لأن الحركة النسائية ما تزال في بواكيرها . ومع ذلك يمكننا القول إن النهضة النسائية في المملكة العربية السعودية تثير بخطى سريعة، فعدد الطالبات عام ١٣٨٠هـ. لم يكن يتجاوز (٢٥٠٠) طالبة، وهو يبلغ اليوم حوالى مئة الف طالبة، أي إنه ازداد خلال ثماني سنوات أربعين ضعفاً .. والاحصاءات تبشر باستمرار الإقبال على التعليم واستمرار فتح المدارس الجديدة – ١ –

الأحزاب الشيوعية

لا توجد في المملكة أحزاب، وقد حاولت الأحزاب الشيوعية في الخارج أن تتسرب إلى المملكة، بواسطة عملاء استأجرتهم من العرب غير السعوديين ولكن محاولاتها باءت بالفشل تماماً، بفضل كراهية الشعب الفطرية لكل حركة معادية للاسلام وللتقاليد النبيلة، ثم بفضل سهر رجال الدولة والأمن وشدة يقظتهم .

ويحسن بنا التذكير هنا ان المملكة لم تأذن للحكومات الشيوعية، وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي، أن تنشيء تمثيلاً سياسياً في البلاد، اتقاء لمحاولات تقوم بها لتسميم العقول بالافكار المادية والإلحادية .

---

(١) أنشئت مديرية تعليم البنات في عهد الملك سعود، عام (١٣٧٩ – ١٣٨٠هـ.) ، وكانت ميزانيتها مليون ريال وبلغ عدد الطالبات ألف وخمساية، وفي العام الماضي (٨٦ – ١٣٨٧) بلغ عدد الطالبات في المملكة نحو ثمانين ألفاً وارتفعت الميزانية إلى سبعين مليوناً تقريباً .

أما التعليم العام فتقوم به وزارة المعارف، وكانت من قبل مديرية تأسست عام ١٩٢٦ وألحقت بالنيابة العامة ثم تحولت إلى وزارة بمرسوم ملكي في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٣ وكان أول وزير لها سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ، وكانت ميزانيتها في ذلك العام (٢٠) مليوناً .

وقد أصدر وزير المعارف في العام الماضي بياناً أوضح فيه أن عدد الطلاب بلغ (٢٨٠) ألفاً . وبلغت ميزانية التعليم في مختلف أنواعه حوالي (٥٠٠) مليون .

وعلى المستوى الجامعي توجد في المملكة : جامعة الرياض، التي تضم كلية الآداب وكلية للعلوم وكلية للتجارة، وكلية للزراعة، وكلية الصيدلة .

وفي الرياض أيضاً كلية للهندسة، وكلية للتربية .

وفي المنطقة الشرقية كلية للبترول والمعادن .

كلمة المؤلف

توضع المقدمة في أول الكتاب ، ولكنها تكتب بعد انتهائه ..

ولقد حاولت نفسي على كتابة مقدمة ، أكمل فيها بعض ما فاتني ذكره من سياسة الفيصل وصفاته وأخباره ؛ ولكنني رجعت عما كنت قد مضيت فيه ، لأن المقدمة صارت كتاباً أضخم من الأصل .. ولما تنته !

والفيصل ، كالينبوع المعطاء ، لا يزال يتجاوزك، لأنَه دائماً في ازدياد. أمد الله في حياته !

ولذلك رأيت أن أملأ الصفحات التي كنت وفرتها للمقدمة ، بمواضيع خطيرة محدودة،موضحاً ما استطعت ، رأي الفيصل فيها وتجربته .

ترسم لنا خطب الفيصل وأحاديثه صورة متكاملة لمنهاجه في الحكم ، فهو رجل دولة،بأقوى معاني الكلمة،وله أفكار واضحة « مركزة » ،تتناول كل القضايا الدينية والقومية والإجتماعية والإقتصادية والدولية .

وبتعبير آخر : له منهاج ، وله « فلسفة » .

ولا نعني بذلك أنه يشبه القادة الغربيين في أفكاره ومبادئه ، وهو الذي يعتز بأصالته ، وإنما نعني التشابه من حيث الأسلوب ، المتبع في معالجة القضايا ، فهو يصدر ،في أعماله ،عن احاطة وأفق واسع ،ويعالج كل مسألة في إطار نظرة عامة.

وهو يبارك فكرة التخطيط ، في أبعاده المختلفة ، ولكن سياسته مرنة ، تساير الظروف الطارئة والأمور المستجدة ، من غير تفريط بالمبادىء .

لقد تكلمنا طويلاً عن دعوة الفيصل الإسلامية ، وعن عروبته ، وعن أسس سياسته الخارجية في علاقاته مع الدول ، ولكننا نحب الآن أن نتحدث قليلاً عن أفكار الفيصل في هذا الصراع القائم :

على الصعيد الإقتصادي : بين المذاهب الإشتراكية وبين الإقتصاد الحر .
وعلى الصعيد الإجتماعي : بين الرجعية والتقدمية ، وبين الطفرة والتطور.
وعلى الصعيد السياسي : بين الحكم الشوري وبين الحكم النيابي .

وهي أمور تثير شيئاً من الضجة بين فترة وفترة ، ولا بد لنا من وضع النقط فيها على الحروف .

الاقتصاد الحر

سألت جلالته : ما هو مذهبكم في الإقتصاد ؟

وكنت أعرف ذلك ، ولكنني سألته .. ليطمئن قلبي !

فأجاب جلالته :

(...الإقتصاد الحر !

ذلك أن الإقتصاد « الموجه » ، بالمعنى الذي فهمته طائفة من الحكومات ، ينتهي دائماً إلى سيطرة الدولة الكاملة على اقتصاد البلاد ووضع يدها عليه ، بل حلولها محل الأفراد والشركات ، فيفقد الإقتصاد عنصرين جليلين كانا يضمنان له الإزدهار والإبتكار ، وهما :

١ — الحافز الشخصي

٢ — التنافس) .

هذا رأي الملك ، وتلك سياسة المملكة !

والمملكة بلاد اسلامية ، وملكها عادل رحيم ، ومن هنا ندرك أن الحرية لا تعني الفوضى ، ولا الظلم ، ولا التعسف ..

إن حرية الفرد محدودة باحترام حريات الآخرين ، ومقيدة بالنظام العام والأوامر الدينية والعادات الإجتماعية السائدة ،والمصلحة العامة .

قال الفيصل ، في إحدى خطبه :

(زعم بعضهم إننا سنأخذ بمبدأ التأميم ! لا ! ..

ولكننا سنطلب من الشركات ، التي لها مساس بمصالح الجمهور — كشركات الكهرباء — أن تخفض أسعارها بما يتلاءم ومقدرة الفقير وأبناء الشعب .. فإن لم تفعل ، فعلنا نحن ..ما يلزم تجاهها ..)

قد يقال : إن هذا نوع من التحديد ، فأين حرية الإقتصاد ؟

والجواب :

الحرية المقصودة هي الحرية المنصفة ، التي تباركها الديانة ، وتحالفها مصالح البلاد العامة .

أما الحرية المطلقة ، التي تظلم ، وتحتكر ، وتسلب ، فهذه حرية لا يقبلها أي مجتمع في العالم ، إلا أن يكون مجتمع .. ذئاب !

العدالة الاجتماعية

ان الفيصل ينكر ما في بعض الأنظمة الرأسماليـــة من الظلم ويستنكر الإقطاعية ، ولكنه لا يجهل ما جرته الأنظمة الثورية ، التي أرادت تخليص الشعوب من الإقطاعية والرأسمالية ، من الويلات ، ولذلك اختار طريقه على هدى وبصيرة ، قال جلالته في خطبة له :

(لقد جربت البشرية طرقاً مختلفة للحياة وأساليب متعددة للحكم ، وخضعت بعض الشعوب لأنواع من الإقطاعية والرأسمالية وألوان من التحكم والتجبر ، بل جاء عليها حين من الدهر عانى فيه الفقراء والضعفاء ما لا يطاق من ظلم الحكام ، بل كانوا أشبه بقطيع من الأنعام .. فلما ضاقت صدورهم بهذا الأسلوب من الحياة ، ثاروا عليه ..

ولكننا رأينا الثورات تنتهي إلى أنماط جديدة من الظلم والإستعباد والتخريب والبؤس ، رغم شعاراتها البراقة ، فشقيت بها الشعوب ولم تسعد ..

كان الإقطاع يستولي على ثروات الناس وجهودهم ، فجاءت الأنظمة الثورية تسلب الفرد حريته و« شخصيته » كإنسان ..

وهكذا عجزت القوانين الوضعية ، التي تضعها طبقة من الناس ، لضمان مصالحها وسيطرتها ، عن تحقيق السعادة للناس ..) .

لقد رأى الفيصل ما فعلته الثورات التي تقوم على الأفكار المادية ، بالشعوب لذلك أعلنها صرخة مدوية :

– لا اشتراكية ! ولا شيوعية !

– ولكن .. « عدالة اجتماعية » ، في ظل الإسلام !

قال الفيصل ، بعد أن بين مساويء الأفكار الملحدة :

(من هنا .. تدركون سر تمسكنا بالرسالة الإسلامية الخالدة ، فهي التي تحفظ للإنسان كرامته وحريته واستقلاله ، وتكفل له الكسب الحلال والحياة الكريمة ، في ظل العدالة الإجتماعية .

.. وهي ، فوق ذلك كله ، تحقق حل المشاكل بين الشعوب بالطرق السلمية والأساليب الإنسانية ، وتحرر البشرية من كل قيد يعوق مسيرتها في طريق الرقي والتطور) .

خدمة للاسلام ولكل دين

لقد فسرت طائفة من الحكومات اعتناقها « للاشتراكية » .. برغبتها في تحقيق « العدالة الإجتماعية » للشعب ..

ولكن الفيصل العظيم يحقق العدالة الإجتماعية ، مع إنكاره للاشتراكية وابتعاده عنها وشجبه لها .

وبذلك يؤدي للإسلام ، وللديانات كلها ، وللقيم الروحية كلها ، خدمة جليلة ، لأنه يقضي على الأكذوبة التي صنعها الشيوعيون ، حين أوهموا فريقاً من الناس أن الديانات إنما تقوم على الظلم الإجتماعي ، وأنهم ، هم ، بماديتهم الملحدة واشتراكيتهم الماركسية ، يحققون للناس العدالة الإجتماعية ، أو سعادة الدنيا ، بينما تحرمهم منها الديانات ..

لقد قال الفيصل ، منذ سنوات طويلة ، في احدى خطبه :

(ان الهدف الذي يسعى إليه كل حاكم صالح هو : تحقيق العدالـــة الإجتماعية لأفراد الشعب . وهذا ما نفعله هنا ، في هذا البلد ، ونضعه نصب أعيننا دائماً ، مهتدين بتعاليم الشريعة السمحة ، ولسنا بحاجة إلى استيرادالمبادىء أو الشعارات من الخارج ، لمجرد التقليد ..) .

التحقيق العملي للعدالة

إن الشعب ، في السعودية ، ينعم بألوان من الحقوق والإمتيازات ما تزال بعض الدول الغربية الراقية محرومة منها حتى اليوم ، فالتعليم مجاني ، وفوق ذلك تدفع الحكومة لكثير من الطلاب مرتبات شهرية .. والعناية الصحية مجانية ، فالطبيب يعالج المريض مجاناً ويعطيه الدواء مجاناً ، وإذا عجز عن مداواته أرسلته الحكومة إلى خارج المملكة ، ليعالج على نفقتها .. والدولة أنشأت مؤسسة « الضمان الإجتماعي» التي ترصد لها في الموازنة كل عام عشرات الملايين لتكفل حياةً كريمة لليتيم والشيخ والأرمل ومن يعجز عن العمل .. والدولة أيضاً تصرف المعونات المالية إلى مستوردي المواد الغذائية ليستطيع أفراد الشعب شراءها بسعر رخيص .. وقد صانت حقوق العامل ، وألفت وزارة خاصة بأمور العمل والشؤون الإجتماعية .

ولا نطيل في تعداد ما أنجزته المملكة في مضمار العدالة الإجتماعية ، فقد ذكرنا جانباً منها في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

اقوى من الاشتراكية

من يمعن التفكير في أحوال المملكة العربية السعودية يصل الى نتائج تبدو مذهلة لأول وهلة، ولكنها حقائق ثابتة لا يرقى اليها الشك !

من ذلك أن حكومة المملكة العربية السعودية أقوى من كل الحكومات الإشتراكية الماركسية بما توافر لها من الموارد !

إن الإشتراكية الماركسية تحقق تجمع الأموال في يدي الدولة، بحيث تصبح الدولة – أو الحكومة التي تمثلها – المالكة الكبرى .

أما الدول التي تدعى «رأسمالية» فحكوماتها، مهما تكن غنية، أقلُّ مالاً وموارد من الشعب، لأن ميزانيتها، مهما تكن ضخمة، لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من ثروة الشعب ومن دخله .. وقد تستطيع الشركات الكبري تحدّيها أو « الضغط » عليها !

إن الحكومة السعودية، من حيث قوتها المالية، وضعف الشركات والأفراد أمامها، أقوى من الحكومات الإشتراكية، فقد أخرج الله لها من أعماق الأرض ثروة ضخمة هي : « البترول » الذي تؤلف عائداته تسعين بالمائة تقريباً من موارد الميزانية وهي تفوق دخـــل أفراد الشعب مجتمعين .. وهذه الثروة الضخمة كلها ملك للشعب، ممثلاً في حكومته .

فالحكومة السعودية، مسيطرة على معظم الثروة القومية، وهي التي توزع .. الأجور والمكافآت والمعونات، أكثر من كثير من الدول الإشتراكية !

الحكومات الإشتراكية، حين تولد، تكون فقيرة، فتمد بصرها، ويديها، الى الأفراد لتأخذ ما عندهم وتضعه في بيت مالها، وبذلك تصبح غنية ..

والحكومة السعودية لا تمدّ يديها الى الشعب لتأخذ ما عنده، ولكنها تمدّ يديها إليه، لتعطيه ..

قد تقول : إن الله هو الذي عصمها بالبترول، ولا فضل لها في ذلك .. .. ولكنها كانت كذلك .. قبل البترول أيضاً ! وربما كانت تأخذ شيئاً من أموال الأغنياء لترده على الفقراء وتصلح به من شأن الشعب كله، ولكنها لم تفكر قط في إشاعة الفقر بين الناس ليتساووا في البؤس والحرمان .. كفعل «اشتراكيي» هذا الزمان، انما همها أن تشيع السعادة في كل مكان .

قيمة العقيدة

لقد اراد الإشتراكيون الماركسيون أن يسلبوا المؤمنين عقيدتهم ، ليحلوا لهم بعض مشاكل الحياة العصرية ... فأفهمهم الفيصل أن الاسلام أقدر من اشتراكيتهم على تقديم هذه الحلول، لأن قيمة العقيدة ــ كما يقول سيد قطب، رحمه الله ــ أنها تقدم مع الحلول : « قوة الدافع الفطري العميق للفكرة الدينية ذلك الدافع الذي لا تملأ فراغه في النفس الإنسانية فكرة فلسفية ولا مذهب إجتماعي ولا نظرية إقتصادية » .

مجتمع اخوة لا اعداء

ولقد أشار الفيصل غير مرة ، في خطبه وأحاديثه، إلى أن المجتمع السعودي المسلم مجتمع أخوة، ولن يرضى أبداً عن تلك الدعوات المادية التي تسلب الناس عقيدتهم وتمزق وحدتهم وتقيم الصراع الطبقي الدامي مقام المحبة والأخوة والتناصف، ومن هنا أيضاً شدة تمسكه بالاسلام، فبينما « يعرض بعض المذاهب الإجتماعية أن العلاقة بين الفرد والفرد هي أبداً علاقة المزاحمةوالسباق وأن العلاقة بين الطبقة والطبقة هي أبداً علاقة الصراع والخصومة، وأن العلاقة بين الافراد والسلطات هي أبداً علاقة الكبت والإجبار ...

يقرر الاسلام أن العلاقة بينهم جميعاً هي علاقة الود والرحمة، وعلاقة التضامن والتعاون، وعلاقة الأمن والسلام .

إن القانون الاسلامي، الذي لم يضعه فرد ولم تضعه طبقة، ولم تضعه سلطة: هو القانون المبرأ من الميل في صف فرد ومن محاباة طبقة ومن مراعاة سلطة . ومن ثم فهو الحاجز دون طغيان طبقة على طبقة، وهو الوقاية من ذلك الصراع الذي تحسبه المذاهب المادية ضربة لا ترد ...

يقدر الاسلام قيمة الجانب المعيشي باقتصادياته وضروراته في حياة الفرد وحياة الجماعة، ولا يقل تقديره له عن أشد المذاهب المادية اهتماماً به، ولكنه فقط لا يحبس الإنسان عليه، ولا يغفل جوانبه الأخرى وأشواقه العليا وهذا هو مفرق الطريق بين تلك المذاهب وبين الإسلام » (١)

---

(١) انظر : سيد قطب : العدالة الاجتماعيــة في الاسلام .

الرجعية والتقدمية

يتهم الشيوعيون والإشتراكيون المملكة العربية السعودية بأنها رجعية، وقد رددت إحدى الإذاعات العربية هذه التهمة، خلال اشتداد أزمة اليمن، فرد عليها الفيصل رداً قوياً أبياً، بل ساخراً متحدياً، فقال، في إحدى خطبه:

(لقد اتهمونا بالرجعية! ولكن .. ما هي الرجعية في عرفهم؟ وما هي الرجعية في عرفنا؟ إذا كانت الرجعية هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وإذا كانت الرجعية هي الحفاظ على حريتنا واستقلالنا، وإذا كانت الرجعية هي في نشر العلم وتوسيع مدارك الشعب، وإذا كانت الرجعية في الخدمات الصحية وفي العمران يعم هذه البلاد، فنحن نفتخر .. بأننا رجعيون!

أما إذا كانت الرجعية، كما نراها نحن: هي الظلم والإستبداد، وكبت حريات الناس، وسلب أموالهم والتحلل من الأخلاق، فهذه هي رجعيتهم التي يعيشون فيها!)

ويمضي الفيصل بعيداً في تتبعه لأساليب بعض الحكام، في بعض بلاد الشرق، فيأخذ عليهم مأخذين كبيرين:

الأول– أنهم مقلدون وليسوا مبتكرين.

والثاني– أنهم يتجاهلون تراث أمتهم وتاريخها ..

قال جلالته:

نحن لسنا في حاجة إلى استيراد تقاليدنا من الخارج، وقد كان لنا تاريخ مجيد، وقدنا العالم

.. نحن لنا أجداد وأمجاد، وتاريخ وتراث، فلماذا نتنصل من كل هذا، ونلتفت يميناً وشمالاً، نتلمس الطريق، ونتلمس المبادىء ..

تراثنا أشرف تراث، وتاريخنا أشرف تاريخ، وأمتنا خير أمة أخرجت للناس .. ونحن لا نقبل أبداً أن يقال عن ديننا وعن شريعتنا إنه دين التأخر والجمود)

وقال جلالته: (نحن نريد لأمتنا أن تكون قائدة لا مقودة، نريد لأمتنا أن تكون في المقدمة لا في المؤخرة، نحن لا نريد أن نكون مقلدين أو أذناباً، لا بالعكس، إن بإمكاننا أن نقود وأن نتقدم وأن نمسك بزمام الأمر، إذا اتبعنا كتاب الله وسنة نبيه.

فإذا كنا حقاً مخلصين لهذا الوطن، ولهذا الشعب، فيجب علينا أن نوجه الشعب الوجهة الصحيحة، التي تجعله في المقدمة بين أمم العالم، فإن لم يكتب لنا نحن، رجال اليوم، أن ندرك ذلك الوقت، فإن أبناءنا وأحفادنا سيدركونه)

تلك هي كلمات فيصل، تظهر إيمانه باصالة أمته واستعدادها لتمثيل دورها القيادي في العالم، بشرط أن تعي حقيقتها، وتعتز بتراثها، بدلاً من أن تقلد غيرها في صغار، وتعيش على فتات موائد الآخرين ! ومن منا لا يشعر بنشوة العزة في هذه الدعوة القوية الكريمة ؟

ونخرج من أفق اللحظة الحاضرة لندرس موقف الحكم السعودي من فكرة التطور والتقدم، في نظرة تاريخية عامة، فماذا نجد ؟

نجد أن الحكم السعودي إنما نشأ على أساس الدين الصحيح، ومكافحة الجهل والتأخر والتقليد، فقد أحل الدين محل الخرافة، والعلم محل الجهل، والأمن محل الإرهاب، والعدل محل الظلم، وكافح البداوة و « هجرها » و « حضرها » ما استطاع ... فكان وثبة إلى الامام، وتقدماً وتطوراً، ولم يكن خطوة الى الوراء !

وبعد هذا، كيف ننعت الحكم السعودي بأنه رجعي، وحكام السعودية، ومن أحدثهم عهداً المغفور له الملك عبد العزيز، لم يكتفوا بالدفاع عن « التقدم » ولكنهم، في سبيله، بذلوا دماءهم، فخاضوا المعارك الحربية ضد دعاة الرجعية والجمود، حتى قضوا على حركتهم، وما يوم « السبلة » ، الذي قاتل فيه عبد العزيز بنفسه جماعة الدويش، ببعيد !

ان عبد العزيز تحدى زعماء الإخوان، وكانوا من أعوانه الأشداء، وكانت لهم صولة وجولة، ليدخل إلى المملكة وسائل الحضارة الحديثة !

ذلك أن الاسلام دين القوة والعزة، ولا تعارض بينه وبين وسائل الحضارة ومكتسبات العلم .

التقشف .. والرجعية !

لقد سألت الكثيرين من الاوروبيين عن معنى هذه الكلمة : « الرجعية » ، التي يطلقها بعض الكتاب الشيوعيين والإشتراكيين على المملكة؛ فاعترفوا بأن الحكومة تسير بالبلاد خطوات واسعة جداً في طريق التقدم، ولكنهم شكوا.. من خلو البلاد السعودية من دور السينما والمسارح والملاهي وحانات الخمور

وقاعات الرقص والغناء .. وشكوا من طواف المطوعين في الأسواق لحمل الناس على تأدية الصلاة في المساجد .. ومراقبة ملابس السيدات، وسلوك الشباب..

قلت : هل تعدون هذا رجعية ؟

وإذا كان التشدد في الأخلاق يناقض التقدمية، فلماذا لا تسمون ما يقع في بلادكم من الفسق والفجور والخلاعة والاستهتار..طعناً في التقدمية،ووصمة؟

لقد حرمت أمريكا، خلال فترة من الزمن، شرب الخمر وبيعه، فلماذا لم تتهموها بالرجعية ؟

وكان الجواب : ما تقوله حق . ليست السعودية رجعية،ولكنها، على كل حال، متشددة في بعض أمور الدين والاخلاق أو « متقشفة » أن شئت ...

ولا شك عندنا أن الفيصل يريد التخفيف من هذا التقشف أو التشدد، لأن الكبت، كما قال هونفسه، يولد الإنفجار، وقد أعلن في بيانه الوزاري عن عزمه على توفير وسائل التسلية البريئة للشعب، ولكنه لن يأذن بتجاوز الحد المعقول إلى الإنحلال الخلقي !

إن الفيصل عاقل حكيم، وقد رأى نتائج الطفرات.. والثورات.. في بلاد قريبة وبعيدة، ولذلك قال في بعض أحاديثه :

« إننا إذا نظرنا إلى حالة غيرنا، في هذه الظروف، وجب علينا أن نسجد شكراً لله تعالى !

إن الطفرة محال . وادعاء الانسان أنه يعمل كل شيء بأسرع وقت .. تهور وطيش . »

إن الرسول ص. ، وهو أفضل المخلوقات، ما بلغ كل شيء في يوم واحد)

اسلوب عبد العزيز

زار المغفور له الملك عبد العزيز، عام ١٩٢٦ م. بارجة بريطانية راسية في ميناء جدة، ثم أقام لضباطها مأدبة، حضرها سمو الأمير فيصل، وتكلم فيها الملك عبد العزيز، فكان مما قاله :

(إننا نسير في طريقنا بأعمالنا سير القائد ببارجته، إن بارجته تقوى على سير أربعين ميلاً في الساعة، وذلك منتهى سرعة البارجة، ولكن سعادته لا يدع بارجته تمشي بهذه السرعة إلا عند الخطر الشديد خوفاً من الخراب ،

وهكذا نحن لا نسير في مطالبينا إلا بأقل مما تحمله قوتنا، طلباً للوسط في الأمور، فندرك حقوقنا بالتأني بغير عنف .

إننا نتأسى بديننا وشريعتنا، وهي وسط لا جفاء فيها ولا غلو !)

دور الزعيم

وما أحسن ما قاله الدكتور عبد الرحمن شهبندر في إيضاحه لدور الزعيم الصالح في تقدم الشعب وتطوره ، قال :

« الزعيم هو مدره القوم، المعبر عن رغبتهم، وتتجلى صورتهم بثوبها القشيب في مرآته الصافية، فلا بد أن تكون حلقة الإتصال بينه وبينهم وثيقة وإلا..لم يعد زعيماً لهم،لأن الذي يسبق الناس كثيراً،أو يقصر عنهم كثيراً ، يقطع أواصر الإتصال بهم، ولا خطر على الزعيم مثل أن يتنزل في أفكاره تنزلا مفرطاً لاسترضاء الغوغاء واستجلاب الدهماء، لأنه يعرض بذلك نفسه لاستخفاف أهل الحل والعقد من العقلاء .

على أن هذا الكلام لا يمنع الزعيم أن يكبح جماح التطرف تجنباً لإحداث هوة بينه وبين الشعب بعيدة الغور . ...

وشتان بين من يخفف خطاه لتستطيع العامة أن تلحق به فتمشي وراءه ، وبين من يتقهقر فيمشي وراء العامة) !

من هنا ، نستطيع وصف الفيصل بأنه « محافظ »، وليس « ثورياً »، ولكنه محافظ .. على التقدم !

الحكم الاسلامي

لا بد لنا قبل البحث في الحكم السعودي، في ناحيتي الشكل والغاية، من أن نتذكر صفة بارزة للمملكة العربية السعودية، وهي أنها بلاد اسلامية .
وحين نقرأ اسم المملكة الرسمي، وهو : « المملكة العربية السعودية » ،يجب أن نضيف اليه في أذهاننا كلمة تفرض نفسها فرضاً، فنقرأ : المملكة الإسلامية العربية، السعودية .

هناك بلاد إسلامية كثيرة ... ولكن المملكة العربية السعودية بقيت عبر تاريخها الطويل، أبعد من غيرها عن « المؤثرات » الأجنبية، مع أنها تحملت بطبيعة الحال عواقب التخلف الذي منيت به الشعوب الإسلامية كلها، بعد انهيار الخلافة العباسية وكارثة الأندلس وضعف السلطنة العثمانية، وما تبع ذلك من سيطرة الاستعمار الغربي على أكثر الأقطار العربية .

ونتيجة لهذا الوضع الخاص : لم تتأثر السعودية بالأنظمة الغربية كما تأثرت بلاد عربية أخرى كمصر وسورية ولبنان، مثلاً ..

لقد كانت السلطنة العثمانية، في أيام ضعفها، خاضعة لتوجيهات الدول الأوروبية الكبرى، ففرضت عليها هذه الدول، فيما فرضت: إصدار قانون مدني ، **والغاء العقوبات الإسلامية** وإبدالها بعقوبات من الطراز الغربي ، وإحداث نظام برلماني، الخ ..

وكانت الشعوب العربية، الخاضعة للسلطة العثمانية، تبعاً لها في كل ذلك!

ثم جاءت الدول الغربية، وخصوصاً فرنسا وانكلترا، فاستولت على بعض هذه البلدان العربية، وحملت اليها أيضاً بعض أنظمتها — وإن كانت أنكلترا حاولت الابقاء في الإمارات العربية الخاضعة لها على كثير من التقاليد المحلية.

أما البلاد العربية السعودية، التي تمثل تسعة أعشار الجزيرة العربية تقريباً، بحيث ينصرف اليها وحدها، أو قبل كل شيء اسم « الجزيرة » العربية، فبقيت جزيرة عائمة ناجية وسط هذا الطوفان من الانظمة الغربية الذي أغرق البلاد العربية كلها...

من هنا كان للمملكة العربية السعودية وضع خاص !

ومن هنا أيضاً رأينا زعيماً من زعماء الاصلاح الإسلامي في الشام، وهو المرحوم عبد الرحمن الكواكبي، يؤلف كتابه «أم القرى»، خلال فترة الحكم العثماني الأخيرة في البلاد العربية، وكان شديد الكره لهذا الحكم، فيتجه بآماله كلها الى «الجزيرة العربية» .. لتحقق له حلمه الكبير في قيـــام دولة إسلامية، قال، رحمه الله :

(**الجزيرة** هي مشرق النور الإسلامي
الجزيرة فيها الكعبة المعظمة
الجزيرة فيها المسجد النبوي وفيها الروضة المطهرة
الجزيرة انسب المواقع لأن تكون **مركزاً للسياسة الدينية لتوسطها** أقصى آسيـــا شرقاً وأقصى أفريقيا غرباً
الجزيرة أسلم الأقاليم من الأخلاط الجنسية أدياناً ومذاهب
الجزيرة أبعد الأقاليم عن مجاورة الأجانب
الجزيرة أفضـل الأراضي لأن تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والمزاحمين
عرب الجزيرة هم مؤسسو الجامعة الإسلامية لظهور الدين فيهم
عرب الجزيرة متحكم فيهم التخلق بالدين لأنه مناسب لطبائعهم الأهلية أكثر من مناسبة غيرهم
عرب الجزيرة أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية
عرب الجزيرة أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمهات والزوجات فلم تختل عزتهم
عرب الجزيرة أحفظ الاقوام لجنسيتهم وعاداتهم، فهم يخالطون، ولا يختلطون
عرب الجزيرة أحرص الأمم الإسلامية على الحريـة والاستقلال وإباء الضيم)

ومن يقرأ تاريخ الدول السعودية المتعاقبة، يجدها كلها قائمة على أساس تحقيق الإسلام ديناً ودنيا، فقه عبادات وفقه معاملات، وفقهسياسة وحكم .. بعد هذه التوطئة الصغيرة التي حددنا فيها أبرز صفة من صفات الشخصية

العربية السعودية ، وهي الصفة الإسلامية، في تاريخها وواقعها ، وفي الآمـال المعقودة عليها، نستطيع أن نتكلم قليلاً عن حكومة المملكة العربيةالسعودية.

من المبادىء المسلم بها عند فقهاء القانون أن الحكم في كل مجتمع يجب أن يكون ممثلاً «لواقع» هذا المجتمع ، «والواقع» الذي نعنيه هو مزيج من ماضي المجتمع ، وحاضره، وأشواقه أو «تطلعاته» الى مستقبل أفضل .

إن الإفرنسي أو الأمريكي الذي يزور المملكة العربية السعودية، ويريد أن يجد فيها حكومة مثل حكومة بلاده، وأنظمة مثل أنظمة بلاده تماماً ... يسرف كثيراً على نفسه وعلى الآخرين !

إن ملك المملكة العربية السعودية ملك – إمام، وزعيم مسلم، ولو لـم يتلقب بلقب الخلافة ولا طلب ذلك ولا ادعاه، ولكن مركز بلاده في العالم الإسلامي وخدماته الجليلة الموصولة للاسلام وتطبيقه في المملكة أحكام الشريعة الإسلامية، كل أولئك يريق عليه، شاء أم أبى ، صفة الزعامة الإسلامية الاولى، فكيف يريدون من زعيم المسلمين الاول، أن يستمد أنظمة بلاده من مصدر غير مصادر الدين الإسلامي ؟

يقول « آرنو » في كتابه : « رثاء لويس السادس عشر » :

إن بعض الكتّاب المتحذلقين المتفلسفين يدعون الى تدمير المعابد وتحطيم العروش ويثيرون غرائز الشعب ويحضونه على التمرد ..

إنهم يقولون له : السيادة لعامة الشعب !

ويوهمونه أن الشعب سيصبح كله أسياداً ..

ولكن النتيجة هي أنهم يجعلون أفراد الشعب كلهم عبيداً .. يحكمهم صغار امتلأت نفوسهم لؤما .

لقد صدق لويس السادس عشر، حين قال :

« صدقوني .. يستحيل أن تصلح مبادىء الفلاسفة كقواعد لحكم الشعب !

وبدون الديانة لن يعرف الأفراد ولا المجتمعات طعم السعادة .

ان الديانة هي أقوى الروابط بين الأفراد، وهي التي تمنع سوء استعمال القوة، وتحمي الضعيف وتعين البائس وتكفل حسن قيام الناس بواجباتهـم وحسن استمتاعهم بحقوقهم » .)

ذكر « هنري جيغو » في كتابه : (الامبراطورية العربية ، دولة ثالثة كبيرة ؟) الصادر في باريس عام ١٩٦٣ ما يأتي :

(لم يكن الامبراطور نابوليون ليخفي أثر الإسلام في نفسه .

وقد قال في جزيرة سانت هيلين، لرفيقه غورغو :

« من السخف أن لا يكون رئيس الدولة هو نفسه إماماً للدين » .

وقال أيضاً :

(أنا لا أرى في الدين سر التجسيد .. ولكن سر « التنظيم الإجتماعي ») !

إن زعماء وفلاسفة ومفكرين وشعراء غربيين كباراً جداً، في القديم والحديث يرون إن أنظمة الحكم الدينية أفضل من أنظمة الحكم التي تدعى « مدنية » أو « علمانية » أو « ديمقراطية شعبية » !

يقول « لامارتين » في كتابه المشهور « رحلة الى الشرق » :

(أنا لست مع حكم العامة، ولا مع حكم الخاصة ..

وأنا لا اعتقد بالمؤسسات الارستقراطية ولا بالمؤسسات الديمقراطية .. فليست لواحدة من هذه المؤسسات فضيلة تهذيب البشرية ودفعها نحو الكمال ..

إن هذه الفضيلة هي ثمرة الاخلاق التي يوصي بها الله في دياناته الكاملة .

إن حضارة الشعوب هي : عقيدتها !)

حكم الشورى

كان النبي ص. يستشير أصحابه في كل شأن من شؤون الحياة العامة ، فيتبع كل رأي حسن يصدر عنهم، ويترك في سهولة ويسر كل رأي رآه ، متى استبان له من خلال كلامهم، أن لديهم رأياً أفضل، وحلاً أمثل؛ وقد علمهم الرسول « الديمقراطية » أو الشورى، بل سكبها في نفوسهم سكباً ، وأفهمهم أن رئاسته عليهم ، غير مانعة من مشاركتهم في الرأي، وقد وصف تعالى هذه الحال بقوله : (وأمرهم شورى بينهم) !

عبد العزيز والشورى

لقد دعا الملك عبد العزيز ، بعد مبايعة الحجازيين له بالملك، أهالي الحجاز إلى انتخاب ممثلين عنهم يشترك في انتخابهم العلماء والاعيان والتجار ، وهؤلاء يختارون بدورهم أعضاء (مجلس الشورى) ، وقد اشترط أن يكون هؤلاء من « أهل الغيرة والحمية والتقوى » ، لأنه يريد مجالس حقيقية لا مجالس وهمية قال جلالته، رحمه الله :

(بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة، ولكن كثيراً من تلك المجالس تكون وهمية أكثر منها حقيقة . تشكل ليقال إن هناك مجالس وهيئات أما أنا فلا أريد أوهاماً، وإنما أريد حقائق . أريد رجالاً يعملون . فإذا اجتمع أولئك المنتخبون وأشكل علي أمر من الأمور رجعت أليهم في حله وعملت بمشورتهم، وتكون ذمتي سالمة من المسؤولية وأريد منهم ان يعملوا بما يجدون فيه المصلحة ، وليس لأحد من الذين هم اطرافي سلطة عليهم ولا على غيرهم .)

فيصل والشورى

وإذا كان تنظيم الحكم الشوري على قواعد جديدة مرهوناً بالظروف الملائمة فإن حقيقة الشورى مطبقة فعلاً ، فالفيصل لا يمارس السلطة وحده، كما قلنا، وإنما يمارسها مع مجلس الوزراء، وهو يستشير أصحاب الرأي، ويعلن دائماً استعداده لسماع أي رأي يصدر عن أي انسان في المملكة، غير مشترط في ذلك إلا شرطاً واحداً : سلامة النية !

قال جلالته، منذ عشر سنوات، قبل توليه الملك، في مؤتمر صحفي :

(كلنا يعلم أن بلادنا تختلف أوضاعها وظروفها عن كل بلاد العالم، فليس بيننا بحمد الله أحزاب ولا عناصر مختلفة ولا اتجاهات متباينة حتى تكون خطراً على أوضاعنا الخاصة، انما نحن أخوان متحابون .

نحن في حاجة الى التوجيه، والتوجيه **لا بد منه في كل الحقول، وأنا** شخصياً أقبل كل رأي وكل فكرة وإن **اختلفت عن رأيي ، وهذا لا يجعلني أقف ضدها ولكنني أبحثها وأنظر فيها حسب المصلحة**) .

فيصل يدعو الشعب الى حرية الرأي وانتقاد الحكام

يعتبر الفيصل أفراد الشعب السعودي أسرة واحدة ومجلساً نيابياً شعبياً كبيراً ويدعوهم بالحاح الى إبداء رأيهم بحرية، وانتقاد الحكام بالحق ليصلحوهم ، قال في خطاب له في مجلس الشورى :

(نحن رأينا الأمم وشاهدنا أناساً يقفون على المنابر ويطعنون في رئيس الحكومة بأنه مقصر ومهمل ! فهل هذا موجود عندنا ؟

قد يقول أحدكم : ليس عندنا حرية رأي !

وهذا قول مردود !

أي بلد تتمتع بحرية رأيها مثل بلدنا ؟ يسير الفرد من أفراد الشعب، الى الملك، ويستوقفه في وسط الشارع ، ويقول له ما يشاء، ويشكو اليه من يشاء فهل بعد هذا حرية رأي ؟

إن كان المقصود من حرية الرأي .. التطاعن الشخصي ، وتبادل السباب ، والشقاق، والشتيمة، فهذه ليست بحرية رأي !

إنما حرية الرأي أن يكون الشخص مخلصاً في رأيه الذي يبديه، فهل يستطيع أحد أن يقول إنه أبدى رأيه وعوقب عليه ؟

إني مستعد لانصافه إذا وقع ذلك !

ليس عندنا ولله الحمد فرق بين رئيس ومرؤس .. والرجل في الشارع وأكبر رأس في البلاد، أمام الحق، سواء !

أقسم بالله أن أبرك ساعة عندي هي الساعة التي يأتيني فيها أحد الناس ويقول: أنت مخطيء ومقّصر !

وليس قصدي التزلف بهذه العبارة، فأنا لا أخاف أحداً ولا أرجو غيرالله. ليس من الأمانة في شيء أن تروا فيّ قصوراً ولا تصارحوني به .

أنا منكم .. ان قصّرت فعليكم، وأن أحسنت فلكم !
أظهروا لي الحقيقة ناصعة، واضربوا بالحق وجه كل من يخالفه .
ما ضرنا إلا أننا نرى المسيء ونطريه ونقول له : أنت محسن !
ونرى الخائن ونقول له : أنت أمين !
ونرى السارق ونقول له :أنت نزيه !)

شكل الحكم

لا يمكن وصف الحكم، في أية بلاد اسلامية، تعي حقيقة الاسلام، بأنه حكم مطلق، بالمعنى الذي عرفته طائفة من الشعوب القديمة، حيث كانوا يعرفون القانون (أو الشرع) بأنه : إرادة الحاكم، ومن هناك المثل الإفرنسي القديم : « ما يريده الحاكم هو .. القانون » !

في الحكومات الاسلامية، توجد فوق إرادة الحاكم : الأوامر الدينية ، التي نزل بها القرآن، أو أمر بها الرسول ص. أو أجمع عليها أئمة الفقه، فلا يستطيع الحاكم أن يخرج عليها، لأن إرادته مقيدة بها .

ولكن كثيراً من الحكام المسلمين كانوا حكاماً « شخصيين » ، بمعنى أنهم كانوا ينفردون بالسلطة، مع احترامهم للأوامر الدينية والتزامهم بها .

والحكم الفردي، المقيد بأوامر الدين، المتجه الى خدمة المصالح العليا للأمة هو الشكل الوحيد الصالح لتحقيق الغايات الكبرى في فترة من حياة الأمم، كالفترة التي مرت بها البلاد العربية السعودية مثلاً .

هل تتصور أن هذه المملكة العربية السعودية المترامية الأطراف، التي كان يحكمها ملوك وأمراء ومشايخ متعددون، ومتخاصمون، والتي ما كانت تعرف معنى الأمن والاستقرار والازدهار خلال تجزئتها .. كان يقدّر لها أن تتوحد ويكون لها شأن لولا أن قيض لها الله تعالى ذلك الزعيم الملهم، البطل، المغفور له الملك عبد العزيز، فحررها ووحدها بقوة إيمانه، وحدّ سيفه، ومضاء عزمه، وبالجملة بحكمه الشخصي، الذي حقق ما يشبه المعجزات ..

ولو كان الحكم موزعاً بين جماعة .. لتخالفوا وضعفوا ولما استطاعوا أن يعملوا شيئاً مذكوراً .

في مثل هذه الفترة التي مرت بها البلاد في الشطر الاكبر من حكم الملك عبد العزيز، ما كان يتصور لها النجاح الكامل إلا في ظل حكم مثل حكمه .

وهذا الحكم يستوجب لنجاحه، طبعاً، أن يكون الحاكم عبقرياً، موهوباً صاحب إيمان وصاحب أخلاق وصاحب عزم . يستشير جماعته، ولكن بعد ذلك، يتخذ قراراته بحزم، متوكلاً على الله !

لقد عاش فيصل في ظلال هذا الحكم، وعرف كل فضائله، ثم عاش مع أخيه الملك سعود، وشعر بضعف الحكم الشخصي، حين تنقصه شروطه، وبذلك كشفت له تجربتان عاشهما : فضائل الحكم الشخصي ونقائصه .

ومنذ أكثر من عشر سنوات بدأ الفيصل جهده، أو جهاده، الذي تحدثنا عنه في فصول مختلفة من هذا الكتاب، في سبيل تطوير الحكم الشخصي، الى حكم نظامي ، يجمع بين فضيلة حكم الشخص وفضيلة حكم الجماعة ، ويتجنب بقدر الامكان نقائص كل واحد من هذين الحكمين !

لقد أشرك الفيصل في السلطة ، مع الملك : مجلس الوزراء .

ووضع نظاماً أساسياً للدولة، باسم « نظام مجلس الوزراء » .

وقد وعد الفيصل الشعب، في بيانه الوزاري التاريخي، أن ينظم الحكم الشوري تنظيماً جديداً، تستوحى اسسه من الفقه الاسلامي، ومما يلائم أحوال الشعب العربي السعودي .

ويقوم الخبراء بوضع مشاريع لهذا التطور المرتقب .

ومهما يكن الأمر فليس يستحسن العمل بالنظام النيابي، إلا متى بلغ الشعب مرحلة من التطور تساعده على حسن تطبيقه .

والفيصل، يعرف فوق هذا، ان قيام الحكم النيابي، بشكل مبتسر، يرافقه قيام الخلافات والتكتلات وتمزيق وحدة البلاد، ولذلك قال :

(إن الاصلاح ليس مرتبطاً بنظام مخصوص ولا بمذهب مخصوص ولا بشخص مخصوص...

فالإصلاح أعمال صالحة وثمرات نافعة، فمن حققها فهو المصلح .

ولا يمكن لجو يسوده الاضطراب وتسوده الشحناء ويسوده التنافس على المناصب وكراسي الحكم أن يقوم فيه إصلاح أو بناء ..)

وعد الفيصل، كما قلنا، بتطوير الحكم الشوري وأغلب الظن انه لم يفكر بالاسلوب البارلماني الغربي، وبانتظار ذلك نرى الحكم الصالح مستمراً ، فحكومة الفيصل ممثلة لرغبات الشعب ، محققة لمصالحه، ساهرة على خدمته .

المملكة العربية السعودية

للمملكة العربية السعودية مكانة بارزة مرموقة في العالم، لأسباب كثيرة، منها :

١ ـ أنها الوطن الروحي للمسلمين، الذين يؤلفون سدس سكان العالم تقريباً والارض المقدسة التي تضم المدينتين المقدستين : مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وفي مكة وما حولها: بيت الله الحرام «الكعبة»، قبلة المسلمين التي يتجهون إليها في صلواتهم خمس مرات في اليوم وأكثر، وفيها مناسك الحج، الذي فرض على كل مسلم أن يؤديه مرة في حياته على الاقل .

لذلك يفد إلى المملكة كل عام مئات الآلاف من المسلمين، من مشارق الأرض ومغاربها، ليحجوا، ويتعارفوا، ويتذاكروا أمورهم في أكبر مؤتمر إسلامي يعقدونه كل سنة .

٢ ـ المملكة مهد العرب ومستودع اصالتهم، وهي عندهم، مهما تتعدد بلادهم: الوطن ـ الأم، كسائر شبه الجزيرة العربية .

٣ ـ حقق حكام البلاد تحولاً عجيباً في حياة المملكة، مع المحافظة على الأسس الروحية والتقاليد الأصيلة، فكان ذلك تجربة مثيرة لفتت إليها أنظار علماء السياسة والاجتماع في عالم كله .

٤ ـ المملكة من أغنى دول العالم، بمواردها البترولية، والاعمال فيها متوافرة والمشاريع الضخمة قائمة على ساق وقدم، ولذلك يتطلع إليها رجال الاعمال والاقتصاد بعناية واهتمام .

علم المملكة : اللون الأخضر، كتبت في وسطه بخط أبيض كبير شهادة: «لااله إلا الله، محمد رسول الله .» .

وتحتها سيف، يرمز الى القوة في خدمة الحق، والجهاد .

وشكل العلم مستطيل، ضلع قاعدته ضعفا ارتفاعه تقريباً ..

شعار المملكة : نخلة بين سيفين .

عاصمة المملكة هي : مدينة «الرياض» .

والرياض الآن مدينة حديثة، بشوارعها الواسعة، ومبانيها الكبيرة، وقصورها الجميلة، وعدد سكانها حوالي مئتي ألف نفس .

ويمكننا القول، تجوزاً، إن للمملكة اربع عواصم أخرى :

أولاً – عاصمة دينية، وهي: مكة، ويقيم فيها الملك خلال موسم الحج ويستقبل كبار الضيوف ويعقد فيها المؤتمر الإسلامي .

ثانياً – عاصمة دبلوماسية، وهي جدة، على البحر الأحمر، وفيها يقيم السفراء والوزراء المفوضون والقناصل .

ثالثاً – عاصمة الاصطياف، وهي : الطائف، قرب مكة، في أعالي جبال الحجاز، ويقيم فيها الملك والوزراء، خلال اشتداد الحر، لارتفاعها وجودة هوائها .

رابعاً – عاصمة البترول، وهي (الظهران) ، حيث أقيمت منشآت البترول الضخمة وفيها أيضاً مطار دولي كمطار جدة .

مساحة المملكة : ٨٦٥ ألف ميل مربع .

وتمثل تسعة أعشار الجزيرة العربية تقريباً .

عدد سكانها : يختلف تقديره بين ٥ و ٦ ملايين .

يومها الوطني : في ٢٣ أيلول، يوم توحيد البلاد وإنشاء «المملكة العربية السعودية» .

كلمات

في مولد الفيصل واسمه ونسبه وكنيته وأسرته

اسمه

كان الإمام فيصل بن تركي آيةً في الشجاعة والدهاء ، مع دينٍ متين وخلق كريم ، وحسبه أنه استعاد الملك السعودي مرتين بعد ضياعه ، ثم ثبّته وقوّاه ونضّره .

وكان شيوخ نجد المسنين ، الذين أدركوا الإمام ، يقصّون على الفتى عبد العزيز ، خلال مقامه في الكويت منفياً مع أبيه ، أخبار جدّه « فيصل » ومغامراته — ١ — ، وأساليبه في سياسة الرجال والدول ، فأعجب به كثيراً بل افتتن به افتتاناً وأحب التشبه به ، وكان يعتزّ بانتسابه إليه ، و «ينتخي» في الشدائد والمعارك بقوله :

— أنا ابن فيصل !

.. وكتب القدر لعبد العزيز أن يستعيد الرياض ، عاصمة آبائه المفقودة ، بخطفةٍ كخطفة الصقر ، ومغامرةٍ أسطورية كمغامرة جده ، بل أعظم ،

.. وفي يومٍ حلو (من أيام الربيع) كان يشيع فيه الأمل والبشر ، حملوا إلى عبد العزيز بشرى ولادة ابنٍ له ، فقال ، وهو يتملاّه :

— سميته ، على بركة الله ، باسم جده : « فيصل » .

.. وتمر الأيام ، وتتفتح عن الوليد الأكمام ، فإذا هو شعلة.. تتلألأ النجابة في نظراته ، وتلفّ النباهة حركاته وسكناته وكلماته ، فيقول الأب فخورا :

— كنا على حق ، حين أسميناه باسم جده فيصل !

---

(١) حافظ وهبة : (خمسون عاماً في جزيرة العرب) .
ومعنى الفيصل في اللغة : الفصل والحكم والحاكم ، والقضاء بين الحق والباطل ، فالفيصل ، كالفاروق ، فيه معنى المضاء وحسم المعضلات ، قال (باكثير) :
(إذا لج في الأشكال أمر ، « ففيصل » — وقد حارت الأفكار في الحل – فيصل !)

تاريخ ولادته

ولد الفيصل في شهر صفر من عام ١٣٢٤ هـ. الموافق لشهر نيسان عـام ١٩٠٦ م . في مدينة الرياض .

وقد ذكر بعض المؤلفين أن مولده كان في شهر شوال ، ولما سألنا جلالته عن ذلك ، أكد لنا أنه ولد في صفر .

ويقول « فؤاد حمزة » :

(كان ميلاد فيصل عقب النصر العظيم الذي أصابه الملك والده على خصمه القوي عبد العزيز بن الرشيد ، وقضائه عليه في روضة مهنا واستخلاصه القصيم نهائياً من آل الرشيد والعثمانيين ، وهذه الحادثة الفذة تعتبر من الوقائع الفاصلة في تاريخ حياة الملك عبد العزيز ومبدأ سقوط آل الرشيد وضياع ملكهم .

وقد سمعت الملك يتكلم عن ميلاد أنجاله ، فقال : « إن سعوداً ولد يوم فتح الرياض ، وفيصلاً يوم ذبحة ابن رشيد ، ومحمداً يوم الحسا ، وخالداً يوم جراب »

وهكذا .. فانه على العادة القديمة يؤرخ ميلاد أولاده بالأحداث الكبار والوقائع التاريخية الفاصلة .)

اسم الأسرة

هو فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، او السعود .

وربما قيل : فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود .

فهم يذكرون اسم أبيه (عبد العزيز) ، واسم جده (عبد الرحمن) ، ثم يُعرِّفون اسم (الفيصل) ، ليتخذوه لهم — مع لقبهم المشهور آل سعود ، — لقباً ثانيا ، مظهرين بذلك اختصاصهم به ، لأن النسبة إلى الإمام فيصل لا تجمع إلا قسماً من الأمراء السعوديين ، دون غيرهم ، وهم : أولاد الملك عبد العزيز ، منشىء المملكة ، وإخوته ، وأعمامه ، وأولادهم وذراريهم .

وهذا أمر لا يستغرب ، فمتى تكاثر أفراد الأسرة ، وظهر بينهم كوكب لامع جديد ، تجمع حوله أبناؤه وأحفاده ، وانتسبوا إليه واختصوا به ، دون أبناء عمومتهم الآخرين .

كان آل سعود من قبل يدعون : (آل مقرن) أحد أجدادهم ، وهو لقب يشتركون فيه مع غيرهم ، ولعلهم كانوا يُعرفون قبل ذلك باسم عشيرتهم : (الدروع) أو (آل درع) ، ولما أسس الأمير (محمد بن سعود) ، بتوجيه الإمام محمد بن عبد الوهاب وارشاده ، دولة جديدة في نجد — قدّر لها فيما بعد أن تكون مبدأ تاريخ جديد في حياة الجزيرة العربية — أخذ الناس يطلقون على أبناء محمد بن سعود وذراريه اسم : « آل سعود » ، وهم الأسرة الحاكمة ، وبهذا ميزوهم عن سائر آل مقرن .

وقد جرت عادة المؤرخين الغربيين على تسمية الأمراء السعوديين باسم (ابن سعود) .. يظنون ذلك لقباً أو اسماً لكل واحد من أمرائهم الحاكمين ، فعند ظهور محمد بن عبد الوهاب ، قالوا إنه تحالف معً (ابن سعود) ، يعنون به : (محمد بن سعود) ، وبعد الحملة التركية التي قادها محمد علي وولداه ، تحدثوا عن (ابن سعود) ، وهم يعنون : (عبد الله بن سعود) ، وأخيراً أطلقوا اسم (ابن سعود) على الملك عبد العزيز .

ويخيل لنا أن آل سعود لن يتخلوا عن هذا اللقب مهما تكاثروا ، لاقترانه بأمجادهم الكثيرة ، ولأن عبد العزيز اختاره فوق ذلك اسماً ثانياً للمملكة نفسها .

كنيته

يكنى جلالته باسم ابنه البكر ، (عبد الله) ، وهذه الكنية لم تشتهر من قبل كثيرا ، وان كنت تجدها في كتابات الصحف أحياناً ، وفي بعض القصـــائد والخطب .

أما اليوم ، فقد استفاضت لهذه الكنية شهرة عظيمة ، وتداولتها الأناشيد الشعبية ، ومنها نشيد أولعت به الجماهير يتردّد فيه هذا المقطع :

– ابو عبد الله
يحميك الله !

ومخاطبة الرجل بكنيته ، عادة عربية عريقة ، وربما كنوا الرجل باسم وليد له لم يولد بعدُ ، تفاؤلاً وتيمناً ، وقد تحجب الكنية الاسم الحقيقيّ فيظل مجهولاً عند كثيرٍ من الناس . وهذا أبو بكر (ر .) الخليفة الأول ، نعرفه كلنا بكنيته وكثير منا يجهلون اسمه !

على أن خطاب الحاكم باسمه، ومجرداً من الألقاب والكنى ، عادة مـــا تزال شائعة في المملكة ، وخصوصاً عند رجال العشائر ، وقد يحب الملك من زعمائهم خطابهم له ، كلما جاؤوه في أمر ، قائلين :

« يا فيصل » !

كما كانوا يخاطبون أباه من قبل ، قائلين :

« يا عبد العزيز » !

لقبه الرسمي

أصبح لقب فيصل ، بعد مبايعته بالملك :

ملك المملكة العربية السعودية

وبجلالته لقب آخر ، ظهر في مبايعة العلماء والجماهير له بالملك والإمامة وهو :

إمام المسلمين

وهذا اللقب هو لقب آبائه وأجداده لأنهم يجمعون بين الزعامتين الدينية والدنيوية .

وبجلالته لقب ثالث ، يستمده من رعايته لأمور الحج ، وتعهده للأماكن المقدسة ، وهو :

خادم الحرمين الشريفين

واللقب الذي يستعمل في المكاتبات الرسمية هو ، طبعاً ، اللقب الأول .

وقد يحرص الكثيرون ، وخصوصاً في المخاطبات الرسمية ، على إظهار أسماء الملك وأبيه وأُسرته ، إلى جانب لقبه الرسمي ، فيقولون ، مثلاً :

صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود

وقد يزيد بعضهم أسماء آباء الملك حتى الدرجة الثالثة ، فيقولون :

(جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود)

ولكن الصيغة المختصرة هي المألوفة ، والفيصل نفسه يستعملها في المراسيم الملكية الصادرة عنه فيقول : « نحن فيصل بن عبد العزيز آل سعود » .

ويكتفي جلالته في رسائله وبياناته بجملة : « فيصل بن عبد العزيز » .

وأما توقيعه فقاصر على كلمة واحدة :

فيصل

لقبه الشعبي

إنطلق من صفوف الشعب ، بعد بيعة فيصل بالملك ، لقب ملهم وهو :

فيصل العظيم

وقد ذاع هذا اللقب وشاع وملأ الأسماع ، لأنه تعبير عفوي عن المحبة والإعجاب ، صادر من أعماق النفوس .

ولعل ما كتبناه في « تاريخ البلاد العربية السعودية » ، خطاباً للملك فيصل ، يفسر تعلق الجماهير بهذا اللقب .

قلنـــا :

« يا طويل العمر ! »

عبر لك شعبك الوفي عن إعجابه وحبه ، بكلمة أودعها كل عاطفته وقلبه فسمّـــاك :

فيصل العظيم

إن صفة العظمة لا تعني عظمة الشأن ، والقوة ، وبشطة الجاه والسلطان .. فكل أولئك لم يخطر على بال الجماهير ، حين انطلقت هذه الكلمة عفواً ، من أعماق قلوبهم ، يحيّون بها زعيمهم وملكهم وإمامهم وأخاهم وصديقهم الحميم الفيصل .

إنها صيحة إعجاب خالص بمواهبك الباهرة ، وحكمتك السياسية وعطائك الموصول للبلاد .

ولكنها كذلك – وقبل كل شيء – إعجاب بخلقك !
خاطب الله سبحانه نبيه محمداً بقوله :

«وإنك لعلى خلق عظيم»

وهل شيء أعظم في الإنسان من عظمة خلقه ؟

قال ابن كثير : سئلت عائشة عن خلق النبي ﷺ، فقالت : «كان خلقه القرآن» .

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له .. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء ، والكرم والشجاعة ، والصفح ، والحلم ، وكل خلق جميل .

هذه هي معاني الخلق العظيم ، تتمثل في الآداب النبوية التي يستحب لكل إنسان أن يتجمل بها سواء في أدب النفس ، أو في الأدب مع الجماعة .

.. وفي ظل هذه المعاني الكريمة ، أولاً ،

.. وفي العبقرية ، والحكمة ، والجهد الصادق في خدمة الإسلام والعرب والوطن ، ثانياً ،

يتفتح لنا معنى :

فيصل العظيم

أبواه

أبوه :

الملك عبد العزيز .. وسنتحدث عنه كثيراً فيما بعد .

أمه :

الأميرة « طرفة » ، بنت الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ حفيد إمام الدعوة وأحد مؤسسي الدولة العربية الإسلامية الأولى في تاريخ الجزيرة العربية الحديث : الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وقد توفيت ، رحمها الله ، بعد خمسة أشهر من وضع ولدها ، وكأنما كانت رسالتها في هذه الحياة أن تعيش لتهب المسلمين والعرب هذا الفتى العبقري . — ١ —

ولذلك لا نستطيع التحدث عن أثر الأم في ابنها ، الا بما انتقل اليه بالوراثة وبهذا « الاطار » الديني الذي يصله بإمام الدعوة وبيته ، ويقوي فيه النزعة الدينية .

---

(١) يقول فيلبي في (اليوبيل العربي) انه كان واحداً من أربعة، خلا بهم الملك عبد العزيز في إحدى سهراته ، وبثهم بعض ما في نفسه ، فكان مما ذكره لهم أنه أحب ثلاثاً من زوجاته ، انتقلن الى رحمة الله ، حباً شديدا ، أولاهن « جوهرة » والثانية « طرفة » ، أم فيصل .
وأردف الملك يقول :

« مما يعزي المسلم أن الله سبحانه إذا رحمه وأدخله الجنة ، أذن له بأن تكون زوجته في الدنيا ، رفيقة له في الآخرة . »

أجداده

هو الملك الإمام فيصل

ابن الملك الإمام عبد العزيز – مؤسس المملكة العربية السعودية .

ابن الإمام عبد الرحمن

ابن الإمام فيصل – مجدد الدولة السعودية الثانية .

ابن الإمام تركي – مؤسس الدولة السعودية الثانية .

ابن الأمير عبد الله

ابن الإمام محمد بن سعود –مؤسس الدولة السعودية الأولى .

أمراء الدرعية ..

لم يكن مؤسس الملك السعودي ، محمد بن سعود ، واحداً من أفراد الشعب المغمورين ، وإنما كان رجلاً كبير المواهب ، وكان إلى ذلك من بيت الإمارة ، ومن أشرف الأسر العربية وأعرقها وكان ، عند ظهور الإمام محمد بن عبد الوهاب في نجد ،أميراً على « الدرعية » ، ورث الإمارة عن آبائه وأجداده ،

آباء محمد بن سعود

وهذه أسماء آباء محمد بن سعود ، حتى جده الأعلى مانع ، مؤسس (الدرعية) :

هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى ابن ربيعة بن مانع .

اللقاء مع النبي ص . في نزار

ومانع يتحدر من (ربيعة) بن نزار بن معد بن عدنان ، وبذلك يلتقي نسب آل سعود مع نسب النبي ص . في جد مشترك ، هو : نزار بن معدبن عدنان .

نسب الفيصل من جهة امه

١ ـ هو فيصل
٢ ـ ابن طرفة
٣ ـ بنت الشيخ عبد الله
٤ ـ ابن الشيخ عبد اللطيف
٥ ـ ابن الشيخ عبد الرحمن
٦ ـ ابن الشيخ حسن
٧ ـ ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب . أحد مؤسسي الدولة السعودية الأولى ، وإمام الدعوة الاصلاحية

وينتهي نسب الشيخ محمدبن عبدالوهاب ، وهومن بنى تميم ، الى مضر ، فعدنان . فهو يلتقي بالنبي محمد ص . في جدهما الأعلى المشترك : (الياس) بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان .

وبسبب جمع الفيصل ، في ذاته ، بين عرقي آل سعود وآل الشيخ ، لقبه محب الدين الخطيب بلقب « ذي النورين » ، لأنه كما قال : (سبط صاحب الدعوة الى التوحيد ، محمد بن عبد الوهاب ، وحفيد مؤيديها وناشريها آل سعود) ـ ١ ـ

(١) أنظر كتاب : « مسائل الجاهلية»

أولاده

لجلالته ثمانية أولاد ذكور ، عدا الأناث ، وهم الأمراء :
عبد الله ، محمد ، خالد ، عبد الرحمن ، سعود ، سعد ، بندر ، تركي .
وهم يحملون شهادات جامعية أو في طريقهم اليها ، باستثناء عبدالله ، الذي لم تتح له الظروف أن يدرس في جامعة ، ولكن ثقافته الأدبية رفيعة ، وهو شاعر جمال وعاطفة مرهفة وصاحب ديوان « وحي الحرمان » ، ولا ينكر عليه مكانته — مكانة الصدارة بين شعراء المملكة — أحد .

تولى الأمير عبد الله وزارة الداخلية مدة ، ولكن الفيصل لم يشأ أن يحتفظ به وزيرا معه، حتى لا يأخذ عليه ذلك بعض الناس ، أو يحتجوا بعمله فيحشدوا في الوزارات والمناصب الكبيرة أبناءهم ،ولو لم تكن لهم مواهب عبدالله ، فتفسد الدولة !

هل يريد الفيصل أن يبعد كل أبنائه عن مجال الخدمة في مناصب الحكومة .. لمجرد أنهم أبناؤه، كما فعل مع ابنه عبد الله ؟

ان أبناءه يحملون شهادات عالية لا يحمل مثلها الا عدد محدود من أبناء المملكة ، وفي مثل هذه الأحوال — وخصوصا في بلاد ما زالت تتعاقد مع حملة الشهادات غير السعوديين بمرتبات كبيرة — يبدو التوظيف واجباً أكثر منه حقاً، وتضحيةً أكثر منه منفعة ، فمتى كان المرشح للعمل سعودياً ورفيع الثقافة ، تفتح له المؤسسات الخاصة أبوابها الواسعة .. وتغريه بألوان من الاغراء ..

وهناك نفع آخر قد ينشأ عن دخول أبناء الملك في مناصب الدولة ، وهو الجانب الأدبي ، فماذا نقول اذا دخلوا الدوائر ليعملوا فيها تحت إشراف رؤساء قد يكونون أدنى شهادات منهم وبصرف النظر عن كونهم أمراء وأبناء ملك .. ليعملوا كسائر الموظفين وكسائر أفراد الشعب ؟ ألا يؤدون بذلك رسالة أدبية ، في خدمة روح المساواة والديمقراطية ، مثل الرسالة التي يؤدونها في القيام بأعباء المنصب الفنية ، وأكثر ؟

على هذا الأساس من حب المساواة ، والرغبة في خدمة الشعب وحكومته ، أذن فيصل لأولاده بالتقدم الى المناصب ، يحملون معهم شهاداتهم الجامعية ، لا شهادات ميلادهم وأنسابهم ، وحسن سلوكهم ، لا رفعة ألقابهم !

لقد عوّد الفيصل أولاده على البساطة ، ما أمكن ، منذ كانوا في المدرسة ثم في الجامعة ، فلم يكن يغدق عليهم المال ليبذروه ، ولم يدع لهم سبيلاً الى الإستعلاء على رفقائهم أو على أحد من الناس !

وها هو «يلاحقهم» في المناصب ، كما فعل معهم في الجامعة ، بل ذهب الفيصل الى أبعد من ذلك . روى لنا بعضهم أن ولداً له ، نال شهادة عالية في الفنون الحربية ، والتحق بوزارة الدفاع ، فأرسلوه الى بلدة بعيدة ، فلم يعجبه ذلك كثيراً ، وأحب أن تكون له ، هناك على الأقل ، دار ممتازة ، يؤثثها على طراز رفيع ، يخفف من وحشة البلد !

.. حتى هذا لم يقبله الفيصل !

وكتب الى ابنه : إن كنت تريد أن تكون ضابطاً ، فكن كسائر الضباط والعسكريين ، أما اذا أردت أن تكون أميراً ، وابن فيصل .. فقط ، فاعتزل عملك ، وتعال إليّ ، أسكنك القصر الذي تحب !

وكان هذا كافياً لإعادة الابن الى روحٍ فيه أصيلة ، فأعرض عن شهوة عابرة ، وإن تكن بريئة !

الاقرباء والمناصب

جاء (الربيع) الى الخليفة العباسي (المنصور) يوماً ، وقال له :

« ان لفلان صلة بك ، فإن رأيت أن توليه ناحية؟
فقال له المنصور :

«يا ربيع ! إن لاتصاله حقاً في أموالنا ، لا في أعراض المسلمين وأموالهم..

انا لا نولي للحرمة والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية ، ولا نؤثر ذا النسب والقرابة على ذى الدراية، فمن كان منكم كما وصفناه، شاركناه في أعمالنا ، ومن كان عطلاً ، لم يكن لنا عذر عند الناس في توليتنا اياه . »

بهذه الروح ينظر الفيصل الى مناصب الدولة ، فلا يكلها الى الأقرباء ، ان كانوا عاجزين أو فاسدين ، لمجرد أنهم أقرباء ! —١— .

---

(١) يقول المرحوم أحمد قاسم جودة في مقال له :

(... كان الأمير عبد الله الفيصل ، نجل جلالة الملك ، يشغل سنوات عدة منصب وزير الداخلية في الحجاز ، وكان في استطاعته أن يبقى أو على الأقل كان في استطاعة والده ان يبقيه في منصبه هذا أو في منصب آخر إلى ما شاء الله . ولكن عقلية فيصل تتسع لادراك ما يجر اليه ذلك من حسد الحاسدين وكيد الكائدين ، تمشياً مع ناموس الطبيعة البشرية الذي لا حيلة لأحد فيه ، وعقلية ابن فيصل من الناحية الأخرى تتسع مع حب أبيه لإدراك التطور الذي بدأ يشق طريقه في دنيا العرب ، وهو يأبى أن يقترن لقب الإمارة بصفة البطالة اذ يظل الأمير عالة على ما يغترف من مال الدولة ، ، باسم المخصصات .. فكان ان ذهب الأمير إلى والده يحدثه في ضرورة اشتغاله بعمل حر يفتح الباب أمامه وأمام غيره من الأمراء ، لكسب قوتهم كأبناء الشعب بالإجتهاد والحركة والمنافسة المشروعة على قدم المساواة ، ولم يكن الفيصل الوالد بحاجة إلى من يقنعه بصواب هذا الرأي وسلامة هذا الإتجاه ولكنه تردد أمام اعتبار واحد لم يخفه على أكبر أنجاله ، فقال له :

– سيقال إنك تشتغل بالتجارة لأنك تعتمد على مركز أبيك . وهذا شيء لا أطيقه ولا أسمح به . فقال الأمير عبد الله الفيصل :

– ان هذا الذي قد يقال سيقابله من ناحية أخرى شيء أقسى على النفس وأمر ، وهو أن تتعمد ألا تنصرني إذا كنت على حق ، لكيلا يقال أنك تحابي ولدك على حساب الآخرين ...

أي أنك – وأرجو أن تسامحني – قد تضطر للحكم بالظلم حتى تشتهر بالعدالة ، وهذا أيضاً لا يرضيك ...

وانتهى الحديث الصريح بين الوالد والابن ، الى اتفاق على ألا يعتمد الأمير الابن على والده في أي أمر يتعلق بعمله الحر وألا يقف الأب حجر عثرة في طريقه لمجرد أنه أب ...)

وأحب أن أذكر أن لجلالته ولدا آخر هو الأمير (محمد) الذي أكمل دراسته العليا في الاقتصاد في أميركا وعندما أريد إسناد عمل إليه في مؤسسة النقد رفض فيصل أن يعطيه درجة أو مرتباً أكثر من نظرائه .. فأصبح يعمل موظفاً براتب (٩٧٥) ريالا في الشهر وهو المرتب الذي يتقاضاه كل من حصل على شهادة ، في أول عمل بالحكومة ، ويعرف ضآلته الذين عملوا في المملكة العربية السعودية !

الفصل الاول

تربية الفيصل وتدريبه على السياسة والحرب

رحلاته الأولى إلى الغرب

وأولى قياداته العسكرية

فيصل



في الطفولة وأوائل الشباب

تربية وتعليم

تختلف طفولة فيصل عن طفولة كثير من الأمراء ..

ماتت أمه وهو وليد رضيع ، فعاش بعدها محروماً من حنانها وتعهدها له. ولكنه عاش في « جوها » ، في بيت أبيها ، كل طفولته .

ونشأ نشأة دينية ، على صلاح وتقوى ، وخلق رضي وتواضع ، ولم يعرف تلك المفاسد .. التي طبعت بطابعها سلوك كثير من أبناء الكبار ..

ولكنه ، في اقباله على العلم ، لم يهمل الجانب البطولي من حياة الصحراء .. ولا الجانب السياسي من فن الإمارة والحكم

تعلم فيصل من مبادىء العلوم ، ما لم يتعلمه أمثاله من الأمراء في زمانه ، لم يقل فيصل مع الشاعر : « ولله عندي جانب لا أضيعه

وللهو عندي والخلاعة جانب »

ولكنه قال : « وللدين عندي جانب لا أضيعه

وللحرب عندي والسياسة جانب »

لذلك كانت تربيته مزاجاً من الثقافة الدينية ، تولاّها جده، ومن التربية السياسية والاجتماعية و« الحربية » ، تولاها أبوه .

يقول ده غوري : « السياسة وحسن التصرف مع الناس والعشائر أخذهما فيصل عن أبيه ، وأخذ عنه أيضاً الصبر والكتمان وضبط الأعصاب ، وعزة النفس — وهي خصلة عربية .

أما ركوب الخيل والرمي وفنون الصحراء .. فقد تعلمها الفيصل على أيدي رجال اختارهم والده لهذا الغرض .

.. وتباري فيصل ، خلال طفولته ، مع لدّاته ، في ألوان من الحركات البطولية ، فامتطى ظهر مهر بدون سرج ،وسبح طويلاً في بئر عميقة قفـز إليها من ارتفاع كبير ،ومشى حافي القدمين ، وتعوّد على النهوض من النوم قبل ساعتين من بزوغ الفجر ... وبالجملة ، كان هذا الفتى النحيل ، الذي يظن به الضعف ، يدهش الناس بشجاعته وإقدامه وشدة تحمله ..

ويقول هوارث :

« لم يعلّم الملك عبد العزيز أولاده إلا تعليماً دينياً ،وأشياء يسيرة من الفنون التي يتعلمها أمراء الصحراء »

وهذا القول ، في جملته ، صحيح ، فلم تكن في نجد ، عند ولادة فيصل ، مدارس بالمعنى الحديث ، ولم يكن طلب العلم من عادات الأمراء .

ويقرر لنا الشيخ حافظ وهبة – الذي قضى في الكويت ونجد والحجاز خمسين سنة وأكثر – أنه عرف شيوخاً وأمراء كانوا يرون طلب العلم عيباً ، وهو يروي لنا ، في معرض الاحتجاج لكلامه قصة قد تكون مصنوعة ، ولكنها بليغة الدلالة ، خلاصتها أن شيخ الكويت جابر ، جد مبارك الصباح ، « رأى أحد أبنائه يحضر مجلس العلماء ، فوصفه باختلال في العقل ... لأن الإمارة لا تجمع مع طلب العلم !

... ولكن هذا الفتى ، الذي اشتهر أول أمره بالتقوى وحب العلماء ، تغير سلوكه ، فاستبدل بحلقات الدروس مجالس الأنس والطرب ، وبالعلماء أهل الخلاعة ، فسر والده من هذا التبدل ، وقال : « إن دم الصباح قد تغلب عليه ! »

ويقول هذا المؤلف نفسه ، في كتابه « خمسون عاما في جزيرة العرب » إن الملك عبد العزيز لم يتعلم في طفولته ، « وإنه كان لا يبالي بقواعد النحو والصرف ما دام يعرب عن قصده ، وما دام أمره يفهم وينفذ ، وانه كان في أول عهده يكثر من الألفاظ الدارجة في نجد ، مما لم يألفه أهل الحجاز ومصر ، وكان يصرح بذلك .. معتذراً عن أخطائه الكتابية إذا كتب بنفسه » ...

ويعود المؤلف فيبرز لنا ناحية العبقرية في الملك عبد العزيز ، لأنه استطاع أن يتدارك شابا وكهلا ما فاته من ألوان الثقافة ، طفلا ، فيقول :

« كان محدثاً بارعاً ، يخاطب كل جماعة بما يناسبها ، لأهل الأمصار لغة ، ولأهل البادية لغة ، ولشيوخ العلم لغة ، وكان يحفظ كثيراً من آيات القرآن ، وقسماً وافراً من أحاديث الرسول (ص). وكان يستشهد بها في أحاديثه ...

... لئن كان عبد العزيز لم يتعلم بالمدارس في صغره ، لقد آتاه الله عقلا واسعاً ، وعلماً بأصول الدين وفهمه ، اكتسبه من اختلاطه ، بالمرحوم الشيخ العظيم عبد الله بن عبد اللطيف ، شيخ علماء نجد وبسواه من العلماء ، ومن سماعه المتكرر لما يتلى عليه من كتب الحديث والتفسير والآداب الدينية .

... وكان دائماً يقول : إني لم أتعلم في مدرسة ، بل علمتني التجارب ، وعلمني اختلاطي بالرجال وسماعي الكثير من أخبار عظماء التاريخ .) .

هل نستطيع القول إن الفيصل لم يتلق في طفولته تعليماً ، أو مبادىء علوم ، شأنه في ذلك شأن أبيه ؟

ذلك ما ذهب اليه بعض الكتّاب ، وكـأنهم أرادوا أن يؤيـدوا قولهم ببرهان ، فرووا عن لسان الفيصل نفسه ، أنه قال :

(إن المغفور له والدي عبد العزيز هو مدرستي ومنارتي التي استهديت بها ، إنني أحفظ كنزاً من تجاربه المرشدة ... إنه مدرستي الحقيقية ، إنني لم أدخل أية مدرسة .. لقد دخلت « الكتّاب » وتخرجت منه في الثالثة عشرة من عمري كما دخلت .. أي لا أعرف القراءة والكتابة ... وحفظوني القرآن غيباً . . وخرجت لأدخل مدرستي الحقيقية .. إنها شخصية المغفور له والدي عبد العزيز ، الذي ترعرعت ونشأت في ظله ، وتمرست في الحياة بتدريبه ، فكان هو المدرسة التي استقيت منها دروسي وخبرتي) . — ١ — .

ان أثر عبد العزيز في ابنه فيصل أثر عميق جداً ، كما سنرى في فصل آخر ، ولكن الذي يعنينا الآن هو تعليم فيصل ، لا تربيته السياسية والإجتماعية والخلقية.

وعندنا أن هذه الكلمات المروية عن لسان الفيصل محرفة شيئاً من تحريف ، فلا يعقل أن يخرج الفيصل من بين أيدي جده ومعلميه وهو لا يعرف القراءة والكتابة ! ..

قد يقال : إن كثيراً من العباقرة لم يتلقوا علومهم في مدرسة ، وإنما اكتسبوا معارفهم الواسعة بإدمان القراءة والاستماع الى أحاديث العلماء ، وساعدتهم على ذلك طبيعة مستجيبة .

ولكننا ، على ذلك ، لا نستطيع مقارنة الفيصل بأمراء الصحراء الذين عناهم هوارث ، فهو يختلف عنهم تماماً، في طفولته، كما اختلف عنهم ، في شبابه .

---

(١) عبد الوهاب فتال : جزيرة وملك .

ذلك أنه كان مقيماً ، طول طفولته ، في بيت – مدرسة .. هو بيت جده لأمه، العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف .

وكان الشيخ عبد الله معنياً بتربية فيصل وتعليمه ، بكل عواطفه ، ففيصل هو ابن بنته، التي توفاها الله قبل أن يستمتع الفيصل بالقسط اليسير من حنانها ورعايتها ، وفيصل هو ابن سلطان نجد ، وفيصل إلى ذلك كله ، طفل ذكي ، متفتح المدارك ، سريع الفهم والحفظ لما يلقى عليه، فمعلمه لايتعب معه،ولكنه يجد راحة ونشوة وفخراً في القيام على تعليمه .

قال فؤاد حمزة :

(نشأ الأمير فيصل وترعرع في بيت جده لوالدته الشيخ عبد الله ، وناهيك بآل الشيخ بيت علم وصلاح ، وظل أكثر أيامه الى ان بلغ دور الشباب مقيماً في منزل جده ، فاستفاد من الناحية العلمية والثقافة الدينية الشيء الكثير .

وقد علمت من سموه أنه كان مقيماً في بيت جده إلى أن سافر إلى أوروبا للمرة الأولى عقيب الحرب العمومية عام ١٣٣٧ هـ. (١٩١٩ م)

وقد تعلم القراءة والكتابة وختم القرآن على يد الشيخ محمد بن مصيبيح ، قبل أن يبلغ العاشرة من عمره .

ووالدته ابنة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن أعاظم رجال العلم والدين في الرياض . وقد كان الشيخ من أقرب الناس إلى الملك عبد العزيز وألصقهم به وأكثرهم نصحاً له وقد ذكر لي الملك أنه كان يعتمد كثيراً على آراء اثنين : الأول المغفور له والده الإمام عبد الرحمن ، والثاني المغفور له الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، ولذلك فان وفاة الشيخ كانت خسارة فادحة شعر بها الملك وظل يذكرها ويذكر الشيخ ونصحه ورجاحة عقله في كل مناسبة)

وقال عبد الحميد الخطيب ، في كتابه « الإمام العادل » : تربى سموه في بيت جده لوالدته وتلقى على يده مختلف العلوم منذ نعومة اظفاره ، ونشأ نشأة صلاح وتقوى ، كما أخذ عنه التواضع ولين الجانب ، فهو يمقت العظمة والكبرياء ، ولا يرضى بالذلة والمسكنة)

وجاء في كتاب « المملكة العربية السعودية في عهدها الحاضر » :

« تولى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ علامة نجد ، أمر العناية بسموه من توجيه وتعليم ، وهكذا نشأ سموه في بيت تتجاوب فيه أصداء البطولة والمجد ، وترتل فيه آيات الكتاب الحكيم وتدرس أحكام الشريعة .

وقد أبدى سموه في طفولته من الذكاء والاستعداد لاستيعاب العلوم ما كان موضع التقدير والإعجاب من جميع أساتذته وأفراد أسرته .)

وقالت مجلة « الوثائق الفرنسية » :

« ولد سمو الأمير فيصل من أبوين صالحين ، عرفت اسرتهما بشدة التمسك بالدين وأحكام الشرع ، وتولى العناية به جده لأمه ، حفيد إمام الدعوة ، الشيخ عبد الله ، فكان ذلك أفضل ضمانة لتربية دينية سليمة .

بدأ فيصل يتلقى العلوم منذ السنة السادسة ، وظهرت عليه علائم النبوغ في سن مبكرة ، فكان يبدو بنضجه ومواهبه أكبر كثيراً من سنه . »

لم يكتف فيصل ، طبعاً ، بهذا القدر من الثقافة يتلقاه في منزل جده لأمه وعلى أيدي شيوخ الدين واللغة ، وإنما كان يستزيد من المعرفة ، على كثرة مشاغله ، بالمطالعة الشخصية ، والإستماع الى الأحاديث ، وكثرة الأسفار .. فلم تكن رحلاته لهواً ، وإنما كانت دراسة جادة هادفة .

والغربيون الذين تحدثوا الى الفيصل يعتقدون أنه متخرج في الجامعات الغربية لأن كلامه يدل على اطلاع واسع ، ومعرفة بالمذاهب السياسية والإجتماعية الحديثة .

وكل هذا انما أدركه الفيصل بنباهته وجهده ، لا في مدرسة أو جامعة .

ويقول الكتاب الغربيون ، الذين أتيحت لهم فرصة مرافقة الفيصل في أنكلترا وأمريكا ، في رحلاته الأولى ، إنه يتكلم اللغة الأنكليزية ، وإن معرفته بالأفرنسية أقل من ذلك ، ولعل له أنساً باللغة التركية ، من زوجته التي نشأت وترعرعت في إستنبول .

إن ثقافة الفيصل مزيج من الثقافة الدينية التي تعلمها في طفولته واستمر على تتبعها وتنميتها بالقراءة والإستماع ، ومن الثقافةالأدبية التي غذتها مطالعاته ومجالسه وميوله التي فطر عليها ، يضاف إلى ذلك رحلاته الى مختلف بلاد العالم ووقوفه على الحضارة الغربية بكل مظاهرها وجوانبها ،ولذلك قال غير واحد من الكتاب الغربيين : من حسن حظ السعودية أن يكون لعبد العزيز ابن مثل الفيصل ، في فترة من الزمان دقيقة ، تخرج فيها المملكة من عزلتها وتتصل بحضارة الغرب وسياسته ، فلا بدّ لها من زعيم يعرف الغربيين ويستطيع التحدث إليهم ، فيأخذ منهم ما ينفع بلاده ويرفض ما يضرها ، وكل ذلك بحكمة ونباهة.

وقد سألت جلالتَه يوماً عن الكتب التي كان يحب مطالعتها في أول الشباب ، فقال :

« بعد القرآن والحديث : كتب التاريخ والأدب » .

تدريب على الحرب

الغزوة الأولى

ياطب

أراد عبد العزيز — وكان سلطانا على نجد وحدها—أن يدرب ولده فيصل على الحروب ، فاصطحبه معه في غزوة « ياطب » عام ١٣٣٦ هـ . ، وكان فيصل يومئذ طفلاً كبرعم الورد لم تتفتح عنه أكمامه .. فسنه ثلاثة عشر ربيعا !

كانت غزوة ياطب أول غزو قام به السلطان عبد العزيز ضد « ابن رشيد » في عقر داره ، ولم تكن في حقيقتها معركة كبيرة ، وحسبها أنها أرهبت العدو وأوقعت خسائر في ماشيته واضطرته الى الإختباء وراء أسوار « حائل » ، محصوراً مذعوراً ، بل حسبها أن الأسد عاد منها الى عرينه، بعد أن اكتشف في شبله (فيصل) مواهب حربيةً كبيرة ، فهو فتى شجاع ، كثير المصادر والموارد ، متين الأعصاب ، لا تزلزله المواقف الرهيبة !

---

(١) في معجم البلدان : (ياطب — بكسر الطاء — علم مرتجل لمياه في أجأ، وقد قال فيها أحد الشعراء:

ألا لا أرى ماء الجراري شافيـاً ... صداي ولو روى صدور الركائب
فوا كبدينا ، كلما التحت لوحة ... على شربة من ماء أحواض (ياطب)
ترقرق ماء المزن فيهن والتقى ... عليهن أنفاس الرياح الغرائب
بريح من الكافور والطلح أبرمت ... به شعب الأوراد من كل جانب)

وفي « صحيح الأخبار » لابن بليهد : (ياطب .. من المياة المحيطة ببلد حايل ، وله ذكر في حصارها ، وهو من مياه طي المشهورة .)

الغزوة الثانية :

حائل

في عام (١٣٣٩ هـ.)، قرر الملك عبد العزيز الزحف الى حائل، والاستيلاء عليها، فجمع لذلك قوات كبيرة، من الحاضرة والبادية، ووزعها بين أخيه محمد وولديه سعود وفيصل، وقد وفق الله الجيوش الثلاثة، فتغلبت على عشائر ابن رشيد التي اصطدمت بها في طريقها، وتابعت سيرها حتى بلغت أطراف حائل، وطوقتها من كل جهاتها، ثم جاء الملك عبد العزيز، وتولى هو نفسه الاشراف على حصار حائل، الذي استمر ثلاثة اشهر.

ليس من أغراضنا الآن ان نتدارس تفاصيل المعارك والمفاوضات التي دارت بين الملك عبد العزيز وحكام جبل شمر، وانتهت الى استسلام آل رشيد، وإنما يعنينا أن نعرف موقف فيصل منها وما تظهره من شخصيته.

يقول الذين حضروا تلك الوقائع إن (الجيش الذي كان بقيادة فيصل دهم كل من في وجهه من عشائر ابن رشيد وأبادهم، واستولى على كثير من القرى التابعة لحائل وواصل زحفه الى قرب مدينة حائل. ــ١ــ

وهكذا اسفرت المعركة الحربية الثانية التي خاضها فيصل، وهو يستقبل فجر شبابه ـ لأنه كان في السادسة عشرة ـ عن انتصار مشهود)، زاد في سمعة شجاعته ونباهته، كما سجل له فضل المشاركة في المعارك التي مهدت لضم جبل شمر إلى الدولة العربية الصاعدة.

---

(١) أنظر «تاريخ ملوك آل سعود» لابن هذلول.

واسما «الشعيبة» و«حائل» كلا هما قديم، وكانت في الحجاز بلدة تسمى «الشعيبة» وهي التي كانت «مرفأ مكة ومرسى سفنها، قبل جدة.»

أما حائل، فهناك عدة مواضع بهذا الاسم، ولكن حائل التي يرد ذكرها في الشعر وكتب الأدب هي حائل جبل شمر. قال أمرؤ القيس:

(أبت أجأ أن تسلم العام ربها   فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقريـــة أمنـــا   وأسرحها غبا بأكناف حائل)

ودخل بدوي الى الحضر، فاشتاق الى بلاده، فقال:

(لعمري لنور الأقحوان بحائل   ونور الخزامى في ألاء وعرفج..

تدريب على السّياسة

كان فيصل في طفولته ، يحضر مجالس أبيه العبقري ، ويستمع إلى أقواله وحكمه ، ويصغي إلى أحاديث كبار القوم الذين يفدون على سلطان نجد ويروون له الأخبار ويقدمون بين يديه الآراء و « المقترحات » .. ومن هذه النافذة ، وان تكن ضيقة ، كان فيصل الطفل يُطِلُّ على عالم السياسة .. أو سياسة العالم !

كانت الصحف تصل متأخرة الى عاصمة نجد أو لا تصل ، ولم تكن هناك آلات « راديو » أو « تلفزيون » حتّى يتصل الإنسان من خلالها بالدنيا وأنبائها وسياسة شعوبها ، ولم يكن عدد الوافدين إلى نجد من الخارج كثيراً ، ولم يكن حظهم من المعرفة كبيرا ..

كان الملك عبد العزيز يرى في ابنه فيصل ذكاء وقاداً واستعداداً فطرياً للسياسة ، وكان يحب أن يتخذه عوناً له ويُعِدّه أفضلَ إعداد لتسلم مقاليد الحكم في البلاد ، فقرر ارساله الى الغرب ، ليطلع على أحوالَ الأوروبيين ومدنيتهم ، وليعرف عن كثب هؤلاء الرجال الذين يديرون ،من هناك ، سياسة الأقطار العربية !

.. وجاءت الفرصة الملائمة لتحقيق هذه الرغبة،حين أعلن انتهاء الحرب العامة وعودة السلام الى اوروبا .. فأرسله على رأس بعثة الى بلاد الانكليز .

وبذلك أعدّ الملك عبد العزيز ابنه فيصلاً إعداداً مزدوجاً ، فبفضل دروسه ونصائحه ومجالسه بدأ ابنه فيصل يطلع على اسرار السياسة الداخلية ، وبفضل هذه الرحلات إلى الخارج والإتصال بالحكام والساسة الأجانب أصبح مؤهلاً لتولي مهام السياسة الخارجية .

الرحلة الأولى إلى الغرب

دعت أنكلترا ، بعد انتصارها في الحرب العامة ، سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز آل سعود ، الى زيارة لندن ، فقبل الدعوة من حيث المبدأ ، ووعد أن يرسل أحد أولاده ، نيابة عنه .

وتلك قاعدة اتبعها الملك عبد العزيز طول حياته، فهو لم يشأ قط أن يزور البلاد الأوروبية ، وكان ينتدب أولاده للقيام بهذه الزيارات أو « المهمات » مكانه .

كان الانكليز يعتقدون أن عبد العزيز سيوفد إليهم ابنه البكر الأمير سعود، ولكنه اختار ابنه الثاني الأمير فيصل ، وكلفت الحكومة البريطانية أحد موظفيها مستر « همفري بومن » بمرافقة الأمير في رحلته .

وقد أصدر بومن كتاباً بعنوان « نافذة الشرق الأوسط » Middle East Window تحدث فيه عن ذكريات هذه الرحلة التي تمت عام ١٩١٩ ، فقال ان الأمير فيصل ورجاله سافروا من البحرين على الباخرة (لاورنس)،—١— وسافر معهم على نفس الباخرة وفد من الكويت كان على رأسه الشيخ أحمد آل الصباح الذي يبلغ الثلاثين من عمره ، وكان الشيخ أحمد يتساءل دائماً : كيف يقدمون عليه الأمير فيصل ، وهو طفل .. في الرابعة عشرة ؟ ..

ويردف بومن : (لم يكن فيصل يكترث لهذه المراسم، فهو مثال اللطف والوداعة ولا يحب الظهور ، فضلاً عن أن يقاتل عليه .. ولكن ابن عمه وحارسه (أحمد ثنيان) كان مصراً على تقديمه ، في كل وقت وفي كل مكان ، وأخبرني أن السلطان عبد العزيز أمره بذلك وأنه لن يتساهل قط في المحافظة على هذا الواجب.

---

(١) — (سافر سموه من الرياض في ٥ ذي القعدة عام ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م . بطريق الحسا والبحرين والهند . ودامت رحلته نحو نصف سنة) — فؤاد حمزة : « البلاد العربية السعودية » .

توقفت الباخرة لورنس في الهند ، ومن هناك أقلت الوفود باخرة أخرى اسمها كيغوما Kigoma الى انكلترا ، وأصيب الأمير فيصل خلال الرحلة بالملاريا ، فقام على العناية به طبيب الباخرة ، حتى شفي واستعاد قوته .

وكان ابن ثنيان هو الذي يفرض عليه ابتلاع حبوب الكينا التي قررها الطبيب ، ويبالغ في إصراره ، حتى بكى فيصل مرةً منه ، وشكا اليّ ذلك !

أصبحت صديقاً للأمير الشاب لا أتركه ، وكان ابن ثنيان كذلك ملازماً له ، وان كانت صحبته طاغية شيئاً ما ..

نشأ أحمد ثنيان في استانبول وذهب إلى الغرب وتعلم من الفرنسية ما يكفيه للتحدث بها ، وهو يتغنى دائماً بمواهب ابن سعود ويسميه « ملك نجد » ، مع أنه لم يكن في ذلك الوقت يحمل هذا اللقب ، وقد تنبأ له بأنه سيصبح ملكاً على الشطر الأكبر من جزيرة العرب .. بينما كانت انكلترا « تراهن » يومئذٍ على جوادها الرابح (الشريف حسين) .. ولم يكن أحد يتصور أن ابن سعودٍ سيبسط سلطانه على الحجاز !

لقد تحققت نبوءة ابن ثنيان بعد أعوام قلائل ، وكان ينبغي علينا ، أن نصل ، بحدس صادق ، الى مثل هذا الكشف ، خصوصاً بعد انهزام نجل الشريف ، الأمير عبد الله ، في معركة تربة !

انتهت مهمتي بوصول فيصل إلى انكلترا ، وهناك حلّ مستر فيلبي محلي في مرافقته . ولكنني اجتمعت بالأمير في مأدبة أقامها على شرفه صديق لي في البارلمان .. وقد سأله صديقي ان كان البارلمان الإنكليزي أعجبه ، فأجابه فيصل :

ــ نعم أعجبني كثيراً ، ولكن مجلس اللوردات هو الأروع بين الإثنين !

ولما سأله عن السبب ، قال وهو يبتسم :

إن لمجلس اللوردات قبة حمراء ذهبية ، وأما قبة مجلس العموم فسوداء قاتمة ، وغير جميلة إطلاقاً ..

وعاد صديقي يسأله عن الأشياء التي رآها في لندن، فحدّثه عن الأسطول والجيش والطيران وأماكن أخرى لها قدر وخطر ، ولكنه لم يتردد في المصارحة بأن أكثر شيء أحبه، هو الهبوط والصعود على السلم المتحرك ، في ميدان « بيكاديلي » .

كان عمر فيصل يومئذ أربعة عشر عاما، فهو طفل . ولكن .. أي أنكليزي في مثل سنه لم يحب ما أحب فيصل؟)—١—

أغراض الرحلة

يقول فيلبي ، إن الملك عبد العزيز حمّل ابنه (فيصل) في رحلته الأولى إلى لندن مهمتين :

الأولى – تهنئة الحكومة البريطانية بظفرها في الحرب العامة .

والثانية – أن يبحث معها ، عرضاً ، مستقبل العلاقات بين الحكومة السعودية وانكلترا .

وقد أدى فيصل رسالته كأحسن ما تؤدى الرسالات وكان نجاحه كاملا .

أما « ده غوري » ، فيقول ان تهنئة الحلفاء بالنصر لم تكن الا الحجة الظاهرة للرحلة أو «التغطية» .. وأما الأغراض الحقيقية فكانت البحث في القضايا الآتية :

١ – موقف ابن سعود نحو الملك حسين .
٢ – الحدود بين نجد والحجاز .
٣ – تجديد – أو تأكيد – المعاهدة بين ابن سعود وانكلترا .
٤ – زيادة المساعدة البريطانية المالية لابن سعود .
٥ – وأخيراً..إرسال ممثل سعودي إلى الحكومة البريطانية لمناقشة قضايا مختلفة ووضع صيغة اتفاق دائم ..

---

(١) يقول دو غوري ان فيصل ومرافقيه ، وصلوا الى انجلترا في ١٤ اكتوبر ١٩١٩ واضطروا الى الانتقال من الفندق الذي نزلوه الى دار للضباط الهنود وكانوا يتناولون طعامهم في فندق غروسفنر» Grosvenor ، ولما علمت الصحافة بالأمر حملت على موقف الحكومة البريطانية حملة عنيفة ، لان الضيوف السعوديين والكويتيين كانوا يخرجون الى الأوتيل ويعودون تحت المطر .. فتداركت الحكومة الأمر .



فيصل عند وصوله الى انكلترا ،
ومعه فيلبي ، في ملابسه العسكرية .

كيف جرت المباحثات ؟

يقص علينا « انطوان زيشكا » الفرنسي ، في كتابه : « ابن سعود » ، قصة طريفة لزيارة فيصل الى لندن ، كتبت باسلوب روائي ، لا يخلو من شبهة الوضع أو المبالغة ، ومما قاله :

(استقبل موظف في وزارة الخارجية البريطانية ، برتبة ضابط غير كبير ، سمو الأمير فيصل ، وتولى الحديث معه ، ولكن الأمير لم يكن راضياً لا عن هذا الموظف ولا عن طراز حديثه معه ، بل قيل إن الأمير أسرَّ إلى أحد رجال حاشيته قائلاً : لو جاء هذا إلى بلادنا ، لكان يجب أن يقطع رأسه !

ولاحظ بعض موظفي وزارة الخارجية استياء الأمير من مناظره ، فتداركوا الأمر وقالوا لسموه ان لورد كرزون ، وزير الخارجية في انتظاره .. ورافقوا سموه الى مكتبه .

أظهر اللورد كرزون حفاوة بالغة بالأمير وأراد ان يعمل كل ما يسره ، ولكنه كان يعامله كطفل ، فقدم اليه قطعاً من الحلوى ، وحدثه عن حدائق لندن ..

غضبة فيصل

.. ولم يقل فيصل شيئاً ، ولكنه ، في اليوم التالي ، غادر لندن الى باريس !

. . فاهتز المكتب السياسي الهندي ، واهتزت وزارة الخارجية البريطانية ، وأرسلوا بسرعة مندوباً خاصاً الى باريس ليسترضي سموه ، وكلفوا « فيلبي » أن يكون مرافقاً له في لندن ، وأعدوا له برنامجاً جديداً ، يتضمن زيارة ميادين الحرب ونحو ذلك ، وشرعوا في البحث معه في الأمور السياسية الخطيرة). (١)

وقد سألت جلالة الملك عن صحة الجملة التي نسبها إليه زيشكا ، وهي تهديده بأن يقطع رأس الموظف البريطاني .. فقال جلالته إن شيئاً من هذا الكلام لم يصدر عنه !

---

(١) قبل بدء المحادثات بين الفيصل ولورد كرزون ، استقبل ملك أنكلترا الفيصل ومرافقيه في قاعة العرش يوم ٣٠ أكتوبر وقدم فيصل الى الملك باسم والده سيفين ، وكتابا وقعه عبد العزيز ، هكذا : « حاكم نجد والحسا والقطيف وملحقاتها ورئيس عشائرها » ، وقدم ملك أنجلترا الى فيصل صورتين له موقعتين بيده ، وعزاه بفقد ثلاثة من الأمراء السعوديين وبضحايا الأنفلونزا – ده غوري –

وينقل (ده غوري) رواية الماجور براي Bray لهذه الحادثة ، كما سمعها من ابن ثنيان نفسه ، فيقول :

(قال لي أحمد ثنيان :

إذا جاء الكابتين ي . . — وهو موظف في وزارة الخارجية — الى نجد ، فسوف نقطع عنقه ! فقلت له : هذا لا يتفق مع كرم ضيافتكم !

فضحك من كل قلبه .. وقال : حسناً .. ربما .. ولكن الأفضل ألا يأتي !)

فالكلمة كلمة ابن ثنيان ، لا كلمة فيصل .

ويرى عدد كبير من متتبعي هذه الحادثة أن غضبة الفيصل ألقت على لانكليز درساً لا ينسى ، وكانت مظهراً لعزة النفس وأصالة الشخصية.—١—

ويذهب ده غوري الى أن سر غضبة فيصل هو تأييد وزارة الخارجية البريطانية ، يومئذ ، للشريف حسين ، بل تعصبها له . وقد صرح ابن ثنيان ، بعد خروجه من المقابلة ، ان لورد كرزون اقترح عليهم أن يعقد اجتماع بين الشريف حسين والسلطان عبد العزيز لتحديد الحدود بين الحجاز ونجد ، فأجابه أن الشريف حسين لن يقبل ، وأن ابن سعود كان متسامحاً دائماً ، وأن طريق مكة كان مفتوحاً أمامه ، بعد حادثة تربة ، ولكنه آثر الانسحاب والعودة الى نجد ! ...

ومهما يكن الأمر ، وبرغم تعثر المفاوضات قليلاً في أول الامر ، فقد اضطر الإنكليز الى شيء من التراجع ، وانتهت المباحثات إلى اتفاق ، ولعله لم يكن اتفاقاً كاملا ، ولكن مهمة فيصل كانت ، كما وصفها فيلبي ، مهمة ناجحة .

---

(١) — تغنى الشاعر الكبير بولس سلامة بغضبة فيصل ، فقال في « ملحمة عيد الرياض »

يوم كرزون ، لندن عرفته فرأت أمجدا يزين العرابا
لم يكن ذلك الفتي ليهوى ما اصطفوه لسنه ألعابا
لم تكن لندن رأت وائليا قبله يشبه الأسود الغضابا
صدقت ان عزة العرب لا تشرى وأن الضرغام يأبى انتدابا
فاذا كان شبله وهو غض النا ب في دارهم يصر النابا
فخليق بهم ، وقد لمسوا العنوان ، ان يقرأوا الكتابا)

في باريس

بعد انتهاء فيصل من زيارة انكلترا ، سافر إلى باريس ، بدعوة من حكومتها، وبقي هناك مدة غير قصيرة، وكان جو باريس ، كما قال ده غوري، مشبعاً بروح مؤتمر السلام وببرنامج الرئيس ولسون ، الذي عرف بالأربع عشرة نقطة ، ومن أبرزها حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وهو منهاج إنساني كريم ، كان له في نفس فيصل الفتى الألمعي أحسن الأثر .

كان فيصل بن الحسين موجوداً يومئذ في باريس، للدفاع عن استقلال البلاد العربية المنفصلة عن تركيا – وخصوصاً سورية التي نادت به ملكاً عليها – ولكن الأمير فيصل لم يقابله .

ويقول الكولونيل (براي) ان ابن ثنيان قابل الملك الهاشمي، ولكنه سرعان ما انسحب من هذا اللقاء ، لأن الملك فيصل أغضبه غضباً شديداً ، حين قال له بلهجة ساخرة : « ومن هم هؤلاء الاخوان ؟ .. »

ولكننا لا نميل الى تصديق هذه الرواية ، لأن الملك فيصل بن الحسين معروف بدماثته ولباقته . وهناك كلمة يروونها عن ابن ثنيان أيضاً ، هي أنه وعد باسم سلطان نجد أنه لن يهاجم الحجاز ، خلال ثلاثة أعوام على الأقل .. ولو كان ابن ثنيان غاضباً كل ذلك الغضب على فيصل الهاشمي ، لسوء مقابلته له ، ما قطع هذا العهد !

زار فيصل كثيراً من الأماكن المهمة في فرنسا وشاهد آثار الحرب فيها ، ثم زار بلجيكا .

وقد استغرقت رحلة الأمير ستة أشهر ، وكانت له (بمثابة دراسة علمية، زادت في معلوماته ونوّرت أفكاره ، وتعرف خلالها بكبار الساسة وقادة الرأي في تلك الجهات، وأصبح له فيها عدة اصدقاء .)ـ١ـ

(١) – انظر كتاب « الامام العادل ».

أول قيادة حربية للفيصل

عبس الجـو في عسير وجـد الـ جد واجتاحت الرياح النصابـا
من يعيد البند السعودي خفـا قا ويسترجع المعالي غلابـا ؟
ـ قائـد دونه جبـال عسير عز شـأن ونضرة وطلابا ـ ١ ـ

ـ بولس سلامة ـ

عاد فيصل من رحلته إلى أوروبا ، وقد أفاد منها شيئاً كثيراً ، وقص على أبيه ما شاهده ، وما قاله ، وما سمعه .. ولعل نفراً من قومه خافوا عليه ، وهو يتأهب للسفر إلى إنكلترا من فتنة الغرب ، ولكنه عاد إليهم وفياً لتقاليد العرب الأصيلة ، وفي عيونه يتلألأ صفاء النفس وكرم الخلق ، كعهدهم به قبل الرحلة وأكثر !

لذلك أحب الناس فيصل وأكبروه ، فإذا تحدث أقبلوا عليه بأسماعهم وقلوبهم ، واذا رأى في المعضلات رأياً أمنّوا عليه وباركوا فيه .

كان عبد العزيز يعرف أن ابنه ما يزال في سن الطفولة ، ولكن الكلام الذي كان يسمعه منه لا يصدر إلا عن شباب موهوبين وكهول مجربين ، وما أدرى كم مرة أعاد عبد العزيز كلمته المحببة :

« كنا على حق حين أسميناه باسم جده ! »

ففيصل بن عبد العزيز عبقري مثل جده فيصل بن تركي .

وأي فتى ، في مثل سنه ، يملك هذا البيان ، وهذا القلب ، وهذا العقل؟

فتنة عسير

. . ويتجهم الجو في نجد..بسبب فتنة نشبت في عسير ، المقاطعة النجدية البعيدة، في عام (١٣٤٠ هـ .) ، وأصل الفتنة — كما يقول النعمي — أن عبداً من عبيد فهد العقيلي ، أمير عسير ، اشترى من السوق حطباً ، فلم يجد من يحمله، فطلب من أحد المارة حمله ، فرفض فضربه، فقابله بالمثل ، وتجمهر الناس،وتأزم الموقف،وانتقلت الأخبارمكبرة إلى القبائل ،فزحفت إلى (أبها) ، وأحاطت بقصر الأمير النجدي ..

وكان أسرع القوم إلى استغلال الفتنة : الأمير حسن بن عائض ، حاكم عسير السابق ، الذي كان أعلن خضوعه لعبد العزيز واعتزل في (الحرملة) ، فقد نقض العهد ، وجاء إلى أبها ، وقاد حركة العصيان ، وأجلى الحامية النجدية عن المدينة ، ثم لحق بها إلى شهران ، وقاتلها ، وحملها على الإستسلام .

قيادة الفيصل

وصل إلى السلطان عبد العزيز خبر هذه الفتنة الحمقاء التي تهددبمضاعفات، إذ يخشى أن تكون منطلقاً لمؤامرات يحيكها خصوم نجد ، المتربصون بها الدوائر في الحجاز واليمن !

فكر سلطان نجد في رجل يكل إليه أمر القضاء على الفتنة وإعادة السلام والنظام إلى ربوع عسير ، فألهمه الله حسن الإختيار ، فاختار .. ابنه وتلميذه : فيصل !

لم يكن دور فيصل في غزوات « ياطب » و « الشعيبة » و « حائل » دوراً قيادياً مستقلاً ، وإنما كان دور تلميذ يتدرب ويؤدي فحصاً ..

ويمكننا القول ان والده البطل العبقري هو الذي دربه ، وهو الذي أعطاه ، بعد الفحص ، شهادة « الأهلية للقيادة » ..

... وها هو عبد العزيز يصدر إرادته بتسمية فيصل قائداً .. قائداً مستقلا ، للقضاء على جرثومة الفتنة وإقرار السلام ، ويعقد له راية القيادة ، على رأس جيش من ستة آلاف مقاتل من نجد ، ينضم إليهم فيما بعد أربعة آلاف من عرب قحطان وزهران .

حملة عسير

سار فيصل بهذا الجيش الكبير من الرياض في شهر ذي القعدة (١٣٤٠هـ.) فلما وصل إلى حدود بيشة أو قريباً منها ، ، طلب ابن عائض من رجال القبائل أن يتقدموا إلى بلاد شهران «ليشكلوا خط دفاع أول في طريق الجيش الزاحف».

وتابع فيصل زحفه من بيشة باتجاه أبها ، فلقي في طريقه ، في موضع يدعى (العين) ، مقاتلة من بني شهر ، فحمل عليهم وقتل جيشه كثيراً منهم وفرّ الناجون ، ليقصوا على من ورائهم أخبارما نزل بهم ..

ودنا فيصل من « خميس مشيط » ، وكانت فيها حامية لابن عائض ، فلما وصلتها أنباء معركة العين هربت إلى أبها .. وأما الأمير ابن عائض ، وكان في أبها ، فهرب إلى حصنه القديم في الحرملة .

وصل الأمير فيصل أبها ،فدخلها بغير قتال ، ولما سأله الريحاني عن أميرها ، هل وجده فيها ، أجابه : (ما وجدنا فيها غير الحريم .. والكلاب .)

كان يصحب الأمير عدد من رجال الدين ، ولم يمض على مقامه في أبها غير القليل ، حتى أعلن العفو ووقف القتال ، فجاءت القبائل تعرض عليه الطاعة وتجدد الولاء .

رأى الأمير فيصل ، تجنباً لإراقة الدماء ان يدعو ابن عائض الى السلم ، والدخول في الطاعة ، ووعده العفو .. ولكن ابن عائض لم يستجب لدعوة السلام ، لأنه كان ينتظر عوناً يأتيه من ناحية الحجاز ، فأرسل فيصل سرية لمهاجمته في حصن حرملة ، وكان ابن عائض يظن نفسه ممتنعاً بحصنه لا يوصل

اليه ، فلما أدرك حرج موقفه هرب من الحصن ، مخلفاً فيه عدداً من المقاتلة ، ولكن مقاتلة فيصل ، استطاعوا تدمير الحصن وقضوا على كل من فيه ، وبذلك انهار آخر معقل للمقاومة ! (١)

مكيدة لطيفة

لم يشأ فيصل ، وقد تم له النصر ، أن يعد مهمته منتهية ، وإنما رأى بنظره النافذ ، أن أفضل اسلوب لاستقرار السلام في المنطقة والحيلولة دون تجدد الفتن هو : نزع السلاح من أيدي الأهلين ، لأنه يغريهم بالإنتقاض على السلطة مرةً بعد مرة ، لأتفه الأسباب ، ولذلك أصدر أوامره الى رجال القبائل بدعوة الأهالي الى الحضور إليه بأسلحتهم .

ويزعم (النعمي) أن جمع السلاح انما تم بخطة محكمة ، أو مكيدة سياسية لطيفة ، ولكنها لا تؤذي أحد ا ، وتعد من نوع « سد الذرائع » ، وذلك أن رجال القبائل نادوا بالجهاد (وحضور الرجل الطيب والبندقية الطيبة ، فلم يتخلف أحد ممن كان يحمل السلاح ، وأقبلت كل قبيلة في أهازيجها الشعبية المعبرة عن الولاء ، وعلى رأسها شيخها ، وعندما تكاملت القبائل ، دعيت لتناول الغداء في قصر شدا ، فكانوا يدخلون أفواجا من الباب الأول وهم يحملون السلاح ، ولكنهم يخرجون من الباب الثاني بلا شيء .. وهكذا بهذه السياسة الحكيمة أخفر السلاح من العسيريين دون إجلاب خيل ولا رجال) .

---

(١) يقول بولس سلامة في وصف الهجوم على حرملة :

(تحسر العين عند حرملة حيـ   رى وقد طوف الطماح فخابا
أيني فيصل ويعجز عنها   فتقول العصور مل وهابا
مثلما ارتد قائد الترك مدحو   ١٠ يعاني تحرقا وقلابا ؟
لا ! فعزم السعود أومض في   عينه وانساح في العروق لهابا
ذكر الفتح في الرياض وفي   الاحساء فانقض كاسرا وثابا
يقحم الخيل حيث تعيا الاواري   وتصد الأياهم السنجابا
لو شهدت الاخوان تسمو اليها   بعدما ادمت الصخور الركابا
لشهدت الفهود تطفر حينا   ثم تحبو الى العرين انسيابا
بلغوا ذروة العرين فأين الـ   حسن العائضي ؟ فر وذابا !

حملة الشريف حسين

بلغ الأمير فيصل أن الشريف حسين ارسل فرقة من جنده لمساندة ابن عائض ، فأمر سرية من جيشه بالسير إلى تهامة لقتالها ، ولكن حر تهامة الشديد والحمى اضطرا النجديين للتراجع الى الأماكن المرتفعة ، فتبعهم جيش الحسين ، وكان له قائدان فاختلفا في الطريق التي يجب سلوكها ، واختير في النهاية الطريق الأسوأوكان ذلك من حسن حظ الأخوان .. (فقد هجموا على هؤلاء الجنود وكادوا يبيدونهم عن آخرهم بالسيف والرصاص ، ولم ينج إلا القائدان وقليل من البدو لاذوا بالفرار .. وقد استولى الاخوان على جميع ما معهم من مدافع ورشاشات وأسلحة وذخائر ومؤن ، فأخذوها ورجعوا بها إلى أبها .)

بعد الانتصار على ابن عائض وهزيمة الحملة الحجازية ، أنشأ (فيصل) في (أبها) جهازاً للادارة ، جعل على رأسه عاملاً — أي أميراً — هو : سعد ابن عفيصان، وأبقى لديه حامية من الجنود ، ثم عاد إلى الرياض ، بعد أن وطد الأمن وأقام النظام .

العودة الظافرة

كان وصول فيصل الى الرياض في ٢١ جمادي الثانية عام ١٣٤١ هـ . ، وكانت تحيط به هالة من نور لما حققه الله على يده من النصر والتوفيق .

وقد أطلق عليه بعضهم لقب : بطل أبها . وظهر للناس جميعاً أنه قائد شجاع مظفر ، يجمع بين الحرب والسياسة ، وبين القوة والكياسة .

ومما يلفت النظر حقا ، كما يقول أحد الكتاب ، أن فيصلاً دخل كثيراً من المعارك ولكنه لم يخسر معركة قط ، وإنما كان النصر حليفه دائماً !

الشعراء والأدباء يصفون العودة

كان للنصر المؤزر الذي احرزه فيصل ، الأمير العربي الشجاع العبقري ، في عسير ، أثر عميق في كل قلب ، فتحدث عنه الأدباء وتغنى به الشعراء .

وصف الريحاني

من ألطف ما قرأناه في وصف عودة الفيصل الى الرياض بعد النصر ، الفصل الذي عقده الكاتب الكبير أمين الريحاني في كتابه المنشور باللغة الإنكليزية ، بعنوان « ابن سعود الجزيرة العربية »

وها نحن نترجمه بشيء يسير من التصرف :

(كان انتصار فيصل ، في أبها ، انتصاراً كاملا ، لذلك خف شعب الرياض الى استقباله قبل شروق الشمس ، وكان قد بلغ الناس أنه سيتوقف في مكان غير بعيد عن العاصمة حيث يقضي الليل ، وهناك يجتمع به والده الملك ثم يصحبه في مسيره الى المدينة فيبلغها عند الفجر .

وفي هذه الساعة المبكرة ، كان حوالي خمسة آلاف رجل قد تجمعوا خارج أسوار البلد ، ليستقبلوا بطل (أبها) ويحيوه .

شهدت يومئذ ، وأشهد الآن ، من أعماق القلب ، وبحرارة ان الفيصل .. بطل مختار . ولو افترضنا أنه لم يقم بقتال كبير ، فإن زحفه من الرياض إلى تهامة على البحر ، عبر جبال عسير ، على رأس خمسة آلاف من الاخوان ، هو في حد ذاته عمل بطولي عظيم ، متى عرفنا أن قائد هذه المسيرة فتى لم يبلغ الثامنة عشرة من العمر !

ولو ألقينا نظرة على الحرب العالمية العامة لوجدنا بين أبطالها الذين نالوا أكاليل الغار من لم يعمل ما عمله الفيصل !

لقد خرج الإمام عبد الرحمن لاستقبال حفيده ، ولكنه لم يجلس على أرض (الملز) القاسية ، كما فعل ابنه السلطان ، وإنما أعدت له و«لرجاجيله» ولبعض العلماء بسط ومساند .

وقد مرت فرقة من الفرسان أولاً ، ثم مرّ فيصل على رأس طائفة من رجاله وكان يحمل سيفاً في يده ، وكانت ملابسه تذكرني بفرسان القرون الوسطى .

إنه فتى وسيم ، نحيل وشاحب اللون قليلاً ، وكان عليه طابع السكينة والوقار ، أكثر من طابع التعب .

وقف أمام ساحة العرض ، وترجل ليحيي جده عبد الرحمن الذي قبله على وجهه غير مرة ، ثم عاد إلى فرسه وأكمل العرضة ، التي تتلخص باطلاق النار وتحريك السيوف والرماح على مسافة أربع مئة ذراع ، مع ترديد صيحة

الإخوان : « خيال التوحيد ، أخو من أطاع الله » !

وكان الرجال يجيبون : أي نعم !

والنساء يزغردن ..

وكان السلطان عبد العزيز ، قاسي المظهر ، ممتلئاً من خطورة هذه اللحظة ، فلم يستقبل ابنه كأب مبتهج بعودة ابنه الغالي من رحلة طويلة ، حافلة بالمشقات والأخطار ، ولكنه استقبله كما يستقبل القائد الأعلى أحد ضباطه العائدين من الحرب !

وقد سألت الملك عبد العزيز ، فيما بعد ، لماذا ذهب إلى لقاء فيصل قبل وصوله إلى الرياض ، فأجاب : لو أنني جلست مع أبي عبد الرحمن ولقيته هناك لما ملكت نفسي عن البكاء .. فآثرت أن أدخل البلدة معه .



الطليعة الأولى المتقدمة من فرسان نجد ، في
الطريق الى استقبال الأمير فيصل .

في الشعر

هنأ الشاعر النجدي محمد بن عثيمين الملك عبد العزيز بانتصاره على (البغاة) الذين حشدهم حسن بن عائض ، وأشار في قصيدته ، إلى الأمير فيصل ، فقال :

(رماهم بنجم زلزلت صعقاته   ديار مفيد مع تهام ومأرب
بشبل ملوك أرضعته ثـديهـا   ومدره حرب عضلة للموارب
فأضحوا وهـم مـا بين ثاو مجندل
وبين أسير في الحديد وهـارب)

وأفاض الشاعر اللبناني الكبير ، بولس سلامة ، في ملحمـة « عيـد الرياض » ، في وصف معارك الأمير فيصل في عسير ، ثم أنهى وصفـه بالإشارة إلى عودة الأمير الظافر ، قال :

(عد إلى الخدر يـا ابن سلطان نجـد
والبس المجـد والخلود ثوابـا
جئت مـا يعجز الفحول الأوالي
وعلى هولهـا دخلت الغـابـا
يولـد الشبل للعظـائم طلا
با كمـا تولـد الورود الرطابـا
وكمـا النسر يستطيب الأعـالي
ضـاربـاً في جوائهـا جوابـا
ولقد يدهش الورى وهـو فرخ
آتيـاً في العـلاء أمراً عجابـا
يا ابن عبد العزيز عد لرياض   فلقد كلت العيون ارتقابا ..
يفرش الروض عرض دربك زهراً
وتـدلي البـواسق الأرطابـا
ويباهي بك السيوف عظيم   كنت عن مجد عرشه مستنابا !)

الرحلة الثانية إلى الغرب[٨]

اعترفت الدول الكبرى بملكية عبد العزيز على الحجاز ، وأخذت الدول المتوسطة والصغيرة أيضاً تتبعها ، وكان التنافس بينها على أشده في التودد إلى الدول العربية الناشئة .

.. وأحب الملك عبد العزيز أن يشكر لهذه الدول إعترافها بحكومته ، ويقيم معها صلات ودية تعود بالخير على بلاده ، فقرر إنتداب ابنه ونائبه في الحجاز ، الفيصل ، لهذه المهمة .

نوهت جريدة (أم القرى) بأهمية هذه الرحلة من زاوية الحج ، فقالت إن حياة الحجاز متوقفة على حسن صلاته بالبلاد الأجنبية وبالدول الكبرى التي لها رعايا مسلمون فتحسين الصلات معها يسهل الحج ويخرج البلاد من عزلتها.

ولسنا نجهل قيمة الحجة التي ذكرتها الجريدة الرسمية ، ولكننا نعتقد أن غايات الرحلات الأولى التي قام بها الفيصل إلى البلاد الغربية لم تكن سياسية أو اقتصادية فحسب ، وإنما كان لها جانب آخر كبير الخطورة ، وذلك أنها كانت وسيلة إلى الإتصال بالحضارة الغربية ، في أحسن ما أنتجت من مخترعات مفيدة ، وتنظيم للإدارات ، وتنهيج للسياسات .

قال زيشكا :

(كان فيصل ، في كل مكان يزوره ، يصغي إلى محدثيه الذين يشرحون له أسرار المخترعات أو مزاياها ، مثله في ذلك كمثل أبيه خلال إقامته في الكويت .. وقبل أن يعود فيصل إلى جدّة ، أوصى على عدد من مضخات الماء وآلات الحفر الحديثة ، والسيارات ، ثم استطاع أن يشتري لبلاده طائرات ، بعد أن أقنع والده والعلماء وكل الناس بأنهم محتاجون إلى أسطول جوي)

لم تستأثر المخترعات وحدها بعناية الأمير فيصل وإنما كان معنياً أيضاً بالمجتمع الأوربي .. لذلك درس أخلاقهم وعاداتهم وأساليب عملهم ، ولم يؤخذ بالمظاهر البراقة وإنما سبر الأغوار وكشف عن الأسرار ، وكان له من متانة خلقه وقوة فكره ما يحميه من فتنة الحضارة الغربية ، التي سحرت بعض الشبان الشرقيين فقبلوها بخيرها وشرها ، وتخلوا تماماً عن اصالتهم الشرقية ، بل ربما فُتن بعضهم بمفاسد الحضارة الغربية ، ولم يعرف الجانب الصالح منها !

أما الفيصل فقد أدرك أن أحسن ما في أخلاق الغرب الإجتماعية بل سر تقدم الغربيين ، كامن في طائفة من المبادىء دعانا إليها ديننا ونادى بها المصلحون منا في كل زمان ، ولكننا أهملناها .. وهكذا يزيد الغرب فيصلاً تمسكاً بأخلاق قومه ، ولن نبعد إذا قلنا إن الدرس الذي ينبغي لنا أن نتلقاه عن الغربيين ونفيد منه ، هو أن نعود إلى أخلاقنا الكريمة .. وإلى اصالتنا !

أما العلوم والفنون والمخترعات النافعة وأساليب العمل والتخطيط الناجحة فهي من عناصر القوة ، وديننا يدعونا إلى القوة ، فلا يجوز لنا أن نرفضها بغباء ، وكل من يدعو إلى غير ذلك باسم الإسلام ، فهو جاهل بحقيقة الدين .

ذلك رأي الفيصل ، لم يزده اتصاله بالغربيين وحضارتهم وسياستهم إلا تمسكاً به .

زيارة لندن

بدأ الأمير سلسلة زياراته للغرب بإنكلترا ..

وقد لاحظ المراقبون أن زيارة الفيصل الثانية للندن تختلف كثيراً عن زيارته الأولى التي قام بها قبل سبع سنوات.. فهو الآن في مقتبل الشباب، ونائب الملك في الحجاز ، وهو ، فوق ذلك ، ممثل عبد العزيز ، ملك الحجاز ونجد ، الذي استفاضت له ، بعد انتصاراته واتساع ملكه وتوليه حماية الحرمين الشريفين ، شهرة عظيمة في جميع أنحاء العالم !

يقول الكاتب الألماني « فون ميكوش » :

(كانت لزيارة الأمير فيصل للندن مظاهر تختلف عن زيارته الأولى في سنة ١٩١٩ عندما قوبل بقليل من الإهتمام كمجرد نجل أمير من أمراء الصحراء ،

فقد استقبل هذه المرة بحفاوة بالغة وحيته المدفعية تحية الملوك بإحدى وعشرين طلقة باعتباره مندوباً عن والده الملك وجرى له استقبال رسمي حافل ووجد في كل مكان أبواباً مشرعة وآذاناً صاغية كما رحبت به الأوساط الإجتماعية الراقية واستقبله الملك جورج ومنحه وسام القديسين جورج وميخائيل .

..ولم تكن باريس أقل حفاوة من لندن ومثلها لاهاي)

ويرى الكاتب الألماني أن لهذه الحفاوة الكبيرة والإحترام العظيم من جانب الحكومات الغربية أسباباً « عملية » إلى جانب الأسباب السياسية ، لأن مقصد الرحلة الحقيقي ، في رأيه ، هو : (التعرف على المخترعات الأوربية الحديثة وتزويد المملكة بما تحتاج إليه منها ، فتسابقت الحكومات الغربية للفوز بهذه الصفقات ، ونالت بريطانيا حصة الأسد من هذه الغنيمة ...)

وأكبر الظن أن قول (أم القرى) أدنى إلى الحقيقة ، فلم تكن صفقات الآلات والأسلحة هي الغاية الأولى من الرحلة ، وإن كانت من أهدافها ، فقد كانت الحكومة البريطانية أبلغت الحكومة السعودية ، بعد التوقيع على اتفاق جده ، أنها رفعت حظر تصدير الأسلحة إلى جزيرة العرب !

لم تكن مساهمة فيصل ، في المحادثات السياسية ، خلال رحلته الأولى ، كبيرة جداً ، لأنه كان في الثالثة عشرة ، أو الرابعة عشرة من عمره ، ولم تكن له تجربة ، ومهما يكن الإنسان عبقرياً ، فإنه لا يستطيع في مثل هذه السن أن يحذق فن السياسة ، ولكن الحال تبدل تماماً هذه المرة ..

ففيصل الآن في العشرين أو أكثر قليلاً ، وقد تغيرت نظرته إلى الأشياء وإلى الأشخاص ، ومع أن الفيصل لا يزال في عنفوان الشباب ، فإن الصحفيين ورجال السياسة الذين اتصلوا به وتحدثوا معه ، وصفوه بأنه « « ديبلوماسي » بارع وسياسي موهوب .

اجتمع الأمير فيصل خلال إقامته في لندن إلى عدد كبير من رجالات السياسة وزار المؤسسات التعليمية والجامعات والمكتبات والمصانع والمدن الكبرى ، وكان موضع الحفاوة والتكريم في كل مكان ، وفي ٢٩ سبتمبر أقيمت لسموه مأدبة غداء رسمية بدعوة اللورد بركنهد حضرها اللورد لويد واللورد اللنبي وسير بيرسي كوكس والسير ستورس والسير هنري ماكماهون والسير ريجنالت ونجت ، أي أكابر الرجالات البريطانيين الذين تولوا أمور

السياسة والحرب في الشرق الأوسط ، وكان لهم أثر واضح في تقرير الأوضاع السياسية في كثير من البلاد العربية .

ودعي الأمير فيصل ، خلال هذه الزيارة أيضاً ، إلى حضور افتتاح مسجد إسلامي ، أنشيء حديثاً في لندن ، وكادت هذه الدعوة تثير لسموه بعض المتاعب ، فقد أشار عليه جماعة بحضورها ، ورأى آخرون أن يعتذر عن الحضور ، فجاءته برقية من والده الملك عبد العزيز (إن كان المسجد للمسلمين كلهم فاحضره وإلا ، فلا .. !) ، ولما كان الجامع يديره « الأحمدية القاديانية » ، الفرقة المعروفة في الهند ، آثر الأمير عدم الإشتراك في حفلتهم حتى لا يفسر حضوره بأنه تأييد لمذهبهم وتقوية لهم ضد منافسيهم .

في هولندا

في ١٢ أكتوبر أنهى الأمير فيصل زيارته لإنكلترا ، وقصد إلى هولنده ، التي تدعى في لغة البلاد « نيدرلاند » أي « البلاد الواطئة » وعاصمتها — « أمستردام » ، ومقر سلطاتها العامة في مدينة « لاهاي » ، وعدد سكانها ١٢ مليوناً ، ومساحتها ٣٤,٠٠٠ كيلومتر مربع — وكانت على رأسها يومئذ : الملكة ويلهلمينا .

كانت هولندا تسيطر على عشرات الملايين من المسلمين ، لأنها كانت تحكم بلاد جاوه — أي « أندونيسيا » في الوقت الحاضر — وبهذا الإعتبار كان الإتصال بها معناه الإتصال بأولئك الملايين من المسلمين الذين كان يأتي منهم كل عام إلى الحجاز عدد كبير من الحجاج والزائرين والمجاورين .

وفي لاهاي ، اجتمع إلى سموه عدد من المستشرقين المشاهير ، الذين عرفوا بمساهمتهم القوية في نشر التراث العربي والإسلامي ودراساتهم العميقة.

في باريس

وانتقل سموه بعد ذلك إلى باريس ، عاصمة فرنسا ، وكان رئيس الجمهورية الإفرنسية يومئذ مسيو دومرغ ، فاستقبل سموه في قصر « الإليزه» استقبالا حاراً ، وانطلقت الصحف الفرنسية تتحدث عن سموه وعن والده العظيم ، الذي كان يعدّ من الشخصيات العالمية المرموقة ، بفضل عبقريته وانتصاراته الباهرة ، ولأنه ملك دولة إسلامية عربية مستقلة ، مهيبة الجانب ، وحامي المدينتين المقدستين ، مكة والمدينة ، مهوى أفئدة المسلمين في كل

مكان من البلاد الإسلامية .

أدى سموه مهمته الرسمية في فرنسا ، فشكر لحكومتها اعترافها بملكية والده للحجاز ونجد وملحقاته ، وأكد رغبته في أن تقوم أحسن العلاقات بين بلاده وفرنسا التي كانت تسيطر، هي أيضاً، على عشرات الملايين من المسلمين في أفريقيا وآسيا ، وكانت الجزائر يومئذ أكثر من مستعمرة إفرنسية لأنهم كانوا يعدونها قطعة من فرنسا ، وكانت المغرب وتونس شبه «محميتين» وسوريه ولبنان تحت « الإنتداب » الفرنسي !

أراد الأمير فيصل أن يزور باريس ومدن فرنسا الكبرى للإطلاع على مظاهر حضارتها المختلفة ، ولكن جو باريس في تلك الأيام كان سيئاً جداً فلم يكد سموه يشرع في زياراته حتى أصيب « بنزلة شعبية » فاضطر إلى ملازمة غرفته ثلاثة أيام ، ثم اضطر إلى إنهاء رحلته والعودة إلى البلاد .

وقد نشرت جريدة (لوجورنال) الباريزية صورة للأمير فيصل وهو يسير على قمة برج (أيفل)،وقالت: إن الطقس المخيف الذي أرهق أعصاب الإفرنسيين لم يمنع الأمير الشاب من تحقيق برنامج الزيارات الموضوع له ، وها هو على البرج ينظر إلى مدينة النور من خلال طبقة كثيفة من الضباب الثقيل .

ولعل هذه الزيارة للبرج من أسباب إصابة الأمير بالنزلة المؤلمة ، التي اضطرته إلى قطع رحلته ، عملا بنصيحة أطبائه ، والرجوع إلى البلاد ، على أن يعود إلى متابعة زياراته المفيدة في وقت آخر .

وخلال اعتكاف سموه في غرفته ، بسبب مرضه ، زاره ، أكبر محرري الصحف الإفرنسية (سان بريس) ، وتحدث إليه ، ونشر مقالا عنه في جريدة (الجورنال) بدأه بوصف غرفة الأمير وملابسه العربية ، ثم قال :

(وجه لطيف جداً ، أبيض يضرب إلى السمرة ، عليه نضرة عجيبة ، وتتلألأ عليه عينان جد حلوتين ، كأنهما حقاً عينا غزال !) .

وإن الإنسان ليتعجب من هذا التباين بين هذا الوجه الوديع الذي يعبر في لطف ، عن معاني العزة والقوة ، وبين صورة « القوة العنيفة » التي كان يثيرها في نفوسنا اسم والده فاتح الجزيرة العربية) .

ويتحدث الكاتب بعد ذلك عن الملك عبد العزيز وبطولاته وفتحه للرياض

وانتصاره على الملك حسين ، وفتحه للحجاز ، ثم يقول :

(وها نحن الآن أمام ابن هذا الفاتح العظيم ، أمام فيصل ، نائب الملك في الحجاز ، وحامي الأماكن الإسلامية المقدسة .

فلا عجب اذا حرصت على التحدث اليه ، لأن بين رعايا فرنسا ملايين من البشر ، لعلهم من اشد المسلمين تمسكاً بدينهم) .

ثم يلخص الكاتب الأجوبة التي تلقاها من سمو الأمير فيصل ، بوساطة الترجمان ، وهذه خلاصتها :

أولاً – موارد الحج من أعظم موارد الحجاز ، ولكن الحكومة السعودية لا تأذن بأن يساء استغلال الحجاج ، كما كانت تفعل الحكومات السابقة ، وهي توفر للحجاج كل التسهيلات والخدمات الممكنة ، ليقوموا بتأدية الفريضة الدينية ، وقد عقدت المؤتمرات لهذه الغاية .

وأنيطت العناية بأمور الحج بمصلحة حكومية خاصة .

ثانياً – حادث المحمل المصري ، الذي أراد بعضهم استغلاله ، حادث بسيط ، حلّ فورا .

ثالثا – اتفاق الطليان مع إمام اليمن .. اتفاق تجاري ، لا شأن للسياسة فيه !

رابعا – تحترم الحكومة السعودية استقلال البلاد العربية المجاورة لها وتقيم معها أحسن الصلاة الأخوية ولا تفكر قط في الإعتداء على أحد منها .

وقد عقد الملك عبد العزيز مع مسيو ده جوفنيل ، في العام الماضي ، معاهده ، لضمان حسن الجوار وصلاة المودة بين المملكة وبين سورية ، ولهذا الاتفاق عندنا منزلة كبيرة .

وينهي الكاتب مقاله بقوله :

(إن الأمراء الوهابيين يملكون مائتي ألف فارس ، وهذا امر يجب أن تقدره ، حق قدره ، الدول الأوروبيةُ التي تتولى ، في الشرق ، مهمات ٍ خطيرةً وأحياناً جدّ شاقة !) .

الرحلة الثالثة

١٩٣٢ م

قالت « أم القرى » :

(ما فتئت الحكومة تسعى جهدها في توطيد علاقات الود والصداقة بينها وبين الحكومات الأجنبية ، فعقدت عدة معاهدات مع مختلف الحكومات والدول الكبيرة ، على قاعدة مساواة الند بالند وتبادل المصالح .

وحبا في توطيد علاقات الود بينها وبين الحكومات التي تأسست معها علاقات سياسية ، فقد أمر جلالة الملك المعظم بإرسال بعثة سياسية على رأسها سمو الأمير فيصل ، نجله ونائبه العام ، لزيارة عواصم تلك البلدان لتقوية روابط الود والصداقة ، وقد غادرت البعثة مكة بتاريخ ٥ ذي الحجة ١٣٥٠هـ وقضت في رحلتها نيفاً وثلاثة أشهر ، وقامت بالمهمة التي أوفدت من أجلها أحسن قيام) .

والواقع أنّ هذه الرحلة كانت موفقة جداً ، زار خلالها سمو الأمير فيصل، بعد توليه منصبي رئاسة مجلس الوكلاء ووزارة الخارجية، دولاً متباينة الأنظمة السياسية ، وربما كانت متعادية ، ولكن المملكة كانت حيادية ، وصديقة لجميع الدول .

يقول فيلبي :

(برهن الملك عبد العزيز على عظيم اهتمامه بقضايا السياسةالخارجية، بإرساله ابنه فيصل في رحلة الى أوروبا في صيف عام ١٩٣٢ م وكان هذا من ناحية للعناية بصحة فيصل التي لم تكن على أفضل حال ، ومن ناحية ثانية ، وهي الناحية الأهم ، لمناقشة عدد متنوع من القضايا السياسية في انكلترا وفرنسا،

ولأخذ فكرة عامة عن الرأي العام هناك حول قضايا الشرق ، وكذلك لمعرفة آراء البلاد الأخرى في هذا الموضوع ، بما فيها روسيا وتركيا) .

زار سموه ألمانيا ، وبولونيا ، وروسيا ، وتركيا ، وإيران ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وانكلترا ، كما زار ، في طريق عودته الى البلاد : العراق والكويت .

في فرنسا

وصل سمو الأمير فيصل الى فرنسا في ٢ مايو ، عام ١٩٣٢ واستقبله رئيس الجمهورية مسيو دومر ، في قصر الاليزه ، وأقام على شرفه مأدبة عشاء حضرتها شخصيات كبيرة ، وشهد سموه في معسكر ساتوري في مدينة فرساي ، مقر ملوك فرنسا قديما ، مناورات حربية أجريت من أجل



سمو الأمير فيصل يحضر مناورات عسكرية افرنسية على سيارة ميدان ذات سلاسل .

سموه ، واشتركت فيها المصفحات والدبابات والمدفعية الثقيلة ، ثم اجريت له في مطار (البورجة) مناورات جوية قامت بها أسراب استكشاف ومطاردة .

وأدى سموه الصلاة في جامع باريس ، وزار ندوة المحاضرات الاسلامية وكان يشرف عليها الوزير المغربي المشهور سي قدور بن غبريط .

في ايطاليا

وصل سمو الأمير فيصل الى روما في النصف الثاني من شهر ابريل عام ١٩٣٢ م وكان ملك ايطاليا يومئذ فيكتور عمانوئيل ، ولكنه لم يكن يملك شيئا من السلطة ، لان (موسوليني) زعيم الحزب الفاشستي ، كان وحده صاحب الكلمة النافذة في كل شأن من شؤون الدولة ، كبيرها وصغيرها .

أقام ملك ايتاليا وليمة على شرف الأمير فيصل ، ثم أقام له السنيور موسوليني مأدبة عشاء فخمة ، ودعا سموه الى حضور حفلة استعراض القوات الفاشستية من الشبان الذين هم دون الحادية والعشرين ، وكان عدد القوة خمسين ألفاً ، ودام الإستعراض ثلاث ساعات .

وقد سألت جلالة الملك عن رأيه في هذا العرض الكبير ، الذي أقامه موسوليني ، فقال :

(ان هذا الإفراط في المظاهر ، وحب الظهور .. قد يعبر عن « عقدة نفسية » وقد يكون وسيلة إلى إلهاء الجماهير وإرضائها ..) .

في العراق

زار الأمير فيصل العراق ، في طريق عودته الى الرياض ، وكان على رأس العراق يومئذ المغفور له الملك فيصل بن الحسين ، الذي سبق له أن أقام البرهان على حكمته ولباقته خلال اجتماعه مع المغفور له الملك عبد العزيز ، وها هو الآن ينتهز فرصة زيارة سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز لتوثيق صلاة الأخوة بين السعودية والعراق .

وقد أرسل الملك فيصل الأول ، عند وصول الأمير فيصل الى بغداد ، البرقية الآتية الى الملك عبد العزيز :

(جلالة أخي الملك عبد العزيز :

سُرِرْتُ جداً من وصول ولدنا الأمير فيصل لبلادنا ، انشرحت كثيراً لمشاهدتي إياه متمتعاً بالصحة التامة ، فأهنيء نفسي وأخي العزيز بذلك)

الروس يرحبون بفيصل ويمتدحون حكومته

زار الامير فيصل روسيا في شهر مايو ، فاحتفلت به حكومة الاتحاد السوفياتي والقى كالينين رئيس الاتحاد هذه الخطبة في مأدبة الغداء التي اقامها على شرف فيصل في ٢٩ مايو :

ايها السيد الجليل ،

يسرني ان أرحب بمقدمكم الى بلاد الاتحاد السوفياتي ، أنتم ممثل دولة صديقة ، وارحب في شخصكم بملكها جلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ٠

ان العلاقات كانت بين بلدينا على مدى عدد من السنين علاقات ودية جدا ، صادقة تماما ، ولا شك أن زيارتكم لبلادنا هي احدى المظاهر السعيدة للصداقة التي تربط بيننا ٠ واني بهذا السرور إرحب بكم في عاصمة الاتحاد السوفياتي لأنكم تمثلون حكومة شعب عربي استطاع بعد الحرب العالمية وبفضل سياسة قائده الجريئة والبعيدة النظر ان ينال ويعزز استقلاله التام الذي هو شرط ضروري لتطور البلاد الاقتصادي والثقافي ٠

ان الاتحاد السوفياتي ، حكومة وشعبا ، يتتبع بانتباه شديد التطور الموفق لسياسة الحكومة التي تمثلونها ، والموجهة الى الدفاع عن استقلال الشعب العربي والى توطيد رفاهيته الاقتصادية والثقافية ٠

واني لاعرب عن ثقتي بان الصداقة بين دولتينا تستجيب كل الاستجابة لصالح شعبينا وخيرهما جميعا ٠

ولا شك ان مقدمكم الى الاتحاد السوفياتي سيساعد على زيادة قوة هذه الصداقة ٠

وأرجو ان تنقلوا أطيب تمنياتي بالصحة والرخاء للملك عبد العزيز وأحيي بحرارة في شخصكم ممثلا ساميا لدولة صديقة لنا ، وقائدا لسياستها الخارجية ٠

واتمنى بصدق وايمان التقدم والازدهار لشعبكم وتطورا مستمرا وتعزيزا للعلاقات الودية بين بلادينا ٠

ـ نقل هذا الخطاب من كتاب الوثائق الروسية الرسمية المؤرخ أمين سعيد في الجزء الثاني من كتابه « تاريخ الدولة العربية السعودية » ٠

وفي ذلك الوقت لم يكن الاتحاد السوفياتي قد تغلغل في سياسة الشرق الاوسط وبين أوساطه ٠٠ ولكن المملكة العربية السعودية عرفت كيف تحمي نفسها من موجة الدعاية الشيوعية والافكار المادية الهدامة ٠ وهي لا تزال حتى اليوم ممتنعة من اقامة تمثيل دبلوماسي بينها وبين الاتحاد السوفياتي، سدا للذرائع ٠٠

لمحات من اخلاق فيصل وصفاته

ديموقراطية الفيصل

ديمقراطية الفيصل . كلمة تسمعها في كل مكان ، ويلهج بها كل لسان ، وما أدري ما هي الكلمة العربية التي تستطيع أن تعبر تعبيراً قوياً شاملاً عن المعاني التي وجدها الناس في كلمة (ديمقراطية) ..... أو أودعوها فيها ؟

إن الديمقراطية كلمة يونانية تعني حكم الشعب ، ولكنها لا تستعمل هنا ، طبعاً ، في هذا المعنى ، إنما نعني بها أخلاقاً لينة ، وبساطة في طراز المعيشة ، وابتعاداً عن الأبهة والمراسم ، وحباً للناس ورفعاً للحجاب وفتحاً للأبواب ، وإقبالاً على ضعاف الرجال قبل أقويائهم ، إلى مثل ذلك من مكارم الأخلاق ، وما أظن « التواضع » ، وحده ، يعبرّ عن كل أولئك .

ديمقراطية الفيصل أصيلة ، طبيعية ، لا تصنع فيها ولا تكلفّ ، وهي تذكرنا بتواضع الخلفاء الراشدين وبساطتهم في خاصة نفوسهم وفي صلاتهم مع الناس ، فأخلاق الفيصل هي أخلاق الأئمة لا أخلاق الملوك ، أخلاق الأصفياء الذين برأهم الله من الكبر ، لأن الكبر من صفات الرجل التافه ، الذي يجد في الإستعلاء على الناس غذاءً « لعقدته » النفسية أو ما يسمونه : « مركب النقص » .

جاء في « الفخري » أن الملوك كانوا (يبالغون في اقامة الهيبة .. حتى بارتباط الأسود والفيلة والنمور وبضرب البوقات الكبار ، كبوق النفير ، والدبادب ، والقصع ، ورفع السناجق وخفق الألوية على رؤوسهم ، كل ذلك لإثبات الهيبة في صدور الرعية ولإقامة ناموس المملكة .

وكان عضد الدولة ، إذا جلس على سريره ، أحضرت الأسود والفيلة والنمور في السلاسل ، وجعلت في حواشي مجلسه ، تهويلاً بذلك على الناس وترويعاً لهم) .

فأين هذا من مجلس الفيصل ؟

إنك لتدخل مجلسه، فتراه جالساً على مقعد لا يختلف عن مقاعد الآخرين، وليس حوله ولا وراءه حراس ولا مظهر من مظاهر الأبهة والهيبة المصنوعة .

إن مهابة فيصل في عيون الناس إنما تنبع من معرفتهم بمواهبه الرفيعة ، وتقديرهم لإخلاصه ، وإيمانهم بزعامته الرشيدة ، لا بارتباط الأسود ، وحشد الحراس والجنود ..

وقديماً قال الشاعر :

(يغضي حياء ويُغضى من مهابته فما يُكلّم إلاّ حين يبتسم)

والفيصل يكلم في كل وقت ،وبسمته إن لم تكن على شفتيه دائماً ،فهي قريبة ، وتنوب عنها هذه الوداعة ، أو هذا الأنس ، الذي يبدو لك في أسمى حالاته ، حين يقبل عليك الفيصل بحديثه الحلو ، وتفيض على وجهه نورانية عجيبة ، تنبع من أعماق نفسه الصافية ، وكأنها نسمات رقاق محملة بشذى الزهر تفتح مغاليق نفسك وتنقلك من ضيقك الى أفق رحب ،وتدخل عليك الطمأنينة والأمل والسعادة ، وتشعرك أنك في حضرة ملك .. ولكنه أب رفيق وأخ صديق .

يركب الملوك المراكب الفخمة ، وأحيانا المذهبة و « المزركشة » . . ، ويتقدمهم ، ويواكبهم ،ويتبعهم .. الفرسان أو راكبو السيارات والدراجات..

وأما الفيصل ،فيمر في الشوارع بسيارته الخاصّة ، التي لا تختلف عن سيارات سائر الناس ، ويجلس الى جانب السائق ، كما كان يفعل أبوه .

ولولا ما تستوجبه المجاملات الدولية من « البروتوكولات » و « التراتيب » الخاصة عند مقابلة ممثلي الدول الأجنبية ، لما رأينا عند جلالته شيئاً من أبهة المظاهر ، وحتى هذه المظاهر المفروضة بالتعامل الدولي يردها الفيصل الى أدنى الحدود .

حضر فيصل تمثيلية في إحدى المدارس ، ثم دعي للخطابة ، فكان مما قاله :

(أيها الاخوان ، في هذه التمثيلية القصيرة ما يوحي بأنه مهما بلغ تجبر الإنسان ومهما علا طغيانه فإنه لا يعدو أن يكون بشراً ضعيفاً ، ولو ادعى الألوهية والربوبية..فليكن لنا ،مما يمرّ بنا في حياتنا ، عبر ومواعظ لنعرف أقدار أنفسنا.)

وأثنى عليه الخطيب مرةً ، ولقبه بألقاب الخلفاء الراشدين ، فنهض جلالته وقال :

(.. لست في درجة من سلفوا من أمراء المؤمنين ومن خلفاء المسلمين ، وإنما أرجو أن تعتبروني خادماً للمسلمين وهذا شرف عظيم لي) .

ويثني خطيب آخر على الأعمال التي قامت بها حكومة الفيصل ، فيقول جلالته :

(إذا كانت الحكومة قامت في الماضي ، أوستقوم في المستقبل ، بما يحتمه عليها واجبها تجاه المواطنين ، فليس لها أن تدعي فخراً لأنها لم تفعل ذلك تكرماً وفضلاً ..) .

ويجمع الخطباء على الإشادة بمواقفه في خدمة البلاد وإنقاذها من أزماتها ، فيردّ على ذلك قائلاً : (لست الا فرداً من أفرادكم ، لا أقول هذا مجاملة لكم ولكنه الحقيقة .. وإذا كنت وفقت في بعض الأعمال ، كما تذكرون ، فمردّ ذلك الى ثقتكم ومعونتكم ودفعكم لي ، إلى الأمام ، في كل خطوة أخطوها) .

كان الفيصل متواضعاً . دائماً ، لا نستثني مرحلة من مراحل حياته ، ففي عنفوان الشباب ، وهو مثلاً نائب الملك في جدة ، كان يخشى أن يجد الكبر والزهو سبيلهما الى نفسه ، ولكنه لم يستكبر وانما ازداد تواضعاً ، وكان ينهى عن التذلل للكبراء والأقوياء ..

يقول ليوبولد فيس ، المستشرق النمساوي الذي أسلم على يد(محمدإقبال) ، وسمى نفسه : محمد أسد في كتابه : (الطريق الى مكة) : إنه كان في مكتبة

المسجد الحرام بمكة ، حين دخل الأمير فيصل : المكتبة، فنهض ليحيه ، قال :

(ولما وصلت الى سموه، وانحنيت لأصافحه ، فوجئت بيديـه تتلمسان رأسي وترفعانه ، ورأيت على وجهه المشرق ابتسامة حارة ، وقال لي :

(نحن شعب نجد ، نعتقد أن الرجل يجب ألاّ ينحني أمام رجل مثله ، وإنما ينحني ويركع أمام الله وحده ، في الصلاة .)

كان يبدو لي رقيقاً ، وعلى جانب من التحفظ والخجل ، ولم يكن مظهره النبيل مصطنعاً ، لأن النبل كان ينبع من أعماق نفسه –١– .

رأى أحد السياسيين الأمير فيصل ذات يوم ، وهو يجلس على الأرض ، أمام أخيه الأكبر الملك السابق سعود ، فعدّ ذلك دليلاً على قوة سعود وضعف فيصل أمامه ! ..

وهذا جهل مطبق ، من جانب السياسي الغربي ، بأخلاق الفيصل ، فالفيصل ديموقراطي بطبعه ، وهو يوقر من كان أكبر منه ، ويحب أن يضرب بنفسه الأمثال للآخرين ، حتى تستمر التقاليد الكريمة الحلوة بين أفراد الأسرة وبين أفـراد الشعب !

ذلك جانب من ديموقراطية فيصل في حركاته .

أما ديمقراطيته في أقواله التي تدل على صغر الدنيا في عينيه ، وعجز « الغرور » عن أن ينفذ الى نفسه ، فكثيرة جداً ، تزيدنا إيمانـاً بأصالة خلقه ، وتضرب للناس الأمثلة ، وترسم لهم صورة مشرقة للديمقراطية الكاملة في الزعيم الكبير .

---

(١) وصف الأستاذ العطار في كتابه « صقر الجزيرة » ، أخلاق الفيصل ، ومما قاله :

(أما تواضعه وبساطته وديمقراطيته فهي أشد ما تكون للعيان .

.. يمشي من داره حينما كان بالطائف إلى قصر الحكم ومعه حاشيته ، فيستوقفه بدوي ، فيصافحه في بساطة ويلبي طلبه .

كما تتعثر المرأة في طريقها إليه ، فيقف لها ويكلمها ، وأحياناً تعطيه ورقة بما تريد ، فيعينها على أمرها) وقال المرحوم أحمد قاسم جودة : (أما ديمقراطية فيصل فيعرفها الذين يعرفون كيف يذهب إليه – حتى اليوم – أي واحد من أبناء السعودية ، فيناديه بلا ألقاب : يا فيصل ! ثم يشرح له بالأسلوب البسيط المجرد من التنميق والتزويق ، مطلبه أو ظلامته ، ويناقشه مناقشة الند للند ، ويقارعه الحجة بالحجة ، حتى إذا لم يقنع صاحب المطلب بالإجراء الذي يراه فيصل ، يترك مكانه متبرماً منذراً .. بأنه سيشكو إلى « ديوان المظالم » ..

إن الفيصل يتحرج ، في تواضعه ، مما يسمع من ثناء الناس عليه بالحق ، مع أن غيره من الرؤساء يطلبون المبالغة في الثناء عليهم ، بما لا يستحقون ! ..

أقيمت في الرياض حفلة تكريم للفيصل ، بعد مبايعته بالملك ، فخوطب فيها ، طبعاً ، بألقاب الملك ، كصاحب الجلالة والجالس على العرش .. ونحو ذلك ، فوقف جلالته يرد على الخطباء ويشكر لهم إخلاصهم وولاءهم وثقتهم ، ولم يسعه ، في تواضعه الأصيل ، إلا أن يقول :

(تكرر على سمعي لفظ صاحب الجلالة ، والجالس على العرش ، واني أرجو منكم أن تعتبروني أخاً وخادما ..

إن الجلال لله سبحانه وتعالى .. وإن العرش هو عرش رب السموات والأرض ، وان هذه الصفات دخيلة علينا ، في ديننا وفي لغتنا — ١ —

---

(١) كان لكلمات الفيصل هذه أثرها البليغ في نفوس الخاصة والعامة ، ولكن وزير المعارف الأديب الشيخ حسن آل الشيخ ، أجاد كثيراً في التعبير عن رأي الناس في مسألة الألقاب ، حين يكون المقصود بها ملكاً عبقرياً من نسج فيصل .. ، قال :

(ياصاحب الجلالة ،

قلت لنا في لقائك القريب مع أبنائك في العاصمة الطيبة ، لا تقولوا : يا صاحب الجلالة ، ولا صاحب العرش .

ونحن نقول اليوم لك إن كل لقب ووصف سيظل متدانياً أمام ما يشعر به نحوك كل أبناء شعبك من الحب والإجلال والتقدير ، فأنت تشرف الألقاب ولا تشرفك .

وحبنا لك في القلوب والمشاعر .

ولا نرتضي للفظ ، مهما عظم وعلا ، أن يعكس حبنا وولاءنا .

ياصاحب الجلالة !

ليس فيما أقوله اليوم مديح أو إطراء ، فأنا أعلم بعدك عن المظاهر وكراهيتك للإطراء ، لكنني أقر حقيقة واقعة كنت صاحب البدء فيها ، فلقد قلت لنا في أكثر من لقاء : قولوا للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت !

وعلى هدى من توجيهك البناء ، نقول اليوم لك ، وبملء قلوبنا وحناجرنا :

أحسنت ! لأنك تعمل من أجلنا ، ولأنك تسهر لراحتنا ، ولأننا نضع أيدينا معك ، في مشرق كل صباح ، على نصر جديد وفخار تليد) .

مجلس فيصل

من التقاليد الكريمة ، التي تجدها في هذه المملكة ولا تجدها في سائر الممالك والجمهوريات : مجلس الملك .

كان هذا المجلس أمراً مألوفا في عهد الخلفاء الراشدين ، الذين لم يكن بينهم وبين الشعب أي حجاب .

وكان هذا المجلس قائماً أيام مؤسس الدولة الاموية في الشام : معاوية بن أبي سفيان ، قال المسعودي :

« كان من أخلاق معاوية أنه كان يؤذن في اليوم والليلة خمس مرات ، كان اذا صلى الفجر جلس للقاصّ حتى يفرغ من قصصه ، ثم يصلي أربع ركعات ، ثم يخرج الى مجلسه ، فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ، ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون ... ثم يدخل منزله لما أراد ، ثم يخرج فيقول : يا غلام ، أخرج الكرسي ! فَيُخْرَجُ الى المسجد فيوضع ، فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ، ويقوم الاحداث ، فيتقدم اليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له ، فيقول : ظلمت ، فيقول : أعزّوه ؛ ويقول : عُدِيَ علي ، فيقول : ابعثوا معه ، ويقول : صنع بي ، فيقول : انظروا في أمره ؛ حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير ، ثم يقول : ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني أحد عن رد السلام .

فيقال : كيف أصبح أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ؟

فيقول : بنعمة من الله ،

فاذا استووا جلوساً ، قال :

يا هؤلاء ، إنما سميتم أشرافا لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ، ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا .

فيقوم الرجل فيقول : استشهد فلان !

فيقول : افرضوا لولده .

ويقول آخر : غاب فلان عن أهله !

فيقول : تعاهدوهم ، أعطوهم ، اقضوا حوائجهم ، اخدموهم .) الخ ...

كان أمراء آل سعود ، منذ عهد محمد بن سعود الى اليـــوم ، يجلسون للناس ، و « فيصل » انما يمضي على طريقة آبائه وأجداده ، بل نستطيع القول ان الملك عبد العزيز قد أوجب على ابنه فيصل ، أن يجلس للناس ، بالنيابة عنه ويتلقى مطالبهم وشكاواهم ، فقد نشرت الصحف السعودية في عام ١٣٥٥ حديثاً لجلالة الملك عبد العزيز ، قال فيه : (إني أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقاً لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب ، لذلك سيكون مجلسي مفتوحـــاً في اليوم مرتين وفي حالة غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحاً لهذه الغاية .)

وصف المجلس

يجلس جلالة الفيصل للناس كما كان يجلس لهم وهو أمير ، في نفس القصر ، وفي نفس الوقت – اي ما بين المغرب والعشاء – فاذا جاء وقت الطعام نهض الى حجرة الطعام وتبعه من يشاء ، فاذا انتهى منه عاد الى قاعة الضيوف ليجلس معهم دقائق معدودة ، ثم يتركهم ويذهب الى المسجد ليؤدي الصلاة ، ثم يدخل منزله ويجتمع بأقربائه وخاصة الخاصة .

تدخل مجلس الملك فتجده جالساً في صدر القاعة ، على كرسي لا يختلف عن كراسي الآخرين ، وقيل لي إن أحد موظفي القصر وضع لجلالته كرسياً خاصاً مميزاً ، فأمر جلالته برفعه واعادة الكراسي كما كانت ، لا يختلف بعضها عن بعض .

جرت العادة أن يجلس الى يمين الملك أمراء آل سعود ، على ترتيب أسنانهم وأن يجلس الى يساره سائر الضيوف ، وجلالته يقف لأكثر ضيوفه الوافدين عليه ، ومنهم من يقبله على أسلوب أهل البلاد ، واكثر الناس ينحنون على يده ليقبلوها ، فتراه يجذبها منهم بلطف وقد يدعها أحيانا ، مع كرهه لهذه العادة ولكنه يخشى أن يفسر الجاهلون بخلقه امتناعه عن تسليمهم يده بأنه علامة عدم الرضا ، فلا يفعل ..

قال السيد عبد الحميد الخطيب :

(دخلت على سموه يوما في الطائف، وكان المجلس مكتظا بالناس، فقال لي أيده الله :

ياعبدالحميد، احكم بيني وبين الشيخ عبد القادر عزاوى (أحد أعضاء مجلس الشورى ومدير البريد العام في العهد الهاشمي ، وكان جالسا بالقرب منـــه) ، فقلت ماذا يا مولاى ؟ قال الأمير : إنه يريد تقبيل يدي وأنا لا أريد ذلك لاني أرى في تقبيل اليد معنى الذلة ، وأنا أريد أن يكون جميع أفراد الشعب ، أعزة فلا يقبلون يدي ولا يد غيري . فاستعرضت في تلك اللحظة كيف كان يقبل الناس أيدي وركب الامراءالهاشميين، ويعدون السماح لهم بذلك علامة الرضا وحرمانهم منه دليل السخط والجفاء ، فقلت : أطال الله عمر الامير ، انني مع سموكم في هذا ، ولكن أعتقد أن الشيخ عبد القادر وسواه عندما يود تقبيـــل يدى سموكم لا يرون في هذا شيئا من الذلة ، بل ربما اعتبروه موضع فخار لهم ، ولولا ذلك لما حرصوا عليه .

فأجاب الأمير : انني شخصيا لا أقبل يدي أحد وأرى هذا مني ذلـــة ، ولذلك أحب أن يكون كل الناس مثلي وأن يربأوا بأنفسهم عن تقبيل أيـــدي الامراء والحكام وأحب أن تفهموا الشعب هذا وتطلبوا من الناس أن يتعودوا على هذا .

مجلس آخر

وللفيصل مجلس آخر في مكاتبه في رئاسة مجلس الوزراء ، وذلك في

ساعات الصباح ، ومتى كان وقته خالياً من المقابلات الرسمية المحددة سلفاً أو من الاجتماعات الملحة .

حضرت مجلس الفيصل أميراً ، ثم ملكاً ، فرأيت أكثر الذين يحضرونه إنما يفعلون ذلك للتحية وتوكيد الولاء ، وهناك من يحضر ليراه الملك ويتذكره.

« وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي بيان عندها وخطاب »

يحضر بعضهم لعرض رجاء أو رفع شكوى ، فيستمع الملك إلى كلامهم إن تكلموا ، ويقرأ رسائلهم و «عرائضهم» في مجلسه ويجيب عليها، أو يأخذها معه لدراستها .

وأكثر الوافدين الى المجلس من شيوخ العشائر وزعماء البلاد وكبار الأجانب ، فضلاً عن الأمراء والعلماء الذين جرت العادة على ترددهم الى المجلس حتى شبهه بعضهم بمجلس نيابي غير رسمي .

وليس مجلس الملك قاصرا على التحية ورفع الحاجات ، وانما يتخلله أحاديث يثيرها جلالته أو تثار بين يديه ، تتناول امور الساعة ، ومسائل دينية وعلمية وأدبية .

ولقد تساءلت في نفسي مرة :

ألا تكفي فيصل متاعبه في الحكم ، حتى يضيف إليها هذا المجلس، الذي يغشاه أحيانا رجال لا غناء فيهم ، وقد يرفعون الى جلالته شكاوى تافهة ، يستطيع موظف صغير أن يحقق فيها وينتهي بها الى نهايتها ؟

ولماذا لا يوفر جلالته الوقت الثمين الذي ينفقه في هذا المجلس لعمل آخر أكثر نفعاً ؟

ولكنني وجدت ، بعد فكر ، أن المجلس تقليد مفيد ، ولا ضرر منه .

فهذا المجلس ، قد يكون استجماما من المتاعب ، لا زيادة في المتاعب ، لان جلالته تعود عليه ، ولم يعد مرهقا لأعصابه ، بل لعله يستريح اليه !

ثم ان مجلساً يرفع الحجاب بين الملك وشعبه ، من شأنه أن يزيد الشعب تعلقاً برئيسه الأعلى،وهو مدرسة لمنهم دون الملك يتعلمون فيها التواضع والديمقراطية !

والمجلس دعوة او انذار الى جميع الولاة والموظفين بأن يكونوا عادلين ومحسنين ، لأن اعمالهم لا تعدم رجالا يذكرونها في مجلس الملك إن كانت سيئة ...

والمجلس ، بعد هذا ، وسيلة من وسائل اتصال الملك بشعبه ، فيعرف أحواله معرفة مباشرة ، لان المعرفة التي تنشأ من قراءة التقارير والملفات لا تغني عن تصفح الوجوه والاستماع الى الشكاوى من أفواه الناس ، فقد تخدع التقارير وتكذب ، ولكن ألسنة الناس ووجوههم أصدق في التعبير عن الحقائق من التقارير .

ومما يثير الإعجاب حقاً في هذه المجالس أن جلالة الملك يعرف عدداً كبيراً جداً من أفراد شعبه ، بل لعله أعرف الناس بأكبر عدد من الناس !

إنه لا يحتاج الى اضبارات يوصف له فيها كل رجل ، فذاكرته تختزن صور الرجال وتصنفهم ، وقد ينسى بعض أحوالهم ولكن سرعان ما يتذكرها ، بل قد يتجاوز جلالته المعرفة بالناس الى صلات قامت بينه وبينهم ، وأيدٍ سبقت منه إليهم .

ان المجلس حين يزدحم ، يكون مجلس تحيات ومجاملات وأحاديث « سطحية » ، ولكن جلالته حين يخلو بعدد محدود من ضيوفه ووزرائه ، سواء في مجلسه أو على مائدته ، أم في مكتبه ، يتبسط في الحديث ، ويخاطب كل انسان بما يشعره أن الملك يعيش في « جوه » ، ويتجاوب معه .

السياسة والأخلاق

يظن كثير من الناس أن السياسة والأخلاق شيئان متناقضان ، وقد ساعد على شيوع هذه الفكرة ما كان يصدر عن رجال السياسة ، في الغرب والشرق ، من تنكر للوعود ونقض للعهود ، واقدام على ارتكاب اشنع الجرائم في سبيل الوصول الى الأغراض المنشودة ، لذلك كان الأتقياء يستعيذون بالله من شر السياسة والسياسيين ، ويقولون : ما دخلت السياسة شيئا الا أفسدته !

كانت عبقرية السياسة ، في عهود الظلم والظلام : ذمة تستبيح كل محرم تحقيقاً لغاياتها ، ومقدرة فائقة على التلون بكل لون ، والتحلل من كل عهد ، والتظاهر بالأمانة ، مع إضمار الخيانة ..

ومن المؤسف أن نفراً من المثقفين ما زالوا يؤمنون بأن « اللاأخلاقية » هي إحدى الصفات الضرورية لرجل السياسة الناجح ،ويحتجون لرأيهم بكتاب « الأمير » الذي وضعه السياسي والمفكر الإيتالي المشهور « ماكيافيلي » ،لأنه كان يقول إن مصلحة الدولة هي وحدها مقياس أعمال الأمير ، وكل شيء يفعله الأمير ، من أجل هذه المصلحة ، مباح له، لا يعاب فيه،ولا يلام عليه !

ليكذب ! ليخن ! لينهب ! ليقتل ! .. ليفعل كل شيء .. فما دامت غايته: «مصلحة الدولة» ،فكل واسطة تؤدي الى هذه الغاية الشريفة تعد شريفة أيضاً،وإن كانت في حد ذاتها دنيئة ، بالغة الدناءة،وهذا ما يعبرون عنه بقولهم : « الغاية تبرر .. الواسطة » !

تلك صورة للسياسة ، وللسياسي ، مضى زمانها وطويت صفحاتها !

وماكيافيلي نفسه،الذي اشتقوا من اسمه « الماكيافيلية » ،علماً على الإسلوب السياسي ، الذي يستبيح الغدر والخيانة والكذب والجريمة في الحياة العامة .. ولم يكن كما صوروه ، ولم يقل ما وضعوه على لسانه !

لقد تحدث ماكيافيلي عن (آغاثوكل)، الذي استولى على إمارة صقلية بالغدر والحيلة والقتل، فقال عنه :

كان أغا ثوكل، من حيث الشجاعة ومجابهة المواقف، كأحسن القادة، ولكن وحشيته ودناءته لا تجيزان لنا أن نضعه بين عظماء الرجال ..

إن قتل المواطنين، وخيانة الأصدقاء، والتجرد من الذمة والرحمة والدين، كل أولئك قد يوصل رجلاً الى السلطان، ولكنه لا يوصله الى المجد !

ان الناس اليوم يحتقرون السياسي الكذاب، الغادر .. ولا يحبون الإتصال به، فضلا عن الركون اليه ..، وقد أصبح الصدق والوفاء، من أعظم المزايا المطلوبة في رجل السياسة ورجل الدولة، فإن لم يكن الانسان صادقاً بطبعه وتربيته، وجب عليه أن يصدق .. طلباً لثقة الآخرين به !

بعد هذه التوطئة الصغيرة، حسبنا أن نقول : إن الفيصل هو الصورة الصافية، المشرقة، لرجل السياسة الفاضل فقد أقام السياسة على أسس أخلاقية سليمة .

لذلك يعتبر انتصار طريقته نصراً للأخلاق والفضائل .

كان ابن العميد يقول : : كتب الجاحظ تعلم .. العقل ..

ونحن نقول : إن طريقة الفيصل تهذّب السياسة، وتعلم السياسيين الأخلاق.

منذ دخل فيصل الحياة العامة، وشغل أول منصب له في الحجاز، نائباً عن والده، وكان في أول شبابه، أعلن للناس عن طريقته، فقال :

« ان أكثر ما أكرهه هو الكذب، الذي كرهه الله ورسوله، واني لأكره أن اسمعه، ولو من أحقر الناس، فحاشا لله أن أرضاه لنفسي . »

قال ذلك منذ أكثر من أربعين سنة، ولكنه التزم بالصدق وما يزال يلزم به منذ كان طفلاً حتى اليوم، فإذا رأى بعضهم الفيصل كان قادرا على توفير شيء من المتاعب لنفسه لو أنه تحلل، في بعض الظروف، من عهد أو

قابل غدراً بغدر ... فالجواب : هو أنه لا يفعل ، ولعله لا يستطيع أن يفعل ، لأن من نشأ على الصدق والإستقامة حتى اصبحا جزءاً من طبيعته لا يستطيع أن يكذب ويغدر :

« تعود بسط الكف حتى لوانه اراد انقباضاً لم تطعه أنامله . »

الانسجام

لقد عرفنا أن الفيصل هو أعرق زعماء العرب الأحياء في السياسة، لقديم اشتغاله بها ، فهو عميدهم غير مدافع ، وخبرته السياسية طويلة ، موصولة ، وهذا امر يدعو إلى التقدير والإعجاب ، ولكن شيئاً آخر في حياة هذا الرجل العبقري يثير مزيداً من الإعجاب : هو انسجام حياته ، واتساقها ، مع أن الطريق الطويلة لا تخلو ، من منحنيات و « انخفاضات » ...

إنك لا تجد في حياة الفيصل السياسية « ردات » ، و «تقلبات » وتناقضات ، كالتي تجدها في حياة أكثر رجال السياسة ..

فما هو سر هذا الإنسجام ؟ ؟

سرّه ، فيما نعتقد ، أن الفيصل يتبين طريقة قبل أن يسلكها ، ولا يضع قدمه إلا على الصخر ، ولذلك لا يحتاج إلى القفز ذات اليمين وذات اليسار ، أو النكوص على عقبه ، فذلك من شأن الرجال الذين يمشون على غير هدى ، ولا يعرفون أهدافهم ولا يتحسسون معالم الطريق .

والفيصل ، قبل كل شيء ، رجل أخلاق ، فهو صادق فيما بينه وبين نفسه ، وصادق فيما بينه وبين الناس ، وإذا عاهد عهداً أو وعد وعداً مهره بدمه .

(أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا اشدوا)

فإذا كان فيصل صديقاً لرجل ، أو حليفاً لدولة ... ثم رأيتهما يفترقان ويتعاديان .. فلا تقل : ما بال الفيصل تغير .. وأين الإنسجام و الاستقرار ؟

.. فلسوف يتبين لك ، متى وقفت على حقيقة الأحوال ، أن الفيصل بقي ثابتاً على موقفه ، وأن مناظره هو الذي تغير وتنكر .

عقد فيصل إتفاقية اليمن ، ومضى ينفذها بصدق وأمانة ، فأحبّ بعضهم أن يزين له الإخلال بها كما يفعل غيره .. فكان جوابه :

« إننا لا ننظر إلى الإتفاقية على أنها مجرد حبر على ورق .. ولكننا ننظر إلى الكلمة التي أعطيناها ، وهي كلمة شرف ، والعربي النبيل إذا قال كلمة مات دون تنفيذها » .

من كان يظن السياسة لوناً من الكذب ، أو الكذب لوناً من السياسة ، فليعلم أن سياسة فيصل أكثر صعوبة من سياسة القوم الذين يستبيحون الكذب والغدر ، ولكنها أكرم عند الله ، وأنفع للناس ، وحسبها ذلك !

مذهبه

إذا كان فيصل من آل سعود ومن آل الشيخ ، فقد استبان لنا مذهبه ، فهو مسلم سني ، مثل الكثرة الكبرى من المسلمين في العالم .

وهو ، بطبعه ، بعيد عن الغلو ، لأنه واسع الأفق ، راجح الحلم ، في صفاء نفس وأدب رفيع ، وإنما يأتي الغلو أو التعصب من الجهل حيناً ، ومن سوء الطوية أحياناً ، وربما كان اندفاعاً عاطفياً شديداً عند أقوام تملك عاطفتهم عقولهم ..

في كل دين ، وفي كل مذهب ، غلاة . . . ، ولم تخلُ المملكة العربية السعودية ، في أيامها الماضية ، من فئة صغيرة غلت في الدين ، بل بلغ بها الأمر الى حد التمرد على الملك عبد العزيز وقتاله ، ولكن علماء المملكةوعقلاءها وجماهيرها وقفوا وراء عبد العزيز ، فقضى على فتن الغلاة ، الذين أرادوا منع البلاد من المضي في طريق القوة والتقدم والأخذ بمكتسبات الحضارة والعلوم العصرية النافعة ، وبهذا الكفاح الموفق ، وضع الملك عبد العزيز نفسه واسرته ، وعلماء مملكته ، في صف المصلحين ، ضمن حدود الديانة القويمة والتقاليد الكريمة ، والفيصل إنما يسير على خطى أبيه ويستكمل اصلاحاته .

فيصل مسلم كامل ، نَوّرَ الله قلبَه وفكره ، فهو متفتح لكل علم نافع ، باسطُ يدَ الأخوّة لكل مسلم ، وهو «حنبلي» كأكثر أهل مملكته ، وعلى طريقة جده لأمه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكنه فهمها على حقيقتها : اتباعاً لا تقليداً ، فالشيخ نفسه نهى عن التقليد ، ورفع الحواجز التي أقامها بعضهم بين المذاهب الإسلامية ، وأعلن أنه يقبل كلمة الحق من كل مذهب .

قال رحمه الله :

(عقيدتي وديني الذي أدين الله به ، هو : مذهب أهل السنة والجماعة ، الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم ، الى يوم القيامة .

. . وأشهد الله وملائكته وجميع خلقه ، إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقول إلا الحق .)

وقال الملك عبد العزيز ، في تصريح له عام ١٣٥٣ هـ وفي خطابين له في مكة :

(نحن طلاب حق ، نتبعه أينما وجدناه ، ونأخذ الصحيح في أي مذهب كان ، أو على يد أي عالم أتى به ، لا نفرّق بين أحد ، وها نحن نحب تفسير ابن كثير » ، وهو شافعي .

إننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره إلا في ما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله . وقد جعلنا الله ، أنا وآبائي وأجدادي ، مبشّرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة ، رجعنا إليه وتمسكنا به ، وأما إذا لم نجد دليلا قوياً ، أخذنا بقول الإمام أحمد) . -١-

---

(١) يقول كاتب غربي إن الملك عبدالعزيز وخلفاءه تركوا التعصب الوهابي ، ولكنهم استمروا في التمسك بالدين الإسلامي في كل أمورهم .

وهذا قول يحتاج إلى شيء من التوضيح وذلك أن التعصب لا يوصف « بالوهابي » لأن المتعصبين موجودون في كل مذهب . .

أناته ودهاؤه وقوة أعصابه وسخاؤه

الأناة والروية .

عرف الفيصل بالأناة والروية ، وقد يأخذ عليه بعضهم ذلك ، ولعلهم يظنون الأناة لوناً من البطء في التفكير ، وهذا لا يكون في العباقرة .

ولكن أناة فيصل ليست من فقر التفكير ، وانما هي من ترف التفكير ، وخصبه .

ان الفيصل في ذكائه الوقاد ، وحدسه الصادق ، ونظرته النفّاذة ، يحيط بدقائق الأمور لأول وهلة ، ولكنه لا يحب أن يعلن للناس رأيه ، ويدعوهم الى العمل به ، قبل أن يعرض رأيه على نفسه مرة ، وعلى أصحاب الخبرة والمعرفة مرة ، ليصدر دائماً عن دراسة عميقة وإحاطة شاملة ، وهو إلى ذلك يتحرّى السلامة ويكره المغامرة ، وقد يستعين بالوقت أحياناً على حل المعضلات فالأناة ليست أسلوباً في التفكير ، ولكنها أسلوب في العمل والتقرير والتدبير .

إنه يشبه القاضي الذي يدعى الى الحكم بين خصمين ، فيرى وجهة الحق بإلهامه وحدسه ، ولكنه يأبى إلا أن يسأل ويفحص ويدقق ، بل يمعن في التدقيق ، حتى يصدر في حكمه عن قناعة كاملة لا موضع فيها لشبهة ــ١ــ .

---

(١) يقول الاستاذ عمر السقاف ، وكيل وزارة الخارجية السعودية ، في حديث له :

(.. كنت أتحمس مع الاخوان لكثير من الاشياء ، وكنت أفاجأ بجلالته يرفضها وحده ، وقد تعلمنا من التجربة ألا نشك في سلامة حكمه على الاشياء، ذلك أنه لا تكاد تمضي فترة ضئيلة من الوقت حتى ندرك أنه محق في حكمه الذي لم نفهم موجباته آنذاك ..

ان أبرز مواهب الملك فيصل : الالهام . انه زعيم ملهم حقا وقد استبق الهامه الاحداث دوما ، وقد أكدت لي قضية اليمن موهبة الهامه ، فعندما نشبت هذه الأزمة كان الوحيد بين الساسة العرب الذي وقف مؤيدا حق الشعب اليمني في تقرير مصيره ، بحرية وبمعزل عن أي قوى خارجية ، ولم يخامره حتى في أحلك الظروف الشك في النتيجة ، فقد كان عليما بالظروف التي تحيط بالبلد ، واستطاع أن يتجاوز بنظرته حدود الحاضر) .

الدهاء

يقول لامانس :

(كلمة الداهية عند العرب لا تعني أن يكون الرجل سياسيا من طراز بيسمارك أو تاليران ، ولكن .. في عباءة !

فالعربي ما كان يستحق لقب الداهية — هذا اللقب العزيز الذي كثر الطامعون فيه — إلا اذا كان يملك موهبة الكلام محدثاً وخطيباً، وفكراً جوالا كثير المصادر والموارد ، قادراً على حل المعضلات وفصل المشكلات، وفوق ذلك كله : ذمة واسعة لا تحجم عن استخدام المكائد) .

ونستطيع القول ان الفيصل يستحق لقب « داهية » بكل معانيه القديمة والحديثة ، ما عدا الذمة الواسعة.. التي تستبيح لنفسها استخدام المكائد، فالفيصل في سلوكه الخلقي يكره كل مكيدة ، إلا مكيدة مع الأعداء تجيزها « السياسة الشرعية » ، لأنها من طبيعة الحرب والسياسة .

قوة الاعصاب

لمااشتد الخلاف بين الأخوين سعود وفيصل ، وضع الملك السابق سعود حرسه حول الناصرية ، وصوب فوهات بعض المدافع نحو قصر (المعزر)، الذي يسكنه الأمير فيصل ..

ويقول الدكتور رشاد فرعون إن الأمير فيصل بلغه هذا الخبر وهو في قصره ، فلم يرهبه ولم يثره لا كثيراً ولا قليلاً ، .. وثابر على عمله الذي كان فيه، وكأن شيئاً لم يكن ..

كانت تنتظره مقابلة رسمية في قصر الحكم ، فخرج ليستقل سيارته ، فقال له الدكتور فرعون :

كيف تخرج يا سمو الأمير والحالة في هذه الخطورة ؟

فأجابه : إن كنت خائفاً ، فابق هنا وحدك !

فقال له : إنما خوفي عليك لا على نفسي ، فليس هناك سوى فيصل واحد ، وأما أنا فأمثالي كثيرون !

ولكن الفيصل ، قال له : سأخرج ، وسنرى من هم هؤلاء الرجال المسلحون ، الذين صوبوا مدافعهم نحو داري !

.. وخرج الفيصل .. ومرّ بجنود الحرس .. فكان كلما مرّ بضابط من الضباط ، في سياراتهم « الجيب » ، نزل الضابط من سيارته ، ليحيي الفيصل !

تلك قوة أعصاب فيصل ، تظهر في كل الشدائد وفي كل المواقف التي يتزلزل لها الشجعان !

ولقد كانت محنة اليمن تجربة لأعصاب فيصل الفولاذية ، نال بها تقدير العالم كله ، حتى قال أحد الصحفيين إن أعصاب فيصل ، التي قابلت تحديات القاهرة ، خلال أحداث اليمن ، بهدوء عجيب ، كانت أشد على خصومه من ظهور الطائرات الأميركية في السماء أو الأسطول السادس في البحر !

الكرم

لم يشتهر فيصل بالكرم ، كما اشتهر أخوه الملك سعود ، ولا يعني هذا أنه غير كريم ، ففيصل حكيم في كل أموره ، وهو كذلك حكيم في كرمه .

ومن المؤسف أن كثيرين من الذين يصفونهم بالكرم ، يبذّرون المال تبذيراً وينثرونه نثراً في مجالس اللهو ، أو يعطونه من ليس يستحقه بينما أيديهم مقبوضة عن كثير من أفعال الخير !

اشتهر كثير من الخلفاء والملوك والأمراء قديماً بالكرم ، وكانت مظاهر كرمهم مختلفة ، بعضها في ولائمهم وحفلاتهم ، وبعضها في تبرعاتهم السخية لأعمال الخير ، وبعضها في عطائهم للزعماء يتألفون قلوبهم ، وكان يذهب الكثير من هباتهم إلى الشعراء الذين يتمدحونهم !

وفي هذا العصر ، لا يزال الشعراء ، أو بعض الشعراء ، الذين يتمدحون الملوك ، موضع عنايتهم يجيزونهم ويبرونهم .

ولكن الشعراء القدامى ، الذين عرفوا بالمدح والذم والمفاخر ، كانوا

بمنزلة رجال الصحافة ورجال الدعاية ، في هذه الأيام ، لذلك انتقلت عناية الرؤساء من الشعراء الى الصحفيين ، وينال الصحفيون العرب والأجانب شيئاً غير قليل من عناية الفيصل وحكومته و كرمهما .

وقد جرت عادة ملوك آل سعود ، وخصوصاً عبد العزيز وسعود ، أن يغدقوا الهبات على كل ضيف يفد عليهم طالباً رفدهم . ، بل كان كثير من رجالات العرب يتلقون الهبات والمعونات الكبيرة من عبد العزيز ، وهم في أوطانهم ، ويظهر أن الملك سعود تجاوز حتى كرم أبيه ، في هذه الهبات ، يتناولها الكبار منه والصغار ، وأصحاب الأقدار والتافهون، وحتى المحتالون ، وما أكثرهم ! ..

وفي عهد الفيصل بقيت تقاليد الكرم والضيافة ، كما كانت من قبل ، ولكنهم أعادوا النظر في اسلوب توزيع الهبات ، واستبعدوا طائفة من الأشخاص التافهين أو نقصوا أعطياتهم ، ومن الصعب ، على كل حال ، أن توضع مقاييس صحيحة في هذه الأمور !

والفيصل انما يستجيب لطبيعته الكريمة واصالته في مبادرته الى نجدة رجالات العرب الذين عثرت بهم الأقدار وعاكستهم الظروف ، وهو كذلك يساعد المرضى والمنكوبين والمحتاجين ، وله في ذلك أياد بيض لا تعدّ ولا تحصى ، وإن كان تكتمه في مساعداته يحجب عن عيون الناس الكثير منها .
وهذا ايضاً جانب من عظمته الحقيقية : يصنع الخير ، لا ليشتهر به ، ولكن ليرضي به ربه ، ثم نفسه !

وللفيصل تبرعات سخية للمشاريع الإسلامية ، كالمساجد ودور العلم والمستشفيات والمبرات ونحوها .

علم الفيصل وحديثه وخطابته

العلـــم

يقول أحد المؤلفين في وصفه لفيصل : (له عبقرية حية ناضجة ، تتيح له أن يكون إماما في كل فن ، فهو عند علماء الدين عالم كبير ، وهو عند علماء الإقتصاد السياسي اقتصادي كبير ، وهو عند علماء النفس خبير بعلم النفس ، وعند الشعراء والأدباء أديب ناقد ذواق ..)

ونحن نقول بصدق وإخلاص ، ان الفيصل عبقري ، ولكنه ليس إماما في كل فن ، نستثني فن الحكم والسياسة ..

قال صاحب « الآداب السلطانية » :

(إعلم أنه ليس المراد بالعلم في الملوك هو تصور المسائل المشكلة ، والتبحر في غوامض العلوم ، والإغراق في طلبها .

قال معاوية : « ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلوم . »

وإنما المراد من العلم في الملك ، هو أن يكون له انس به ، بحيث يمكنه أن يفاوض أربابها فيها ، ولا ضرورة في ذلك الى التدقيق .

كان مؤيد الدين العلقمي ، وزير المستعصم ، يفاوض كل من يدخل عليه من العلماء مفاوضة عاقل لبيب محصل ، ولم يكن له بالعلوم ملكة ، ولا كان مرتاضاً بها رياضة طائلة ..)

والحق اننا لا نطلب من الملك أن يكون طبيباً ، ولا مهندساً ، ولا مؤرخاً ، ولا شاعراً ، ولا كاتباً .. وإنما نطلب منه أن يكون « عاقلاً لبيباً ، وقادراً على مفاوضة أصحاب المعرفة .

قال أحد الكتاب ، يصف اثنين من زعماء فرنسا الكبار :
.. (بوانكاره) « يعلم » كل شيء ، ولكنه لا يفهم شيئاً !
و (بريان) « يفهم » كل شيء ، ولكنه لا « يعلم شيئاً » !
وكلا الوصفين قبيح ، ولكن الفهم أفضل من العلم !
وأحسن الحالات أن يجمع الزعيم بين كثير من الفهم وشيء من العلم ، ينمو بإدمان المطالعة ، والمحادثة ، والتجربة .

الحـــديث

ويستحسن في الرئيس ، على كل حال ، أن يكون حلو الحديث ، حسن البيان ، حتى تزيد هيبته ومحبته في نفوس سامعيه ، قال يحيي البرمكي :
« أرى الرجل فأهابه ، حتى يتكلم ، فاذا تكلم كان بين اثنين : إما أن تزيد مهابته أو تضمحل »
وفيصل يعرف طريقه الى عقول محدثيه ، وقلوبهم !

الخطابة

ويستحسن من الزعيم الذي يتصدى لقيادة الجماهير أن يكون خطيباً ، لأن الجماهير تخضع لسلطان الكلام ، وقد كان كثير من الخلفاء الأوائل يحسنون الخطابة ، وكان يساعدهم على ذلك ان الألسنه لم يكن أفسدها الاختلاط بالأعاجم .

وليس يكفي الخطيب أن تكون لغته صحيحة.. فلابد له من استجماع صفات كثيرة ، غير الفصاحة والبلاغة ، كصحة النطق ، وجهارة الصوت وحلاوته والمعرفة بنفسية الجمهور .
والخطابة — فوق هذا كله — موهبة كالشعر ، وليست مجرد صناعة تكتسب بالتعليم ، فالعلم ينميها ويهذبها ، لكنبه لا يوجدها من العدم ..

ومهما يكن الأمر ، فإن كلمات قليلة يلقيها الملوك والحكام والزعماء أمام شعوبهم قد تؤثر فيهم أكثر من عشرات الخطب الطويلة يلقيها غيرهم ، لأن الكلمة تستعير من شخصية صاحبها كثيراً من القوة والبهاء – إن كان قوياً..

أثبت الفيصل خلال فترات كثيرة – ومن أقربها عهداً أزمة اليمن ثم مواقفه في الدفاع عن الدعوة الى التضامن الإسلامي – أنه خطيب يؤثر في الجماهير ويعرف كيف ينورها ويوعيها ويجمع صفوفها حوله أهدافه المنشودة وزعامته الرشيدة ، ومما يريق على كلامه مزيداً من القوة ويجعل لها قبولاً في النفس : ثقة الناس بصدقه وإخلاصه .

يرتجل الفيصل أكثر خطبه ، ليكون كلامه أكثر تجاوباً مع نفسية الجمهور الذي يخاطبه ، وما سمعنا أنه أرتج عليه مرة أو أخطأه التوفيق ؛ وهذه مزية من مزاياه وموهبة من مواهبه .

وللخطب الإرتجالية ، فوق « التجاوب » ، فضيلة « الثقة » ، أي أنها تجعل الناس يطمئنون إلى أن ما يسمعونه من الرؤساء هو من عفو الخاطر ، لا يتصنعون فيه ، ولا يكتبه لهم أو يفرضه عليهم أحد !

وعلى هذا كله نقول ،في كثير من الصراحة،إن الخطب المكتوبة ، وإن كانت تتعب الخطيب القادر على الإرتجال،تبدو ضرورية في بعض المواقف ، واجدر بأن تحفظ عن الرؤساء للتاريخ .

ولا نعني بالخطب المكتوبة ، طبعاً ، كل خطبة « مدوّنة » .. ولو كانت « رخيصة » ، وإنما نعني بها عيداً من أعياد الفن والفكر ، يتنعم به قارىء كل خطبة بليغة .

إن خطب الملوك والرؤساء المكتوبة ليست دائماً من صنع أيديهم ، وليس ذلك مطلوباً ، وحسبها أنها تعبر عن أفكارهم بصدق ، اللهم إلا اذا كانوا حكاماً « شكليين » أو ضعاف الشخصية ، وهذه المخاوف لا موضع لها متى كان الحكام من طراز رفيع .. من نسيج الفيصل ، يطبع كل شيء بطابع رأيه وعبقريته .

لذلك نرى أن يستكثر رؤساء الدول من الخطب المكتوبة ، في « المناسبات » الرسمية الكبرى ، على الأقل ، ومن أحب منهم الزيادة عليها بما يستجدّ له من فكر أو بما يراه أكثر « تجاوباً » مع رغبات جمهور المستمعين ، فليرتجل ، على هامش خطبته المكتوبة ، ما يشاء ..

بحول الله !

تتردد في خطب فيصل وأحاديثه كثيراً هذه الكلمات : « بحول الله وقوته » و « بفضل الله » ، « وأن شاء الله » ، ونحوذلك وهي كلمات كان يسمعها كثيراً في طفولته من أبيه وجده وقومه الذين حوله ، فنشأ عليها واصبحت عادةً وملكةً وجزءاً من شعوره وبيانه ، مثلما هي مظهر من مظاهر إيمانه بربه القادر وحده على كل شيء .

لقدظن بعض الغربيين الذين استمعوا إلى هذه الكلمات على لسان فيصل أنها تمثل روح المحافظة أو حب التشبه بشيوخ الدين أو الرغبة في التقرب من العامة المتدينة ، بل ربما استنكر بعضهم صدورها عن سياسي كبير ، يعيش في عصره ، مثل فيصل ، لأنها تدل على التواكل ..

وما أبعد هؤلاء القوم عن الإنصاف والحقيقة !

ليس في الدين الإسلامي طبقة من الناس تختص بكلمات تردّدها ..

..هذه الكلمات لا تدل على التواكل أو الضعف ،وإنما تدل على مزيد من القوة ، لأنها قوة مستمدة من الله القوي العزيز !

وفضيلة هذه القوة أنها لا تستدعي الكبر ، لأن صاحبها ضعيف ، بالغ الضعف أمام الله ولكنه قوي ، بالغ القوة بالله.

..هذه الكلمات تمثل لوناً من تواضع فيصل وديموقراطيته، فذكر الله وحوله وقوته ينهي عن الكبر ، ويعمّق في النفس شعور التواضع .

.. وما أحوجنا — في هذا العصر الذي طغت عليه « المادية » ، إن لم نقل الإلحاد — إلى كلمات تصدر عفواً ، وبحرارة ، من نفوس كبيرة مؤمنة ، لتنسج من حولنا ، وفي أعماقنا : هذا الجو الروحاني الذي تبعدنا عنه ، أحيانا ، أساليب الحياة العصرية ! ..

فيصل والشعر الشعبي

كان الفيصل يقول الشعر الشعبي في شبابه ، ولعله استمر في ذلك ، ولكننا لم نقرأ له في الكتب والصحف شيئاً – باستثناء بيتين نقلهما (ده غوري) الى الإنكليزية – ولا يعرف شعر الفيصل الا أصدقاؤه المقربون الذين سمعوه منه في بعض مجالسه الأدبية الخاصة

ويقول العالم الأديب عبد الله بن خميس : (للملك فيصل ذوق أصيل وحساسية مرهفة ورواية حافلة في الشعر ، قديمه وحديثه ، رواية ودراية ، وهو ناقد فذ وناقد متبصر تختزن حافظته ما يعجب ويطرب في شتى الأغراض والمناحي .. ولطالما حفلت مجالسه بكل نادرة فذة وخاطرة يتيمة .. كنا قبل اسبوع على مائدة جلالته وكان الحديث ادبيا صرفا ، وكان يدور حول ما قيل في هل يفسد الزمن أم يفسد أهله؟فكان نصيب جلالته في رواية ما قيل في هذا المعنى كبيرا ، أذكر منها بيتين نبطيين (يعني شعبيين) قيلا في هذا المعنى ، وهما :

(يقولون دنيانا علينا تغيرت   تغيرتوا انتم ما عرفنا غيورها
الأيام هي الأيام ما زاد عدها   هذي لياليها وهذي شهورها)

التهكم أو النكتة

السخر أو التهكم أو « روح النكتة » ، يلازم أكثر العباقرة ، وهو أحياناً « صمام الأمان » ينفسون به عن ضيقهم بما يرونه من « سماجة » بعض الناس وريائهم وخداعهم ، وقد يكون لوناً من الدعابة البريئة ، والتلاعب بالألفاظ ، لإثارة اهتمام المستمع ، أو إدخال الفرح على نفسه طويلاً ، بعد تخويفه قليلا .. كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم،حين قال لامرأة عجوز : إن العجائز لا يدخلن الجنة ! ثم فسر لها ذلك بأنهن يدخلنها ، وقد رجعن صبايا ! ..

يكتم العباقرة في نفوسهم كثيراً من الأفكار الساخرة المتحدية ، التي تجول في خواطرهم ، لأن الحياة الاجتماعية تستلزم ذلك ، ولكنهم لا يمنعون أنفسهم من اطلاق النكتة ، في بعض المناسبات ، وهكذا يفعل الفيصل ، وأكثر ما

يكون ذلك في مجالسه الخاصة وربما دفعته الفرصة المؤاتية إلى استعمال هذه الطريقة في المحافل السياسية .

جاء في مذكرات السفير الأميركي في القاهرة مستر غريفث ، التي نشرتها جريدة « المصري » ما يأتي :

(يذكر مستر ارمور انه جلس في احدى مآدب العشاء بجوار الأمير فيصل ، فبدأ الأمير يتحدث عن أن العرب يعدون العدة للهجرة الى جنوب اسبانيا ، لانشاء دولة هناك !

وقد دهش مستر ارمور لهذا القول ، فالتفت الى الأمير السعودي ، وقال مبتسما :

هل أبلغتم فرانكو بذلك ؟

فأجاب الأمير فيصل : من المؤكد أننا لن نبلغه ذلك ! وما الضرورة ؟ لقد عشنا في جنوب اسبانيا نحو ألف عام ، وليس ثمة ما يمنعنا من العودة الى موطننا التاريخي !

.. أليست هذه هي النظرية التي تؤيدونها بتأييدكم اليهود في فلسطين ؟!)

الهوايات البرية

الفيصل في اخلاقه الخاصة ، أقرب إلى التقشف ، فلا دخان ، ولا شراب ، ولا لعب ، ولا شيء مما حرّم الله ، أو كره الأتقياء ..
على هذا نشأ ، وهذا شأنه دائماً .

الصيد

أما هوايته التي كان يقضي فيها أوقات فراغه—قبل الملك—فهي «المقناص» كما يسمونه في نجد ، أي الصيد القنص..
وليس سلاحهم الذي يستعملونه في أكثر صيدهم : البندقية ، وإنما هو « الصقر » ، ومن هناك عنايتهم الشديدة بتربيته وتنافسهم في اقتناء الأنواع الممتازة منه !

وليست الغاية من الخروج الى الصيد : مجرد الحصول على الطرائد والطير ولكن الترويح عن النفس والتنقل بين السهول والتلال والوديان ، والنزول في المكان الرحب والهواء الطلق !

وقد عاد حب الأمير فيصل للقنص بالبركه على كثير من سكان البراري ، كما كان وسيلة الى اعمار موارد للماء كانت مهملة ، كمنهل « سجا » ، مثلا ، وهو منهل جاهلي ، قال عنه ابن بليهد : « وردته قبل أن يعمره صاحب السمو الأمير فيصل ، وكان الناس لا يستقون منه إلا بالكدّ والمشقة .. وكان مثلاً عند أهل نجد ، كل أمر صعب يقولون فيه : (الله يغني عن سجا ووروده) .
ويذكر ابن بليهد أيضاً أن سمو الأمير اصطحبه في رحلة قنص ، الى عالية نجد ، في منزل من منازل غدير (برة المطلي) ، وأعراب نجد تسمي

منزل الأمير فيصل هناك ، في ذلك العام « مرباع الأوادم » ، لأنه بذل جميع استطاعته من الزاد واللحم وحليب الإبل واللبن وكل شيء تميل إليه النفس ، فأخذت الأعراب تختلف إليه من كل الجهات) .

وما يزال فيصل — وهو الإنسان بكل ما في كلمة انسان من أصالة وبكل ما توحيه من زخم العاطفة — يحنّ الى فردوسه الضائع .. الذي لم يعد قادراً على ارتياده في زحمة مشاغله الحاضرة ، فنراه يجلس أحياناً على الأرض ، في مجلس له عربي ، بين صقوره القدامى والجدد . كمن يجدد العهد بذكرى غالية .



جلالة الملك في مجلسه العربي أمام الصقور أصدقائه القدامى

العرضة النجدية

وللفيصل هواية ثانية ، هي « العرضة النجدية » ، التي يسميها بعضهم « رقصة السيف » أو « رقصة الحرب » ، ولم يحجم الفيصل ، وهو ملك ، خلال زيارة الرئيس السوداني للمملكة ، عن النزول الى ساحة العرض والمشاركة في العرضة النجدية ، لعباً وإنشاداً ، فألهب بذلك الحماسة في نفوس الأمراء والشيوخ والشعب كله ، وأعطى هذه الرقصة الشعبية « الفولكلورية » حياة جديدة وألقاً جديداً ، وعلمّ الناس الإعتزاز بتقاليدهم وعاداتهم .

مجالس أدب

...والفيصل يضنّ بالساعات التي يقضيها في القنص أن تكون للقنص وحده ، وفي الراحةمن عناء العمل أن تكون راحةً أو رياضة جسمانية فحسب.. لذلك نراه ينقل رفاقه الى عرس من أعراس الفكر ، وعيد من أعياد الشعر .

وكان يميل إلى طريقة في انشاد الشعر تنبه وتثير .. وهي طريقة الردح.

ذكر فؤاد حمزة أنه ذهب يوماً مع سمو الأمير فيصل الى الصيد ، فدعا سموه أصحابه الى السمر في أحد الأودية ، القريبة من الطائف ، فكان مجلسه ندوة أدبية ، عامرة بروح النكتة (يتخللها نوع من إنشاد الأشعار يسمى : الردح.

وطريقة الردح أن ينقسم المجتمعون والشعراء فريقين ، فيلقي أحدهم موضوعاً للإنشاد فيه ،وعلىالشعراء من كل فريق أن يردوا ببيت شعري ، ولا يجوز التكرار لا في المعنى ولا في القافية ، ، وكل يحاول بث روح الحماسة في شعرائه ، فترى هؤلاء يتسابقون إلى إلقاء البيت المنشود على البديهة ، ويظل رفاق الشاعر يرددون البيت حتى يفتح الله على شاعر الفريق الآخر للرد عليه ، وهكذا دواليك ..

. وعاشرت الأمير فيصل في بلاد التقاليد والتمدن ، وفي الحفلات والولائم الأوروبية ، وعاشرته في الحجاز وفي نجد ، كما عاشرته في بعض نزهاته الخلوية ، واذا به امير المجالس أينما كان ، متمدن في بلاد التمدن ، بدوي بين البداة ، فارس مغوار بين الفرسان متى اطلقت للخيل أعنتها .)

وصف الفيصل في مظهره وملبسه

وصف الفيصل

فيصل رجل نحيل ، طويل القامة ، في غير افراط ، فطوله مائة وثمانون سانتيما ، وحواسه كلها ، ، ولله الحمد ، سليمة ، ومن نعم الله عليه أنه حفظ له بصره تاماً ، فهو يرى الأشياء عن بعد ، ويقرأ من غير « نظارات » ، مع كثرة قراءته .

وهو ، كسائر الأمراء بل كسائر أهل نجد ، يحف شاربيه ، وله لحية خفيفة ، مقصوصة على طريقة أهل نجد ، وهي شائعة بين عدد من النبلاء والشبان في البلاد الغربية أيضاً .

والذين عرفوا الفيصل في طفولته وأول شبابه ، يشبهونه ببرعم الورد ، حسناً ولطفاً ، ، و أكثر ما يستهويهم فيه بريق عينيه ، وفتنة ابتسامته ، وعذوبة حديثه ، وفوق ذلك كله : أنسه وتواضعه .

قابل فيصلا الشاب ، في باريس ، أكبر صحفي « فرنسي » في زمانه ، وهو « سان بريس » ، محرر (الجورنال) ، فقال في معرض وصفه له :

(وجه لطيف جداً ، أبيض يضرب إلى السمرة ، عليه نضرة عجيبة ، وتتلألأ عليه عينان جدّ حلوتين ، كأنهما حقاً عينا غزال) .

أما الآن ، فقد أخذت الأيام ، والجهد والسهر الموصولان في خدمة البلاد ، من تلك النضرة ، وبدأ الشيب يخالط شعره ، وإن كان غير كثير ولا يكاد يظهر على شعر رأسه الغزير ، ومهما يكن الأمر ، فلا موضع اليوم – وقد بلغ الفيصل سن الستين – لإطالة الحديث عن الجمال ... فعظمة فيصل لم تُبْنَ على قصة جمال خارق وإغراء ، وبين الأمراء من هو أجمل منه وأوسم ، فليس فضله عليهم أنه الأجمل ، وإنما فضله أنه الأكمل .

يقول أكثر الصحفيين الغربيين الذين شاهدوا الفيصل أنه يبدو أكبر من سنه ، ولكنهم لاحظوا أنه متى كان حاسر الرأس — ولا يظهر كذلك أمام الجمهور إلا عند الإحرام والطواف — بدا أفتى كثيراً مما عهدوه ، وشيء آخر يضفي عليه سحراً ينسي متاعب الأيام ، هو بريق عينيه ، وأنسه وحديثه ، وابتسامته ..

قالت الصحيفة الفرنسية « برت غوليس » تصف الفيصل بين لقائين :

(. . قامة رشيقة طويلة ، تكاد تعدل قامة أبيه ، ، ولكنه ، اليوم ، تبدو عليه الهموم أكثر .. لا كما رأيته من قبل ..

ومع هذا ، متى ابتسم ، تلألأت على وجهه أضواء الشباب ، واستعادت الفتوة حقوقها ..)

ملابسه .

يلبس الفيصل مثل ملابس قومه ، وأما ملابس الرأس فالكوفية ، وهي بيضاء خالصة ، والعقال ، وهو أسود وذهبي اللون . وتدلنا الصور التي أُخذت له حين كان نائباً للملك في الحجاز على أن ملابسه كانت حجازية نجدية .

يرتدي فيصل أحياناً تحت العباءة « الجاكيت » ، الذي أخذ يشيع بين طبقة الموظفين والتجار في مدن المملكة الكبرى ، ولكنه لم يلبس قط الملابس الغربية الكاملة (أي القميص والكرافات والجاكيت والبنطلون ...) ، لأن ذلك يخالف طبعه وأصالته .

وليس فيصل في ذلك الزعيم الشرقي الوحيد ، فهناك عدد غير قليل من زعماء الشرق الكبار ما زالوا محتفظين بأزيائهم القومية القديمة ، وربما كانوا يستديمون بمحافظتهم عليها صلة الجماهير بهم وشعورهم بأن زعماء هم لا يجافونهم ولا يبتعدون عنهم .

إن تمسك فيصل بالزي العربي المألوف في المملكة ، هو مظهر لاعتزازه بامته أمام الغربيين و « تجاوب » مع « بيئته » ، وتعبير عن إيمانه بأن الحضارة والتقدم ليسا في تغيير الأزياء والمظاهر ،ولكنهما في النفوس والأخلاق والعقول.

ولقد يظن بعضهم أن السبب ديني ، والأصوب أن يقال إن الملابس من العادات ، التي ترك الدين أمرها لحرية الناس ، مثلها في ذلك مثل المآكل ، وليست من العبادات .

هذا إلى أن الملابس التي يدعونها « غربية » أصبحت ملكاً مشاعاً للناس على اختلاف دياناتهم وأقطارهم ، ورجال الدين المسيحي في الغرب والشرق لا يلبسونها ، وإنما يلبسون أثواباً هي إلى أثواب رجال الدين الإسلامي أقرب !

لقد أراد الخبراء أن يلبس الجنود السعوديون مثل الملابس التي يلبسها الجنود الغربيون ، لأسباب فنية ، فأذن لهم الملك عبد العزيز بذلك ، وفيصل ، كأبيه ، يسلم بالمصالح العليا والتطور الرصين ، ولكنه يكره المظاهر الفارغة ، والتقليد الأعمى ، ويكره أكثر من ذلك أية حركة يشتم منها رائحة التبرم بالتراث العربي أو الشهوة الى « الإنفلات » فجأةً من كل قواعد الحياة الإجتماعية في الوطن ، كنتيجةٍ لشعور النقص أمام الآخرين ..

قصة مرض

مرض الفيصل في شبابه أمراضاً عارضة كسائر الناس ، ولكن المرض الذي أتعبه وطال عليه أمره وعلاجه ، هو مرض كان يوصف بأنه .. « قرحة » في المعدة .

وقد سألت الدكتور رشاد فرعون ، مستشار الملك – الذي غامر بمنصبه وزيرا للصحة وبما هو أكثر من ذلك وسافر الى أمريكا برغم معارضة الملك سعود ليكون إلى جانب الفيصل عند إجراء العملية له – أن يذكر لي قصة المرض في مراحلها المختلفة ، ففعل ، وأنا الآن إنما « أدوّن » ما أتذكره من أقواله :

زار الأمير فيصل أمريكا عام ١٩٤٥ وخلال هذه الزيارة فحصه الأطباء الأمير كيون فحصاً عاماً وقرروا أن سبب شكواه : (القرحة) ، وأعطوه علاجات مهدئة ، ومنعوه من المقليات والشحوم والطماطم والبرتقال ، ولكنه يأكل اللحم المشوى والبيض المسلوق ويشرب الحليب . وقد استمر في الحمية ثلاث سنوات .

وفي آخر عام ١٩٤٨ ، انعقدت في باريس دورة الأمم المتحدة ، وكان الفيصل على رأس الوفد السعودي وأصيب هناك بنوبة حادة جداً ، منعته من حضور الإجتماعات وأوصوه بالراحة ، ثم ذهب الى سويسرة فالريفييرا الفرنسية (كان) للإستراحة والنقاهة .

وكانت تعاوده نوبة ألم شديدة ، وكان سموه يصف هذا الألم بقوله إنه يشعر بشيء يدور على نفسه ، ثم ينتشر إلى جميع منطقة البطن !

فحصه أطباء باريس فلم يجدوا أثراً للقرحة .. وأخذوا صوراً للمرارة فقالوا انها سليمة .

وفي سنة (١٩٥٧) ، ذهب الفيصل إلى امريكا للعلاج ، وفحصوه فحصاً جديدا ، فلم يجدوا قرحة .. ولما فحصوا الصور التي أخذت للمرارة في باريس وجدوا فيها (حصيات) ، وقالوا إن الأعراض من هذه الحصيات الصفراوية ؛ ففتحوا البطن وأخرجوها ، ثم فحصوا المعدة باللمس فوجدوا فيها التصاقات تدل على وجود التهاب قديم في البيريتوان (التهاب الصفاق) ، وقدروا أنــه ناشيء عن أعراض تيفوئيد قديمة أو انفجار الزائدة ..
ونصحوا له بالاستراحة ..

وبعد شهر من العملية ، عاودته آلام أشد من الالآم الأولى ..

فاستحضروا له أطباء من بوستون وفيلادلفيا ونيويورك ، وعقدوا اجتماعا وفحصوه ، وقالوا إن معه (قرحة حادة) وتلزمها (المداخلة) حالاً ، أي القيام بعملية سريعة .

فتحوا البطن ، مرة ثانية ، فلم يجدوا في المعدة أية آثار صلابة تدل عــلى قرحة ، فاستحسنوا أن يجروا له عملية تفاغم (آنستوموز) أي ربــط المعدة بالإمعاء ، وذلك بفتح طريق من أسفل المعد ة إلى الأمعاء رأسا ، ..
— وهذه عملية قديمة لا تعمل الآن، وإنما يعمد في الحالات الضروريــة إلى استئصال المعدة —

وكانوا قد اكتشفوا بالاشعة من قبل انه يوجد فتق في الحجاب الحاجــز بحيث تخرج المعدة الى الصدر فتحدث آلاماً ..

وهكذا قرروا القيام أولا بعملية التفاغم وللتثبت من أنه لن يصاب فيمــا بعد بقرحة ، وزيادةفي الاحتياط ، رأوا أن يقوموا بعملية إضافية تعمل للمصابين بالقرحة ، وذلك بأن يقطعوا العصب الرئوي المعدي المسمى (العصب التائه) .

ذلك ان الأفكار والهموم ، من أهم أسباب القرحة ، لأن التنبه الدماغــي يؤثر على المعدة بواسطة (العصب التائه) ، فيكثر إفرازها وتحدث القرحــة ؛ وبقطع العصب يبطل تأثير الهموم على المعدة .. ومتى انتهت هــذه العمليــة المزدوجة ، واستراح المريض ، عمدوا الى اجراء عملية جديدة في الحجاب الحاجز ..

هنا طلب الأمير فيصل أن يقوموا بكل هذه العمليات مرة واحدة..

ولكنهم أجابوه ان عملية الحجاب الحاجز تجري من الصدر لا من البطن .. وهكذا قاموا بالعملية المقترحة ، وحاولوا القيام بعملية الفتق في الحجاب الحاجز لترميمه ، وعندما أدخل الجراح إصبعه ليرى الفتحة التي يمر فيها « المري » إلى المعدة ، وسعتها ، وكيفية ترميمها ، وجد ورماً عند الفتحة ملتصقاً بالمري ، فاندهش ، وقال : أنا أمام ورم ! ولا أدري ما هو هذا الورم ؟

فأخذوا قطعة وفحصوها ، فوجدوا أن الورم سليم وليس خبيثاً .. ! .

فقال الجراح : إذن نستأصله !

.. واستؤصل الورم الملتصق بالمري ، وأثناء الإستئصال انفتح المري ، فخاطوه وصغروا فتحة الباب الحاجز .

وبذلك اتضح لهم أن جميع الأعراض التي كان يشكو منها الأمير ، هي من هذا الورم ، الذي كان يضغط على الضفيرة العصبية الشمسية عندما يدور فيحدث كل تلك الالآم . !

.. تماماً كما وصفه الأمير !

..ولكنهم اكتشفوا ذلك بعد عمليات كلفته في صحته ثمناً غالياً .. ولو أنهم وفقوا الى اكتشاف هذا الورم من قبل وأزالوه ، لما احتاجوا الى عملية (التفاغم) ولا الى غيرها .. !

لقد بقي الأمير أكثر من سنتين ، بعد عملية التفاغم ، يشعر بهبوط في القوى وضيق النفس ، خلال ساعة بعد تناول كل طعام ،لأن عملية التفاغم بين المعدة والأمعاء تجعل الطعام يهبط رأساً إلى الأمعاء وتولد في نفس المريض شعوراً « بهبوط مفاجىء » يرافقه شيء من التعرّق وضيق النفس ..

وقد تحمّل الأمير كل ذلك بصبر عجيب ، وكنتيجة للعمليات التي أجريت له خطأً فأن الأمير يلتزم في طعامه نظام حمية منذ خمس وعشرين سنة :

يبدأ طعامه بلحم مشوي أو دجاج ، ثم أرز مع خضار مسلوقة بالزبدة ، ثم موزة أو تفاحة .

وقد أخذ منذ بعض الوقت يتناول أحيانا« مهلبية »أو (خشافاً)—« كونبوت»

الفصل الثاني

فيصل في الحجاز

أول مساهمة للفيصل في السياسة

في عام ١٣٤٢ هـ. كان جو الرياض مشحوناً بنذر حرب ..

كان السلطان عبد العزيز يواجه تحدياً خطيراً ، وهو تحدي شريف مكة ، الذي لم يشأ أن يحسب لعبد العزيز وشعبه حساباً ... مع أن معركة « تربة » كانت درساً وعبرة لمن أراد أن يعتبر !

كان الشريف حسين يمنع أهل نجد من الحج ..

وكان متمسكاً بما يراه حقاً له في « مناطق » يعدّها النجديون من بلادهم ..

وكان يعدّ العدة لبسط نفوذه وسيطرته على الجزيرة العربية كلها ، وقد أطلق على نفسه لقب : ملك العرب !

.. وكأنه وجد شيئاً من التشجيع « في قيام دولتين جديدتين تحت حكم ولديه : فيصل في العراق ، وعبد الله في الأردن ، فأعلن نفسه ، بعد إلغاء الخلافة في تركيا : خليفة المسلمين !

وكان يطمع في التفاف المسلمين في العالم حول خلافته ، وفي تأييد البريطانيين لزعامته ، ثم انضمام أمراء العرب ، ومنهم سلطان نجد ، تحت رايته !

وهكذا .. كان على عبد العزيز أن يواجه هذه الظروف كلها مجتمعة !

.. وقرر مجابهة الحسين ..

وقد نستطيع أن نلخص المجالات « الحساسة » التي تستوجب من عبد العزيز أن يتحرك فيها ، بثلاث كلمات :

١ — على الصعيد الإسلامي : لإفهام المسلمين نيات الحسين ونيات عبد العزيز ، وليقفوا في الصف الأسلم والأقوم .

٢ — على الصعيد الدولي : للتثبت من موقف البريطانيين ، وأنهم لن يقاوموا عبد العزيز بالسلاح ، ولن يساعدوا خصمه .

٣ — على الصعيد الداخلي : لإلهاب حماسة الشعب حتى يكون اشتراكه في المعارك بطولياً .

فيصل يوقع أول بيان سياسي

لم تكن في نجد يومئذ صحافة ولا وسائل « دعاية » منظمة ، ولذلك استعان عبد العزيز بابنه(فيصل)وبعدد من مستشاريه ورجاله المقربين ، لإفهام العالم الإسلامي مقاصده الشريفة ، والرد على ما ينشره الملك حسين وأعوانه في صحف العالمين العربي والإسلامي عن سلطان نجد ، لتشويه سمعته.

بدأ الأمير فيصل تجربته الأولى في السياسة العربية والإسلامية تحت جناح أبيه ، في هذا الظرف الدقيق ،فوضع أول بيان سياسي يصدر عن الرياض ، وكانت سنه يومئذ حوالي الثامنة عشرة .

أرسل فيصل البيان في اليوم العشرين من رجب عام ١٣٤٢هـ.إلى الصحف، وقد وصفته جريدة « المنار » بأنه : « أول بلاغ عام عن عاصمة نجد ، بإمضاء نجل سلطانها ، أرسل إلى أشهر الصحف في العالم الإسلامي » ، واعتبرته إعلاناً لخروج « حكومة نجد من عزلتها وتعرفها إلى العالم الإسلامي والشعوب العربية وإدلائها بدلوها في مسألة الخلافة » .

وهذا نص البيان :

(نشرت جريدة المقطم بتاريخ ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٢ — ٢٧ يناير ١٩٢٤ مقالا بعنوان حديث « ملك الحجاز » وقد اطلعنا في بعض الجرائد السورية والعراقية على أحاديث وتصريحات تكاد تتفق مع هذا الحديث .

إن هذه الأحاديث قد تضمنت أشياء عن سلطان نجد وموقفه في القضية العربية والإتحاد العربي تخالف الحقيقة والتاريخ وإننا لنأسف أن يتجرأ المسؤولون على الإختلاق على الأحياء.

لقد سعى سلطان نجد في الحرب العالمية وبعد الحرب العالمية لبناء الوحدة العربية فأرسل الكتب العديدة والرسل لابن الرشيد وملك الحجاز وأمير عسير وأمير الكويت ،ولكن ملك الحجاز من بين أمراء العرب قابل الدعوة بالإستهزاء بل سعى لنقض بنيانها بما كان يسعره من نيران الفتن والدسائس في عسير وغيرها وكتبه المرسلة منه إلى آل عائض والرشيد محفوظة لدينا ، وماذا

يقولون في الكتب التي أرسلها سلطان نجد مع مساعد بن سويلم إلى ملك الحجاز وأولاده ؟ تلك الكتب نشرت في الصحف في حينها .. وهي تنطق بما تنطوي عليه جوانح سلطان نجد ، وميله الشريف إلى التصافح مع جيرانه والإتحاد معهم ؟ هل علموا أن ملك الحجاز لم يسمح لأولاده بإجابة سلطان نجد ، وأنه (أي ملك الحجاز) قد تخطى حدود اللياقة بأن جعل جوابه لآل سعود كافة.. لا للجالس على عرش نجد ! هل هذه الأعمال مما يقرب زمن الإتحاد العربي ؟ وهل بمثل هذه السياسة تجتذب قلوب أمراء العرب ؟

يصرح ملك الحجاز أنه خاطب سلطان نجد بأنه مستعد للتنازل عن عرشه وتسليم زمام الأمر لمن يستطيع أن يقود العرب إلى طريق النجاة والسلامة ، وهذا أمر لا أساس له بالمرة بل الواقع يخالفه تمام المخالفة . نعم إن ملك الحجاز قد صرح أمام بعض الجماهير بمثل هذه التصريحات للتمويه على البسطاء .إن ملك الحجاز يحاول أن يتولى الزعامة غير المقيدة في جزيرة العرب كلها ، ليستذل أمراء العرب ويقتطع بلادهم ويتدخل في شؤونهم الداخلية ، وهذا ما لا يمكن أن يوافقه عليه أحد ، وإن مكاتبات ملك الحجاز إلى أهل القصيم وحثهم على نقض ولائهم لسلطانهم لدليل بيّن على ما يخفيه لسلطان نجد وبلاده .

إن تحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة وخرمة وعسير ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسعون إلا لشهواتهم ومصالحهم ولو أدى ذلك إلى هدم بناء العرب ولكننا نمسك عن نشرها الآن ، فإن سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها ، وهنالك يعلم العالم الإسلامي والعربي الجنايات والدسائس التي يقوم بها أولئك القوم الذين اتخذوا الصياح وقلب الحقائق ديدنا لهم ، وسيعلمون أي الفريقين يجني على أمته العربية ووحدتها وأيهم سبب هذا الإنقسام وألقى النفرة بين الأمراء وأشعل نيران الفتنة والحروب بينهم ، نعم سيعلمون أن سلطان نجد لم يكن في جميع مواقفه إلا مدافعاً عن نفسه وبلاده وشرفه ، وأنه كان ولا يزال راغباً من صميم فؤاده في إنشاء الوحدة العربية على أساس يجعل للعرب قوة ومكانة تليق بتاريخهم المجيد .

٢٠ رجب ١٣٤٢ فيصل بن عبد العزيز بن سعود

بيان فيصل الثاني

أتبع الفيصل بيانه الأول ، بعد مدة وجيزة ، بيانٍ ثانٍ ، قال فيـــه :

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وأنت خير الفاتحين)

منذ بضع سنين قام نفر من إخواننا يطالبون باستقلال العرب وينادون بوجوب اتحاد أمراء العرب فشكرنا سعيهم ، وحمدنا عملهم ، وسألنا الله أن يحسن قصدهم ويرشدهم إلى خير العرب .

عرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حداً لمطامع الأجانب مداخلتهم في بلاد العرب ، فأبوا إلا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير ويأخذوا على عاتقهم مسؤوليته ويحوزوا هم وحدهم فخر تحرير بلاد العرب ، فقلنا : أنجح الله استقلال العرب أياً كان المحرر والمنقذ !

ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده ، حتّى رأينا الإستقلال والتحرير وصايةً وانتداباً ، وحتّى رأينا شباب العرب وأحرارهم يقادون إلى السجون ويجلون عن بلادهم ويمنعون من الإقامة في ديارهم ، فهل الإستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولولا أن الحجاز يجرح شعور المسلمين احتلاله لرأينا الإنتداب قد ضرب عليه !

ظننا أن القوم بعد هذه الكوارث يفيقون من نومهم ويثوبون إلى رشدهم فيعتصمون بحبل الله المتين ويستعينون بإخوانهم لإنقاذ البلاد العربية وتحريرها من كل مغتصب . ولكن القوم ما زالوا في طغيانهم يعمهون ، ما حرك شعورهم احتلال بلاد العرب ، وما آلم نفوسهم ما يعانيه إخوانهم العرب ، ولكن استولى عليهم الهلع وفقدوا الراحة حينما رأوا جارتهم (نجد) قويـــة مستقلة لم تنفذ إليها مطامع المستعمرين فقاموا يناؤنها ويكدرون صفو راحتها ، فهل هذا هو التحرير ؟ وهل تعدّ هذه الأعمال من وسائل الإستقلال ؟

أيها الشعب العربي الكريم

إن (نجدا) قد حافظت على استقلالها في جاهليتها وإسلامها، ولم يدنس أرضها قدم أجنبي مغتصب، وستبقى محافظة على حقها إن شاء الله ما بقي في شعبها عرق ينبض.

إن (نجدا) تمدّ يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب.

إن (نجدا) ترحب بكل عربي أبي، وتعد أرضها وطناً لكل عربي سوري أو عراقي أو حجازي أو مصري.

إن (نجدا) لا تطمع في امتلاك أرض خارجة عن حدودها الطبيعية، ولكنها لا تقبل إلا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالا صحيحاً لا يكون لغير أبنائها سلطان عليها.

الخلافة

ليست الخلافة من الوظائف الروحية التي يقصد بها مجـرد التبرك ولكنها وظيفة سامية لجميع المسلمين حق النظر فيها، فليس لجماعة، أو شعب حق البت فيها بدون أخذ رأي باقي الشعوب الأخرى، ولذلك أنكرنا على الحسين عجلته واستبداده بأمور المسلمين.

إن أهل نجد يوافقون إخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الإسلامية تمثيلا صحيحاً، وهنالك يسند هذا المنصب إلى الكفء الذي يستطيع أن يصون حقوق المسلمين ويبعث فيهم روح الحياة والنشاط ويربطهم برباط الأخوة الذي كاد ينحل.

وهنا لا يسعني إلا أن أشكر إخواننا مسلمي الهند الداعين إلى الجهاد لاستقلال جزيرة العرب وحفظ الخلافة من عبث العابثين.

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة :

الرياض ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢ هـ.) فيصل بن عبدالعزيز السعود

الزحف الى الحجاز

اطمأن السلطان عبد العزيز، شيئاً من الإطمئنان، إلى سلامة موقفه على الصعيدين الإسلامي والدولي ورأى أن الوقت قد حان لتنوير شعبه واعداده للحرب دفاعاً عن الكرامة والحوزة، فجمع مؤتمراً من العلماء ورؤساء العشائر والأجناد في الرياض، برئاسة والده الإمام عبد الرحمن، وحضر، هو، هذا المؤتمر كأي واحد من المشتركين فيه ..

كان هذا المؤتمر، الذي أطلق عليه اسم «مؤتمر الشورى»، كما عرف أيضاً باسم مؤتمر الرياض، مظهراً من مظاهر الحياة «البارلمانية» غير الرسمية، لأن ممثلي الشعب البارزين هم الذين اجتمعوا ليقرروا سياسة الدولة العليا، ويختاروا بين الحرب أو الخضوع !

يقول بعض المؤلفين إن عبد العزيز كان في الحقيقة يملي رغباته على الحاضرين وإن كان، بحسب الظاهر، هو الذي يحقق للمجتمعين رغباتهم، وما ذلك إلا بفضل براعته في استدراجهم ودفعهم إلى الأهداف المنشودة !

ولا نحب هنا أن نجادل في هذا الرأي، لأن الأسلوب غير مستنكر، وهو يأتي في المحل الثاني من عنايتنا، وحسبنا أن غاية عبد العزيز كانت سعادة شعبه وعظمته، وقبل ذلك كله: خدمة دينه، وهو إنما يطبق قواعد السياسة الإسلامية

حين يستشير أهل الرأي من قومه بهذا الاسلوب الرشيد، الذي لا يتبعه حاكم مستبد برأيه، يفرض أهواءه على الناس من حالق !

اجتمع العلماء والرؤساء وشيوخ الإخوان وتذاكروا الموقف . وقرروا الزحف الى الحجاز ليؤدوا فيه فريضة الحج، شاء الحسين أم أبى، وبلغت بهم الحماسة مبلغاً لا يوصف.. ولكن عبد العزيز استطاع أن يحملهم على تأخير الزحف قليلا.. حتّى تتكامل الإستعدادات الحربية والسياسية لهذا العمل الكبير..

لم ينقض شهر وبعض الشهر على موسم الحج حتّى كان السلطان عبد العزيز قد اتخذ قراره بالزحف الى الحجاز

وقد مهّد لهذا الزحف بإرساله فرقاً من الإخوان الى حدود العراق والأردن حتّى يشغلهما عن مساعدة خصمه .

وكانت طليعة الزحف فرق من الإخوان تجمعت في (تربة) ، ثم سارت منها الى (الحوية) ، على حين غفلة من السلطات الحجازية، ثم تابعت سيرها إلى (الطائف) ، فاستولت عليها بعد معارك لم تدم أكثر من أسبوع ، ووقعت خلال اليوم الاول من دخول الإخوان إلى الطائف حوادث مؤسفة، كان لها في نفس السلطان عبد العزيز أثر جد أليم .

لا نريد أن نقص، هنا، قصة الحرب في الحجاز كاملة.. فموضعها في كتابنا عن الملك عبد العزيز ، وإنما نريد أن نذكر من أخبارها شيئاً يسيراً ، لصلتها بالفيصل .

يقول «ده غوري» إن السلطان عبد العزيز اختار ابنه الفيصل قائداً لكبر جيش نجد في حرب الحجاز، وطلب من ابنه سعود أن يبقى في الرياض ...

وقد اعتبر سعود ذلك إهانة له، فقال لأبيه: لقد علمتنا الصراحة .. فأنا أريد الإشتراك بالقتال، لأن مكاني في ميدان المعارك ولا أريد التخلف عنه في نجد !

وأدرك عبد العزيز أن سعود إنما حسد أخاه فيصل على القيادة، فعدل عن ذلك إشفاقاً عليه، واحتفظ لنفسه بقيادة الجيش كله .

خرج السلطان عبد العزيز من الرياض للإشراف عن كثب على حرب الحجاز ، وقطع للحجازيين عهداً ، قبل مسيره إليهم ، أن يتركهم أحراراً في اختيار حاكمهم ونوع الحكم الذي يرتضونه ، فليست غايته قهرهم ولا هدف له إلا تحريرهم ، ودعا المسلمين في أنحاء العالم إلى مؤتمر يتذاكرون فيه «الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية » ، وهكذا جعل السلطان مصير الحجاز مرهوناً بارادة أهله وبرغبات المسلمين المنتشرين في مشارق الأرض ومغاربها !

استولت قوات عبد العزيز على مكة بغير قتال ، لأن جنود الملك حسين استولى عليهم الرعب بعد هزيمة الطائف ، فدخل السلطان عبد العزيز عاصمة الإسلام والحجاز في ظل ممدود من الأمن والسلام ، وانحصرت مقاومة الحكومة الحجازية في بلدة جدة ، وأما المدينة ، التي أبت الاستسلام ، فلم يكن أمرها ذا بال لأن انقطاعها عن العالم كفيل باقناعها بعقم مقاومتها ، وإذا كانت تخاف على نفسها مصير الطائف فإنها ستفتح أبوابها لابن عبد العزيز ، راضية مختارة واثقة .

كانت هزائم الجيش الحجازي في الطائف وما بعدها منطلق تطورات خطيرة سريعة ، وأحداث سياسية مذهلة ، برهنت على ضعف التنظيم السياسي والحربي في حكومة الملك حسين ، فقد هبّ أهل الحجاز يطالبون الملك حسين بالتخلي عن العرش لولده (علي) ، فأبى ، ثم قبل مكرهاً ، وتولى (علي) الملك في هذا الشطر الصغير من الحجاز الذي تمثله منطقة (جدة (، وطلب الصلح على أساس جلاء السعوديين عن الحجاز..

ولكن السلطان أبى الصلح الا على أساس جلاء الأسرة المالكة عن الحجاز كله ..

وانتظار ما يقرره الحجازيون والعالم الاسلامي بأمر هذه البلاد المقدسة .

انصرف الملك علي خلال المفاوضات الى تحصين جدة ، وشحنها بمقاتلة استأجر بعضهم من سورية وفلسطين والأردن ، واشترى طائرتين أو ثلاثاً

بالغة الضعف ، وسيارات مصفحة مثلها ، واستطاع الصمود وحتى التهديد بالزحف الى مكة واسترجاعها ،مع ظهور ضعفه وعجزه ،وماذلك إلالأن السلطان عبد العزيز لم يكن راغباً في شن هجوم سريع على جدة ، حتى لا يعرض سلامة الأهلين والأجانب الى الأخطار ،وحتى لا يدع مجالاً لتدخل الأنكليز أوغيرهم وإثارة أزمة دولية تتهدد استقلال الحجاز ومكاسب النصر .

استدعاء فيصل للهجوم على جدة

مضى على محاصرة الجنود السعوديين لجدة عام تقريباً ، وكانت المعارك التي تدور بين الفريقين مجرد « مناوشات » ، وانتهز الأنكليز (بصفتهم الأوصياء على العراق والأردن)الفرصة فحلوا مشاكل الحدود بينهم وبين سلطان نجد ، وهكذا أصبح حيادهم مضمونا ، وبدت بعد ذلك دلائل كثيرة تشعر بانصرافهم عن تأييد الملك علي في جدة ، فرأى عبد العزيز أن الامر أصبح قاصرا عليه وعلى مقاتلة جدة ،فلا بد له من الهجوم عليها لارغامها على التسليم ، ولكنه أحب أن يكون هجومه مستجمعا لكل أسباب القوة ،خوفاً من تطورات جديدة ليست في الحسبان ، فأرسل الى ابنه الامير فيصل أن يحضر على رأس قوة من نجد، ولم يشأ أن يبدأ هجومه قبل وصول فيصل .

ويقول (ده غوري) إن السلطان عبد العزيز ندم على مسايرته لابنه سعود ، حين استبقى فيصل معه في الرياض ارضاءً له ، فكان من حصاد ذلك وقوع حوادث مؤسفة كحوادث الطائف ، كانت حكمة فيصل قادرة على تجنبها ، ومن هناك استدعاؤه فيصلاً للإشراف على حصار جدة ومهاجمتها .

وصول الامير فيصل الى الحجاز

(وصل مكة المكرمة صباح الثلاثاء ٨ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ. –١٩٢٥م. صاحب السمو السلطاني الأمير فيصل، نجل عظمة السلطان، وفي معيتـــه ألوية عديدة من الجيش النجدي، خيمت في أماكن متعددة حوالي مكة المكرمة.

وسمو الأمير شاب في مقتبل الشباب، لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر، طلق المحيا، يتقد نشاطاً وهمة.

ولقد سبق لسموه أن قام بسياحة في الديار الأوروبية بعد انتهاء الحرب العامة فزار لندن وبعض البلاد الأنكليزية، ثم سافر الى فرنسا وتجول فيها، وبعد عودته بمدة قليلة توجه بأمر من عظمة والده الى (أبها)، عاصمة عسير ففتحها الله له، وألحقت بالديار النجدية من ذلك التاريخ.

وقد حضر مواقع كثيرة مع إمارة حائل تكللت أعماله فيها بالظفر.

وسموه محبوب عند كل من تعرف به وعرف شمائله، فنرحب بمقدمه السعيد وطالعه الميمون).

كان هذا أول خبر تنشره الجريدة الرسمية: «أم القرى»، عن قدوم الأمير فيصل الى مكة، على رأس جيش من نجد.

ولم يتأخر سموه في مكة طويلاً، فقد كان مطالباً بالزحف إلى «جـــدة» مقر الملك علي وحكومته ومركز قيادة العمليات الحربية، فســـار إليها، ونزل أولاً في «الرغامة»، التي تبعد عن مكة حوالي (١٥) كيلو مترا، وفيها خزان ماء، وكان عمه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن معسكرا فيهـــا.

ثم تلقى أمراً من والده السلطان، بالتقدم الى الأمام، وعين لقوته مكان تخيم فيه، وطلب منها أن تكون (على قدم الإستعداد لتلبية الأوامر ..)

استلام الملك علي

لم يشأ القدر للأمير فيصل أن يخوض معارك دامية مع مقاتلة جدة، فقـــد استسلم الملك علي ولما يمض على وصول فيصل الى جبهة جدة أكثر من أسبوعين أو ثلاثة، فأقرّ السلطان عبد العزيز وثيقة الاستسلام ..

مبايعة عبد العزيز ملكاً على الحجاز

وفي اليوم الثامن من شهر جمادى الثانية ، دخل السلطان عبد العزيز بموكبه المهيب مدينة جدة ، ولم يكن فيصل معه ، ولما أقبل رجال السلك القنصلي لتهنئة عظمته ، وأحب بعضهم رؤية نجله الفيصل وتهنئته ، قال لهم السلطان كالمعتذر : لقد تأخر فيصل في المقر لبعض تدابير عسكرية .

الاستفتاء .. لا الفتح !

تخلى الملك (علي) عن حقه في ملكية الحجاز وسلمّ جدة ، بوثيقة « استسلام » وقعها في اليوم الأول من جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ.فأصبحت الحجاز كلها في قبضة السلطان عبد العزيز ، بحق الفتح وباعتراف صاحبها الشرعي الأول .

ولكن عبد العزيز لم يشأ أن يتمسك بهذا الحق فيجعله مصدر سلطته ، وبقي وفيا لوعده ، وهو أن يختار أهل الحجاز ، هم أنفسهم ، حاكمهم الذي يرتضونه.

وكان عبدالعزيز قدوعد أيضاًممثلي العالم الاسلامي أن يكون لهم رأي في مصير الحجاز ، ولكنهم تأخروا في تلبية النداء ، ولم يكن لهم رأي موحد ..

وكان على عبد العزيز أن يتخذ قرارا حاسما وسريعا ، ليقيم في الحجاز حكماً مستقراً ، قبل أن تفعل الدسائس الأجنبية فعلها ...

فلما جاءه الحجازيون يرفعون شعاراً انعقد الإجماع حوله ، وهو : (الحجاز للحجازيين). استجاب السلطان لرغباتهم ، مطبقاً المبدأ الانساني الذي أعلنه الرئيس « ويلسون » وهو : حق الشعوب في تقرير مصيرها .

قال أمين الريحاني :

(الحجاز للحجازيين : هي كلمة الجميع . ولا نظن أحداً في الحجاز يرغب في هيئة تحكمه مؤلفة من ممثلي الشعوب الإسلامية في العالم !

لذلك طلبوا من السلطان عبد العزيز ، بعد دخوله جدة ، أن تكون لهم الحرية ، تلك الحرية التي وعد بها العالم الاسلامي والحجاز ركن منه ، ليقرروا مصير البلاد ، بلادهم .. فأجاب السلطان الطلب .

« عندئذ تألفت في جدة لجنة من أعيانها عددها عشرون ، فسافروا الى مكة واجتمعوا هناك بلجنة من أهلها عددها ثلاثون .

.. وفي ٢٢ جمادى الثانية عقد أعضاء اللجنتين مجلسا قرروا فيه بإجماع الرأي مبايعة السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز ، واتفقوا على شروط البيعة ونصها .

.. وبعد صلاة الجمعة في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ (١٠ كانون الثاني ١٩٢٦) اجتمع الناس .. عند باب الصفاء من المسجد الحرام ، وجاء عظمة السلطان في موكبه .. وكان المشهد عربياً صافياً ، أي بسيطاً ديمقراطيا ، فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكرسي للخطيب ..

ثم اعتلى الخطيب الكرسي وبعد كلمة قصيرة،تلا صيغة البيعة، التي سبق للسلطان قبولها ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم .

(الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

نبايعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود على أن تكون ملكا على الحجاز ، على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح ، والأئمة الأربعة رحمم الله ، وأن يكون الحجاز للحجازيين ، وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه ، وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم .)

.. وتزاحم الناس بعد ذلك يبايعون السلطان .

ابلاغ البيعة الى الدول

وبعد انتهاء الملك عبد العزيز من تلقي مبايعة الجماهير ، أصدر بلاغـا رسميا ، نشرته جريدة (أم القرى) ، وأرسلت صور منه الى معتمدي الدول العربية والأجنبية في جدة ، وهذا نصه :

(بفضل الله وبنعمته ، قد أجمع أهل الحجاز وبايعونا بالملك على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين من بعده وتأسيس حكم شورى يكون فيه شأن الحجاز للحجازيين ، وقد استعنا بالله وتوكلنا عليه ، وقبلنـا هذه البيعة ، مستمدين التوفيق والمعونة من الله تعالى ، وقد أصبح لقبنا : (جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها) ،وسنقوم بتوطيد الأمن والراحة والرخاء وجلب السعادة والهناء لسكان هذه الديار ولجميع الوافدين من الحجاج والقصاد وسنعمل كل ما من شأنه أن يحقق رغائب العالم الإسلامي ويقرّ أعينهم في إدارة هذه البلاد المقدسة ، نسأله تعالى أن يعيننا على حمل أعباء هذا الأمر والله ولي التوفيق .)ـ ١ ـ

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتهـا

عبد العزيز

---

(١) يقول الشيخ حافظ وهبة إنه كتب من مصر إلى الملك عبد العزيز يستغرب إقدام جلالته على إعلان ملكيته على الحجاز ، قبل استشارة ممثلي البلاد الإسلامية في ذلك كما وعدهم .. فأجابه الملك بالبرقية الآتية :

(إعلان أهل الحجاز ملكيتنا على الحجاز صحيح .. أما العهود المتكررة منا للعالم الإسلامي فلم نخالفها ، وقد دعونا العالم الإسلامي دعوات عامة ودعوات خاصة متكررة ، فلم يصلنا جواب من أحد ، في تلبية دعوتنا ، ومع ذلك إننا على استعداد لقبول آراء العالم الإسلامي في كل شأن له مساس براحة الحجاج والزوار ورفاهيتهم وإجراء أعمال الخير في الحجاز .

أما السرعة في أمر النداء بملكيتنا على الحجاز ، فكنت أود من صميم قلبي أن لو تأخر ذلك ، لكن ألجأونا إلى ذلك مضطرين ، فإن أهل الحجاز قاموا قومة رجل واحد ، يلزموننا قبول البيعة ، بطلبنا منهم التريث إلى أن يجمع المسلمون أمرهم ، فأجابونا :

- إنك أعطيتنا الحرية في اختيار حاكم لنا ،وهذاحقلنا لايشاركنا فيه أحد ،ونحنلا نبغي لك بديلا.

ومع ذلك توقفت قليلا عن الجواب ، فبلغ أهل نجد توقفي ، فقامت قيامتهم علي ، وأعلنوني أن حربهم في الحجاز لم تكن إلا لحفظ استقلال الحجاز ومنع أي تدخل أجنبي فيه ، لتكون كلمة الله هي العليا .. الخ ..

فإزاء هذا الموقف الحرج ، الذي يتوقف عليه أمن الحجاز الحاضر واستقرار الأمر فيه ، لم جدبداً من قبول الدعوة ، فقبلت البيعة متوكلا على الله . وإنني لا أزال على عهدي من رعاية مـا المسلمين من الحقوق المشروعة في هذه الديار المقدسة .)

وهذه البرقية التي نشرها الشيخ حافظ في كتابه وظنها جواباً خاصاً به ، لم تكن سوى البلاغ الصادر عن الديوان الملكي .. كما يدرك ذلك كل من قرأ الصحف الصادرة في تلك الأيام !

رئيس الحكومة

دعا الملك عبد العزيز ، في مساء اليوم الذي بويع فيه ملكاً على الحجاز ، أصحاب الحل والعقد ، وألّفَ منهم « مجلساً تأسيسياً » ، وأوكل إليهم تقرير شكل الحكومة ، ووضع دستور للبلاد .

وكانت نية الملك واضحة جداً ، فهو لا يريد أن يضم الحجاز إلى ملكه في وحدة مركزية شاملة ، وإنما يريد أن يقيم بين الحجاز ونجد نوعاً من الإتحاد، يحفظ لكل من هذين الإقليمين « كيانه » الخاص ، ولما كان غير قادر على مباشرة الحكم بنفسه في كلا الإقليمين ، اختار ابنه الأمير فيصل ممثلاً له ونائباً عنه في رئاسة الحكومة في مكة .

وصدرت صحيفة « أم القرى » الرسمية تحمل هذا الخبر :

(أمر جلالة الملك ، أيده الله ، نجله سمو الأمير فيصل أن يتولى رئاسة الحكومة في مكة ، ريثما يتمّ ترتيب التشكيلات العامة ، وقد صدر أمره العالي بأن يكون مع سموه مجلس استشاري مؤلف من حضرات الأفاضل الشيخ حمزه الفعر والشيخ صالح الشطا والشيخ عبد العزيز العتيقي .

وقد استلم سموه زمام الأمور اعتباراً من صباح الأربعاء ٢٨ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ . — ١٣ يناير ١٩٢٦ م .) .

كان فيصل يومئذ في التاسعة عشرة من عمره ، ولكنه لم يكن فتى مغموراً وإنما كان فتى لامعاً ، نسجت المعارك التي خاضها مظفراً في عسير هالة بطولية حول اسمه وصنعت له أقواله وآراؤه وسلوكه في القوم وأخلاقه شهرةً حسنة ، ونستطيع القول إن شهرته في ذلك الوقت تجاوزت حدود نجد ، حتى طلب بعض السوريين من أبيه إرساله في رحلة إلى البلاد العربية ، ليرى أبناؤها فيه نموذجاً للفتى العربي العبقري الأصيل ، الذي يبشر بنهوض الجزيرة العربية من سباتها الطويل واستعدادها لأداء رسالتها التاريخية الكبرى .

اول خطاب رسمي للفيصل

جمع الفيصل الموظفين ، يوم توليه الحكم ، وألقى عليهم البيان التالي :
(الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد أيها السادة ، فإن والدي جلالة الملك أيده الله ، بعد المذاكرة مع المجلس التأسيسي قرر إنابتي عنه في هذا المحل ريثما تتم التشكيلات الجديدة لهذه الديار وقد أمرني بذلك فامتثلت أمره العالي طائعاً . وأنتم اليوم رجال الحكومة ، وموظفوها ، كلكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته ، وكل موظف مسؤول عن وظيفته ، فعلى كل واحدٍ منكم أن يبذل الجهد في ضبط أعماله وأشغاله طبق الصلاحية المعطاة له . وقد بلغني أن بعض الموظفين يتهاملون في وظائفهم ولا يبادرون لأعمالهم في الأوقات المعينة ، وذلك لا يليق بشرفهم ولا بشرف الوظائف التي يقومون بها ، ولا ينتظم الحال معهم ، وهذا أمر لا يمكن التساهل فيه ، فعلى كل رئيس دائرة أن يدقق النظر في دائرته وأن يخبرني بموضع كل خلل حتى أسعى في رتقه بأقرب وقت ممكن ، وأوصيكم بالتناصح والتساعد والتعاون والتعاضد ، لعل الله يأخذ بيدنا جميعاً لننهض بهذه الأمة من كبوتها ونسير بها في طريق التقدم الى الأمام ، وذلك لا يكون إلا بالاخلاص في العمل والترفع عن الدنايا والسفاسف كالغش والخيانة والرشوة وأشباهها .

إنكم تعلمون أن لأولياء الأمور حقوقاً على الرعية وللرعية حقوقاً ، فحقوق الرعية على الوالي بذل الجهد في راحة الرعية ورفاهيتها وإقامة ميزان العدل والمساواة بين الناس في الحق الذي يجب أن يستوي فيه الكبير والصغير والغني والفقير ، ومن حق ولي الأمر على الرعية السمع والطاعة والإنقياد للشرائع والنظامات التي تؤمر باتباعها . وليعلم الجميع أن القول يجب أن يتبعه الفعل وأن أكثر ما أكرهه هو الكذب الذي كرهه الله ورسوله ، وإني لا أكره أن أسمعه ولو من أحقر الناس فحاشا لله أن أرضاه لنفسي .

وإني أعلم بأن المحسن سيعرف له فضله فيجازى عليه ويعلم للمسيء أساءته فيجازى عليها ، وأسأل الله أن يأخذ بيدنا جميعا ويحفنا بعنايته ويوفقنا لما فيه خير البلاد والعباد ، ويهديني لما يحبه ويرضاه .) .



سمو الامير فيصل ، نائب الملك في الحجاز ويرى
بملابس حجازية ـ نجدية ٠

النائب العام للملك

في ٢١ صفر عام ١٣٤٥ هـ . — ١٣ أغسطس ١٩٢٦ م . أصدر الملك عبد العزيز « الدستور » أو « القانون الاساسي » ، الذي اشترك في وضعه وصياغته عدد من أهل الرأي في الحجاز ، وقد أطلق عليه ، في الجريدة الرسمية ، اسم متواضع ، هو :

« التعليمات الأساسية للملكة الحجازية »

ونستطيع القول إن هذا الدستور كان منطلقاً ، أو حافزاً ، لإقامة حكم نظامي في البلاد السعودية كلها ، لا في الحجاز وحدها .

وسنتحدث عن هذا الدستور في فصل آخر من الكتاب ، أفردناه لتطور الحكم في المملكة ، ولكننا نكتفي الآن بالإشارة إلى أن هذا النظام الجديد ، أعطى « الفيصل » لقباً رسمياً جديداً هو : النائب العام ، أي نائب الملك العام ، وأسمى السلطة التي يقوم عليها : « النيابة العامة » وجعلها المرجع العمومي لجميع الدوائر الحكومية وأقسام إداراتها ، سواء في الأمور الشرعية أم الداخلية أم المالية أم التعليمية ، ولكن الملك احتفظ لنفسه بالأمور العسكرية ، وبقسم من الأمور الخارجية ،وذلك أنه قسم الأمور الخارجية إلى أربع شعب وهي أولاً الأمور السياسية والحقوقية — وقد احتفظ بها لنفسه — وثانياً : الأمور الإدارية والقنصلية ، وهذه تركها لنائبه العام .

رئيس مجلس الشورى

وأنشأ الدستور فوق ذلك مجلساً لوضع المشاريع والأنظمة والنظر في طائفة غير قليلة من الأعمال الإدارية والمالية باسم « مجلس الشورى » . وقد جعل النائب العام رئيساً لهذا المجلس .

وبذلك أصبح الأمير فيصل نائباً عاماً للملك في الحجاز ورئيساً لمجلس الشورى ، ابتداء من شهر صفر عام ١٣٤٥ هـ . وآخر أغسطس عام ١٩٢٦ م .

وكان للأمير فيصل مجلس استشارى خاص، وكانت الاعمال تعرض على مجلس الشورى أولاً ثم على مجلس الأمير ، فيقع تطويل ، فتقرر توحيد المجلسين ، فكانا يجتمعان معاً للنظر في الأمور .

تنظيم جديد لمجلس الشورى

وفي عام ١٩٤٦ م . صدر نظام جديد لمجلس الشورى ، حددت فيه الاعمال التي ينظر فيها المجلس ، وهي :

- سن القوانين والانظمة .
- موازنات دوائر الحكومة والبلدية .
- الرخص للشروع في عمل مشاريع اقتصادية وعمرانية .
- الإمتيازات والمشاريع المالية والاقتصادية .
- نزع الملكية للمنافع العمومية .
- قرارات استخدام الموظفين الاجانب .
- العقود لشراء لوازم دوائر الحكومة ، فيماتتجاوز قيمته مئتي جنيه.
- الزيادات في موازنات الدوائر خلال العام ..

ويتألف مجلس الشورى من رئيس (وهو النائب العام) ، وثمانية أعضاء ، تختار الحكومة أربعة منهم بمعرفتها ، على أن يكون اثنان منهم من أهل نجد ، ويرشح أهل الفضل والخبرة عددا من الاسماء للحكومة ، فتختار منهم أربعة .

يحضر سموه جلسات المجلس ، بصفته رئيساً له ، ويلقي عند افتتاح الدورة الأولى السنوية للمجلس خطابا عاماً شاملا ، يتضمن كثيراً من التوجيهات القيمة ، وقد نبّه سموه منذ عام ١٣٤٨ ه على عظم مكانة المجلس وخطورة عمله ، فقال في إحدى خطبه : « إن هذا المجلس هو صاحب الصوت الأعلى ، وإن الحكومة تعتبره ممثلا لجميع الأمة ، ومهمته خطيرة ومسؤولياته كبيرة ، فقد أصبحت الأعمال الهامة وكل المعاملات الحكومية تعرض عليه وتنظر لديه » .

اللغة الفصحى — ولعل من أطرف الأمور وأدلها على تنوع اختصاصات مجلس الشورى .. أنه قرر مرة وجوب العناية باللغة العربية في الدوائر الرسمية ، فأصدر سمو الأمير فيصل ، لشدة تعلّقه بلغة القرآن وحرصه على تكريمها ، أمراً عاماً إلى كافة المصالح الحكومية يأمر فيه « بوجوب الإعتناء باللغة العربية ، وعلى الأخص في المكاتبات الرسمية التي تدور بين المصالح الحكومية ، مع المحافظة على الأساليب الفصيحة ، والإبتعاد عن غريب الألفاظ ، وذلك تكريماً للغة البلاد الرسمية المقدسة » .

الخطوات الأولى

بدأ الفيصل خطواته الأولى في حكم الحجاز ، بما عرف عنه من رزانة وحكمة ، ورغبة قوية في خدمة الشعب ، وكان الملك عبد العزيز يثق به ثقة تامة ، ولكن الفيصل كان شديد الحرص على اطلاع والده على كل كبيرة وصغيرة ، وما كان يفصل في مسألة من المسائل المهمة ، الا بتوجيه أبيه وأمره وهذه الخطة الحميدة زادت في ثقة والده به ورضائه عنه ، لأن الملك عبد العزيز كان يحب الاطلاع على كل شيء وتوجيه سياسة الدولة ، التي أنشأها بإيمانه وسيفه وجهده وعرقه ودمه !

في كل مجال ..

كان الأمير فيصل ، لتعدّد سلطاته ، ولرغبته الشديدة في العمل والإنتاج وخدمة الشعب ، يقوم بأعمال كثيرة في مجالات مختلفة جداً ...

وبفضل هذا التدريب الشامل ، المبكر ، اكتسب الفيصل معرفة تامة بكل صغيرة وكبيرة من شؤون الجهاز الإداري للدولة .

العنـاية بالتعليم — وكان سموه يولي التعليم عناية بالغة ، وقد أنشأ مديرية للتعليم واختار لها ، في أول الأمر ، عالماً جليلاً من الشام، وكان سموه يزور بنفسه المدارس ويتحدث إلى الأساتذة والتلاميذ ويخطب فيهم وينصح لهم ، وكان دائماً ينبه على ضرورة الجمع بين الأخلاق والعلم ، وكانت موارد البلاد يومئذ قليلة ، فكان سموه يتبرع من ماله الخاص بجوائز للطلاب !

المسائل الصحية — ومن الأمور التي كانت موضع عناية خاصة عند سموه : المسائل الصحية ، فكان يبذل أكرم جهده في توفير المعالجة للأهلين وإنشاء المستشفيات ، وجلب الأطباء من الخارج ، ولكن قلة موارد البلاد ، في تلك الأيام ، ما كانت تساعد على التوسع في الأعمال ، لذلك كنا نرى الأمير يبذل من ماله الخاص ، للمستشفيات ، كما كان يبذل للمدارس !

وقال سموه في خطبة له ، ألقاها في (المجلس الصحي العالي) : « ..الصحة سرّ القوة ، وهي طلبة كل نفس ، ولا هناء للعيش إلا بها .. وإننا نحمد الله تعالى على أن الصحة في الحجاز تخطو خطوات طيبة في سبيل التقدم » .

المـــاء – تعاني البلاد الحجازية منذ القديم نقصاً في المياه ، وقد رأى سموه مكافحة هذا النقص بالوسائل التي لم تكن البلاد قادرةً على تدارك أكثر منها ، وهي : الماكنات الحديثة لرفع المياه من الآبار ، فأمر بشراء عدد منها مـــن البلدان الأوروبية ، وجرت تجربتها « في أماكن مختلفة ، أسفرت عن نجاح تام ، كان له التأثير الحسن في نفوس المزارعين ، وحملهم على استخدام مثل هذه « الماكنات » ، في أملاكهم الخاصة .

وبفضل عناية سموه تمّ جر المياه بالمواسير إلى بيوت مكة ، ثم نفذ ذلك في غيرها من البلدان .

المشاريع العمرانيـــة – وأنشأ سموه لجنة لدراسة المشاريع العمرانية ، تستعين في عملها بالخبراء العرب والأجانب ، حتى تكون مشاريع الدولة مبنية على أسس علمية صحيحة،وكان سموه يوجه البلديات ويتتبع أعمالها.

المظالم – وقد دعا سموه أفراد الشعب الذين يرون من موظفي الدولة تقصيراً في واجباتهم نحوهم أن يشكوهم فوراً إلى مراجعهم ، وأذاع البلاغ الرسمي الآتي :

(ليكن معلوماً لدى الجمهور أن من له قضية في إحدى الدوائر عليه أن يطلب إنهاء قضيته من قبل المأمور المختص فإن لم ينه عمله حسب النظام أو تهاون في إنجازه فعلى المشتكي أن يرفع الأمر إلى رئيس ذلك المأمور فإن لم ينصفه هذا راجع النائب العام ثم جلالة الملك) .

وأنشأ سموه لجنة للتفتيش والإصلاح ، وطلب تقديم الشكاوى إليها ، ووضع في سراي الحكومة صندوقاً للشكايات !

ويقول مؤلف « الإمام العادل » ، بعد أن يذكر شيئاً من مظالم أمراء الحجاز في العهود السابقة ، إن الحجازيين وجدوا في الأمير فيصل (من الصفات والمميزات ما يتباين تماماً مع ما عهدوه في الأمراء السابقين :

نفس نبيلة متواضعة ، وأخلاق كريمة عالية ، وحسبه فخراً أنه لم يقابل أحداً قط بما يكره ، ولم يسمع عنه أنه ظلم أحداً أو أبغض إنساناً لشخصه وألحق الأذى به .

ويمتاز سموه عن سائر الأمراء بأن له نفساً تأبى أن تستقل بالحكم في أمر من الأمور وأن تبتّ في قضية بمجرد الرأي والهوى ، ولذلك فإنه يحيل جميع ما يعرض عليه ، إما إلى المحاكم الشرعية للحكم فيها بما أنزل الله ، أو إلى المجالس والهيئات الإدارية لتقرر فيها ما ترى فيه المصلحة العامة .

ومن أجل هذا ، أحبه الناس بقلوبهم والتفوا حوله بأرواحهم ، فلا يذكر قط إلا بالثناء والتبجيل .)

فتنة المحمل

ويمكننا القول إن الأشهر الأولى من حكومة فيصل في الحجاز لم يعكرها أي حادث ، اللهم إلا ما كان من فتنة « المحمل » المصري ، وكان الملك عبد العزيز في ذلك الوقت مقيما في الحجاز ، للحج والإشراف على أمور الحجاج ، من جهة ، ولاستكمال التنظيم الحكومي الذي وعد به الحجازيين من جهة ثانية.

وخلاصة الحادث أن العساكر المصرية أقبلت الى عرفات ، بموسيقاها النحاسية ، التي كان (الاخوان) النجديون يعدّونها بدعة كبيرة .. ويتشاءمون منها .. فحاولوا منع العساكر من استعمال الموسيقى لأنها تفسد على الإخوان ما كانوا فيه (من التكبير والتهليل وذكر الله عز وجل والتلبية والخشوع .

فما كان من قائد الحج المصري إلا أن أصدر أوامره بإطلاق النار على كل من يعترض سبيل المحمل ، فسقط عدد من الاخوان قتلى وجرحى ..

وكادت تقع بين المصريين والنجديين بسبب ذلك فتنة لا يعلم الا الله نتائجها الوخيمة ، ولكن (الفيصل) شعر بذلك وأخبر أباه ، ولم يشأ الملك أن يفتتح عهده في الحجاز بقتال مع المصريين يستغله الخصوم استغلالاً لئيماً ، فحافظ الجنود السعوديون على سلامة القائد ورجاله حتى أركبوهم البحر ووعادوا الى مصر سالمين ! ولعلهم ندموا على « بطولة » رخيصة ، لم يدفعوا ثمنها .. لأن ملكاً أقوى منهم كثيراً غمرهم بحلمه وصفحه وكرمه !

الزعامة الشعبية

كان الأمير فيصل ، حفياً بأمور الشعب ، بكثير من الإتصال بزعمائه ورجالاته ، ويزور الأحياء ويتحدث إلى أفراد الناس ، ويتنقل من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية ، ليتعرف إلى أفراد شعبه ويدرس عن كثب حاجاتهم ورغائبهم ، وقد وصفت لنا (أم القرى) ، الإستقبال الرسمي الذي جرى لسموه ، في مكة في عام توليه نيابة الملك ، بعد عودته من المدينة ، فقالت إن المدافع أطلقت عند وصوله ، ثم استعرض كوكبة الخيالة ، وكانت تمر بين يديه منادية منتسبة :

(خيال التوحيد ، أخو من طاع الله) !

ولكن سموه ما لبث أن ترك الموكب الرسمي وامتطى جواداً ، وراح « يطوف على الأحياء ، ويمكث عند كل واحد منها مدة من الزمن ، فيجذب إليه قلوب الناس ، بأحاديثه الممتعة ، وديمقراطيته المحببة ، وحسن قيامه بالمصالح العامة .

تقدير الشعب والعرب والاجانب للفيصل

أثبت فيصل ، منذ الأيام الأولى لتوليه مهام الحكم في الحجاز أن ثقة أبيه في مقدرته وكفاءته لمنصبه الرفيع الدقيق كانت في موضعها .

ويقول « فون ميكوش » إن ابن سعود لم يستطع منذ اللحظة الأولى سوق الحجاز ونجد بعصا واحدة ، (فأوجد حلاً وسطاً لحكم جزئي مملكته ، وجعل للحجاز كيانا خاصا للحكم يختلف اختلافاً كبيراً عما هو سائد في نجد ، ونصب نجله الثاني الأمير فيصلا نائب ملك في مكة ، واوكل إليه مقاليد الحجاز ، يحكمه بما اشتهر به من ذكاء وتمرّس بالحياة الحديثة وسعة في الصدر)

لباقة الحكماء

ويقول محمد شفيق مصطفى في كتيبه : « في قلب نجد والحجاز » :

(لما كان جلالة الملك عبد العزيز ، بحكم اضطراره لمباشرة شؤون نجد ولأنه في الواقع لا يريد أن يحصر همه في إدارة شؤون الحجاز ، فقد اقتضت حكمته أن يولي سمو الأمير فيصل ثاني أنجاله بمثابة نائب له في إدارة حكم الحجاز ، بعد أن آنس من تعلق الحجازيين بذاته ، وقد أصاب في ذلك كل الإصابة،إذا أظهر هذا الأمير الصغير السن حنكة الشيوخ ولباقة الحكماء ، فجمع القلوب حوله ، حتى أن ممثلي الدول الأجنبية الذين خالطوه بحكم مهامه الرسمية شهدوا له بحدة الذكاء ، وبعد النظر ، ورقة الجانب.)



صورة للفيصل في الشباب

الشعراء يصفون الفيصل

سبق (ابن بليهد) غيره من الشعراء إلى التبشير بمستقبل فيصل العظيم ، فقد وقف بين يدي السلطان عبد العزيز ، يوم وصول فيصل إلى مكة قادماً من نجد ، وخاطبه — وهو يشير إلى نجله فيصل — قائلاً :

(لنجلك السعد قبل اليوم مشهود وفي لواه أطيد العزّ معقود
وقد دعته المعالي، وهي صادقة: إصعد لما أسست آباؤك الصيد
لبّى لهـــا وترقـــى في أرومتها، إن الفتى لطلاب المجد مولود !

كوكب يحكي أباه !

ويقول الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوي في وصف الفيصل :

مـلأ الدنيـــا سنـــاه كوكب يحـــكي أبـــاه
لم يفـــز بالحب فينـــا قبله ، محضا ، سواه .

وله أيضا في وصف الفيصل :

شغف الحجاز وأهله حبـــا به فكأنما هو في القـــلوب مثال
كل يشير اليـــــه أو يدعو له الشيب والشبـــــان والاطفال
هو في فم الدنيا ابتسامة غبطة كالصبـح ، الا أنـــه رئبـــال
تخشى بوادره ويرهب بأســـه وتزينـــه الاخلاق والافعـــال
آمنـت فيـــك بعبقرية امـــة فسحت لها في مثلـــك الآجال
تجلو العروبة فيك رمز خلودها دهرا وتدرك شأوها الآمـــال.

وله ايضا :

قد بلونـــاك قائـــدا ووزيرا وأميـرا ونائبـــا وزعيمـــــا
فوجدناك حازمـــا وحكيمـــا وكريمـــا وعادلا ورحيمـــا
يحمل الشعب بين جنبيه حبا لك ما زال في القلوب صميما .

وقال علي أحمد باكثير :

اذا لــج في الاشكال أمــر ففيصل ، وقد حارت الافكار في الحل : فيصل !
يجيل قداح الـرأي في الخطب داجيا ، فيجلو دجاه من ســنا الرأي مشعل
تطالعــه عقبى الامــور بوجههــا فيعرفــه من دون مـا يتأمــل !
فتى ســاد في سن الحداثــة حاملا على نفسه في المجد ما ليس يحمل !
وما ناهز العشرين حتــى انتهى الى يديه زمام الامــر ، ما شاء يفعل .
يصرف في طول الحجــاز وعرضــه أوامر ، طبق العدل ، لا تتبــدل !
تراه رقيق الطبــع حتــى اذا انبرى الى الحرب ، يوم الروع ، فهو العميثل
فللبــدو منه بأســه وســماحه وللحضــر منه ظـرفه والتهــلل .
أمير الورى ، انهض بالجزيرة نهضة بسبق شعـوب الارض للعرب تـكفل
ولقن شباب العــرب منك بطولــة تعلمهــم أن يستقــلوا ويعتــلوا
الى الغــاية القصوى فقدهــم فأنما امامهم الهادي الى الرشــد فيصل .

ويقول الشاعر الشعبي ، ابراهيم الحيدان ، من قصيدة له :

(حلحيل ، حمال الحمــول الثقايل برايــه الى راجت عقول المغاليــل
للجود في مفــرق حجاجــه دلايل الى أدبرت هذي وهذي مقابيل) (١)

وما قيل من شعر في الامير فيصل ، خلال ولايته للحجاز ، لا يحصى كثرة ..

---

(١) انظر كتاب الاديب الشيخ عبدالله بن خميس في الشعر الشعبي ، ومعنى « الى راجت » .. اذا زاغت .. والعــامة في بعض البلدان النجدية تستعمل «الى» بدلا من «اذا» ..

الفصل الثالث

في ظل عبد العزيز

فيصل يتولى سياسة البلاد الخارجية

ويتقلد اعلى المناصب واجلها

مواقِفُ فيصَل

وزير الخارجية

في ٢٨ رجب من عام ١٣٤٩ هـ (١٩ ديسمبر ١٩٣٠ م) نشرت جريدة (أم القرى) الخبر الرسمي الآتي :

(صدر الأمر الملكي بتحويل اسم مديرية الشؤون الخارجية الى وزارة الخارجية ، وباسناد منصب الوزارة المذكورة الى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ، النائب العام لجلالة الملك ، علاوة على النيابة العامة) .

وبذلك أصبح سمو الأمير فيصل أول وزير للخارجية في المملكة ، وقد احتفظ الفيصل بهذا المنصب ، ولم يتخل عنه قط ، إلا في الفترات القليلة التي اضطر فيها الى مغادرة الحكم في عهد أخيه الملك السابق سعود .

وبحكم هذا المنصب ، لم تعد سلطة الأمير فيصل قاصرة على الحجاز ، وانما أصبح يدير ، تحت زعامة أبيه العليا وبتوجيهه ، السياسة الخارجية للبلاد كلها : الحجاز ، ونجد وملحقاتها .

ولعل انشاء هذا المنصب من التمهيدات — أو العلامات — لقرب اليوم الذي تتوحد فية أجزاء المملكة في سياستها الداخلية ايضاً ، وهذا ما سيقع ، فعلاً ، بعد مدة قصيرة !

لا نريد أن نستعرض الأعمال التي تمت على يد الفيصل ، بوصفه وزيراً للخارجية ، فهي كثيرة جداً ، وسنعالج ابرزها في فصول متفرقةمن هذا الكتاب ، ولكننا نلفت النظر إلى أن تولي الفيصل لوزارة الخارجية ، منذ عام **١٩٣٠** حتى اليوم ، قد أضفى على سياسة البلاد الخارجية صفات الإستقرار والدوام ، واليقظة والحكمة ، ففيصل لا يصدر في أعماله عن « انفعالات » عابرة...



سمو الأمير فيصل ، وزير الخارجية، وإلى يساره (فؤاد حمزه) ، وكيله .

رئيس مجلس الوكلاء

وزير الداخلية

وفي ٧ رمضان ١٣٥٠ هـ . ١٩٣٢ م . أصدر الملك عبد العزيز نظاماً عرف باسم « نظام الوكلاء » ، وهو محاولة ثانية لتنظيم الحكومة ، قبل توحيد البلاد باسم « المملكة العربية السعودية » ، واستناداً إلى هذا النظام ، صدرت الإرادة الملكية بتعيين الأمير فيصل رئيساً لمجلس الوكلاء ، وألحقت به الجهات الآتية : الديوان الملكي ، الخارجية ، المالية ، العسكرية ، الشورى ، الداخلية ، رئاسة القضاة ، أمراء الملحقات .

كان مجلس الوكلاء يتألف من الرئيس ووكلاء الخارجية والماليةوالشورى. ولا نعرف على التحقيق سلطة هذا المجلس ، وأغلب الظن أنه لا يملك أية صلاحية خاصة ، اللهم إلا .. المشورة ، وأما السلطة الحقيقية فكانت للملك ولرئيس المجلس ، وكان الرئيس،بحكم وظيفته ،ينوب عن الملك ، خلال غيابه عن مكة ويمارس سلطاته .

وقد أصبح الأمير فيصل ، أيضاً، وزيراًللداخلية ، وكانت تتبعه بهذه الصفة الدوائر الآتية : « الصحة ، المعارف ، البريد والبرق ، الكورتينات ، الشرطة ، البلديات » .

وتقول المادة (٢١) من نظام مجلس الوكلاء :

(ستصبح المعاملات التي تصدر بتوقيع سمو الأمير على أقسام وهي :

١ — الأوراق التي تصدر حينما يكون سموه متقلدا لوظيفة النائب العام لجلالة الملك في أثناء غياب جلالته ، وهذه توقع هكذا : النائب العام لجلالة الملك .

٢ — الأوراق التي تصدر حينما يكون جلالة الملك حاضراً ويكون سمو الأمير رئيساً لمجلس الوكلاء فقط وهذه توقع : رئيس مجلس الوكلاء.

٣ — .. من وزير الداخلية ، وهذه توقع : وزير الداخلية .

٤ — .. من وزير الخارجية ، وهذه توقع : وزير الخارجية .)

مواقف فيصل

في خدمة الحرية والوحدة والسلامة الوطنية

لم يكن عمل الفيصل ، خلال قيامه بأعباء الحكم في الحجاز نائباً عن أبيه الملك عبد العزيز ، قاصراً على منطقة الحجاز وحدها ، وإنما كان يعمل للبلاد السعودية كلها ، حجازها ونجدها وملحقاته .

لا نقول هذا ، لمجرد أن الملك عبد العزيز اختار الفيصل عام ١٩٣٠ م . وزيراً للخارجية ، فأضاف إليه بذلك ، رسمياً ، منصباً جديداً يخوّله العمل باسم المملكة ، على الصعيد الدولي الخارجي ، وإنما نقوله تقريراً لحقيقة ثابتة ، وهي أن الفيصل كان ساعد أبيه الأيمن وأخلص مستشاريه وأنبههم ، ومن هناك مشاركته في كل الأحداث البارزة التي تمت في عهد أبيه .

ومن أبرز الأعمال التي قام بها الأمير فيصل ، في أوائل ولايته للحكم في الحجاز ، مشاركته في ثلاثة أمور عظيمة القدر ، جليلة الخطر في حياة البلاد ، وهي :

١ ـ تحرير سيادة البلاد الخارجية من شبهة الإرتباط بالسياسة الإنكليزية .

٢ ـ توحيد البلاد .

٣ ـ قيادته الرائعة للجيوش في معارك تهامة واليمن .

وسنتحدث الآن عن هذه الأعمال .. ثم نتبعها ببعض رحلاته وأعماله الأخرى كوزير للخارجية .

أما القضايا المستمرة كقضية فلسطين وقضية البريمي ، فقد آثرنا بحثها في الفصول التي أفردناها للسياسة الخارجية والقضايا العربية ، لأنها كثيرة المراحل والصفحات ، ساهم فيها الفيصل في حياة والده وبعده .

معاهدة جدّة

كان عبد العزيز ، بعد استيلائه على الأحساء ، المطلة على الخليج ، بين نارين :

نار الإنكليز ، الذين يبسطون سلطانهم على امارات الخليج ، ولا يرتاحون الى قيام دولة عربية مستقلة في جوارهم ..

ونار الترك الذين انتزع منهم عبد العزيز الأحساء وطرد حامياتهم منها وضمها إلى نجد ، فهم يعدونه الآن عدواً لهم ويتربصون به الدوائر للهجوم عليه ، من البحر والبر ، بمعونة خصمه اللدود : (ابن رشيد) .

كان عبد العزيز بطلاً شجاعا ، ولكنه كان عاقلا داهية ، يزن قوته بميزان صحيح ويقدر الظروف قدرها ، وقد أدرك انه لا يستطيع مجابهة الترك والإنكليز معاً ، وأنه مدعو إلى التفاهم مع أحد الفريقين ، فآثر الإنكليز لأنهم ، في اعتقاده،لا يطمعون ببلاده ولا يريدون منه أكثر من مسالمتهم، بينما يريد الترك خضوعه إليهم ودفعه الضرائب والرسوم إلى خزانتهم ، مع تقسيم بلاده لإضعافها ..

كانت الحرب العامة على أشدها ، وليست الحرب كالسلم ، وكان على عبد العزيز أن يحمي نفسه من عدوان منتظر ، فاتصل بالبريطانيين وطلب منهم تعهداً بمساعدته في الدفاع عن بلاده ضد الترك ، كما يدافعون عن سائر إمارات الخليج ، فقبلوا بعد مطل ، ، ولكنهم اشترطوا عليه شروطاً لقاء اعترافهم بسلطانه والتزامهم بموءازرته ، ضد أعدائه ، وهذه الشروط تتلخص بما يأتي :

أولاً – لا يدخل ابن سعود في اتفاق أو مفاوضة مع أية دولة أجنبية ، ويبلغ البريطانيين كل محاولة تقوم بها دولة أجنبية للتدخل في أمور بلاده

ثانياً – لا يمنح ابن سعود اي امتياز في بلاده إلا برضى الحكومة البريطانية .

ثالثا – يمتنع ابن سعود عن الإعتداء على الأقطار الواقعة تحت حماية بريطانيا أو المرتبطة بها بروابط عهدية ، كقطر والكويت وعمان ..

قبل عبد العزيز هذه الشروط ، ووقع مع المندوب البريطاني اتفاقاً يسميه أكثر الإنكليز : اتفاق دارين ، ويسميه بعض العرب : (اتفاقية العقير) .

معاهدة العقير

كانت هذه الإتفاقية شبه « وصاية » انكليزية على السياسة الخارجية لنجد ، ولكن عبد العزيز لم يكن ليشعر كثيراً بوطأتها ، لأنه لم يفكر في ذلك الوقت لا بالتعاقد مع دول أجنبية ، ولا بمنحها امتيازات في بلاده – ولم يكن أحد يعرف يومئذ أن في جوف الإحساء كنزا يدعى .. البترول .

غير أن هذه الحالة تبدلت تماماً ، ، بعد استيلاء عبد العزيز على الحجاز ، واتساع ملكه ودخوله في صلات جديدة مع دول الغرب والشرق ، واعتراف هذه الدول بملكيته على الحجاز وتأييدها لاستقلاله .

وفوق هذا أخذ بعض الناس يتساءلون : ألا يخشى أن تمتد أحكام معاهدة العقير الى الحجاز أيضاً ، بعد إعلان عبد العزيز ملكاً عليها .

لم يكن هذا التساؤل في محله . ولكن عبد العزيز لم يكن يحتاج إلى من يذكره بضرورة التخلص من معاهدة العقير ، فاتصل بالإنكليز ، ودعاهم إلى التفاوض لابدال معاهدة العقير بمعاهدة أخرى ، على مستوى الظروف الجديدة ، لأنه لا يحب أن يعلن إبطالها من جانبه وحده ، حفاظاً على قديم صداقته لبريطانيا.

واستجاب الإنكليز لرغبة الملك عبد العزيز ، وانتدبوا لمفاوضته الجنرال كلايتون ، وقد وصل جدة في مايو ١٩٢٧

وانتدب الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل لتمثيله ، «مندوباً ومفوضا عنه» ، في المباحثات مع الجانب الانكليزي

لم تستغرق المفاوضات وقتا طويلا ، واستطاع الفيصل أن يحقق فيها أغراض أبيه ، وهي :

اولا – إعتراف بريطانيا باستقلاله التام
ثانيا – إبطال معاهدة العقير
ثالثا – قبول بريطانيا بتصدير الأسلحة الى المملكة

وفي يوم ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥ هـ. (٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م.)، سجل فيصل وكلايتون اتفاقهما في وثيقة رسمية أسمياها : (معاهدة جدة).

وما كان أسعد الأمير فيصل في ذلك اليوم !

.. وما كان اعظم سرور والده وهو يتقبل منه تلك الوثيقة الظافرة التي حررت البلاد من شبهة النفوذ الإنكليزي وكانت – كما وصفتها إحدى الصحف الصادرة في تلك الأيام ، وهي على حق :
أول معاهدة تعقدها دولة عربية مع الغرب ، على أساس المساواة .

لقد سقطت معاهدة العقير .. برضاء أصحابها !
.. وعاشت معاهدة جدة !
.. وعاشت السيادة الكاملة !

ابرز المواد

إن ابرز ما في هذه المعاهدة : موادها الأولى والسابعة والثامنة .

فالمادة الأولى تقول :
(يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لحضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) .

والمادة السابعة تنص على أن مدة المعاهدة سبع سنوات .
والمادة الثامنة تعلن الغاء معاهدة العقير ، وهذا نصها :
(تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ديسمبر سنة ١٩١٥ م . يوم كان جلالته حاكما على نجد وما كان ملحقا بها اذ ذاك ، ملغاة ابتداء من تاريخ ابرام هذه المعاهدة.)

نص معاهدة جدة

إن جلالة ملك بريطانيا وارلندا والممتلكات البريطانية وراء البحار
وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها
رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهماوتوثيقها الخ..
اتفق الأمير فيصل بن عبد العزيز والسير جلبرت كلايتن على المواد الآتية :

المادة الأولى — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لحضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

المادة الثانية — يسود سلم وصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، ويتعهد كل من الطرفين أن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة المحرجة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر .

المادة الثالثة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية اسوة بسائر الحجاج . ويعني جلالة الملك بان يكونوا آمنين على أموالهم وانفسهم في اثناء اقامتهم في الحجاز .

المادة الرابعة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفا والذين ليس لهم في بلاد جلالته اوصياء شرعيون الى المعتمد البريطاني في جدة او من ينتدبه لذلك الغرض لايصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط الا يكون تسليم تلك المخلفات الى الممثل البريطاني ، الا بعد ان تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة وتستوفي عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية النجدية .

المادة الخامسة — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية

لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية او البلاد المشمولة بحماية جلالته ، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية. ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها على أن تراعى قواعـــد القانون الدولي المراعى بين الحكومات المستقلة .

المادة السادسة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بان يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في سبيل القضاء على الاتجار بالرقيق .

المادة السابعة — على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام بأقرب وقت ، وتصير نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل الإبرام .

ويعمل بها لمدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ وان لم يعلن احد الفريقين المعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة اشهر انه يريد ابطال المعاهدة تبقى نافذة المفعول ، ولا تعتبر باطلة الا بعد مضي ستة اشهر من اليوم الذي يعلن فيه أحد الفريقين الفريق الآخر ابطالها .

المادة الثامنة — تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ديسمبر سنة ١٩١٥ يوم كان جلالته حاكما على نجد وما كان ملحقا بها اذ ذاك ملغاة ، ابتداء من تاريخ ابرام هذه المعاهدة .

المادة التاسعة — معدلة — دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية وللنصين قيمة واحدة .

المادة العاشرة — تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة .

وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

جلبرت فلكنجهام كلايتن — فيصل بن عبد العزيز السعود

الخطوة الاولى

توحيد البلاد

شهدت سنة ١٣٤٥هـ أحداثاً كبيرة ففي أوائلها صدر دستور المملكة الحجازية، ثم عقدت معاهدة مكة وبها تم وضع عسير الأدارسة تحت حمـــاية الملك.

وفي أول النصف الثاني من عام ١٣٤٥هـ. تم أمر آخر، هو إبدال اسم سلطان نجد، بملك نجد .. فأصبح لقبه ملك الحجاز ونجد وملحقاتها »، وتلك خطوة جديدة في طريق الوحدة المنشودة، احتفل بها الشعب، وألقى الأمير فيصل، بهذه المناسبة السعيدة، الخطاب الآتي :

« إن الحمد لله، نحمده ونشكره ونصلي ونسلم على أفضل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم كما أوليتنا نعماً فألهمنا شكراً. وبعد، فبنعمة الله وفضله، لما وصل مولاي جلالة الملك الوالد المعظم عاصمة الديار النجدية وملحقاتها، أقبلت الوفود من سائر جهات الرياض، وعقدت إجتماعاً حافلاً برآسة مولاي الجد الجليل الإمام عبد الرحمن، وقررت في ذلك الجمع الحافل جعل السلطنة النجدية وملحقاتها مملكة باسم « المملكة النجدية وملحقاتها » رفعاً لشأن بلادها ووضعاً لها في مصاف الدول والممالك، لتأخذ في صفها مركزها اللائق بها وبتاريخ الأمة العربية الإسلامية التي هي جزء منها، وقد نادى الجميع بجلالة مولاي الوالد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملكاً عليها ورفع المجتمعون قرارهم هذا لجلالته فلبى طلبهم وأصدر أمره العالي الملكي بما هو آت :

« بناء على ما عرضه علينا أهل الحل والعقد من رعايانا في سلطنة نجد وملحقاتها قد أمرنا أن تكون السلطنة النجدية وملحقاتها : « المملكة النجدية وملحقاتها » وان يكون لقبنا من الآن فصاعدا : « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » ونسأل الله التوفيق والعون على القيام بأعباء العمل انه خير معين :

٢٥ رجب سنة (١٣٤٥ هـ.)

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

عبد العزيز .

الخطوة الثانية الحاسمة

توحيد البلاد باسم :

المملكة العربية السعودية

من الأحداث العظيمة في تاريخ المملكة ، التي حققها الملك عبد العزيز ، وكان لفيصل شرف المشاركة فيها ، : توحيد اقليمي (الحجاز) و (نجد وملحقاتها) ، اللذين كانا يخضعان لنظامين مختلفين ، وتسميتهما باسم جديد تغيب فيه الأسماء الجغرافية ، ومن ورائها العنعنات الإقليمية .

لم ترض فئة صغيرة من الحجازيين عن اتحاد الحجاز ونجد في ظل الملك عبد العزيز ،فدعوا الى فصل الحجاز عن نجد واقامة حكم حجازي مستقل ، وكانت تأتيهم التحريضات والتوجيهات والمعونات المالية من الخارج ..

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٥١ هـ . — ٣ تموز من عام ١٩٣١ م .) اتخذت هذه الحركة مظهر العنف ، فأعلن حامد بن رفادة ، شيخ قبيلة (بلي) الحجازية ، الثورة بل (العصيان) ، وراح رجاله يعبثون في الأرض فسادا .. ولكن الملك عبد العزيز قضى على فتنة ابن رفادة في سهولة ويسر .

ورأى الحجازيون ، الذين نعمت بلادهم بالأمن والعدل ، وأطل عليهم عهد جديد من القوة والرخاء،أن هذه الحركات ، سواء أكان أصحابها مأجورين أم مخلصين ولكنهم مضللون ، سوف تكون وخيمة العواقب على سلامة الوطن ومنعته ونهضته ، ان لم يبادر إلى معالجتها معالجة جذرية حاسمة ، فتنادوا الى الاجتماع للتذاكر في الموقف وعلاجه ، وقد وجد أصحاب الرأي فيهم أن بقاء كل من الحجاز ونجد متمتعا بنظام خاص ، ولقب خاص ، من شأنه أن

يستديم النزعات الإقليمية الأنانية الضارة، فاقترحوا توحيد البلاد في أنظمتها، وفي اسمها بحيث يكون لها اسم واحد يظهر وحدة الوطن، كما اقترحوا أن يوضع نظام لتوارث العرش ضمانا للاستقرار واستبعادا للتنافس على الملك.(١)

وتقدم المواطنون بمذكرات في هذا المعنى الى الملك عبد العزيز، يطلبون فيها توحيد البلاد وتسميتها باسم: (المملكة العربية السعودية)، فاستجاب جلالته لطلبهم، وأصدر الأمر الملكي ذا الرقم (٢٧١٦). في اليوم السابع عشر من شهر جمادي الأولى عام ١٣٥١ هـ — ١٨ سبتمبر عام ١٩٣٢ م. وقد نشر في الجريدة الرسمية، وكان يحمل توقيعين:

١ — توقيع الملك عبد العزيز

٢ — توقيع الأمير فيصل: «بأمر الملك»، وهي الصيغة المألوفة في البلاد البارلمانية، حيث يوقع رئيس الوزراء عبارة «بأمر الملك».. التي تعني أنه يتحمل المسؤولية السياسية للمرسوم أو النظام.

وهذا نص الأمر الملكي التاريخي:

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الاعتماد على الله،

وبناء على ما رفع الينا من كافة رعايانا في مملكتي الحجاز ونجد وملحقاتها، ونزولا على رغبات الرأي العام في بلادنا، وحباً في توحيد أجزاء هذه المملكة العربية، أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى — يحول اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها الى اسم:

---

(١) نشرت «أم القرى» في العدد ٤٠٦ الجمعة ٢٢ جمادي الاولى ١٣٥١ هـ. = ٢٣ سبتمبر ١٩٣٢ م. الامر الملكي رقم (٢٧١٦)، ومهدت له بقولها:

(ان الحوادث الاخيرة التي حدثت على الحدود الشمالية، والتي ظهر فيها تضامن الشعب الحجازي والشعب النجدي بأجلى معانيه، فقاموا جميعا قيام رجل واحد عن حمى اوطانهم والذود عن حوضهم. الخ ...

تلك الحوادث نبهت أهل الحجاز ونجد وشحذت همتهم وجعلتهم يفكرون في كل طريق يؤدي الى خيرهم ونفعهم .. وقد عقدوا الاجتماعات وارسلوا البرقيات والالتماسات الى جلالة الملك.)

المملكة العربية السعودية

ويصبح لقبنا بعد الان : « ملك المملكة العربية السعودية»

المادة الثانية — يجري مفعول هذا التحويل من تاريخ إعلانه .
المادة الثالثة — لا يكون لهذا التحويل أي تأثير على المعاهدات والاتفاقات والإلتزامات .
المادة الرابعة — سائر النظامات والتعليمات والأوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل
المادة الخامسة — تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة ، سواء في الحجاز أو في نجد وملحقاتها ، على حاله الحاضر موقتاً الى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد .
المادة السادسة — على مجلس وكلائنا أن يضم الى أعضاء الوكلاء أي فرد او أفراد من ذوي الرأي حين ضع الأنظمة السالفة أذكر للإستفادة من آرائهم والإستنارة بمعلوماتهم .
المادة السابعة — إننا نختار يوم الخميس في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ ، الموافق لليوم الأول من الميزان يوماً لإعلان توحيد المملكة العربية .

ونسأل الله التوفيق .

صدر في مقرنا في الرياض

هذا اليوم السابع عشر من شهر جمادي الأولى سنة ١٣٥١ :

التوقيع — عبد العزيز

بأمر جلالة الملك : نائب جلالته فيصل .

الحرية والوحدة

وهكذا نجد توقيع فيصل مقترناً بتوقيع أبيه في حدثين عظيمين جداً في تاريخ البلاد : الأول : معاهدة جدة ، التي حررت المملكة من قيود معاهدة العقير ، والثاني هو هذا الأمر الملكي الذي وحد البلاد !

ولولا عبقرية الفيصل وسياسته الرشيدة ، وحسن قيامه بأمانة والده ، لما تنادى الحجازيون بكل هذه الحماسة الى تأييد الوحدة .

قيمة هذا الأمر الملكي

إن هذا الأمر الملكي التاريخي الخطير — الذي نقلنا نصه عن (أم القرى) وما زلنا نتعجب من إهمال كثرة المؤلفين له — وثيقة تاريخية بالغة الخطر، عظيمة القدر، بل يكاد يكون «شهادة ولادة» المملكة، في شكلها الحديث، على الأقل !

قد يقال: إن المملكة كانت قائمةً من قبل، ولم يزد هذا الأمر الملكي على أن أعطاها اسما جديدا، فهو تغيير اسم، وليس تغييراً في الأصول وفي الأعماق.

وفي اعتقادنا: أن هذا الأمر الملكي أخطر من ذلك كثيراً، فهو لم يغير اسم المملكة وحده، وإنما غير صفتها أيضاً، فقد كان كل من نجد والحجاز مملكة مستقلة، (وان كان «شخص» عبد العزيز يجمعها ويشد بعضها إلى بغض) فجاء هذا الأمر التاريخي يقيم الرابطة «الوطنية» مقام الرابطة «الشخصية»، ويجمع البلاد في دولة موحدة، لا اتحادية، وينشيء حكومة نظامية حديثة، ويعطي البلاد اسما جديدا، تختفي منه النزعات الإقليمية، وبذلك يختتم مراحل تكوين المملكة من الداخل، ولكنه لا يمنع من توسعها في المستقبل، مع احتفاظها بنفس الاسم، لأنه ليس اسماً إقليمياً أو «جغرافيا» لمنطقة محدودة.

لم تغب عن الناس قيمة هذا الأمر الملكي، وزادهم تقديراً له أنه جاء بعد حركات و «محاولات» قام بها عدد من طلاب الزعامات ومحبي الظهور والعملاء والمأجورين، الذين كانوا يجدون في استبقاء الأوضاع والأسماء الإقليمية ما يستعينون به على تبرير حركاتهم، فلما صدر الأمر الملكي، معلناً توحيد البلاد في ظل نظام واحد وباسم واحد، لم يبق للنعرات الإقليمية والعصبيات المحلية أي موضع، فالوطن واحد، وهو للجميع !

لذلك استقبل الناس الأمر الملكي ، الذي أعلن وحدة المملكة ، بالفرح والغبطة ، وسارعوا إلى الإحتفال به في كل مدينة وقرية ، وتباشروا به ، وتبادلوا التهاني .

وفي مكة المكرمة ، أقيم احتفال كبير ، في دار الحكومة ، ألقى فيه سمو الأمير فيصل ، نائب المملكة ، خطاباً بدأه بقوله :

((لا أستطيع أن أعبر لكم عما يخالجني من السرور في هذا اليوم ، الذي منّ الله به على هذه الأمة المسلمة ، بتوحيدها ضمن مملكة واحدة وزوال جميع الفوارق بين أبنائها ...)

ثم شكر للجماهير ، باسم أبيه الملك ، غيرتها وإخلاصها ، وتلا الأمر الملكي ، بينما كانت المدفعية تطلق مئة طلقة تحية لهذا اليوم المجيد .

اليوم الوطني

.. وفي عام ١٩٦٥ م. بعد مبايعة (فيصل) بالملك ، لم يشأ أن يكون يوم جلوسه على العرش عيداً وطنياً ، وأمر بأن يكون يوم توحيد البلاد وتسميتها باسم : « المملكة العربية السعودية » ، هو اليوم الوطني الذي يحتفل به وتتقبل فيه التهاني .

---

(١) وهذا نص المرسوم الملكي بتحديد يوم العيد الوطني ، كما نشر في الجريدة الرسمية ، عام ١٣٦٥ ـ ١٣٨٥ هـ . وهو يحمل « الرقم ٩/١ . التاريخ ٢٤ـ٤ـ١٣٨٥ هـ. »

بعون الله تعالى

نحن فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

بعد الاطلاع على المادة الثامنة من المرسوم الملكي رقم ٢٧١٦ وتاريخ ١٧ جمادي الاولى عام ١٣٥١ هـ .

وبناء على قرار مجلس الوزراء رقم ٢٩٤ وتاريخ ٢٢ـ٤ـ١٣٨٥ هـ . ونظرا لضرورة جعل يوم وطني محدد للمملكة العربية السعودية ، نرسم بما هو آت :

اولا ـ يكون اليوم الاول من الميزان مطلع السنة الهجرية الشمسية الموافق ٢٣ سبتمبر من السنة الميلادية هو اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية .

ثانيا ـ على نائب رئيس مجلس الوزراء والوزرا تنفيذ ما جاء في مرسومنا هذا :

فيصل

معارك تهامة واليمن

إلى فيصل !

..(يا فارساً شهدت لــه شوس الوغى
واليوم ليــل بالعجــاجة أليــل
والبيض في الأعنــاق ماضية الشبــا
والسمر في الأحشاء إذ تتمثــل
والطير تكتنف الفضــاء حوائمـــا
والخيل تطرب للصليل فتصهــل
يخشاك ما بين الورى مــن لم يكن
يخشى ، ويأملك الذي لا يــأمل !)
عبد المحسن الكاظمي

توطئة

كان الإمام محمد علي الإدريسي باسطاً سلطانه على عسير السراة ، وعسير تهامة ، ثم ثار عليه ابن عائض ، وهزمه ، واستولى على أبها ، فلجأ الإدريسي ، كما رأينا في فصل سابق ، إلى سلطان نجد عبد العزيز آل سعود ليحميه مــن أعدائه ، فلبى عبد العزيز نداءه ، وتغلب على ابن عائض ، وأعاد إلى الإدريسي ما نسميه « عسير تهامة » وقاعدتها : « جيزان » .

ولما مات محمد علي الإدريسي ، خلفه ابنه (علي) ، وكان ضعيف الشخصية ، فعمت الفوضى البلاد ، واستطاع عمه (الحسن) انتزاع الإمارة

منه ، ولكن الأمور لم تستقر له تماماً .

وكان الإمام يحيى حميد الدين ، عاهل اليمن ، ينتظر الفرصة السانحة ، للإستيلاء على بلاد الإدراسة ، فأعلن أنه يريد استعادة (الحديدة) ، لأنها بلدة يمنية ، اغتصبها الإنكليز ، وأعطوها الأدارسة ،ولم يكونوا أصحابها .. وهي حجة مقبولة ، ولكن الإمام كان يضمر في نفسه السيطرة على الإمارة كلها ، ولم تكن قصة الحديدة أكثر من وسيلة ...

عرف الحسن الإدريسي أنه أمام خصم قوي لا قبل له بمقاومته ، فطلب من الملك عبد العزيز حمايته،فعقد معه الملك معاهدة في ١٤ ربيع الثاني من عام ١٣٤٥ هـ. (٢١ أكتوبر ١٩٢٦ م.) تعهد فيها بحمايته من كل اعتداء ، والإعتراف به حاكماً مطلق التصرف في إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في أمور عشائرها ، ولقاء ذلك تخلى الإدريسي للملك عبد العزيز عن سيادته الخارجية وسلطته في منح الإمتيازات الإقتصادية ، بحيث لا يستطيع مفاوضة أية دولة أجنبية أو إعطاء أي امتياز إلا بعد موافقة ابن سعود !

بعد توقيع هذه المعاهدة ، أبلغ خبرها إلى الإمام يحيى ، فتوقف عن الزحف والقتال ، وعاد الهدوء إلى المنطقة ، وأخذت أحوالها الإقتصادية في الإزدهار .

وفي عام ١٣٥١ هـ . جاء جماعة من أهل الحجاز ، كانوا يسمون أنفسهم « الحجازيين الأحرار » إلى الإدريسي ، ولاموه على وضعه نفسه تحت حماية ابن سعود .. وزيّنوا له ضرورة استعادة سلطانه الكامل ليكون متبوعاً لا تابعاً ، وسرعان ما وافقهم فأعلن الثورة ، في جمادى الثانية من عام ١٣٥١ ، واستولى على بعض مناطق عسير .

لم يقف إمام اليمن ، هذه المرة ، مكتوف اليدين ، فزحفت جيوشه إلى عسير ، واستولت على « نجران » ولم يكن أحد يعرف أين يقف بها المطاف !

أما الحكومة السعودية فكان عليها أن تقاتل على جبهتين : تقاتل الإدريسي لأنه نقض عهدها وخرج على طاعتها ، وتقاتل ، عند الضرورة ، الإمام يحيى ، لأنه تجاوز حدود بلاده إلى الدخول في منطقة سعودية أو على الأقل داخلة في حماية السعوديين ونفوذهم .

مع الإدريسي

أرسلت الحكومة السعودية جيوشها في أواخر عام ١٣٥١ هـ. إلى مكان الفتنة، فقاتلت جنود الإدريسي وهزمتهم، واضطر الإدريسي إلى الفرار طلباً للسلامة، ولجأ إلى اليمن مستأمناً !

وبذلك انتهت الحكومة السعودية من الإدريسي !

مع الإمام يحيى :

أما الإمام يحيى، فلم يشأ عبد العزيز أن يبادئه بالقتال وفاوضه في حل سلمي يحفظ صلات الأخوة والمودة بينهما ولكن الإمام أحب كسب الوقت فلم يرفض، ولم يقبل، ولم تصدر منه أية حركة تشير إلى أنه عازم على الإنسحاب من أراضي تهامة، حتى ضاق صدر ابن سعود بذلك، فأمر جنوده بالتقدم صوب اليمن، فتقدموا، حتى بلغوا بلدة «حرض» فاحتلوها، ثم تجاوزوها ..

ويقول «فيلبي» إن الملك عبد العزيز أصدر أمره إلى ولي عهده سعود بمهاجمة جنود اليمن واسترجاع الأراضي التي احتلوها، كما أمر ابنه الأمير محمد بأن يأتي من نجد بقوة احتياطية لمؤازرة أخيه سعود، وقد تقدمت جيوش سعود في مسالك جبلية وعرة وفي أحوال قاسية، فكان تقدمها بطيئاً، ومع ذلك استطاعت الوصول إلى (نجران) واحتلتها، كما تقدم جيش كان يقوده الأمير «فيصل بن سعد»، وكان مرابطاً في خميس مشيط، إلى بلدة «باقم» وحاصرها .

الشعب يطلب قيادة فيصل

ولما انتشر بين الناس خبر الحركات التي قامت بها القوات السعودية في عسير وعلى حدود اليمن، راجع عدد كبير من رجال الحجاز ونجد جلالة الملك واستأذنوه «باللحاق بأخوانهم المجاهدين في ساحة القتال»، والتمسوا من جلالته أن يرأسهم سمو الأمير فيصل، فلبى جلالته رغبتهم .

وفي اليوم الثاني من محرم عام ١٣٥٣ هـ. صدر بلاغ رسمي يكشف عن سفر الأمير فيصل من مكة لتولي القيادة، ووصوله إلى (جيزان)، وكان سموه على رأس قوة من الجنود النظاميين والمقاتلين غير النظاميين، مجهزين بالمدافع والأسلحة الحديثة .

احتلال ميدى

وصل فيصل إلى جيزان براً ، فاستقبله أهلها استقبالا رائعاً ، ثم زحف بقواته إلى « ميدي » وخلال الطريق توقف قليلا في « المخازن » ، حيث استعرض الجيش ، وأطلقت المدافع والرشاشات احتفاءً به ، فكان لدوي طلقاتها صدى هائل ، ألقى الرعب في حامية « ميدي » .

كانت « ميدي » حسنة التحصين ، وكان يتولى أمرها رجل عرف بالدهاء يدعى « العرشي » وكان يصلها باليمن خط سلكي ، فبادر جنود فيصل إلى قطع هذا السلك ، وبذلك منعوا الإتصال بين العرشي ومركز قيادته ،، فزادوا من حيرته واضطرابه ، وراح « العرشي » يقبض على أعيان الأهلين ويزج بهم في السجون لسوء ظنه بولائهم ، وفجأة .. قرر الهرب ، وهرب سراً ، فأرسل وجوه (ميدي) رسولا إلى الأمير فيصل في معسكره يعرضون عليه تسليم البلدة ، ليجنبوها القتال ، والدمار ، فأمر سموه باتخاذ التدابير الآتية :

١ — إرسال قوة صغيرة من الجيش لحفظ الأمن في بلدة ميدي .

٢ — استبقاء قوى الجيش خارج المدينة ، لمنع احتكاكها بالأهلين .

٣ — إقامة فرقة « دورية » من الخيالة حول المدينة لمنع دخول المتسللين من الخارج .

وفي ١٦ محرم ١٣٥٣ هـ . أبرق الأمير فيصل من مقر القيادة إلى والده الملك عبد العزيز هذه البرقية : (كنت عرضت على جلالتكم صفة ممشانا ، فلما جاءت الساعة الخامسة من ليل الخميس واستعددنا للمشي جاء حضرمي من أهل ميدي وأخبرنا أن جند « العرشي » قد هرب آخرهم عند الساعة الثانية ، فتقدمنا إلى ميدي الساعة ١٢ من صباح الخميس ، واستقبلنا أهلهـــا وقدموا لنا الطاعة وبذلنا لهم الأمان ، وأعلمونا أن العرشي لم يتمكن من الفرار لضيق الوقت فأرسلنا «٢٥» سيارة ومعها رشاشات لمطاردته واستولينا على ما في ميدي وأطرافها من القلاع والذخائر والمهمات .)

وقد تم فعلاً القبض على العرشي وجماعة كانوا معه ، أثناء فرارهم على الطريق الساحلية إلى اليمن .

استسلام اللحية ومور

بعد احتلال الأمير فيصل لميدي ، عرض سكان « اللحية » وقبائل مور وغيرهم طاعتهم على سموه فأرسل بعض رجاله إلى بلادهم واستلموها ، وكان ذلك في ١٧ محرم ١٣٣٥ (اخرنيسان ١٩٣٤ م.)

وفي ٢٣ محرم ١٣٥٣ صدر عن الحكومة السعودية البلاغ الآتي :

(على أثر استيلاء صاحب السمو الملكي فيصل على ميدي ، عرض أهل اللحية وجميع قبائل وادي مور طاعتهم على سموه وطلبوا منه التقدم إلى بلادهم لاستلامها ، فأرسل سموه من يقوم بهذا الغرض .

وقد علم أن قوات الإمام يحيى كانت تتراجع بسرعة ، منسحبة من سائر بلاد تهامة ، ومن جملتها « لحديدة » ، كي تخليها أمام قوات صاحب الجلالة ، وقد صدرت الأوامر المستعجلة بتقدم الجيوش لاستلام الحديدة وتأمين أهلها وإعادة النظام ليها واتحاد التدابير لإدارتها وتمشية الأمورفيها .

وستكون خطة حكومة جلالته في إدارة البلاد التي احتلت بالفعل والتي جار احتلالها الآن هي نفس الخطة الحكيمة التي تسير عليها دائماً ، من تأمين السكان وتوزيع العدالة والمساواة بينهم وأخذ حق الضعيف ، كما أنها ستحرص على سلامة وطمأنينة النزلاء الأجانب من رعايا الدول الصديقة وغيرهم ، ولن تفرق في المعاملة بينهم ، كما أنها ستقدم لهم كل ما في وسعها من التسهيلات.

احتلال الحديدة

تقدم جيش الأمير فيصل باتجاه الحديدة ، بقوة وسرعة ، فتراجعت قوات الإمام يحيى وأخلت الحديدة ، بعد أن تملكها الرعب ويئست من جدوى المقاومة وفي ٢١ محرم دخل جيش فيصل الحديدة ، واستولى عليها .

بلاغ رسمي

وصدر بذلك البلاغ الرسمي الآتي :

(دخلت جنود جلالة الملك إلى بلدة الحديدة يوم السبت ٢١ الجاري ، وينتظر أن يكون دخول صاحب السمو الملكي الأمير فيصل إلى الحديدة في مساء يوم الأحد ٢٢ محرم ، ولم يقع ولله الحمد أي حادث حربي في الدخول ، إذ كان بلا مقاتلة .)

اخضاع الزرانيق

تقيم الى جنوب الحديدة قبائل اشتهرت ببأسها وشجاعتها تدعى « الزرانيق» متى ذكر أسمها أمام إنسان شعر بقشعريرة في جسده ، كأنها من أكلة لحوم البشر ، وكان بعض الناس يظنون أن الأمير فيصل سيقف على مقربة منها ، لا يتقدم اليها ، وقد يضطر الى التراجع أمامها ، ولكن فيصل تغلب على معقل تلك القبائل وأخضعها ، كما احتل جنوده مركزي باجل والحسينية .

وذكرت جريدة(أم القرى)أن جنود الأمير فيصل استولوا – فضلا عن بلدة الطائف التي تعد مرفأ للزرانيق – على بيت الفقيه والزيدية وغيرهما ، وقد (وصلت الى معسكر سموه قبائل الزرانيق وكافة القبائل القاطنة في جنوب الحديدة ، حيث قدمت خضوعها وولاءها .



مقاتلة يمنيون

محاولة تدخل أجنبي

وفيما كانت القبائل اليمانية تتوافد الى الحديدة لتقديم طاعتها وعرض ولائها على سمو الأمير فيصل ، أخذت قطع بحرية إيتالية وأنكليزية تظهر أمام ميناء الحديدة . وهنا تجلت عبقرية الأمير فيصل السياسية بأجلى مظاهرها ، فقد استطاع بدهائه وحسن تدبيره أن يحمل هذه السفن على الانسحاب .. ولولا لباقة الفيصل وحكمته لتحول النزاع السعودى اليماني الى نزاع دولي ، وكانت له ذيول مؤذية جداً . — ١ —

---

(١) لذلك كان مؤلف كتاب « صقر الجزيرة » على حق حين وصف عمل الفيصل في اليمن بأنه لم يكشف عن عبقرية الفيصل الحربية فحسب ، ولكنه كشف كذلك عن موهبة « ديبلوماسية باهرة ·

قال المؤلف المذكور :

(اتفق لفيصل العقل النادر والذكاء الملتهب الموفور والعبقرية الباكرة والحظ السعيد الباسم ، فكان من أعقل الامراء وأذكاهم وانضجهم عقلا واكثرهم عبقرية واسدهم رأيا ·

اشترك في حروب نجد وعسير والحجاز ، ثم انتصر ذلك الانتصار المؤزر في الحرب اليمانية حتى دوى اسمه بين الخافقين كقائد من الطراز الاول ، فتيسر له طرد جيوش ائيمن من الاراضي السعودية التي احتلتها ، واحتل بلدانا كثيرة من الاراضي اليمنية في حرب خاطفة ادهشت اليمنيين بل ادهشت الناس اجمع ، وكان هذا النصر المؤزر ، الذي جعل الامام يحيى يلتجيء الى خصمه ابن سعود ويرجوه ان يكون ، هو نفسه ، الحكم ··

ففيصل ، في هذه الحرب الطاحنة ، كان قائدا عاما للجيش الذي سار من الحجاز ، فهو وحده منفذها بدقة ، واستطاع بما له من بصيرة ملهمة وعبقرية ناضجة وعقل كبير وحنكة ودراية ان يقهر كل قواد اليمن ، وفيهم ضباط لهم خبرتهم الحربية ·

بل دلل أيضا على ديبلوماسية من الطراز الرفيع ، فقد نزلت في الحديدة ، حينما احتلها فيصل ، قوات مسلحة بوليسية لبريطانيا وايطاليا ، وهذا تدخل في الشؤون العربية وتطفل من هاتين الدولتين الغربيتين ، فاتصل برجالها ، وفاوضهم حتى اقنعهم بالانسحاب ، فغادروا الحديدة معتذرين ، ولو كان غير فيصل لما أتيح له أن يصيب المرمى ، لان احدا في بلاد ابن سعود لم يوهب كفاءته السياسية ومهامته في الاقناع وصوغ الحجة ، يحمي كل ذلك حظ سعيد نادر واقبال عجيب)

يقول ده غوري : (وصلت ثلاث سفن حربية بريطانية الى مياه الحديدة ، لحماية ثلاث مئة من الرعايا البريطانيين ، كثرتهم من الهنود ، ولكن هذه السفن تحتج الى التدخل ، لأن الأمن والنظام استتبا بفضل سياسة فيصل ، فقد استقبل فيصل قائدى السفينتين (انتربريز) و(بنزنس) استقبالاً حسناً ، وأعلنا بعد انتهاء المقابلة أن التدابير التي أتخذها الفيصل كانت « فعّالة جداً » .

أما الإيتاليون فقد أرسلوا سفينتين حربيتين صغيرتين وانزلوا حوالي مئة جندي ، ولكن القائد اليماني طلب منهم الإنسحاب ، وكان ذلك طبعاً بإيعاز من الفيصل الى القائد المنهزم . .)

مساعي الصلح

خشي زعماء العرب من استمرار الحرب بين الملكين العربيين فجاؤوا الى (الطائف) وناشدوا الملك عبد العزيز وقف القتال والشروع في التفاوض والتعاهد ، واستجاب لطلبهم ، مشترطاً قبول الإمام يحيي بتسليم الأدارسة والتخلي عن نجران ، فأبرقوا بذلك الى الإمام .

ولم يسع الإمام يحيي أمام الإنتصارات الصاعقة التي تحققت على أيدي الأمير فيصل والقوات السعودية الأخرى التي كانت تتقدم في جبال اليمن ، إلا القبول بشروط الملك عبد العزيز ، فصدرت الأوامر الملكية الى الجيوش السعودية بالتوقف في الأماكن التي احتلتها وتوقيف القتال .

معاهدة الطائف

جرت مفاوضات الصلح في الطائف بين الوفدالسعوديبرئاسةالأميرخالدبن عبد العزيز وبين الوفد اليماني برئاسة عبد الله بن الوزير ، وانتهت الى التوقيع بتاريخ ٦ صفر ١٣٥٣ هـ . على معاهدة عرفت باسم « معاهدة الطائف » .

ومن أهم بنود هذه المعاهدة :

١ ــ انهاء حالة الحرب بين القطرين الشقيقين . وإبدالها « بحالة سلم دائم وصداقة وطيدة وأخوة إسلامية عربية دائمة »

٢ ــ اعتراف كل منهما باستقلال الآخر وملكه .

٣ – اعتراف اليمن بأن عسير تهامة وعسير السراة للسعودية ، وكذلك نجران وبلاد يام ، ضمن حدود متفق عليها .

انسحاب السعوديين

وعلى أثر التوقيع على هذه المعاهدة ، أنسحب الجنود السعوديون من جميع المواقع اليمانية التي كانوا يحتلونها وعادوا الى بلادهم .

استسلام الادارسة

وفي أواخر صفر ، وصل الى الحديدة الادارسة وحواشيهم ، ودخلوا على الأمير فيصل وعرضوا طاعتهم واستسلامهم ، ونشر في ٢٨ صفر البلاغ الرسمي الآتي :

(وصل الى الحديدة الحسن وعبد العزيز الادريسي مع بعض أتباعهما ووصلت عائلتهم وحاشيتهم المؤلفة من ثلاثمائة نفر تقريباً الى (الونف) ، وصدر الأمر لهم بالتوجه الى جيزان ، أما عبد الوهاب الأدريسي فالمراجعات متواصلة لعمل الترتيب لتسليمه مثلما سلم غيره ، ووردت أبناء من قائد القوات الاحتياطية في أبي عريش أن قوات يحي انسحبت من بلغازى وفيفا ، وانسحب أكثرُ من في بني ملك منها ، وأطلق القسم الأول من الرهائن ولا يزال انسحاب جند الإمام يحي متصلاً من الجبال التي دخل إليها .)

ثم صدر بلاغان آخران يشيران إلى تسليم الإدريسي وإخلاء جنود الإمام يحي جميع الجبال .

وقداستقبل سمو الأمير فيصل جماعة الأدارسة بماعرف بهمن اللطف والنبل ورقة الحاشية ، وكتب زعيما الأدارسة الحسن وعبد الوهاب الى الملك عبد العزيز يشكران لجلالته كريم معاملته وحلمه ، ولم يستطيعا إلا أن يعربا له عن تأثرهما العميق بلقاء فيصل .

فيصل وامر الانسحاب

يقول بعض المؤلفين ان الامير فيصل تلقى امر ابيه بالانسحاب من اليمن في كثير من الالم ، لانه كان راغبا في الاستيلاء على اليمن كلها ، والتخلص من تهديدات الامام يحيي وحركاته! !

وروى بعضهم ان الفيصل ، لما عاد الى الرياض ، سأل والده المغفور له الملك عبد العزيز عن السر في امره بالانسحاب ·· فقال له : « اذهب حتى يهدأ روعك وفكر في الامر أياما ثم عد الي » ·

ويتابعون القصة ، فيروون عن لسان الفيصل انه قال :

(وعدت اليه متمسكا بموقفي السابق ، فقال لي : ليست اليمن أرض الغزوات السهلة · ولقد مكننا الله من الانتصار بشكل يحفظ كرامتنا التي استفزت ·· وليس لنا أن نضم البلاد اليمنية الينا الان ··· ليس من الحكمة ان نستنفد طاقاتنا في حرب قد تستمر عشرات الاعوام ·· ولو كان غزو اليمن محدود العاقبة ، مأمون النتائج ، لكانت بريطانيا العظمى ، التي هي أقوى منا ، قد انساقت وراء مطامعها ومصالحها وحاولت غزو اليمن ·· ويكفيك ان تعرف انها لم تفعل) !!



جنود سعوديون في مرفأ الحديدة يستعدون للسفر

حياد المملكة خلال الحرب العالمية الثانية

بدأت الحرب العامة الثانية في اول أيلول عام ١٩٣٩ م . (١٦ رجب ١٣٥٨) ، حين قامت المانيا الهتلرية بالهجوم على بولندا واكتساحها ..

وقد وقفت الحكومة السعودية خلال هذه الحرب موقف الحياد .

..ولكن بعض الحجازيين أظهروا ميلاً إلى أحد طرفي النزاع ،وأخذوا يعلنون آراءهم في اجتماعاتهم ومجالسهم ، فأصدر الأمير فيصل بلاغاً ينهاهم فيه من ذلك ، وهذا مطلع البلاغ :

(بمناسبة الأزمة الحاضرة الدولية ، فإن الحكومة تعلن أن تعاطى الناس في الكلام الذي لا فائدة لهم منه من تحيز لفريق دون آخر بمدح أو ذم غير جائز لأن الحجاز وأهله يجب ألا يتداخلوا في مثل هذه الأمور بسبب أن بلادهم مقدسة ومقصد المسلمين في سائر أنحاء المعمورة على اختلاف أجناسهم ونحلهم السياسية ، والحجاز محل العبادة وليس ميداناً لأي دعاية سياسية) .

مساعدات الحلفاء

تناقصت موارد الحج خلال الحرب ، وكادت البلاد تقع في أزمة اقتصادية كبيرة ، ولكن الأنكليز والأمريكان قدروا موقف الحكومة السعودية التي رفضت الإستسلام إلى عروض هتلر وموسوليني وإغراءآتهماالكثيرة، فقدموا اليها معونة مالية وأمدوها بشيء من الأغذية والمؤن .

وقد اعترض بعضهم على رئيس وزراء بريطانيا تشرشل لتقديمه المساعدة المالية الى الملك عبد العزيز ، مع أنه لم يفعل شيئاً من أجل الحلفاء خلال الحرب ، فقال كلمته الساخرة ، المشهورة :

« إننا أعطيناه، لا من أجل ما فعله ، ولكن ... من أجل ما لم يفعله ! »

ذلك لأن الحكومة السعودية كانت قادرة بانحيازها إلى المعسكر النازي والفاشي على إيقاع كثير من الضرر بقضية الحلفاء .

ولكن الحكومة السعودية كانت ، مع حيادها ، أميل إلى جهة الحلفاء ، وكان هذا الميل يزداد وضوحاً كلما اقتربت الحرب من نهايتها .

وسنرى فيما بعد أن الفيصل حمل إلى تشرشل باسم والده ، سيفاً مرصعا بالجوهر ، وأن المملكة أعلنت الحرب ، قبيل انتهائها ، على دول المحور .

الرحلة الأولى إلى أمريكا

في عام ١٩٤٣ دعا فرانكلين روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، جلالة الملك عبد العزيز لزيارة أمريكا ، فاختار للقيام بهذه الزيارة ، نيابةً عنه ، ولَديه الأمير فيصل والأمير خالد ، يرافقهما عدد من كبار الموظفين والحاشية .

وقد وصلوا في اواخر أيلول إلى بلدة (ميامي) ، ونزل الأميران هناك في بيت أمريكي كبير يدعى (شارل سبركس) ، وأصبح هذا شديد الإعجاب بالأمير فيصل ، ووصف في مذكراته بعض مزايا فيصل ، كذكائه الخارق وصراحته ورفعه حجاب « الكلفة » بينه وبين ضيوفه ، ومقدرته الفائقة على « الانسجام » مع من يجالسهم ، وتطلعه إلى معرفة ما حوله من الأشياء ، ثم احتفاظه بأزيائه العربية التقليدية ، مع أنه أقدر الناس على فهم الغربيين ومناظرتهم.

سافر الأمير فيصل ومرافقوه بعد ذلك الى العاصمة واشنطن ، حيث قابل الأمير فيصل الرئيس روزفلت مرتين ، وأهداه سيفاً ، وقد أقيمت على شرفه مأدبة عشاء في البيت الأبيض ، وانعقدت أواصر صداقة وإعجاب متبادلين بين الرئيس الأميركي والأمير العربي وأتيحت للفيصل فرصة التعرف بعدد غير قليل من كبار الساسة والقادة الأميركيين .

زار الأمير فيصل ورفاقه نيويورك وبلداناً أمريكية أخرى ، واطلعوا على الحياة الأميركية في مظاهرها المختلفة : في المعامل ، في المخابر ، في الجامعات ، في المزارع ، في مصافي البترول ، في الطيران ، في البحرية ، الخ .. وكانت الجاليات العربية تتسابق الى زيارتهم وتكريمهم في كل مكان ، وكانت شركة « الآرامكو » في طليعة المحتفين ، طبعاً ، لأنها تعمل في المملكة وتريد أن تقوم بقسطها من واجب الضيافة في بلادها .

وتذكر جريدة «أم القرى» أن الأمير فيصل زار مجلس الشيوخ الأمريكي، فسأله أحد أعضاء: هل شاهدتم كل شيء في أمريكا ؟

فأجاب سموه : نعم ، شاهدنا كل شيء في بلادكم ، من مظاهر الزراعة والصناعة والتقدم ، حتى الصحراء في بلادكم شاهدناها ... ولكنها لا تزينها الإبل كصحارى بلادنا !

وكانت نكتة مليحة أراقت على المجتمعين جواً من الصفاء والمرح .



صاحبا السمو الأمير فيصل والأمير خالد ، خلال زيارتهما لأمريكا...

في طريق العودة

كانت الحرب العالمية الثانية لم تنته بعد .. وكانت لندن هدفاً للقنابل .. ولكن الأمير فيصل أصر على زيارة لندن بناء على دعوة من حكومتها ، ويشي (ده غوري) على أعصاب الملك فيصل ، فقد آثر أن يمضي في طريقه الى الفندق ، خلال إحدى الغارات ، ولم يركض الى الملاجيء ...

منظمة الأمم المتحدة

كانت الدول الكبرى المتحالفة قد قررت بعد ظهور تباشير انتصارها في الحرب ، إنشاء منظمة عالمية باسم « هيئة الأمم المتحدة » ، تدعى الى الإشتراك في تأسيسها الدول التي تعلن الحرب على المحور ، خلال مدة أقصاها شهر آذار من عام ١٩٤٥ .

وكان روزفلت وتشرشل عند اجتماعهما الى الملك عبد العزيز في مصر قد اقترحا عليه اعلان الحرب على دول المحور ليكون لبلاده مكانها بين مؤسسي الهيئة ، فلم يتردد في التخلي عن حياده وإعلان الحرب على المحور ، لأن هذه الحرب ليست أكثر من تحديد اتجاه معنوي ، ولا تكلف صاحبها شيئاً ، فالحرب في الحقيقة ، كانت في حكم المنتهية !

وفي اوائل آذار ١٩٤٥ صدر في (أم القرى) البلاغ الرسمي الآتي :

(إن الحكومة العربية السعودية أصبحت ابتداءً من أول مارس سنة ١٩٤٥ في حالة حرب مع دولتي المانيا واليابان ، وذلك باستثناء الأماكن المقدسة ، فهي لا تزال على حيادها لا تحارِب ولا تحارَب) .

وعلى أثر ذلك ، تلقت الحكومة العربية السعودية دعوة من دول الحلفاء الكبرى لحضور مؤتمر الأمم المتحدة الذي سيعقد يوم (٢٥) أبريل ١٩٤٥ في مدينة سان فرنسيسكو ، فقبلت الدعوة وانتدب جلالة الملك سمو الأمير فيصل ، على رأس وفد ، لتمثيل المملكة في المؤتمر .

فيصل من مؤسسي الامم المتحدة

كانت الخطوة الأولى في طريق إنشاء المنظمة الأممية ، قيام الدول المؤسسة بالتوقيع على بيان أو تصريح أسموه : تصريح الأمم المتحدة ، فوقعه الأمير فيصل باسم بلاده ، ثم ألقى الخطاب الآتي :

(انني سعيد جد السعادة بوجودى هذا اليوم ممثلاً لبلادي العربية السعودية لتوقيع تصريح الأمم المتحدة ، ذلك ان حكومة المملكة العربية السعودية تؤمن ايماناً صادقاً بتلك المباديء السامية التي ناضلت الأمم المتحدة ولا تزال تناضل في سبيل صيانتها ، والتي لا بد أن تتغلب على الجور والاستعباد اللذين حاول العدو فرضهما على كافة البشر .

وان الحكومة السعودية العربية لتنضم الى الأمم المتحدة الأخرى في تصريحها القائل بأن مباديء السلم والعدالة يجب أن تسود أنحاء العالم وان العلاقات الدولية يجب أن تقوم على هذه المباديء .

وان من دواعي اغتباطي أن أقول إن هذه المباديء تطابق الدين الإسلامي الذي يعتنقه ٤٠٠ مليون في العالم وهي التعاليم التي اتخذت الحكومة السعودية منها دستورا تسير على هديه ، ولا غرو فإن الإسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والرخاء .

وان الحكومة السعودية في هذا الوقت الذي أيقنا فيه بتحقيق النصر النهائي ونوشك ان نجتمع في سان فرنسيسكو لوضع اساس سلم وأمن مقيمين لترجو مخلصة أن يوفق المؤتمر المقبل لتحقيق هدفه في إقامة عهد جديد يعمّ فيه الرخاء والحق والسعادة جميع أنحاء العالم .)

فيصل يوقع الميثاق

اجتمع المؤتمر في سان فرنسيسكو ، وانتهى يوم ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٤٥ إلى إقرار ميثاق الأمم المتحدة ، وقد وقع عليه الأمير فيصل ، وألقى بهذه المناسبة كلمة جاء فيها :

(ان هذا الميثاق لا يدل على الكمال ، كما كانت تتوقع الأمم الصغيرة التي كانت تأمل أن يحقق المثل العليا ، على أنه كان خطوة كبيرة إليها ، وسنعمل كلنا للمحافظة عليه ، وسيكون الأساس المتين الذي يبنى عليه صرح السلام العالمي .)

المملكة عضو مؤسس في المنظمة

وفي آخر أيلول من عام ١٩٤٥ صدر مرسوم ملكي بتوقيع الملك عبد العزيز بإبرام ميثاق الأمم المتحدة وتصديقه .

وهكذا أصبحت المملكة العربية السعودية عضواً مؤسساً في منظمة الأمم المتحدة ، وسنرى أنها كانت تعمل جاهدة في هذه المنظمة لا من أجل نفسها ، ولكن من أجل شقيقاتها العربيات ..

نائب رئيس مجلس الوزراء

في اليوم الأول من شهر صفر عام ١٣٧٣ هـ. (أكتوبر ١٩٥٣) ، أنشأ الملك عبد العزيز مجلساً للوزراء ، وجعل ابنه البكر ولي عهده الأمير سعود رئيساً له ، واشترط عليه اتخاذ نائب له في رئاسة المجلس .

ولكن هذا المجلس ، فيما نعلم ، لم يجتمع قط في حياة الملك عبد العزيز ، لأنه ، رحمه الله ، إنما ألّفه في فترة مرضه ولم يعش بعد ذلك إلا شهراً واحداً .

ومهما يكن الأمر ، فقد سمى الأمير سعود أخاه الأمير فيصل نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، كما أراد أبوه، وبذلك تولى هذا المنصب، نظرياً ، في حياة والده العظيم .

ولا نستطيع ، وقد ولدت فكرة إنشاء مجلس الوزراء في عهد عبد العزيز ، إلا أن ننسبها إليه ، وإن كان « تجسيدها » في نظام كامل أو تحقيقها « عملياً » لم يتمّ في زمانه ، فأكثر قواعد الحكم وضوابطه إنما يتكفل الزمن بتحسينها و « تطويرها » .

الفصل الرابع

مبايعة الفيصل وليا للعهد

القصة الكاملة للخلاف بين سعود وفيصل

الوصاية على العرش

مبايعة الفيصل بالملك

وفاة الملك عبد العزيز .

في يوم الإثنين ، الثاني من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ . — ٩ نوفمبر ١٩٥٣ م . ، توفي مؤسس المملكة العربية السعودية وباني أمجادها الكبير الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، رحمه الله ، في بلدة الطائف .

وقد تولى الأمير فيصل نقل جثمان الملك الراحل إلى الرياض ، حيث قام سموه وبعض أخوانه بإنزاله في قبر بسيط لا بناء عليه .. ولكن هذه البساطة نفسها لا تحجب عظمة الميت ، وإنما تزيدها بهاء وألقاً .

ورحم الله الشيخ فؤاد الخطيب ، الذي يقول :

(قبر العظيم هو « التاريخ » ، فهو لــه
مثوى الكــرامة ، لا الأجداث والرجم .

وقد وقفت لدى القبر الذي اجتمعــت
فيــه الرجولــة والأمجاد تزدحــم
فقلت : مــا أروع الإسلام منزلــة ،
فيــه البساطة ، لكــن ملؤها العظم .
فمــا اشمخرت قباب يستظل بهــا
كــأن كــل بناء .. فوقــه الهرم.)

مبايعة سعود بالملك

وعلى أثر وفاة العاهل العظيم ، صدر بلاغ عن الديوان الملكي في الطائف ، بأن أفراد الأسرة المالكة قد بايعوا بالملك لصاحب الجلالة الملك سعود .

مبايعة الفيصل بولاية العهد

ويقول البلاغ أيضاً إن جلالة الملك سعود (أعلن ولاية عهده لأخيه سمو الأمير فيصل ، وقد بايع سموه أفراد الأسرة المالكة) .

الملك يثبت الوزراء والموظفين

وصدر ، بعد ذلك ، بلاغ آخر عن الديوان الملكي بأن الملك ثبت جميع الوزراء والمديرين والموظفين الذين كانوا في خدمة الملك عبد العزيز في أماكنهم كما كانوا في زمن والده ، وثبّت « ما أجراه باني مجد الأمة من رواتب ومساعدات » الخ ..

وهكذا أعلن الملك سعود ، في أول عهده ، تصميمه على متابعة سياسة والده العظيم والمضي على آثاره .

أضاف الملك سعود إلى الوزارات التي كانت قائمة في حياة أبيه ، وزارة المعارف ، وتولاها أخوه الأمير فهد ، ووزارة الزراعة ، وتولاها أخوه الأمير سلطان ، فوزارة التجارة ، وتولاها محمد علي عبد الله رضا زينل . ثم انفصلت الصحة عن الداخلية فتولاها الدكتور رشاد فرعون .

اجتماع مجلس الوزراء

لم يدع الملك سعود وزراءه إلى الإجتماع في جلسة رسمية ، لممارسة حقوقهم كمجلس وزراء، إلا في ٢ رجب سنة ١٣٧٣ ، أي بعد أربعة أشهر من توليه الملك .

ولم يكن الملك سعود يحب عقد الإجتماعات ، والإستماع إلى المناقشات ، ودراسة الإضبارات .. ولذلك كان عزوفاً عن حضور جلسات مجلس الوزراء، فكان يتولى رئاستها وينظم أمورها سمو الأمير فيصل ، نائب رئيس المجلس .

فيصل يترأس مجلس الوزراء

وفي يوم ١٦ ذي الحجة ١٣٧٣ — ١٥ آب ١٩٥٤ م . قبل الملك سعود نصيحة العلماء والأمراء بأن يتخلى لأخيه الفيصل عن رئاسة المجلس ، فكلف الأمير فيصل برئاسة مجلس الوزراء ، وقال في كتاب التكليف :

(لما عهدناه فيكم من كفاءة وإخلاص ، ولثقتنا الغالية ، عيناكم رئيساً لمجلس وزرائنا ، وذلك لكي يحصل الإنسجام في سير الأعمال ، وليفسح لنشاطكم ومواهبكم مجال العمل في مصلحة شعبنا) .

بداءة حسنة .. ثم متاعب

لقد بدأ الملك سعود عهده بداءة حسنة ، فأفسح للفيصل مجال العمل — وما كان الفيصل يطلب منه أكثر من ذلك — ولكنه لم يستمر في هذه الخطة الرشيدة .

ويمكننا القول ، إجمالاً ، إن صلات الفيصل بأخيه الملك ، إبتداءً من السنة الثالثة أو الرابعة لملكه ، كانت صلات نضال خفي أو معلن .. فكان الفيصل كمن يجرّ أخاه إلى الجنة ، جنة المصلحة العامة ، بالسلاسل ، وكان الملك سعود ، كلما ترك أخاه ، تعثر وأوقع البلاد في أزمة ، فاستدعى الفيصل لإنقاذه . وأخيراً تفاقم الخطب ، فلم يعد الفيصل قادراً على تداركه ، إلا بابتعاد أخيه عن الملك ، ثم بقبوله الملك ، إستجابة لرغبات عقلاء المملكة وإنقاذاً للوطن من محنة كبيرة كانت تتهدّده ..

لذلك يجب علينا أن ندرس قصة الخلاف بين الأخوين ، في أطوارها المختلفة ، لنعرف كيف تمت مبايعة فيصل بالملك .

الخلاف بين الأخوين

قصة الخلاف بين سعود وفيصل ليست سراً ، وإن حجب عن العيون ، خلال عهد الملك سعود ، بعض أسرارها .

وما هي بقصة جديدة أنشأتها ، بعد تولي سعود للملك ، أطماع رجال تستهويهم الألقاب ..

وإنما هي قصة قديمة ، نشأت في حياة الملك عبد العزيز ، وكانت صورة مجسدة للنضال بين خلقين وبين عقلين ..

وقد حدد فيصل نفسه أبرز معالم هذه الصورة ، حين قال لأخيه سعود :

« أنت تعتقد أنك « فوق » النظام »

وأنا أعتقد أنك « تحت » النظام .. أنت ، وأنا ، وكل رجل !

أنت تظن أن أموال الدولة ملك لك ،

وأنا أعتقد أن أموال الدولة ملك للشعب ،

ولذلك لا نلتقي على صعيد واحد ! » .

وعلى هذا كله ..

اجتهد فيصل في الإبقاء على أخيه ملكاً ،

واجتهد في السير معه على صعيد مقارب ،

وصبر عليه في حياة أبيه كثيراً ،

وصبر عليه بعد وفاة أبيه أكثر ..

وكان مصمماً على الصمود في .. الصبر واحتمال الأذى..

.. ولكن الجانب الآخر تجاوز — هو او رجال حاشيته— الحدود ...

وبذلك اضطر فيصل إلى قبول الحل الذي فرضه علماء المملكة وأمراؤها ووزراؤها — ومن ورائهم الشعب كله — وهو :

خلع الملك سعود ، والمناداة بفيصل ، ولي العهد: ملكاً على المملكة العربية السعودية وإماماً للمسلمين .

عقدة سعود

كان سعود يعرف ، منذ كان صغيراً ، أن فيصل أذكى منه وأقرب إلى قلب أبيه وأعلى مكانة عند الناس ، فكان يحسده ، ويجتهد في التآمر عليه مع أي إنسان ، ليضع من منزلته عند أبيه،ولكنه كان دائماًيخفق،أو ينجح نجاحاً قصير العمر .. ينقلب إلى هزيمة له وانتصار لفيصل ، فيزيد هذا في تأجيج نار الحسد في نفسه !

.. وأشفق عليه فيصل مرة ، فجاءه وقال له ، في كثير من الصراحة :

عندك عقدة ، أسميها : « عقدة ..فيصل » ، وهي مرض، شفاك الله منه ؛ فأنا لست طالباً للملك ، ولا أريد إلا أن يوفقك الله ، وأن أكون أنا خادماً لك ، وأساعدك ما استطعت !

كان هذا الكلام صادراً من أعماق فيصل ، من أعماق قلبه ، ومن أعماق تفكيره ؛ وكانت ضمانته : أخلاق فيصل ، التي يعرف سعود أنها فوق كل شبيهة ، ولكن سعود لم يستطع أن يتحرر من « عقدته » النفسية .. فهادن الفيصل ولم يصالحه، و « جامله » ولم يحبه، لأن عاطفة الحسد عنده —إن صح أن يسمى الحسد عاطفة ! — كانت أقوى من عقله .. بل أقوى من مصلحته !

حاول بعض المؤلفين أن يفسروا عقدة سعود أو عقدة « فيصل » عند

سعود .. ولا نريد ، هنا ، أن نستقصي « تحليلاتهم » ، لكننا نأخذ منها ما أجمعوا عليه ، كنتيجة : وهو أن الملك سعود ، كان مدفوعاً إلى الإسراف في الظهور ، والبذخ والعلو .. ولكن مسيرته لم تكن ثابتة ، موصولة ، لأنها ممزوجة بالقلق والخوف ..

كان سعود يخاف من الشدائد ، ويرتعد من كل هزة ، كأنه طفل .. ولعله حاول أن « يشجع » نفسه غير مرة ، فأقدم .. ولكن ترفه ومرضه وجهله بأساليب السياسة ، كل أولئك كان يثني عزمه ، أو يضله عن الطريق القويم ، فيخفق ، ويزداد خوفاً ، ويفقد ثقته بنفسه !

ورث الملك سعود عن أبيه جسامته ووسامته ، ولكنه لم يرث عنه عبقريته .

ولم يُعن بالأمور العامة ، ولم « يتمرس » بالمناصب ، ولم يحذق فن السياسة .

..ولم يكن «مؤهلاً» لإدارة البلاد، في القرن العشرين..وفي ظروف دقيقة..

كانت لسعود صفات حسنة ، كالكرم ، والحماسة أحياناً لما يعتقده حقاً وواجباً ، والغضب للإسلام والعروبة ، ونجدة المستجير ، وحب العمران وغير ذلك ، ولكن هذه الصفات أو هذه العواطف الكريمة ، تحتاج إلى من يحسن توجيهها ..

وبكلمة أخرى: حب الخير لا يكفي، وإنما يجب أن يخدمه العقل الراجح والتصميم الواعي .

كان سعود قادراً على تمثيل دور الملك ، الذي يسود ولا يحكم ..

ولو أنه فعل ذلك ، لبقي ملكاً حتى نهاية العمر ، ولأبقى بعده سمعة خالدة ، لا ينتقص من بهائها شيء ولا تحوم حولها شبهة .

ولكن المؤسف أن بعض أبناء سعود ، وفريقاً من حاشيته ، شجعوا الملك على المضي في طريق الخطأ ، بدلاً من ارجاعه عنه ، وقد يحملهم المؤرخون كبر المسئولية في الأحداث التي انتهت إلى خلعه من الملك ..

جزاء الاحسان ؟

لقد وصفنا الملك السابق سعود وصفاً عاماً ، وأبلغناه مصيره ، ولكننا لم نسرد الوقائع ..

فلنعد الآن إلى أهمّ مراحل الخلاف بين سعود وأخيه ، في ترتيبها الزمني ..

ولنتساءل، قبل كل شيء : هل أساء فيصل ، في الماضي ، إلى أخيه سعود ، حتى يرد عليه « التحية » بأحسن منها .. ويكون معذورا أو غير ملوم عند الناس ؟

والجواب ، على الصعيد « الرسمي » ، ينقلنا الى حادثتين وقعتا في عهد الملك عبد العزيز :

الأولى،عند رغبته في وضع قاعدة لولاية العهد واختيار سعودولياً لعهده.

والثانية،عند رغبته في نزع ولاية العهد عن سعود،وكان ذلكفي أواخر أيامه .

فيصل وولاية العهد

أما وضع نظام لولاية العهد ، ففكرة خطرت على بال الملك عبد العزيز ، بعد توحيد البلاد واستقرار الأحوال ، فأراد أن يضمن استقرار الملك والحكم بعده ، وهي فكرة رشيدة .

.. وأما اختيار الأمير سعود ولياً للعهد ، فكان مبرره الوحيد أن الأمير سعود هو الابن الأكبر . وقد قال لنا أحد الأمراء إن سعود اشترى فؤاد حمزة وغيره من المستشارين والمقربين من الملك عبد العزيز ليطلبوا من الملك ، ويحسنوا له ، تسمية سعود ولياً لعهده ، فاستجاب لرأيهم ومشورتهم وإلحاحهم !

وسواء أكان هذا القول صحيحاً أم غير صحيح ، فإن تسمية الولد الأكبر لولاية العهد تكاد تكون من طبيعة الأشياء ، في الأنظمة الملكية الوراثية . ولا يقصى عن ذلك إلا من ثبت جنونه أو كان مصاباً بنقص خطير أو مرض عضال.

فإذا قيل : ان النظام العهدي ، يختلف عن النظام الملكي الوراثي ، بأن الإمام القائم حر في اختيار ولي عهده ، من أبنائه أو من غيرهم .. فإذا افترضنا أنه ملتزم بأبنائه ، فهو غير ملتزم باختيار أكبرهم ، ويستطيع اختيار أرشدهم !

قلنا : ومن طبيعة النفوس – نفوس الآباء – تفضيل الأكبر من الأبناء لخلافتها، لأن السن قاعدة يقع التسليم بها من الجميع وتنفي التحاسد والتباغض .

.. على أن الملك عبد العزيز كان « يساوره » شيء من الشك والقلق من ناحية ابنه سعود ..

.. الملك يعرف مصاعب الحكم ، ودقة الظروف التي تحيط بالمملكة الناشئة .

.. والملك يعرف نقائص سعود ، وأنه سيكون ، أمام مشكلات الحكم العصري ضائعاً .. كصالح في ثمود !

فلماذا لا يختار ابنه الفيصل لولاية عهده ، فيضمن بذلك استقرار ملكه بعده ؟

قال لنا أحد الأمراء : إن هذه الشكوك التي كانت تمرّ بمخيلة الملك العظيم ، قد أراحه منها قول بعض المستشارين لجلالته : إن اختيارك لسعود ولياً للعهد لا يمنعك غداً من ابداله بغيره ، متى ثبت عندك عجزه وعدم صلاحه ، أما إذا كنت عنه راضياً فهو أولى من غيره بهذا المقام !

وهكذا طلب الملك عبد العزيز من مجلس الوكلاء ومجلس الشورى أن يجتمعا ويضعا نظاماً لتوارث العرش ويقرا اختيار سعود ولياً للعهد، فاجتمعا معاً برئاسة الأمير فيصل ، وحققا إرادة الملك ، على الصورة التي بينّاها في موضع آخر من هذا الكتاب .

ولما كان الامير سعود مقيماً في الرياض عند صدور القرار باختياره ولياً للعهد ، فقد كتب إليه والده الملك رسالة يقول فيها :

(سيبايعك الناس في الحجاز يوم الإثنين ، وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز وليبايعوك عن أنفسهم) .

.. ففيصل كان أول من بايع أخاه سعوداً ، وأول من تلقى البيعة عنه !

التفكير في نزع ولاية العهد

يقال إن الملك عبد العزيز فكر ، في آخر أيامه ، بخلع سعود من ولاية العهد ، وأفضى بفكرته إلى ابنه فيصل ، فتلطف فيصل بصرف والده عن عزمه ، وقال له إن بقاء سعود ولياً للعهد يخدم استقرار المملكة ، وإنه سيؤازر أخاه بكل قوته ويضع كل تجربته في الحكم رهن إرادته !

ذلك أن الفيصل يحب أباه حباً كثيراً ، ويفعل كل شيء يسره ، وقد رأى أن والده يسره ويرضيه أن تسود روح التفاهم والتعاون أولاده، فكان الفيصل شديد الحرص على استدامة هذا التفاهم بين إخوته ، وخصوصاً بينه وبين سعود ، ليسرّ بذلك والده أولاً ، وليرضي شعوره الشخصي ثانياً ، لأن فيصل يحب إخوته حباً خالصاً عميقاً .

وصية الملك

« لما كان الملك عبد العزيز في الطائف ، خلال مرض موته ، استدعى ولديه سعود وفيصل ، وقال لهما :

« الشعب السعودي والمسلمون أنتم مسئولون عنهم ، وهم متعلقون بكم .

يجب عليكم أن ترفعوا شان الإسلام وتجمعوا كلمة العرب وتخدموا شعبكم .

ولن تستطيعوا ذلك ، إلا إذا كنتم أنتم أنفسكم مثالاً للإتحاد والتعاون وعدم التفرق ، فكونوا متحدين متحابين كأنكم رجل واحد »

وقد أخذ الملك على سعود وفيصل عهداً بذلك ، وقيل إن الأخوين وضعا أيديهما على القرآن وأقسما على أن يبقيا متحدين متضامنين .

ولما ذهبا إلى الباب ، أعادهما الملك ، وكرّر عليهما الوصية ، ثم ذهبا فأعادهما مرة ثانية ، ثم مرة ثالثة ، يكرّر عليهما وصيته !

البداءة كانت حسنة ...

وتوفي الملك عبد العزيز ، وبويع لسعود بالملك ، فبدأ عهده بداءة حسنة إذ أعلن أنه أختار أخاه الفيصل ولياً لعهده ، وأنه أقرّ وزراء أبيه وموظفيه في مناصبهم ..

ويؤكد العارفون أن التعاون الصادق بين سعود وفيصل استمر سنتين أو أكثر ، فقدتخلى سعود عن رئاسة مجلس الوزراء لأخيه فيصل ، وأطلق يده في الحكم ، وقال له بلسان الحال ، ما قاله الخليفة الرشيد لوزيره يحيي : يا أخاه ، أنت أجلستني هذا المجلس ببركة نصحك وتفكيرك ، فاحكم كيف أردت ، فأنت أعرف مني بأهداف أبينا ، وأنت أدرى مني بشؤون الإدارة والسياسة وأحوال العالم ، لأنك مارست أعباء الحكم ووجهت سياسة البلاد الخارجية خلال ربع قرن أو أكثر ، فلست ناظراً معك في شيء ولا واقفاً دونك في أمر .

وكان عقلاء الأسرة وراء هذا السلوك الرشيد ؛ وكان سرورهم بالتزام الملك سعود برأيهم ومشورتهم عظيماً جداً ، واعتقدوا أن الله سبحانه قد شفاه من كل « عقدة » وهداه إلى كل خير ، وألهمه العمل بوصية أبيه !

ولكن هذا السلوك الرشيد لم يعش طويلاً . كان وردة – كما يقول المثل الغربي – فعاش عمر الورود ! ..

الملك يتغير

بدأ الملك يتغير ، منذ السنة الثالثة لملكه ؛ وكان فيصل يخفي عن الناس ما استطاع « تصرفات » الملك ، المخالفة للأنظمة ، والأعراف ، ومصلحة الدولة ، ويجتهد في إرجاع الملك عنها ، أو تلطيف آثارها ، وكان مقتنعاً بأن المصلحة العليا للدولة والشعب والأسرة المالكة تستوجب منه معالجة الوضع بالهوادة واللين ، والإبقاء على سعود ملكاً ، حتى لا تتجدد في العهد الحاضر مأساة أبناء الإمام فيصل بن تركي .. الذين أضاعت خلافاتهم البلاد وأسلمتها إلى خصمهم ابن رشيد !

أراد الملك سعود أن يستبد بالحكم ..

كان هناك مجلس وزراء ، ولكنه أراد أن يحكم من فوقه ، ومن خلفه ، كأنه ليس أكثر من مجلس للمشورة ، بل مشورته غير ضرورية ، وغير ملزمة !

وكان يزعم أنه إنما يتبع بذلك سنة أبيه ، متجاهلاً أنه ليس كأبيه ، في قوة الشخصية ، وأن الزمان تغير ، ولا سبيل إلى إرجاع عقارب الساعة ! ..

.. كان يريد أن تكون موارد الدولة كلها بين يديه ، وتحت سلطانه ، يتصرف بها كيف يشاء ..

.. وكان فوق ذلك مصمماً على تسليم أبنائه كثيراً من وزارات الدولة ومناصبها الكبيرة .

وهنا ينبغي لنا أن نقف قليلاً ، لنرد على الذين يظنون أن الملك سعود لم يكن في ، هذه الناحية ، مختلفاً عن الملك فيصل ، لأنهم وجدوا بين وزراء فيصل وكبار موظفيه عدداً من إخوته الأمراء .

والجواب : أن سياسة فيصل أفضل كثيراً من سياسة سعود ، في هذا المجال ، لثلاثة أسباب :

السبب الأول : إخوة فيصل الذين تقلدوا مناصب ، أصحاب أخلاق وثقافة وتجربة . أما أبناء سعود ، فكان أكثرهم ، في ذلك الوقت ، من المراهقين والأطفال ، ولا يمكن تشبيههم على كل حال بالوزراء والحكام من أبناء عبد العزيز ، فليست لهم مواهبهم ولا أخلاقهم ولا قوتهم ولا شعبيتهم .

السبب الثاني — من قواعد السياسة الشرعية أن الإنسان يتهم في مصانعة ابنه عن هوى أكثر مما يتهم في أخيه .

السبب الثالث — هو أن فيصل تتمة أبيه الملك عبد العزيز ، أي مكمل رسالته ، وإرث عبد العزيز يجب أن يقوم عليه من يحفظه ، وأبناء عبد العزيز الذين تخيرهم الفيصل لحفظ هذه الأمانة ، هم أحق من غيرهم بشرف الحفاظ على ميراث أبيهم العظيم .

فكيف يقارن عمل الفيصل في حفظ الأمانة ، بعمل من يسلمها إلى رجال لا يقدرونها حق قدرها !

الاسواء تتكاثر

أصدر الملك سعود أكثر من أمر ملكي ، من غير أن يستشير مجلس الوزراء ..

وأخذ يسرف في الإنفاق من موارد الخزينة ، ويعقد القروض الداخلية والخارجية بينما انطلق أفراد من حاشيته يغزون الأموال العامة غزواً منظماً ، فانهارت اقتصاديات المملكة وفرغت خزائنها وانخفض سعر النقد السعودي ..

ولم يكن (فيلبي غريباً) عن تلك الحملات ، التي لا تخلو من الظلم والإفتراء أحياناً ، بل لعله هو في طليعة من سعّروا نارها ، وكان المؤلفون الأجانب يثقون برواياته ويعدونه خبيرا بشؤون البلاد السعودية ، لا يكذب ..! ..

قال فيلبي ، في كتابه : « أربعون سنة في القفار » ما خلاصته :

(.. الرشوات ، والثراء الخارق ، والفساد ، كل أولئك حطم ما بناه رجل – عبد العزيز – خلال أربعين سنة من الكفاح ضد الشر ..

ومن المحزن أن يرى أحدنا كيف يبذر هذا الميراث الذي أخرجه رجل من العدم ، بسيفه !

لم يكن لديه من مصادر القوة إلا اعتماده على الله ، وثقته بنفسه .

لم يكن لديه شيء يخشى عليه الضياع – إذا ما أخفق – إلا حياته .. فبلغ في شجاعته وجهاده القمة ، وانتصر على الترك ، وهزم شريف مكة ، وكان من ثمرات النصر : موارد الحج ، وموارد البترول !

ولسوف تتحدث الأجيال الصاعدة عن البترول ، كمعجزة العصر .. بينما تنسى تماماً مباديء الوهابية وفضائلها ..

ومن المؤسف أن هذه الموارد بعثت الفكرة المادية في صفوف العرب ، بعد أن كانوا وصلوا الى شيء من المثالة الروحية ، بفضل حياة صحراوية خالية من مناعم الحياة .

كنت أقول : إذا استطاع عبد العزيز وخلفاؤه أن يقودوا سفينتهم وسط خضم الحياة الجديدة ، مبتعدين عن الاغرآءات ومحافظين على التقاليد التي كان يتمسك

بها الوهابيون القدامى ، فسوف نرى أمبراطورية عربية تحل محل امبراطورية الترك ، وتكون طليعة الشعوب الإسلامية !

والآن .. هل بقي من هذا الحلم الكبير شيء ؟ اللهم .. إلا الذكرى !

.. لقد حملهم محمد بن عبد الوهاب على التقشف ، لأنه كان يعرف حبهم لمتع الحياة ، ووضع على صدورهم درعا من حديد ..

.. والآن .. تحطم هذا الدرع !)

ويردف فيلبي قائلاً :

(.. رأيت الملك سعود ، وقلت له : أنت ملك مطلق ، وكل واردات المملكة تحت تصرفك تنفقها كيف تشاء .. فلا أفهم كيف تسمح لبعض خدامك أن يسرقوك ، علناً ، أمام الناس كلهم ؟ ...

وكان جواب الملك ، بكل بساطة :

ـ كان خيراً لك أن تقول ذلك فيما بيني وبينك ، بدلاً من نشره على (الدنيا !)

لم يكتف سعود بهذا الإسراف المخيف ، وإنما أخذ يضايق أخاه فيصل أيضاً ، فيقابله فيصل بالصبر عليه ، والإجتهاد في إخفاء عيوبه عن الناس ، ويقال إن أحد الوزراء انتقد تصرفات الملك سعود ، في جلسة لمجلس الوزراء ، وكان يظن أن الفيصل ـ المتألم في أعماق نفسه من سلوك أخيه سوف ـ يرضى عن هذا النقد الحق ، ولكنه منع الوزير ، وهو أحد إخوته الأمراء ، من الإستمرار في الكلام ، حرصاً منه على هيبة الملك وسمعة النظام ، ولعله كان يطمع في رجوع أخيه الى سابق عهده .

لم تفهم حاشية سعود موقف فيصل الكريم من أخيه ، ولم تقدره كما كان يجب أن يقدر ، ولم تلمس فيه طابع فيصل المميز ، وهو خلقه الذي فطر عليه في توقير من هو أكبر منه وحرصه على سمعة الحكم واستقراره ، وتمسكه بحقوق الأخوة ، لم تفهم الحاشية أدب الفيصل وأسلوبه في السياسة أو لعلها فهمته فتجاهلته عمداً ، فراحت تزيّن للملك أن أخاه الفيصل « ضعيف » ، وأن مدارته للملك إنما هي صورة واضحة لشعوره « بضعفه » البالغ أمام «قوة» أخيه الملك ! ..

كانت الحاشية الملكية تشجع الملك على المضي في تبذير الأموال ، وتجاوز الأنظمة ، ولم يعد يقبل من فيصل ولا من غيره من عقلاء المملكة كلاماً ولا نصحاً ..

وفي أواخر عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م .) ، ضاق فيصل ذرعاً بتصرفات أخيه الملك وبدسائس حاشيته ، ولم يعد قادراً على السكوت والصبر ، فكتب إلى الملك كتاباً قوي اللهجة ، ضمّنة تلك الكلمات إلى استشهدنا بها قبل ، وهي :

(إن بيني وبينك خلافاً جوهرياً ..

أنت تعتقد أن موارد الدولة ملك لك ، وأنا أعتقد أن هذه الموارد ملك للشعب !

أنت تعتقد أنك فوق النظام ، وأنا أعتقد أنك تحت النظام ..

لذلك لن نلتقي على مفهوم واحد .)

وبعد هذا استأذن فيصل أخاه في السفر الى أمريكا للتداوى والعلاج ..

ولم ينس قبل سفره أن يستدعي اليه وزير المالية ، ويذكره بأن واجبه كوزير للخزانة ، أن يصمد ويقف ، ما استطاع ، أمام مطالب الملك وحاشيته ، محافظة على أموال الدولة ...

مؤامرة السراج

لم يمض وقت طويل على ابتعاد فيصل ، حتّى قامت الحاشية الملكية ، وقد خلا لها الجو ، تنقر وتصفر .. وكان حصاد دسائسها الاكبر : توريط الملك سعود في مؤامرة غريبة ، نسميها (مؤامرة السراج) ، لأن بطلها الأول هو : عبد الحميد السراج ، وكان رئيسا للمخابرات أو « المكتب الثاني » في الجيش السوري .

كتبت الصحف وتناقلت الاذاعات أشياء كثيرة عن هذه المؤامرة ، ولا نريد هنا استقصاء حقيقتها ، فقد تظل مجهولة فترة من الزمن ، وانما يعنينا منها الآن أن الدعاية المصرية استغلتها استغلالا هائلا فأعلنت للناس أن الملك سعود كان يريد اغتيال عبد الناصر وشكرى القوتلي .. وأنه دفع للسراج ، من أجل تحقيق هذه الأعمال .. مبلغ ثلاثين مليون ريال سعودى بالعملة الصعبة ..

وأقيمت دعوى « مسرحية » في دمشق ، حاكموا فيها المتهم الغائب(سعود)بتهمة التحريض على القتل ، ونجحت الدعاية الناصرية في اثارة الرأى العام ضـــد الملك سعود !

عودة فيصل

بقي الأمير فيصل في أمريكا حوالي ثمانية أشهر ، ولما عاد الى المملكـــة في رجب من عام ٧٧ هـ . فبراير ١٩٥٨ ذهب الى الصيد (القنص) اعلانا لرغبته في الابتعاد عن السياسة والحكم ! ..

أما الأمراء ، في كثرتهم ، وعقلاء المملكة فأظهروا للملك استياءهم الشديد من هذه التصرفات ..

وانهارت أمام ذلك كله أعصاب الملك ولم يجد طريقة للتكفير عما فرط منه ، ثم للخروج من المأزق بسلامة، إلا اعتزال الملك ..

وكان الأمير فيصل في ذلك الوقت قد ابتعد عن الحكم ، بعد عودته من أمريكا ، لأنه لم يعد قادراً على احتمال أعمال أخيه الملك و « مضايقاته » له ، ودسائس حاشيته ..

.. ولكن عقلاء الأسرة أشاروا على الملك باستدعاء فيصل واسترضائه وتسليمه رئاسة مجلس الوزراء والسلطات المطلقة ، لينقذه من ورطته ، وينقذ البلاد من أزمتها الخانقة .

.. وفرح الملك بهذا الحل الذي ينقذ عرشه ،

.. وفرحت الحاشية أيضاً ، لأنها كانت تراهن على« نجاح»فيصل «واخفاقه» معاً .. فإن نجح ، وفر لها الأموال في الخزانة لتعود إلى نهبها .. وإن أخفق ، وهو ما ترجحه ، ساعت سمعته فخلصت منه وانفسح أمامها مجال أوسع للنهب والتسلط والتآمر ..

وأطلقها الملك صيحة مدوية : « وا فيصلاه » !

شروط فيصل

طلب الملك من أخيه فيصل إنقاذ الموقف فاعتذر ، نظراً الى الظروف ..

فقال له الملك : انني بريء مما يقال ،

فأجابه فيصل : ألّفْ لجنة تحقيق، لتظهر للناس براءتك !

ووقف الحديث عند هذا الحد ...

ثم جاء الملك الى أخيه فيصل ، في داره ، وقال له ، وهو يبكي :

– لمن تتركني يا فيصل ؟

وبقي الملك عند أخيه وقتاً طويلاً يترضاه حتى رضي ، وقبل العمل معه ، ولكنه قال له : عندي شروط !

قال الملك : ضع ما شئت من الشروط ، فهي كلها مقبولة !

قال فيصل : سأبعثها اليك !

وبعث فيصل الى الملك شروطه مع عمه الأمير مساعد وأخويه الأمير فهد والأمير سلطان ، وهي تتلخص في أن يكون الملك رمزاً ، يسود ولا يحكم ، كملك انكلتره ، وأن تكون السلطة كلها للحكومة ، فقبل الملك هذه الشروط ، وتخلى عن السلطة لفيصل ، ولكن فيصل نقل هذه السلطة الى مجلس الوزراء كله ، حتى لا يرجع الملك عنها بأمر ملكي شخصي ، كما أعطاها بأمر ملكي شخصي ، ولم يكن هذا العمل مستغربا من الأمير فيصل ، فديموقراطيته وحكمته معروفتان .

فيصل ينقذ اخاه

لم يغير فيصل بعد توليه رئاسة الوزراء أشخاص الوزراء ، ولكن ذلك لا يعني استمرار الأمور على حالتها السابقة ، اذ يكفي أن يكون فيصل رئيسا للوزراء ، مالكاً للسلطة العليا ، حتى يوجه الوزارة توجيها جديداً سديداً .

بدأ فيصل عمله بدراسة وضع الحكومة المالي ، ففوجيء بأن مؤسسة النقد السعودى لا تملك سوى .. مبلغ (٣١٧) ريالاً .. وأن الدولة مدينة بألفي مليون ريال ، بين ديون داخلية وخارجية .

وهنا فهم فيصل سر بكاء أخيه .. فليست النكبة قاصرة على اتهامه بتدبير الإغتيالات .. وانما هناك أيضا إفلاس الحكومة وعجزها عن دفع رواتب موظفيها في الشهر القادم ..

هل كان فيصل يقبل الحكم ، لو أنه كان عارفاً بحقيقة هذا الوضع المالي

المخيف ؟

لا يخامرنا شك في أن وطنيته تدعوه الى القبول ، لا حباً بانقاذ أخيه فقط . ولكن حباً بانقاذ البلاد ! ..

كيف استطاع فيصل إنقاذ البلاد من هاوية الإفلاس ؟

ذلك ما عالجناه في مكان اخر ، والمهم هو أن الأمير فيصل قضى على الأزمة بتدابيره الحكيمة وسياسته العبقرية .

أرادت الحاشية الملكية تشويه سمعة فيصل ، بأن يُعْلَنَ إفلاس الحكومة بعد أيام من توليه الحكم ، ولكن الله سبحانه حمى فيصلا من كيدهم وجعل سلامة البلاد على يديه ، ليزيد في نعمته عليه، وليظهر للناس، مرة أخرى، بمن فيصل وصدق وطنيته واصالة رأيه ، وأنه الرجل الذي تتجه اليه الأنظار ، بعد الله، في الشدائد !

لم يعجب نجاح فيصل الباهر حاشية الملك ، أو لعلها رأت أن عمل فيصل في البناء قد انتهى ، فيجب عليها ، هي ، أن تستأنف عملها في التخريب !

أدخلت الحاشية في روع الملك سعود أنه لن يكون ملكاً ، مطلق السلطان ، من طراز أبيه ما دام فيصل على رأس الحكم ، وزينت له أن يضرب أخاه ضربة محكمة ، لا تبقي على شعبية فيصل ولا تذر ، وذلك بأن يُقَوِّي جماعة تدعو إلى التمثيل الشعبي وتَعِدُ البلادَ بوضع دستور تقدمي يشبه دساتير بعض البلاد الأوروبية ، ونحو هذا من ضروب الإغراء والتحريض ..

ويقول أحد العارفين إن الملك سعود مَهد لضربته المقبلة بجمعه حوله في القصر عناصر معارضة لأخيه فيصل ، وشرع يزور مناطق المملكة المختلفة وينشر الدعوة لشخصه وينفق الأموال الكثيرة ابتغاء تقوية شعبيته ، وراح يضايق أخاه الفيصل ويمطره بوابل من الرسائل ، ينتقد فيها أعماله ويحتج على « عدم استشارته » في كل أمر . . حتى اضطر فيصل ، أمام هذه المضايقات والتحديات المستمرة ، الى تقديم استقالته .

وأشاعت الحاشية أن الفيصل انما استقال بسبب سؤ صحته، وذلك لتحجب عن الناس أسباب الاستقالة الحقيقية !

وزارة سعود الجديدة

في اليوم الثالث من شهر رجب عام ١٣٨٠ أصدر الملك سعود أمره بتأليف وزارة جديدة تحت رئاسته، وهذه هي اسماء الوزراء:

الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز	وزير الداخلية
الأمير طلال بن عبد العزيز	وزير المالية والاقتصاد الوطني
الأمير بدر بن عبد العزيز	وزير المواصلات
الأمير محمد بن سعود	وزير الدفاع والطيران
الشيخ عبد العزيز آل الشيخ	وزير المعارف
الشيخ ابراهيم السويل	وزير الخارجية
الشيخ عبدالله الحمود الطريقي	وزير البترول والثروة المعدنية
الشيخ أحمد شطا	وزير التجارة
الشيخ عبدالله الدباغ	وزير الزراعة

بقيت هذه الوزارة في الحكم حوالي سنة، ولم تكن الوزارة ناجحة، لأن «الانسجام» كان مفقوداً بين أعضائها، وكان الملك السابق سعود غير قادر على انتهاج أسلوب سليم في إدارة أمور البلاد، ولذلك ابتعد عنه الفيصل وأكثرية آل سعود، وكانت النقمة الشعبية على تصرفات الحاشية الملكية وبعض الوزراء تزداد يوماً بعد يوم .

مرض الملك سعود

وخلال ذلك مرض الملك سعود مرضاً شديداً استدعى نقله إلى المستشفى الأميركي في الظهران للمعالجة، فما كان من الفيصل ومن معه من أمراء آل سعود إلا أن وضعوا عاطفة الأخوة والحب فوق الاختلافات، فليس من شأن الرجال النبلاء أن يشمتوا عند مرض الخصم أو موته، وبالعكس تهزهم الأريحية ويحملهم مصابه على مواساته ومصافاته .

كان مرض الملك سعود أخطر مما قدر، فقرر أطباء الظهران ضرورة سفره

إلى خارج المملكة لاتمام المعالجة ثم النقاهة، ومعنى ذلك أنه مضطر إلى تعيين نائب عنه خلال غيابه .

كان هذا الأمر ميسوراً جداً، لأن الفيصل هو ولي العهد ونائب الملك الطبيعي وقد ضرب مثلاً رائعاً، وإن لم يكن مستغرباً منه، على نبل نفسه وكرم أخلاقه، حين أقدم على زيارة أخيه برغم الطعنات التي تلقاها منه!

ولكن الملك سعود ظل حاقداً على الفيصل، لأنه لم يزره إلا عند مرضه... وأراد إقصاءه عن الحكم .. وقرر أن ينيب عنه، خلال غيابه عن البلاد، مجلس وصاية، يتألف من أربعة أوصياء.. وكانت الشخصيات التي اختارها أو رشحها للوصاية أعجز من أن تنهض بالاعباء الكبرى التي يراد منها القيام بها، هذا الى ما في هذا التدبير، الذي لم تكن تعرفه المملكة في تاريخها الطويل، من التحدي للفيصل ولعدد كبير جداً من أصحاب الحل والعقد في البلاد، ولذلك عارض الكثير من الأمراء الملك سعود في رأيه واجتهدوا في حمله على الرجوع عنه .

وقبيل سفر الملك الى الخارج، عاد الأمير فيصل إلى الظهران لوداعه، وكان بينهما حديث طويل حول.. من ينوب عن الملك خلال غيابه، وقد أكد لنا أحد الأمراء المطلعين أن الفيصل قال للملك سعود بكل صراحة ما معناه :
اذا أردت تجاهلنا، فقرر ما شئت، ونحن نقرر ما شئنا !

واقتنع الملك سعود بفساد الخطة التي رسمتها له الحاشية، أمام تصميم الفيصل وإخوانه على التقيد بالأحكام والحقوق والتقاليد المرعية، فتخلى عن مشروع « مجلس الوصاية » .

الملك يسافر وينيب الفيصل

وفي جمادي الثانية من عام ١٣٨١ (نوفمبر ١٩٦٠) أصدر الملك سعود أمراً ملكياً بأن ينوب عنه الفيصل في إدارة شؤون الدولة أثناء غيابه، وهذا نص الأمر الملكي:

(نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود
نظراً لسفرنا للخارج للعلاج

ونظراً لما تقتضيه المصلحة العامة من تعيين نائب لنا يدير شؤون الدولة باسمنا أثناء غيابنا

ونظراً لما نعهد في ولي عهدنا الأخ فيصل من إصالة رأي وإخلاص للوطن ولذاتنا،

أمرنا بما هو آت :

المادة الاولى – ينوب الأخ فيصل عنا في ادارة شؤون الدولة باسمنا أثناء غيابنا ويرأس مجلس الوزراء نيابة عنا .

المادة الثانية – يعمل بأمرنا هذا من تاريخه ويبلغ من يلزم تبليغه وينشر في الجريدة الرسمية) .

صدر عن الظهران : سعود

فيصل ينوب عن أخيه

ناب الفيصل عن أخيه خلال غيابه، فأصلح الأمور وهدأ الخواطر، ولم يغير أحداً من وزراء الملك سعود، مع أن بعضهم كان تظاهر بالعداء له، وكان الفيصل بحكم سلطته قادراً على إقالة من اراد من الوزراء، ولكنه لم يفعل، لأن أخلاقه لاتسمح له بالاستفادة من مرض أخيه وسفره، في عمل أشياء لا تروق له .

الملك يعود

قضى الملك سعود في رحلاته الاستشفائية حوالي أربعة أشهر، وكان قد تفاهم مع الفيصل على خطة حكيمة للعمل، وهي أنه يعود الى البلاد بعد شفائه من مرضه فيستدعي الفيصل اليه، ويتفق معه على تأليف وزارة جديدة .

ولكن الحاشية زينت للملك سعود أن يعود الى البلاد فجأة ويستّرد السلطان من الفيصل فوراً ويتسلم بنفسه رئاسة مجلس الوزراء ويقصي الفيصل عن العمل العام ويتجاهله تماماً ..

واستجاب الملك سعود لنصيحة الحاشية المضللة ، فعاد الى البلاد فجأة بعد شهر رمضان، وأذاع على الشعب العربي السعودي بياناً .. وقد أغفل فيه ما كان

يجب عليه ألا ينساه أبداً: وهو شكر الفيصل لقيامه بالنيابة عنه خلال غيبته، بإدارة شؤون البلاد بكفاءة وتجرد ومثالية .

كان تجاهل سعود للفيصل في هذا البيان إشارة واضحة إلى ما «يبيته» في نفسه من نية مصممة على إبعاد الفيصل .

ومهما يكن الأمر، فقد تراجع الملك سعود عن تصميمه .. بعد أن عرف معارضة اصحاب الحل والعقد له ووقوفهم وراء الفيصل ، ولكنه أصر على الاحتفاظ لنفسه برئاسة مجلس الوزراء، وأن يكون الامير فيصل نائباً عنه، فقبل الفيصل ذلك، وصدر في اليوم التاسع من شوال عام ١٣٨١ مرسوم ملكي بتأليف الوزارة تحت رئاسة الملك سعود، على النحو التالي :

أولاً – يشكل مجلس وزرائنا برئاستنا على الوجه الآتي :

١ – صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز
نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية

٢ – صاحب السمو الملكي الامير مساعد بن عبد الرحمن
وزير المالية والاقتصاد الوطني

٣ – صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن تركي بن عبد العزيز
وزير الداخلية

٤ – صاحب السمو الملكي الامير محمد بن سعود
وزير الدفاع والطيران

٥ –	أحمد جمجوم	وزير التجارة والصناعة
٦ –	زكي يماني	وزير البترول والثروة المعدنية
٧ –	محمد المرشد الزغيبي	وزير المواصلات
٨ –	محمد الحمد الشبيلي (١)	وزير العمل والشؤون الاجتماعية
٩ –	حسن بن عبدالله آل الشيخ	وزير المعارف
١٠ –	عبد الرحمن بن الشيخ	وزير الزراعة

(١) ملاحظة : لم يمارس الوزارة عملياً ، وبقي في عمله السابق .

١١ — الدكتور حامد هرساني وزير الصحة
١٢ — حسين عرب وزير الحج والاوقاف

ثانياً — يلغي أمرنا هذا جميع ما يتعارض معه من أوامر سابقة ويعمل به من تاريخ صدوره .

ويلاحظ أن الملك سعود لم يصدر أمراً بإقالة الوزارة السابقة ولكنه اكتفى بالغاء كل ما يتعارض مع تأليف الوزارة الجديدة !

كان الملك فيصل يدير سياسة البلاد، مع احتفاظ الملك سعود لنفسه برئاسة مجلس الوزراء شكلاً، فلم يعجب ذلك الحاشية الملكية، واستعدت لضربة جديدة .

.. وجاءتها الفرصة الذهبية، حين قرر الفيصل السفر الى نيويورك، للدفاع عن قضايا العرب أمام منظمة الأمم المتحدة وللاشتراك في المؤتمر الذي يعقده وزراء الخارجية العرب هناك، ولكن الرياح لا تجري دائماً بما تشتهي السفن!..

انقلاب اليمن وعودة الفيصل

لم يمض على سفر الفيصل الى أمريكا غير قليل، حتى وقع انقلاب في اليمن، ذكرنا تفاصيله في موضع آخر من هذا الكتاب، فلا ضرورة للتحدث عنه الآن، وحسبنا أن نقول إن الجنود المصريين نزلوا بدباباتهم ومصفحاتهم في الاراضي اليمنية وعلى مقربة من حدود المملكة العربية السعودية، وحلقت طائراتهم فوق الاراضي السعودية المجاورة لليمن وألقت عليها قذائفها، بينما كانت إذاعات القاهرة تكيل الشتائم المقذعة للملك سعود وحكمه .

كان الملك مريضاً مرضاً شديداً.. وهذا الخطر الذي جاءه على غير موعد ولا حساب ،زلزله وحيره، وزاده مرضاً، فأدركت الحاشية ان الظروف لا تحتمل الدسائس، فقبلت مشورة العقلاء، واستدعى الملك أخاه الفيصل من أمريكا، وسلمه رئاسة مجلس الوزراء، وأطلق حريته في اختيار من يريدهم من الأشخاص وزراء، وتمهيداً لذلك أقال الوزراء كلهم من مناصبهم، ولكنه استبقاهم في وزاراتهم مؤقتاً ريثما يحضر الفيصل ويسمي وزراءه.

فيصل يمارس كل السلطات ويصدر بياناً تاريخياً

.. قبل فيصل مسؤولية الحكم ولكنه اشترط هذه المرة شروطاً.. لأن الموقف أخطر كثيراً من ان تنفع فيه أنصاف الحلول، فقبل الملك الشروط، ووضع في يد فيصل كل السلطات، حتى سلطات الملك، وغادر البلاد الى الخارج، يطلب الشفاء من مرضه، والراحة والنقاهة على سواحل البحر.

.. وألف فيصل وزارة جديدة، وأصدر بياناً تاريخياً، يعد مرحلة جديدة في حياة البلاد، وعدت فيه الحكومة بمضاعفة جهودها في تطوير كيان الدولة الفتية وتدعيمه، والاخذ بيد المواطنين الى «المكان اللائق بهم كشعب كان منذ فجر التاريخ العربي مركز انطلاق العروبة الحقة ومصدر اشعاع للحضارة الإسلامية الخالدة» .

فيصل يقود حملة التوعية

ونهض فيصل بالعبء الثقيل بإيمان وقوة، وعبأ قوى الشعب، لمواجهة نزول القوات المصرية في اليمن وتهديدها لأمن المملكة، وقام في طول البلاد وعرضها بحملة توعية للرأي العام، فالتف الشعب حول زعيمه الفيصل، واستنكر العدوان بعد أن كان يصور له في صورة المساعدة للشعب والمناصرة للحرية والتقدم، واجتازت البلاد بسلامة اصعب مرحلة مرت بها خلال أزمة اليمن والإعتداءات المسلحة على الحدود .

وانصرف الفيصل، في نفس الوقت، الى تطهير أجهزة الدولة، التي حشد فيها الملك سعود أولاده ورجالاً عاجزين، فأبدلهم فيصل برجال أكفاء موثوقين وكان بهذا العمل ملهماً، لأنه وجدهم أعواناً له في الساعة الحاسمة، بدلاً من أن يكونوا خصوماً له ولسياسته الإصلاحية .

دسائس الحاشية

... وفكرت حاشية الملك سعود في الحالة التي صارت اليها، وهي تتلخص بأن الأمير فيصل يسيطر على الجبهتين الشعبية والحكومية، والقوة معه . بينما أصبح الملك سعود ملكاً رمزياً، يسود ولا يحكم، كملك انكلترا.. ، فخانتها

أعصابها، فأعادت الملك المريض من أوروبا، ودفعت به الى «محاولة»، صور لها وهمها أنها محاولة ناجحة، لما يعرفونه في الفيصل من ميل إلى السلام ورعاية لحقوق الأخوة وحرص على وحدة الأسرة !

المحاولة تتلخص في أن يستعيد الملك سلطاته، ويستوزر أولاده و«محاسيبه»، ويعين في وظائف الدولة رجالاً يختارهم هو.. والى نحو ذلك !

أراد الفيصل أن يحقق لأخيه ما يقدر على تحقيقه من مطالبه، وإن كان في ذلك بعض الضرر على المصلحة، ولكن الحاشية أبت إلا أن تظفر بكل ما تريد ومعنى ذلك عودة الفوضى والفساد، وتهديد سلامة البلاد وحريتها !

حجز الموازنة والمراسيم لاحراج الفيصل

كان الملك سعود مريضاً جداً، بل كان يخشى عليه الموت، ولكن الحاشية أبت إلا أن تستغله ما استطاعت، فكثرت تحدياتها في أقوال وشائعات تنشرها هنا وهناك، بينما كانت مراسيم الدولة ومشاريعها معطلة، لأن الملك «حجز» في ديوانه المشاريع والقرارات التي تدمتها إليه حكومة الفيصل !

الملك مريض لا يقدر على التفكير لنفسه، فضلاً عن التفكير لبلاده.. فما هو المخرج؟ هل يعتزل الفيصل، ويترك المجال لحاشية الملك، تصنع ما تشاء؟

الاحتكام الى الشرع

فكر فيصل في الإنسحاب من الحكم، ولكنه أشفق على بلاده.. على شعبه.. على تراث أبيه العظيم أن يضيع .. وعلى كرامة المملكة أن تهان، فقرر بعد مشورة العلماء والأمراء أن يصمد، وأن يعرض الخلاف بينه وبين أخيه على الشرع .

قال لنا أحد الأمراء العارفين :

«ان الرجل من عامة الناس، اذا كانت تصرفاته مشوبة بالنقص، لسوء تدبيره الناشيء عن ضعف ملكاته، يعرض أمره على الشرع ويقام عليه وصي فكيف لا يعرض على الشرع أمر رجل يتوقف على تصرفه مصير أمة ومستقبل

مملكة، اذا ما كانت هذه التصرفات مشوبة بالنقص، لمرضه الشديد، الذي يجعله عاجزاً عن التصرف؟

انا لم نشأ استعمال القوة، ولا الإستبداد بالرأي، فرجحنا الإحتكام الى الشرع !».

الفتوى الاولى

ذلك ما قاله لنا أحد الأمراء، ونحن لا نعرف تفاصيل الأسلوب الذي تم فيه عرض النزاع على الشرع، ولكننا نعلم أن المفتي الاكبر، وعدداً كبيراً من العلماء، اجتمعوا ودرسوا الموقف من جميع نواحيه، وانتهوا الى اصدار فتوى أو حكم، لم ينشر على الناس .. وإنما أشارت إليه الفتوى الثانية، التي اضطر إلى إصدارها بعد وقت قصير..

وخلاصة هذه الفتوى التي بقيت مطوية حتى اليوم – لم يشر اليها مقال في صحيفة ولا فصل في كتاب – هي أن يتولى الأمير فيصل الشؤون الخارجية وبعض المسائل المهمة، لأنها أمور دقيقة وخطيرة ولا يستطيع الملك معالجتها، ولذلك يكتفي بإطلاع الملك عليها لمجرد العلم بها ..

كانت البلاد في أشد الحاجة إلى حكم الفيصل الرشيد الحازم، لتقف الموقف الملائم من أحداث اليمن، وتسهر على سلامة البلاد وأمنها في الداخل، أمام الدسائس والمؤامرات التي تغذيها مصادر خارجية .. ولكن فريقاً من أبناء الملك سعود وحاشيته لم يقدروا الظروف، فزينوا للملك أن يسترد السلطات من فيصل، بل تجاوزوا ذلك الى التحدي والإستفزاز، وكأنهم يريدون بالبلاد شراً مستطيراً، فاجتمع عدد من عقلاء المملكة، وفي مقدمتهم أبناء الملك عبدالعزيز، ورأوا أن البلاد لن يكتب لها الإستقرار والسلام إلا إذا تخلصت من مصدر متاعبها الدائم، وهو الملك سعود نفسه، لأنه ضعيف عاجز وحاشيته سيئة، وقد عرضوا رأيهم على الأمير فيصل وطلبوا منه أن يخلع الملك ويتولى العرش مكانه، والأمة كلها من ورائه، ولكن الفيصل رفض ذلك رفضاً شديداً، وطلب منهم التفكير في حل آخر ..

فتوى العلماء

وقام الأمير محمد ـ وهو أكبر أولاد عبد العزيز بعد سعود وفيصل، وقد اشتهر بشجاعته وعزوفه عن السياسة والمناصب وكانت له خلال الأزمة مواقف رائعة ـ بدعوة العلماء ثم الأمراء الى دراسة الحالة وتدارك الخطر المحيق بالمملكة فاجتمع العلماء الكبار أولاً وتدارسوا الموقف، وأصدروا يوم ١٦ ذي العقدة ١٣٨٣ ـ ٢٣ اذار ١٩٦٤ الفتوى الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد .. فبناء على الخلافات القائمة فيما بين جلالة الملك سعود وأخيه سمو الامير فيصل، والتي سبق أن اجتمعنا لها في شهر شعبان ودرسناها واتخذنا فيها قرارنا المؤرخ ١٦ ـ ٨ ـ ٨٣هـ. الذي رجونا أن يكون حاسماً لتلك الخلافات .

وبناءً على ما ظهر لنا أخيراً من عدم حسم ذلك القرار للنزاع ، وبالنظر لتوسع هذه الخلافات في الآونة الأخيرة حتى كادت تقع بسببها فتنة وفوضى في البلاد لا يعلم مدى أضرارها ومفاسدها الا الله عز وجل، وحيث أنه لا بد من النظر في وضع حل حاسم لهذه الخلافات والمنازعات التي تتجدد من حين لآخر والتي لا تعود إلا بالضرر على البلاد والعباد فقد عقدنا نحن الموقعين أدناه عدة جلسات ودرسنا الأوضاع على ضوء تطور الاحداث واستعرضنا حالة الملك الصحية وظروفه الراهنة، وبالنظر الى أن جلالة الملك غير قادر على القيام بمهام أمور الدولة، فقد قررنا بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة ما يلي :

أولاً ـ أن يكون جلالة الملك سعود ملكاً على البلاد، له حق الاحترام والإجلال .

ثانياً ـ أن يقوم سمو الامير فيصل، ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، بتصريف جميع شؤون الدولة الداخلية والخارجية، في حضور الملك وغيبته، بدون الرجوع الى الملك في ذلك .

هذا ما قررناه، متمشين مع ما تقتضيه النصوص الشرعية المراعية للمصالح العامة .

والله نسأل أن يحفظ على الأمة الإسلامية دينها، وأن يجمع كلمتها على ما يحبه ويرضاه، وأن يوفق ولاة أمورها الى ما فيه خيرها وصلاحها .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) .

محمد بن ابراهيم، عبد اللطيف بن ابراهيم، عمر بن حسن، عبد الملك بن ابراهيم، عبد العزيز الشتري، عبدالله بن حميد، عبد العزيز بن باز، عبد العزيز ابن صالح، محمد بن حركان، سليمان بن عبيد، عبدالعزيز بن رشيد، عبد الرحمن فارس .

الامراء يؤيدون الفتوى

واجتمع الأمراء على أثر صدور هذه الفتوى، ووقعوا على بيان جاء فيه:

أولاً — إننا نؤيد التأييد التام لفتوى أصحاب الفضيلة العلماء .

ثانياً — نطالب سمو الأمير فيصل ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الإسراع في تنفيذ هذه الفتوى واتخاذ الإجراءات اللازمة لتعديل الأنظمة حتى يمارس سموه جميع الصلاحيات التي نصت الأنظمة المعمول بها على إناطتها بجلالة الملك .

سائلين الله عز وجل أن يوفق الجميع إلى ما فيه صلاح ديننا وأمتنا)

نقل سلطات الملك الى الفيصل !

وفي اليوم السابع عشر من شهر ذي القعدة عام ١٣٨٢، اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الأمير خالد نائب رئيس مجلس الوزراء، واتخذ القرار الآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ان مجلس الوزراء،

بوصفه صاحب السلطة التنظيمية بمقتضى المادتين التاسعة عشرة والعشرين من نظام مجلس الوزراء، والذي يملك حق اعداد الانظمة أو تعديلها،

وبعد استعراض الاوضاع الراهنة وما تقضي به الضرورة من وضع حد لكل ما ينتقص من نعمة الاستقرار التي تستمتع بها البلاد، أو يعرقل حركة الاصلاح التي تأخذ مجراها السريع .

واستناداً على الفتوى الشرعية الصادرة بتاريخ ١٦ — ١١ — ١٣٨٣ هجرية من اثني عشر عالماً من فقهاء هذه الأمة والتي جاء بها أنه نظراً لحالة الملك الصحية وظروفه الراهنة، ونظراً لأ ن جلالته غير قادر على القيام بمهام أمور الدولة فقد أصدروا قرارهم متمشين مع ما تقتضيه النصوص الشرعية المراعية للمصالح العامة بأن يقوم سمو الأمير فيصل ولي العهد بتصريف جميع شؤون الدولة الداخلية والخارجية في حضور الملك وغيبته بدون الرجوع الى الملك في ذلك .

وبعد أن اطلع المجلس على القرار الذي اتخذه أعضاء الاسرة المالكة والذي أجمع فيه رأي الحاضرين منهم على وجوب قيام صاحب السمو الملكي ولي العهد بجميع الصلاحيات التي نصت الانظمة على أن يمارسها جلالة الملك .

وبناء على الأمر الملكي الصادر برقم ٤٢ وتاريخ ٩ شوال سنة ١٣٨١ والذي

أصبح بمقتضاه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائباً عن جلالة الملك في شؤون الدولة في حالة غيابه وحضوره، وايماناً من المجلس بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه في هذا الظرف التاريخي الذي تمر به بلادنا العزيزة، يقرر ما يأتي :

أولاً) مع بقاء صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ملكاً للبلاد، تناط جميع المسؤوليات والصلاحيات التنظيمية والتنفيذية والإدارية والقضائية التي يتمتع بها جلالته طبقاً لاحكام الشريعة الغراء والانظمة المرعية في البلاد بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد ونائب جلالة الملك ويعتبر سموه المسؤول الوحيد عن القيام بجميع تلك الصلاحيات والمسؤوليات .

ثانياً) كافة الاحكام الشرعية والنظامية التي تنيط صلاحية بصاحب الجلالة الملك بوصفه رئيساً للدولة وقائداً أعلى للقوات المسلحة تعتبر بحكم هذا القرار مناطة بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائب جلالة الملك، ويعتبر هذا بمثابة تعديل للأحكام المقابلة في كافة الأنظمة وعلى وجه الخصوص المواد الثامنة عشرة والحادية عشرة والثالثة والعشرين والسابعة والثلاثين والرابعة والاربعين من نظام مجلس الوزراء .

ثالثاً) يطلب من صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب جلالة الملك التصديق على المرسوم الملكي المرافق لهذا القرار بوصفه نائباً للملك .

نائب رئيس مجلس الوزراء
خالد بن عبد العزيز

صدر هذا القرار في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٨٣ هـ. وبنفس اليوم صدر عن الفيصل، بوصفه نائب الملك، مرسوم بالمصادقة عليه .

معنى القرار

إن قرار مجلس الوزراء لا يذكر كلمة «وصاية» ، ولكن هذا التدبير الذي أقره، هو الوصاية نفسها، فقد عاملوا الملك سعود كما يعامل أي إنسان قاصر ،

فأوكلوا ممارسة حقوقه، لعجزه عن التصرف بها، إلى رجل أمين راشد يعرف كيف يتصرف بها ويصونها .

لم تستعمل الصحافة السعودية كلمة وصاية، ولكن الصحافة الغربية، التي عرفت في بلادها مثل هذه الحالات، أطلقت على الأمير فيصل، بعد صدور هذا القرار، لقب «الوصي على العرش» ، وهو لقب صحيح .

تصرفات خطيرة تهدد سلامة البلاد

لم تفهم حاشية الملك السابق معنى قرار انتقال السلطات، وما يوجب على الملك ومن حوله من الإمتناع التام عن الإشتغال بسياسة البلاد وأمورها العامة، فراح أفراد منها يستغلون اسم الملك ويقحمونه في أعمال بالغة الخطر، ولم يتورع بعضهم عن توزيع «النشرات» المعادية للحكم القائم، بينما كان فريق منهم يتظاهر بحمل السلاح كأنه مصمم على دخول معركة ..، وقيل أيضاً إنهم قاموا باتصالات خارجية من شأنها تهديد سلامة البلاد وهدر كرامتها، وهكذا أصبح السكوت على هذا الوضع .. معناه .. تعريض البلاد لخطر كبير وشر مستطير لا يعرف أحد نتائجه الوبيلة، لا سمح الله .

قرار العلماء والامراء بخلع سعود

لم يبق أمام العقلاء وأصحاب الحل والعقد في المملكة، أمام هذه التصرفات التي يخشى منها على سلامة المملكة ونظامها واستقرارها، الا أن يجابهوا الموقف بحزم ويجدوا له العلاج الجذري الحاسم .

ان الأمور العامة الخطيرة، في السعودية، تعالج في اطار من الهدوء والصمت والكتمان، ولذلك يصعب علينا أن نعرف تفاصيل الأساليب التي اتبعت لتحقيق سلامة النظام، وكل ما يستطيع رجل لم يشترك في هذه الأحداث معرفته، هو أن اتصالات كثيرة جرت مع جلالة الملك السابق سعود لتبصيره بخطورة الموقف وحمله على وضع حد لهذه التصرفات الغريبة ، فما أجدت هذه الوساطات .

وقد قال لي أمير جليل القدر، معروف بعقله وحكمته :

لقد كنت خلال الأزمة حريصاً على بقاء سعود ملكاً شكلياً، يدير الفيصل الحكم باسمه، ولكنني غيرت رأيي تماماً وعملت بكل قواي على خلع الملك سعود منذ اللحظة التي وضع فيها سعود المصفحات والمدافع حول قصره وعزم على تقتيل الناس .. وانطلق رجاله وحاشيته يستفزون الآخرين ويتحدونهم بأساليب مزرية .

وأضاف هذا الأمير الجليل، وقد عادت به الذكرى الى التاريخ القريب:

«لقد ضحى جدنا الامام فيصل بن تركي عرشه وقبل أن يسلم نفسه للمصريين مرتين، وذلك لقاء تعهدهم له بأنهم لن يؤذوا شعب نجد لا في أرواحه ولا في ممتلكاته، ففيصل يضحي بنفسه ليحمي أرواح الناس .. وسعود وجماعته يضحون بأرواح الناس في سبيل سلطة لا يحسنون استعمالها ! »

وهكذا لم يبق أمام أصحاب الحل والعقد في المملكة إلا اتخاذ القرار الوحيد الذي يضع حداً حاسماً للحالة وهو : خلع سعود من الملك والمناداة بولي العهد الأمير فيصل ملكاً على البلاد .

ولكن هذا الحل لم يتحقق بسهولة ويسر..

وقد يظن أن سبب صعوبته ناشئة عن قوة الملك وحاشيته وأنصاره، وما قد يترتب على خلعه من النتائج، كقيام حرب أهلية طويلة ...

والحقيقة هي ان قلوب الشعب كانت مع الفيصل، والقوى كلها أيضاً موالية له، وكان قادراً على خنق كل حركة يقوم بها الملك سعود في مهدها .

الصعوبة كانت ناشئة عن موقف الفيصل نفسه .. فقد كان الفيصل يرفض خلع أخيه، لا خوفاً منه، ولكن اشفاقاً عليه، وأمام تشدد الفيصل عرض عليه فريق من العلماء والامراء أن يقنعوا الملك سعود بالتخلي عن العرش من تلقاء نفسه، فقبل الفيصل هذا الرأي .

.. ومضى الوسطاء في مساعيهم الحميدة، ولكن الملك وحاشيته أصروا على رفض هذا الحل، وأبوا إلا أن يستعيد الملك المريض سلطاته، وتهددوا وتوعدوا

وفي تلك الفترة كان الفيصل قد غادر جدة بالسيارة في طريقه الى الرياض(١) فلما بلغهـا تناول العشاء في منزل عمه وصديقه الحميم الأمير عبدالله بن عبد الرحمن وكان التساهل الوحيد الذي أبداه الفيصل، بعد أن بلغت الأزمـة ذروتها، هو أن لا يعارض قراراً يتخذه أصحاب الحل والعقد بالاجماع أو ما يشبه الاجماع، ولكنه يؤثر دائماً أن يتم بالتفاهم والتراضي مع أخيه.

وعالج العلماء والأمراء الحل الودي مع سعود وجماعته حتى يئسوا، وعندئذ قرر العلماء والأمراء خلع الملك سعود من غير استشارة الفيصل، وكتبوا رسالة بذلك وجهوها الى نائب رئيس مجلس الوزراء، وقرروا في نفس الوقت المبايعة للفيصل بالملك والإمامة — وهذا حقه الثابت شرعاً، وليس هناك من ينافسه عليـه.

وهكذا يصح في إمامة الفيصل قول الشاعر :

(أتته الإمامة منقادة   إليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح إلا له   ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره   لزلزلت الارض زلزالها

(١) ذكرت جريدة «الحياة» البيروتية في مقال نقله عنها (ده غوري) وغيره من الكتاب الغربيين أن الفيصل اتصل بأخيه سراً واستفتى القبائل ودعا مجالس الامراء والعلماء الى الاجتماع الخ. وكل ذلك غير صحيح.

مبايعة فيصل بالملك والامامة

وفي يوم الإثنين، السابع والعشرين من جمادي الثانية ١٣٨٤، اجتمع مجلس الوزراء، برئاسة سمو الأمير خالد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وقرر خلع الملك سعود ومبايعة فيصل ملكاً شرعياً على المملكة العربية السعودية واماماً للمسلمين .

وهذا نص القرار التاريخي :

قرار البيعة

« بسم الله الرحمن الرحيم »

«في الساعة الرابعة والنصف من يوم الاثنين في السابع والعشرين من شهر جمادي الثانية سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بعد الألف، اجتمع أعضاء مجلس الوزراء وأعضاء مجلس الشورى برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء، واطلعوا على نص الخطاب المؤرخ في ٢٢ – ٦ – ١٣٨٤هـ. الموجه من كافة أسرة آل سعود، وأصحاب السماحة والفضيلة العلماء الذي أعلموهم فيه قرارهم بخلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عن الملك ومبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً للبلاد واماماً للمسلمين و طلبهم النظر في ذلك من الوجهة الشرعية واصدار الفتوى الشرعية اللازمة . وقد اطلع المجتمعون أيضاً على الفتوى الشرعية الصادرة من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء، الذين اجتمعوا برئاسة سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية المؤرخة في ٢٦ – ٦ – ١٣٨٤ هـ. المسندة الى الفتوى الشرعية

السابقة الصادرة بتاريخ ١٦ – ١١ – ١٣٨٣ هـ . وبها مبررات واقعية مقدمة وقواعد شرعية وقرروا فيها :

أولا) خلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل عن الملك .

ثانيا) مبايعة ولي العهد الامير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملكا شرعيا على المملكة العربية السعودية .

وعليه في ذلك تقوى الله وتحكيم شريعته في جميع الشؤون والزام الرعية بذلك .

وقد أيد المجتمعون بالاجماع قرار أسرة آل سعود والعمل بالفتوى الشرعية الصادرة من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء المؤرخة في ٢٦ – ٦ – ١٣٨٤ هـ . وقرروا :

أولا) مبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكا شرعيا على المملكة العربية السعودية واماما للمسلمين .

ثانيا) أن يطلب من حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود قبول البيعة واعلانها .

ونسأل الله أن يجعل عهد جلالته مقروناً باليمن والخير والتقدم والإزدهار وأن يوفقه لخدمة شريعته واعلاء كلمته . والله ولي التوفيق » .) .

الفيصل يقبل البيعة

حمل قرار مجلسي الوزراء والشورى إلى الفيصل ، في حضور عدد من أكابر العلماء والأمراء ، فوقف المفتي الأكبر للمملكة ورئيس قضاتها معلناً البيعة لجلالة الملك فيصل باتفاق رجال الحل والعقد ومن ورائهم الشعب كله .

قال سماحته ، موجهاً الخطاب إلى الفيصل :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ، فقد حصل الإتفاق والإجتماع من أمراء سائر العائلة المكرمة السعودية ومن طلبة العلم على خلع سعود بن عبد العزيز ، والآن هو مخلوع ، وسيبايع فيصل الآن ، نسأله تعالى أن يوفق فيصل لما يحبه إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

ثم تقدم سماحته فبايع جلالة الملك المعظم قائلاً :

« قد بايعتك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى إقامة العدل والإنصاف والقيام بأمور الإمامة وأداء حقوقها ، المعروفة والمعلومة ، وفقك الله لما يحبه ويرضاه » .

فأجاب صاحب الجلالة :

(وأنا من جانبي أبايعكم على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وتحكيم الشريعة وأن أكون خادماً للشرع في جميع الأمور وأن أسعى بكل ما في إمكاني لحفظ كيان هذا البلد وخدمة مواطنيه فيما يصلح دينهم ودنياهم .

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين عاملين بالخير متقين الشر متبعين كتاب الله وسنة رسوله وأن يجعلنا من أنصار دينه وأن يوفقنا دائماً لاتباع ما يجب علينا من خدمة ديننا وأمتنا ووطننا ، إنه على ما يشاء قدير والله سبحانه وتعالى يوفق الجميع للخير » .

وتوالى الحاضرون من الأمراء والوزراء والعلماء والأعيان بمبايعة جلالته .

بيان الفيصل الى الشعب

وقد أذاع جلالته على أثر قبوله البيعة ، بياناً على الشعب ، ألقاه بنفسه في الر ديو ، قال جلالته :

(إخواني وأبناء وطني ،

نحمد الله إليكم ونستعينه ونستغفره ونسلم على نبيه محمد هادي البشريـــة ومنقذ الإنسانية ونسأله تعالى لنا ولكم التوفيق والسعادة .

إخواني ، لقد شاء الله جل وعلا أن يضع على عاتقنا في هذا اليوم مسؤولية الملك ونحن الذين حرصنابكل ما وسعنا من جهد أن تجري الأمور في مجراهـــا الطبيعي وأن لا تخرج الى الحد الذي وصلت اليه .

وحاولنا في السنوات الأخيرة أن نكف عن بلادنا وأمتنا ما قد تتعرض له من نتائج وخيمة غير أن العامة قد انتابها الجزع بشكل خاص وتتالت الاحداث التي تعرفونها وما نحن الآن بصدد التعرض له .

وجاء قرار أسرة آل سعود إجماعياً يلزمنا بالمبايعة ، ثم تبعته فتوى أصحاب السماحة والفضيلة العلماء ورؤساء المحاكم والقضاة ، ثم قرار أعضاء مجلس الوزراء وأعضاء مجلس الشورى فلم يسعنا وقد ألح أهل الحل والربط على وضع مسؤولية الملك في عنقنا الا القبول . وما كنا طوال المدة السابقة نرفض حتى مجرد التفكير في ذلك تهربا من المسؤولية وانما عزوفا عن مظاهرها ورغبة صادقة في أن تجري الامور كما أسلفنا في مجراها الطبيعي .

والآن وقد شاءت ارادة الله الكبير أن نقوم بهذا الواجب المقدس فاننـــا نسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد حتى نحقق لكم ما عقدتموه من آمال . لنصل ببلادنا العزيزة الى المستوى المنشود والهدف المرسوم . ثم أسألكم بعـــد

ذلك فردا فردا، انتم شعب هذا البلد الكريم، أن تعينوني بكل جهدكم على أداء واجباتنا وتحقيق ما نصبو اليه ، وأول ما نطلب منكم تقوى الله ، والتمسك بتعاليم دينه وأحكام شريعته ، فذلك أساس عدتنا وهو مرد حكمنا وسر قوتنا ، ونطلب أن يضاعف كل واحد منكم جهده في حقله الذي يعمل فيه وأن نحس جميعا أننا في معركة بناء تتطلب صبرا وجهدا وستكون نتيجتها بعون الله ثمرات يانعات ننعم بها وتنعم بها من بعدنا أجيالنا القادمة .

أما موظفو الدولة وكافة أجهزة الحكومة فيقع عليهم عبء خاص في هذه المعركة قوامه مخافة الله والامانة المطلقة والشعور بالمسئولية . »

ومضى الملك فيصل يقول : « لسنا في حاجة الى تكرار سياستنا الاصلاحية الداخلية التي سبق أن أعلنا عنها والتي نسير سيرا حسنا في تنفيذها في حدود امكانياتنا وبكل طاقاتنا . ولكننا نؤكد لكم أننا وقد منحنا الله نعمة الاستقرار سنضاعف الجهد نحو تحقيق أهدافنا الاصلاحية في جميع مجالاتها السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية وسنبذل جهدنا في تدعيم الاساس الديني الذي تقوم عليه هذه الدولة التي شرفها الله وجعل فيها بيته ومسجد نبيه ووضعها بذلك في مركز سياسي خاص منذ بدأ فجر الاسلام وانطلق مشعل الهداية وركب العروبة عن أرضنا الطاهرة .

ولسنا أيضا في حاجة الى تكرار الاساس الذي تسير عليه سياستنا الخارجية ، فنحن منذ أسس هذه الدولة بانيها وواضع أساس نهضتها المغفور له الملك عبد العزيز قد أثبتنا في المجال الدولي ايماننا بالسلام العالمي ورغبتنا في تدعيمه وتقويته ونشره في ربوع العالم . وكنا ولا نزال نفعل ذلك بوحي من تعاليم ديننا وتقاليدنا العربية الاصيلة .

اننا نؤيد الان في سبيل ذلك نزع السلاح وتجنيب البشرية مخاطر الاسلحة الفتاكة وندعو الى حرية تقرير المصير لكل الشعوب وحل المنازعات الدولية بالوسائل السلمية المرتكزة على الحق والعدل .

ومن أهداف سياستنا الخارجية المعروفة التعاون الى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة وتنفيذ مقررات مؤتمري القمة العربيين والسعي الى تحرير

جميع أجزاء الوطن العربي التي لا تزال تحت الاستعمار والسير مع الـــدول الاسلامية في كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ورفعة شأنهم ، ونؤيد ميثاق الجامعة العربية وندعمه ونسنده ونؤيد ميثاق هيئة الامم المتحدة ومقررات مؤتمـــر باندونغ ودول عدم الانحياز . ونسعى بكل ما أوتينا من قوة الى ان يسود العالم سلام عادل وحرية حقيقية وطمأنينة دائمة . » .

مبايعة الجماهير ومهرجاناتها

كانت بيعة فيصل بالملك عيداً موصولاً عند الشعب ، في كل مدينة وقرية ، وقد أقبل الناس يبايعونه ويدعون له ، وأقيمت مهرجانات شعبية كبيرة لهـــذه المناسبة حضر الفيصل اكثرها وشكر للخطباء الذين أثنوا عليه ببعض ما يستحقة جميل رأيهم ، ولن نستطيع في هذا الكتاب إلا أن ننوه بحفلات مكة والمدينة والرياض والمنطقة الشرقية ووزارة المعارف والجيش والحرس الوطني والهيئة الديبلوماسية في جدة .

صدى البيعة في الخارج

استقبل العالم كله مبايعة فيصل بتقدير واعجاب ، وأجمعت الصحـــف الكبرى في مختلف بلدان الغرب والشرق على أن المناداة بفيصل ملكا على المملكة العربية السعودية بدء تحول جديد في حياة المملكة ، ولو أن المملكة العربيـــة السعودية بذلت مال الدنيا لتحصل على دعاية عالمية لنفسها ، لما استطاعـــت أن تحقق مثل هذه الدعاية ، التي جاءت مجانا بارتقاء جلالة الملك فيصل عرشها ، فقد انهارت بذلك الصور الغريبة التي كانت ترتسم في أذهان الكتاب الغربيين عن المملكة ، وحلّت محلها صور رائعة لزعيم عبقرى وملك مصلح ، ومملكة تجمع بين التمسك بالخلق الديني الكريم وبين الاخذ بأسباب النهضة والتقدم .

ونحن نكتفي الان بذكر شيء مما نشرته الصحف الاجنبية :

استحق الملك بعرق جبينه

قالت جريدة « لوموند » الباريزيه :

« الملك فيصل ، هو الملك الذي يمكن إن يقال إنه استحق الملك بعـــرق جبينه .

وكان يفضل ارتقاء العرش ، بعد اعتزال أخيه سعود ، ولكن الملك سعود لم يفعل .. لان أولاده لم يتركوا له حرية الإختيار !

الملك يبدو أكبر من سنه ، لكثرة ما يعمل ويفكر ، وهو يستمع الى محدثه بانتباه ظاهر ، ولكن فكره يكون ، أحيانا ، سارحاً في ميدان آخر .. في أمر من أمور الدولة يهمه ..

أكثر كلامه أمثال ، وحكم ، وقد يردّد آيات من القرآن ..

.. وهو يفتح حدوده لتيار الافكار الغربية ، بشرط أن يظل الاسلام فوق كل شيء .

في عام ١٩٦٣ ، أثناء خطاب كان يلقيه الفيصل ، صاحت الجماهـــير : لسنا شيوعيين ولا اشتراكيين ، نحن مسلمون ، عرب ! وهذه الصيحة ليست إلا صدى لتفكيره الخاص ، فهو لا يريد تقليد أحد !

وأفكاره في السياسة الخارجية ليست جامدة ، وهذا شيء حسن . » .

الفرق بين عقليتين

ومما قالته جريدة هيرالدتريبيون :

« .. لم يكن فيصل راغبا في خلع أخيه ، الملك سعود ، حتى لا يكون ذلك سابقة ، ولانه كان وعد والده بمؤازرة أخيه . ولكن الاسرة المالكة قررت ، مع العلماء ، خلع الملك سعود ، وفرضت هذا الحل على فيصل ..

والملك الجديد يختلف عن سعود ، الملك السابق ، اختلافا كبيرا . فسعود يحب المظاهر ، والقصور ، والسيارات .. بينما يكره فيصل المظاهر الفارغة ،

وهو متمسك بدينه ، ولا يدخن ولا يشرب المشروبات الكحولية ، ويأكل اعتدال . وهو ، إجمالا ، أميل الى التقشف » .

ومما قالته جريدة الايكونوميست :

كان سعود يتصرف كملك مستبد ، ويسرف في انفاق موارد البلاد على نفسه وعلى حاشيته ورجاله ..

أما فيصل ، فهو رجل عصرى ، جهز العربية السعودية بمؤسسات دولة تعيش في القرن العشرين ووضع لها أسس اصلاح سليم في حياتها الاقتصادية والاجتماعية » .

ومما قالته جريدة « التايمس » :

من تقاليد البلاد السعودية أن الملك العاجز يبدل بخير منه، وهذا ما يجري عند العشائر ، فمتى أصبح شيخها سيء التصرف ، لا يطاق ، تذاكر كبار العشيرة الأمر ورأسوا عليهم شيخا غيره .

كان سعود ، كلما ساءت الاحوال ، يترك لفيصل كل السلطات ، ولكنه متى شعر أن الامور عادت الى نصابها ، عاد هو .. واسترد السلطة !

وأخيراً ، لما اشتد المرض على سعود ، وسافر الى أوروبا ، ظن الناس أنه سيتوارى عن الانظار ، ولن يعود ، ولكنه عاد فجأة ، من غير أن يخبر أحداً بقدومه ..

ان الفرق بين سعود وبين فيصل كبير .. فسعود كريم الى حد التبذير ، وكان يميل دائما الى وضع السلطة في أيدى أولاده وحاشيته ، مع ترك الحرية لهم في الحصول على الأموال بأية وسيلة .. ولم يفكر قط في ردعهم أو محاسبتهم .

أما فيصل ، فكان يرى سياسة أخيه خطرا على حياة البلاد وعلى العرش نفسه ، وهومتمسك بالنظام، محب للاصلاح ، يريد أن يرى الاموال التي يبذرها أخوه هدرا ، تصرف في اقامة المستشفيات والمدارس ، وتعبيد الطرق وتشييد المشاريع النافعة ، وبالجملة يريد أن تحكم البلاد كما تحكم أية بلاد حديثة

راقية ، وهو اذا لم يقدم حتى اليوم على تطبيق النظام البارلماني في بلاده ، بسبب الظروف والدسائس الخارجية ، فانه يتبع سياسة حكيمة محققة لرغبات الشعب الحقيقية ، وحسبنا أن ننظر الى البلاد العربية الأخرى التي تدعي أنها « تقدمية ».. مع أنها تسير الى الوراء .. أما السعودية فإنها ماضية في طريقها الى الامام . »

لقد بدأ عهد جديد

وكتب الصحفي الشهيد كامل مروة ، مقالا عن الحدث التاريخي العظيم الذى تم بارتقاء فيصل الملك ، فقال :

(.. ارتبط اسم فيصل بقيادة الدولة ، منذ توفي والده الملك عبد العزيز ، وخلف سعود ملكاً ، وفيصلا وليا للعهد ، في العام ١٩٥٣ ، ومنذ ذلك الحين والدولة السعودية تدور في محور فيصل ، ان من قريب أو بعيد .

وثبت ، بصورة لا تحتمل الشك ، أن الدولة لا تستطيع الخروج من هذا المحور دون أن تتيه ، وأخذت أسهم فيصل ترتفع عاماً فعاما ، فيما كان أخوه الملك سعود يبتعد عن حقائق الحياة العامة . ومنذ سنة ١٩٥٨ بات في استطاعة فيصل أن يتسلم الملك حين يشاء . ولكنه أبى أن يسجل مثل هذه السابقة ، وأصر على أن يظل الملك سعود رأس الدولة والاسرة .

وفي كل أزمة تعرض ، وما أكثر الازمات التي عرضت ، كان اخوانه يعرضون عليه الملك ، فيرفضه رفضا باتا ، فما الذي جعله يقبل اليوم ما رفضه بالامس ؟؟ .

الجواب كامن في الوضع الشاذ الذي آلت اليه المملكة في الاشهر الاخيرة فلقد نقل العلماء والامراء مسؤولية الحكم الى فيصل منذ ١٩٦١ ، وبقي سعود ملكا يملك ولا يحكم . وكان مفروضا أن يسير جهاز الحكم على هذا الاساس المزدوج ، وأن تستأنف عجلة الدولة الدوران بعد طول الجمود .

ولكن هذا الامل ما لبث أن تبدد . فلقد ابى الملك سعود ارتضاء هـذا الوضع الجديد . وأصر على السعي الى استعادة صلاحياته ، رغم اعتلال صحته وتعدد مشاكله . ووجدت الدولة نفسها في وضع صعب : فهنا ملك ما يزال

صاحب العرش ، وهناك ولي عهد يحكم بالوكالة ، ولكن دون أية ضمانة قاطعة بالنسبة الى المستقبل .

.. واليوم ، يبدأ عهد جديد ضمانته شخصية فيصل وحكمته وحنكته ، والمملكة العربية السعودية هي قطب من أقطاب المجال العربي والمدى الاسلامي ، ولها في هذه الايام بصورة خاصة دور أساسي يجب أن تمثله دفاعا عن القيم الروحية والقومية التي انبثقت عن الجزيرة ، مهبط الوحي ومنبع الاجداد ، وثقتنا كبيرة في مقدرة الملك فيصل على سد الفراغ في الداخل وفي الخارج ، أخذ الله بيده في سبل التنظيم ، والانشاء والتنمية التي اختطها وباشرها ، حتى تكتمل في الدولة السعودية المقومات الحديثة المطلوبة في هذا الظرف الحساس ، وتحتل مقامها الطبيعي . » .)

بيعة الملك السابق سعود

في اليوم الثاني من رمضان ١٣٨٤ هـ . أي بعد شهرين من مبايعة الامراء والعلماء ومجلس الوزراء والجمهور لفيصل بالملك ، واستقرار الامر له ، رأى الملك سعود أن يدخل مع الأمة في اجماعها ، فأرسل الى أخيه كتابا يبايعه فيه بالملك ، وهذا نص الكتاب :

(من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل .

الى جناب الاخ جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز سلمه الله .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بناء على ما أقرته الاسرة والعلماء بتنصيبكم ملكا على البلاد فإنا نبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله ملكا للبلاد راجيا لكم التوفيق وللشعب السعودى الرفاهية والازدهار والتقدم والسلام .

التوقيع — سعود

اختيار الأمير خالد ولياً للعهد

أراد فيصل تثبيت التقليد الذي أنشأه والده العظيم باختيار ولي للعهـــد ، فاختار أخاه سمو الأمير خالد وليا للعهد ، وهو اختيار موفق ، لما يتحلى به هذا الأمير من الخلق الرفيع والسجايا الكريمة وحب الخير للبلاد والناس، والتمسك بالدين وصدق الوطنية ، مع الحلم ورقة الجانب .

كان سمو الامـــير محمد بن عبد العزيز ، أكبر أبنـــاء عبد العزيز ، بعد سعود وفيصل ، هو المرشح لمنصب ولاية العهد ، ولكنه أعلن رفضه لهذا المنصب ، وتخليه عنه ، لانه معروف منذ القديم بعزوفه عـــن الاشتغال في المناصب العامة ، حتى انه كلف مرة بالنيابة عن الامير فيصـــل ، خلال غيابه عن البلاد ، فقبل مكرهاً ، ولكنه لم يطق الصبر على « الوظيفـــة » طويلاً ، فاستعفى من الوكالة ، ووضع شقيقه الأمير خالد في موضعه !

وباستعفاء الامير محمد ، ينتقل الحق بولاية العهد ، بمقتضى قاعدة (السن) إلى الأمير الذي يليه ، وهو : الأمير خالد .

والأميران محمد وخالد شقيقان من أم واحدة ، هي الأميرة « جوهـــرة ».

وقد أصدر جلالة الملك فيصل ، لمناسبة اختيار الامير خالد وليا للعهد ، البيان الآتي ، موجها الى الشعب العربي السعودى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ،

« من فيصل بن عبد العزيز ، ملك المملكة العربية السعودية، الى اخواني أبناء الشعب العربي السعودى الكريم ،

تحية وبعد ، فأني أحمد الله على نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمـــه ، هذا ونظراً لأن ولاية العهد هي عنصر أساسي من عناصر استمرار الحكـــم ورسوخه . بعد أن تمتعت البلاد بنعمة الاستقرار وسارت في طريق التقـــدم والازدهار بفضل تمسكها بدينها الحنيف وشريعتها السمحاء ، فانه ليسرني أن أعلن لاخواني أبناء الشعب العربي السعودى الكريم بأنني قد اخترت أخي الامير خالد بن عبد العزيز وليا للعهد .. يحكم من بعدي بكتاب الله وسنة رسوله وكلي ثقة بأن الشعب سيكون له خير ناصر ومعين والله ولي التوفيق . »

الفصل الخامس

النظام الاساسي للمملكة

اسم الدولة وشكلها ونوع نظامها وصفتها الاسلامية

التطورات الدستورية في المملكة

سلطات الملك

سلطات مجلس الوزراء

حقوق الإنسان

معنى الدستور

للدستور ، وهو لفظ فارسي ، معنيان ..

فهو ، بمعناه اللغوي العام : القاعدة والأساس — ١ —

وهو ، في المصطلح السياسي : مجموعة القواعد والتنظيمات — سواء أكانت مكتوبة أم عرفية ، وسواء أكانت مجتمعة في نص كامل أم متفرقة في نصوص متعددة — التي تحدد شكل الدولة والحكم ، وأوصاف السلطات العليا في الدولة وصلاتها بعضها ببعض ، وتضمن حقوق الإنسان والمواطن .

وبهذا المعنى الإصطلاحي يعرف الدستور في كثير من البلاد ..

أما في المملكة العربية السعودية ، فالناس ، في كثرتهم ، يستعملون الدستور بمعناه اللغوي ، أي القاعدة .. أو القواعد العامة التي توجّه سلوك الناس ، ولذلك نسمع علماءهم يقولون : « دستورنا .. القرآن » .

سأل صحفي غربي الفيصل ، قبل مبايعته بالملك : « هل تفكرون ، يا صاحب السمو ، في وضع دستور للمملكة ؟ »

فأجابه : « أظن أن دستور المملكة أقدم دستور في العالم ، وقد مضى على كتابته أكثر من ١٣٠٠ سنة ، وهو : « القرآن الكريم » .

فمن يساعده الحظ أن يكون القرآن دستوره ، فهل يتطلع إلى أي دستور وضعي ؟ »

قد يظن بعض الناس أن جلالة الملك أراد الإبتعاد عن موضوع السؤال الحقيقي ، بأسلوب الحكيم .. لأن القرآن لا يبيّن التنظيمات الحكمية — أو الحكومية — لكل بلد ، فالدستور غير القرآن ..

ولكننا لا نستغرب تعلق السعوديين بالمعنى اللغوي العام للدستور ، لأنهم يرون بلاداً أخرى تضع لأنفسها دساتير ، تتضمن مبادىء وتوجيهات مستمدة من تعاليم ماركس وغيره من الماديين .. فكيف لا يعلنون ، هم ، تمسكهم بالقرآن دستوراً ، ما دامت دولتهم إسلامية منذ نشأت ، وإلى ما شاء الله ؟

من هنا ينبغي لنا أن نترك كلمة دستور ما استطعنا ، ونستعمل التنظيمات الحكومية أو النظام الأساسي ، حتى لا نقع في إلتباس وشبهة .

---

(١) في المنجد : الدستور .. القاعدة ، والدفتر فيه قوانين الملك وضوابطه .

هل يوجد في المملكة نظام أساسي ؟

ونتساءل الآن : هل يوجد في المملكة نظام أساسي للحكم ؟؟

لا نعرف أحداً عالج هذا الموضوع ودرسه دراسة علمية تاريخية .. وقد يكون جوابنا أول دراسة من نوعها .. لا نقول هذا لندعي لأنفسنا فضل السبق ، ولكننا إنما نلتمس العذر عن التقصير ، لأن مصادر البحث القريبة .. غير متوافرة ، وحجم هذا الكتاب لا يتسع لإيفاء الموضوع حقه من التوسع ..

وعد الحكومة

جاء في البيان الوزاري التاريخي ، الذي ألقاه الفيصل عام ١٣٨٢ هـ . — ١٩٦٢ م . ما يأتي :

« .. تعتقد حكومة صاحب الجلالة أن الوقت قد حان لإصدار نظام أساسي للحكم ، مستمد من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة خلفائه الراشدين ، وحيث توضع في وضوح كامل المبادىء الأساسية للحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم وتنظم سلطات الدولة المختلفة وعلاقة كل فئة بالأخرى ، وينص على الحقوق الأساسية للمواطن ، ومنها حقه في حرية التعبير عن رأيه في حـــدود العقيدة الإسلامية والنظام العام .

ولقد شرعت الوزارة السابقة في تطوير مجلس الشورى ليقوم بدوره كسلطة تنظيمية للبلاد وستكون هذه الدراسة مع ما سيطرأ عليها من إضافات وتعديلات جزءاً من النظام الأساسي للحكم الذي لن يتأخر صدوره ، إن شاء الله ، والذي سيأتي صورة صادقةً للمستوى الكريم الذي وصلت إليه أمتنا ونموذجاً رائعاً لنظام الحكم الإسلامي المستمدّ من نصوص الشريعة وروحها .

ومما يساعد على بلوغ هذا الهدف السامي أن قواعد شريعتنا السمحة لينة متطورة صالحة لمواجهة كل الظروف وقابلة للتطبيق في كل مكان وزمان حسب متطلبات ذلك الزمان والمكان . »

هذا كلام واضح ، عرف لنا معنى النظام الأساسي للحكم ، في أدق مدلولاته وأكمل موضوعاته وبين لنا أنه سوف يوضع .. وسوف يكون مستمداً من نصوص الشرع الإسلامي وروحه .

وأكبر الظن أن مشاريع كثيرة قد وضعت لتحقيق هذا الغرض السامي ،

ولكن الظروف الدقيقة التي تمر بها المملكة ، بسبب المشاكل الخارجية التي أثيرت في اليمن وعلى حدودها ، وبسبب الإعتداءات المتكررة على شقيقاتها العربيات وما يستوجب ذلك من الوقوف بجانبها والإنتصار لها والدفاع عنها ، كل أولئك أخر صدور النظام عن الوقت المقدر له .

ولكننا نتساءل مرة ثانية : إن كانت المملكة لم تضع نظاماً أساسياً كاملا ، في وثيقة واحدة ، أليس لديها تنظيم للحكم ، بالمعنى الموضوعي لا الشكلي ؟

أليست لديها نصوص تنظيمية ، ولو كانت متفرقة ، وأعراف دستورية ، غير مدونة ، تحدّد لنا ملامح الحكم وحقوق الأفراد في المملكة ؟

والجواب : نعم ..

يقول بيان الفيصل ، الذي أشرنا إليه قبل ، ما يأتي :

« لما كان من الواجب أن يكون نظام الحكم في أي دولة صورة صادقة لحقيقة التطور الذي وصل إليه مجتمعها ، فقد حرصت الحكومة على تطوير المجتمع السعودي ، علمياً وثقافياً واجتماعياً حتى تصل إلى المستوى الذي تنعكس معه صورته في شكل نظام راق للحكم ، يمثل الأهداف العظيمة الخالدة التي جاءت بها شريعتنا الغراء .

ولقد حدثت ، من آن لآن ، عدة تطورات فعلية لشكل الحكم السعودي كانت تمثل تطور المجتمع لدينا ، وتحاول ، في الوقت نفسه ، أن تأخذ بيده لمستوى أرقى مما هو عليه . »

فما هي هذه التطورات التي حدثت ؟

وما هي القواعد التنظيمية القديمة في المملكة ؟

لنقرّر ، أولاً ، أن النظم الأساسية تبدأ بذكر اسم الدولة وشكلها ونوع نظامها ، ثم تتحدث عن السلطات العليا ، التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وقد تتضمن بعض المبادىء العامة والأحكام القانونية المهمة ، وعلى رأسها : «حقوق الإنسان والمواطن» — وتأتي عادة في المقدمة ، ولكننا سنعالجها في نهاية بحثنـــا .

شكل الدولة ونظامها

يقول الأمر الملكي ، الذي أصدره الملك عبد العزيز ، في ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٥١ هـ . تحت رقم « ٢٧١٦ » ما يأتي :

(بعد الإعتماد على الله ،

وبناء على ما رفع إلينا من كافة رعايانا ، في مملكتي الحجاز ونجد وملحقاتها ، ونزولاً على رغبات الرأي العام في بلادنا ، وحباً في توحيد أجزاء هذه المملكة العربية ،

أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى — يحوّل إسم المملكة الحجازية النجدية إلى اسم :

« المملكة العربية السعودية »

ويصبح لقبنا بعد الآن :

« ملك المملكة العربية السعودية »

وهكذا يقرر هذا الأمر العظيم :

أولا — اسم الدولة ، وهو : المملكة العربية السعودية .

ثانياً — شكل الدولة ، فهي : موحدة ، وليست عهدية « كونفدرالية » ولا إتحادية « فيديرالية » .

ثالثاً — نوع النظام ، فهي : ملكية .

وإذا أردنا تحديد « نوعية » النظام أكثر .. ، قلنا : إنها دولة ملكية إسلامية ذلك أن التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية ، الصادرة عن الملك عبد العزيز بتاريخ ٢١ صفر عام١٣٤٥هـ. تقرّر «أن الدولة العربية الحجازية ملكية شورية ، تكون الأحكام فيها دواماً منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح . »

قد يقال : هذا نظام وضع للحجاز ، ثم زال ..

والحقيقة هي أن الصفة الإسلامية للدولة السعودية باقية مستمرة ، وملوك آل سعود إنما يبايعون على كتاب الله وسنة رسوله ، وهم يعلنون ذلك دائماً ويعتزون به .

فإذا كانت طائفة من الدول تصف أنفسها بأنها شيوعية أو إشتراكية ، فالدولة السعودية هي : دولة إسلامية . وملكيتها شورية مقيدة »بأحكام الشرع .

المفاضلة بين الملكية والجمهورية

وضعوا ، في جامعة باريس ، جائزة لمن يكتب أفضل رسالة في الجواب على هذا السؤال :

« أيهما أفضل : النظام الإفرنسي أم النظام الإنكليزي ؟ »

.. وفاز بالجائزة جواب خرج به صاحبه عن دائرة السؤال ، وقرر أن هذين النظامين ليسا صورتين لشيء واحد حتى يقال : هذه الصورة هي الأجمل والأبرع .

إن النظام يشبه الثوب ، يلبسه صاحبه الذي صُنِعَ له وعلى مقاييسه فيتبدّى جماله ويظهر كماله ، وإذا لبسه إنسان آخر لم يُصْنَعْ له .. صرخت عيوبه عليه ، إما لأنه فضفاض على مستعيره فهو يتخلع فيه ، وإما لأنه ضيق عليه يحبس أنفاسه ، وقد يتمزق منذ التجربة الأولى .

وخلص الكاتب إلى أن النظام الذي ينبغي لكل أمة أن تطبقه هر النظام الذي يصلح لها ، لأنه ينبع من تاريخها وتقاليدها ويدور مع مصالحها ورغباتها العميقة ، فالنظام الإنكليزي هو الأفضل .. للإنكليز ، والنظام الإفرنسي هو الأفضل .. للإفرنسيين ، وليس واحد من هذين النظامين صالحاً لكل أمة .

على هذا الأساس نتساءل : ما هو نوع الحكم الأصلح للبلاد العربية السعودية : الملكية أم الجمهورية ؟

والجواب : هو الحكم الذي ينبع من تاريخها ويسدد خطاها في دروب الحياة .

رأي الفيصل

عالج الفيصل هذا الموضوع في معرض جوابه على سؤالٍ صحفي ، قال جلالته :

(المهم في الحكم ليس الإسم وإنما التطبيق ، فكم من نظام جمهوري

فاسد ، وكم من نظام ملكي صالح ، والعكس بالعكس ، فالنظام ، سواء أكان ملكياً أم جمهورياً ، يجب أن يعكس الخير والتوفيق والرقي وحسن الإستعداد ، في تجاوبٍ كامل بين الراعي والرعية .

ومن هنا .. يمكن أن نقارن بين نظام ملكي صالح ونظام جمهوري غير صالح ، أو بين نظام جمهوري صالح ونظام ملكي غير صالح ..

أما إذا كان كلاهما غير صالح ، فإنه يولد المقت كالإعراض لدى أي شعب كان ، فالأسماء – كما ترون – ليست هي العبرة في الحكم و« نوعيته » ، وإنما العبرة للتطبيق و لشخصية الحكام ..) .

وهكذا يلتقي فيصل ، في نظرته النفاذة ، مع الحكيم أريسطو الذي يقول ، في كتابه « السياسة » :

(متى كان حكم الفرد موضوعه المنفعة العامة ، فهو يسمى عادة : «الملكية»

ومتى كان حكم الأقلية موضوعه المنفعة العامة ، فهو : « الأرستقراطية » .

وحين تحكم الأكثرية ، ولا غرض لها الا الصالح العام ، فهذا الحكم يسمى : « الجمهورية » .

.. ان الملكية تنقلب الى طغيان ، متى أصبح موضوعها المنفعة الشخصية للملك .

والأرستقراطية تنقلب الى « أوليغارشية » ، متى أصبح موضوعها المصلحة الخاصة للأغنياء .

والجمهورية تنقلب الى « ديماغوجية » ، أو حكم الغوغاء متى أصبح موضوعها المنفعة الخاصة للفقراء .) . – ١ –

ذلك أن الخير والشر .. في الأنفس لا في الأشكال ، وفي الحقائق لا في الأسماء .

---

(١) كتاب « السياسة » لاريسطو ، ترجمة لطفي السيد

مزايا الحكم الملكي الدستوري

يقول أنصار الحكم الملكي الدستوري إن الملكية أفضل من الجمهورية للأسباب الآتية :

أولاً) — إن الجماهير تحتاج إلى رمز مادي يمثل لها وحدة الوطن ، وهذا الرمز المادي الحي ، لا يكون في رئيس جمهورية يتغير كل بضع سنوات ، ويخرج من بين العامة ، ولكنه يجب أن يكون ملكاً ، يتحدر من أسرة تحيطه أمجادها التاريخية بهالة من العظمة والسناء ، ويبقى هو في الحكم ما دام حياً ، فإذا مات استمر الملك في أعقابه ، وبذلك يتحقق الإستقرار ومن ورائه الرخاء والإزدهار .

ويتجلى نفع النظام الملكي ، أكثر ما يتجلى ، في البلاد المترامية الأطراف ، التي تحتاج في جمع شملها وتقوية وحدتها وتحقيق نهضتها الى نظام مستقر ، مستمر ، يقع التسليم به ، ولا يعاد النظر فيه وقتاً بعد وقت ، فتتجدد الخلافات والإنقسامات والنزعات الإقليمية ، وربما أدت الى انهيار الدولة وتجزئة البلاد.

ثانياً — ان الملك غير مدين بمنصبه الى أحد ، وولايته دائمة ، لا تحتاج الى تجديد أو تمديد ، ولذلك يستطيع أن يكون حيادياً تماماً في رئاسة الدولة ، بينما يكون رئيس الجمهورية مديناً لناخبيه ، الذين يمثلون حزباً مخصوصاً أو فريقاً من الشعب ، ولذلك يميل إليهم ويؤثرهم بعطفه ، من دون سائر الناس .. !

ثالثاً — الحكم الملكي يوفّر على البلاد الهزات الإنتخابية التي تمزق البلاد وتكلفها نفقات هائلة ، كل بضع سنوات .

رابعاً — الحكم الملكي مستمر ليس فيه « خلو » أو فراغ ، فإذا مات الملك خلفه ولي العهد فوراً ، ولذلك يقال : « مات الملك ! عاش الملك ! » .

أما موت رئيس الجمهورية ، فتعقبه فترة انقطاع ، يتولى فيها أعباء الحكم بالنيابة رجل أو « هيئة » ، ريثما يتم انتخاب رئيس جديد .

خامساً — وهناك من يقول إن الملك ، بفضل تربيته الخاصة واستمراره في الملك ، يصبح أهلاً لرئاسة الدولة أكثر من أي رئيس جمهورية « موقت » ، ولهذا

قال غلادستون: (ان الملك، بعد أن يحكم عشر سنوات، يعرف عن نظام الآلة الحكومية أكثر من أي رجل آخر في المملكة.) ، كما جاء على لسان اللورد سالسبوري، مؤبناً الملكة فكتوريا: «كنت دائماً أعتقد، إذا ما وقفت على رأي المملكة في مسألة، أنني وقفت على رأي رعاياها، خصوصاً الطبقة المتوسطة من رعاياها» (١)

يبالغ قوم في محاسن النظام الملكي، كالكاتب الفرنسي «موراس» الذي أطلق هذا الشعار العجيب :

«إما فرنسا والملك ...

وأما لا ملك ولا فرنسا ...»

وهذا في نظرنا اسراف، وإن كان منطق «موراس» لا يخلو من القوة، حين يقول:

(يولد الرجل في أسرة تجار، فيكون أصلح من غيره للتجارة ..

ويولد في أسرة مزارعين، فيكون أصلح للعمل في الزراعة ..

وقد وجدت في التاريخ أسر من القضاة، ومن السياسيين، ومن العلماء، فلماذا نستغرب وجود أسر تغذي البلاد بالملوك ؟ .

إن الوراثة، هنا، لا تعني الناحية الجسمانية، ولكن الإستعداد الروحي للقيادة.

هناك صنعة «الملك»، مثلما توجد صنعة التجارة أو الزراعة .. فالأمير الذي يتحدر من ملك، يقع التسليم له بالزعامة، ويكون في أغلب الحالات، أقدر من غيره على النهوض بأعباء الحكم بفضل الوراثة والتربية ..

.. فإذا قلنا إن الملكية نعمة، فلأن مصلحة الملك لا تتعارض مع المصلحة العامة، وإنما تمتزج بها) .

تبقى في الملكية ناحية خطرة، هي أن يتولى الملك، بفضل قانون الارث، رجل أحمق أو فاسد، فيبتلى به الشعب بلاءً كبيراً !

والحق ان المملكة العربية السعودية تجنبت هذه الناحية الضعيفة في النظام

---

(١) كتاب «الحقوق الدستورية» للدكتور منير العجلاني، «القانون الدستوري» للدكتور عثمان خليل عثمان .

الملكي، باختيارها طريقة العهد، وذلك أن الملك السعودي القائم يختار من كبار الأسرة المالكة الرجل الصالح لتولي الملك، فإن كان الأكبر لا يصلح للملك، أو لا يريده، عدلوا عنه الى غيره.

نعم، قد تكون في ولي العهد عيوب خفية، تظهر بعد توليه السلطان، أو تنشأ بعد ذلك، فهناك طريقة «الخلع» ، التي تعين على التخلص، عند الضرورة القصوى، من حاكم فاسد.

ولا شيء يمنع السعودية أن تخطو خطوة جديدة في طريق التطور الدستوري، بحيث تكفل لها نظمها المكتوبة، ما بدأت تحققه لها العادات: حسن اختيار ملوكها.

ومهما يكن الامر، فمن الواجب علينا أن نميّز الملكية السعودية عن الملكيات الأخرى في العالم بأنها «عهدية» ، ومقيدة بالشرع.

الملك عند فيصل

سمعنا «فيصل» يقول، في بعض خطبه: «لسنا ملوكاً، ولسنا أباطرة» .

وليس قصده من ذلك طبعاً، نفي النظام الملكي من أساسه، وإنما القصد نفي الملك في معنى الإستبداد والكبر، ففيصل ملك في أحسن معاني الملك، مثله في ذلك كمثل، «فريديريك العظيم، ملك بروسيا، الذي كان يقول: (الملك، هو خادم الشعب الأول

والسلطة الملكية، ليست إلا عقداً بين الملك والشعب، يتعهد فيه الملك أن يكون للشعب أباً شفوقاً وحاكماً عادلا.

فإن كان الملك يستمتع بسلطات كبيرة، فإنه لم يعط ذلك إلا ليخدم المصالح العامة بأسلوب أنجح وأسرع).

إن كلمة ملك ، في نظر فيصل ، لا تعني السيادة والسيطرة والإستبداد ، والتحكم بأموال البلاد وحقوق الناس وحرياتهم ، فالإسلام لا يرضى عن ملوك من هذا النوع ، الذي جاء وصفه في القرآن الكريم على لسان « بلقيس » : (قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون)

وصحيح أن هذا الوصف إنما يراد به تصرف الملوك ، حين يدخلون إحدى المدن عنوةً ، لا سلماً ، ولكن كثرة فساد الملوك ، في فترة ما ، جعلت الناس يحمّلون هذه الآية الكريمة من المعاني فوق ما تحمل ، ولهم بعض العذر ..

قالوا : تساءل عمر بن الخطاب يوماً : أملك أنا أم خليفة ؟

فقال له أحد الصحابة : إذا وضعت شيئاً من بيت المال في غير حقه ، وأخذته من غير موضعه — مصادرة أو غصباً — فأنت ملك غير خليفة !

الخليفة هو الذي يأخذ بحق ويضع في حق .

والملك هو الذي لا يبالي من أين يأخذ ، يعسف الناس ، يأخذ من هذا ويعطي هذا ..) !

وكلمة « ملك » تعني ، هنا ، الحاكم المستبد الظالم ، ولكن هذا المعنى لا يستغرق الكلمة ، فهناك ملوك بلغوا الغاية في العدل والصلاح والإحسان ، وقد جعل الله سبحانه بعض الملوك أنبياء ، فداود وسليمان عليهما السلام ، مثلاً ، كانا ملكين نبيين ، فلو كان الملك هو الظلم ، لما ارتضاه سبحانه لأنبيائه وأصفيائه ، ولما قال تعالى في معرض كلامه عن النبي داود : (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب .) !

الملكية

المملكة العربية السعودية، كما يدل عليها اسمها، بلاد ملكية، وأول من أطلق عليه لقبُ الملك، من الحكام السعوديين، هو الملك عبد العزيز، بايعه بالملك أهل الحجاز أولاً ثم أهل نجد، وكان لقبه قبل ذلك (السلطان)، وكلا اللقبين غريب عن تقاليد السعوديين العريقة، فألقابهم القديمة هي «الشيوخ» والإمام والأمير.

لم يقبل عبد العزيز لقب «سلطان»، فيما نعتقد، إلا مجاراةً لما كان مألوفاً عند العثمانيين وحكام الخليج العربي (الفارسي)، ثم قبل لقب «الملك» مجاراةً لملوك البلاد العربية، كمصر والعراق، وسائر ملوك العالم.

وروى لنا بعضهم أن الملك عبد العزيز، لما أبلغ مبايعته «ملكاً»، أنشأ يبكي .. لأنه لم يكن يحب هذا اللقب، ولكنه لم يكن قادراً على فرض اللقب الذي يحبه على الآخرين، فجارى الأعراف الدولية الشائعة وأصدر عام ١٥٣١ هـ. أمره التاريخي المشهور الذي وحّد به البلاد باسم «المملكة الغربية السعودية» وأعلن أن لقبه أصبح :

ملك المملكة العربية السعودية.

ويختلف ملوك آل سعود عن كثير من ملوك العالم بأنهم ملوك ـ أئمة، لأنهم يجمعون بين الزعامتين الدينية والدنيوية، وإن كان لقب الملك وحده هو الذي يظهر في صلاتهم بالعالم الخارجي.

الملك في سلالة عبد العزيز

قبل أن نتكلم عن القواعد والأعراف التي تتبع في تنصيب الملوك – الأئمة في السعودية ، لا بد لنا من تقرير مبدأ هام ، وهو : انحصار العرش بأولاد الملك عبد العزيز وسلالته .

ذلك أن الملك عبد العزيز هوالذيأعاد الملك السعودي بعد زواله،وأسس المملكة العربية السعودية الحديثة ، بإيمانه وعبقريته وشجاعته ، فكان أحق الناس بعرشها ابتداءً ، وكان أولاده كذلك أحق الناس بعرشها بعده ، وقد تخلى له والده الإمام عبد الرحمن عن الإمارة منذ فتح الرياض أو قبيل ذلك .

ومن الغريب أن هذا المبدأ تقرر في اتفاقيات دولية ، عقدت ، قبل الحرب العامة وخلالها ، ولم تكن الدولة السعودية يومئذٍ قد بلغت أوج توسعها ، وإنما كانت قاصرة على نجد أو قسم من نجد .

ففي (١٥) مايو من عام ١٩١٤ م . عقدت الحكومة التركية مع الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود اتفاقا أو « مشروع اتفاق » يشبه الإتفاق الذي كان معقوداً مع محمد علي باشا ، والي مصر ، وقد جاء في احدى مواده : (إن الحكومة التركية تعترف بالأمير عبد العزيز والياً على نجد والأحساء مدى الحياة ، ويخلفه أولاده من بعده في هذه الولاية .) – ١ –

وفي عام ١٩١٥ م . جاء السير برسي كوكس ، مندوباً عن بريطانيا العظمى ، إلى (دارين) حيث اجتمع بالأمير عبد العزيز – الذي كان يعرف

---

(١) اشار أمين سعيد في كتابه « تاريخ الدولة السعودية » ، الجزء الثاني ، الصفحة (٥٨) الى هذا الاتفاق ، وقال انه اتفاق سري عثر عليه الانكليز عند احتلالهم البصرة في ملفات الحكومة ، ونص المادة الثانية من هذا الاتفاق :

(ستظل ولاية نجد ، بناء على ما جا في المرسوم الشاهاني في عهدة عبد العزيز باشا آل سعود ، طالما بقي حيا .

وبناء على المرسوم السلطاني ، ستزول ولاية نجد من بعده الى انجاله واحفاده ، بشرط ان يكون الخلف مخلصا للحكومة العثمانية) .

ولا يحمل هذا الاتفاق توقيع عبد العزيز آل سعود ، فلعله بقي مجرد مشروع ، حالت دون امضائه الحرب العامة ...

عند الغربيين باسم « ابن سعود » — وعقد معه « معاهدة دارين » التي جـاء في مادتها الأولى ما يثبت انحصار الحكم في نجد والاحساء بعبد العزيز وأبنائـه وأعقابه ، قالت المادة :

(ان الدولة الأنكليزية تعترف وتقر بأن نجد والحسا والقطيف وجبيـل وما يليها وحدودها التي سيتذاكر بها وستتعين بعد حين ، وبنادرها على شواطىء الخليج الفارسي ، هي ممالك ابن سعود وممالك أجداده السابقين ، وبهذا الصك تعترف بابن سعود المشار إليه حاكماً مستقلاً على الممالك المذكورة ورئيساً مطلقاً على عشائرها ، وبعده أولاده وأعقابه بالوراثة ، على أن يكون ترشيح خلفـه من قبله ومن قبل الحاكم بعده ..)

وضع هذا الاتفاق لتوارث الحكم في نجد شرطين :

الأول — أن يكون الحاكم من أولاد عبد العزيز وأعقابه .

الثاني — أن يتم انتخاب الحاكم بطريقة « العهد » ، أي أن يسمي الحاكم القائم خلفه في حياته ، ليتولى الحكم بعد وفاته .

وكان الاتفاق يتضمن شرطاً ثالثاً ، هو أن يكون المرشح للحكم غير معادٍ لبريطانيا ..

وقد سقط هذا الشرط الأخير ، بل سقط الإتفاق كله ، بعد استيلاء عبد العزيز على الحجاز وعقده معاهدة « جدة » التي اعترف فيها البريطانيون باستقلاله المطلق من كل قيد أو تعهد ، ولكن الملك بقي في عبد العزيز وأولاده وأعقابه يتوارثونه بطريقة العهد .

ذلك أن الإتفاق ليس مصدرَ هذا الحق حتى يزول بزواله ، وإنما كان اعترافاً به ، فهو موجود قبله ، وبقي بعده .

توارث العرش

اراد الملك عبد العزيز ، بعد توحيد البلاد باسم : «المملكة العربية السعودية» واستقرار الأمور ، أن ينظم توارث الملك في البلاد ، فاختار ابنه الأكبر سعود ولياً للعهد ، ودعا مجلسي (الشورى) و (الوكلاء) إلى الإجتماع لإقرار هذه

البيعة ووضع نظام ثابت لوراثة العرش ، بطريقة العهد .

وقد اجتمع المجلسان في جلسة مشتركة ، تحت رئاسة الأمير فيصل ، بتاريخ ١٦ محرم ١٣٥٢ ، ولكنهما لم يضعا أي نظام .. وإنما اكتفيا بتسجيل رغبة الملك في السير « على النهج الذي سار عليه خلفاء المسلمين وملوكهم ، من عقد البيعة بولاية العهد على من كان مستجمعا للشروط الشرعية المرعية » .

قرار المجلسين

وهذا نص قرار مجلس الوكلاء والشورى ، وهو يحمل توقيع الأمير فيصل ، والى جانبه توقيع رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، وتواقيع أعضاء الوكلاء والشورى :

(الحمد لله الذي لا اله الا هو ، مصرف الامور فلا معقب لحكمه ومدبر الكائنات فلا راد لقضائه ، نحمده على ما أنعم به علينا من نعمة الاسلام الذي جعله دين صفوته من بريته ، وخص به من استخلصه من أهل طاعته ، واقامه نبراسا نهتدي به ونستنير بنوره ، سبحانه هو القائل في محكم كتابه : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما » ، نحمده ان هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، والصلاة والسلام على نبيه محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صل الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلم .

اما بعد ، فان حضرة صاحب الجلالة ملكنا العادل الموفق ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية ايد الله ملكه وأمد في عمره وادام تأييده ونصره ووفقه الى طاعته ومرتضاته ، لما رأى بعين حكمته الساهرة على راحة رعاياه ، العاملة على تثبيت هذا الملك العربي الوطيد وتشييد أركانه وادامة تسلسله ان يجيب طلب رعاياه ويوافق على تعيين شكل واضح ثابت لولاية العهد كما ورد في أمره الملكي الصادر في ٧ جمادي الاولى عام ١٣٥١ هـ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م ، وان يسير في ذلك على المنهاج الشرعي الذي سار عليه خلفاء المسلمين وملوكهم وان يعقد البيعة بولاية العهد على من كان مستجمعا للشروط الشرعية المرعية .

هذا ولما كان حضرة صاحب السمو الملكي الامير سعود ، النجل الاكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكامل الاوصاف الشرعية الواجب توفيرها فيمن يخلف ولي الامر أمد الله في عمره ، وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع ، فاننا عملا بالمأثور من المبايعات نبايعه وليا لعهد المملكة العربية السعودية ، نبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله ، ونسأل الله له الهداية والتوفيق ونضرع اليه تعالى ان يمد في عمره وعمر والده ، الملك العادل الموفق خلد الله ملكه — وقد أخذنا هذه البيعة على انفسنا لسموه وعلقناها بأعناقنا ونشهد الله على ذلك خير الشاهدين) . — جريدة (ام القرى) اول صفر عام ١٣٥٢ هـ . —

الرجوع الى الفقه والتعامل

معنى هذاالقرار أن المجلسين رجعا الى قواعدالفقهالإسلامي في السياسة الشرعية وفيها مجال واسع للإجتهاد والإختيار .

وهكذا حرمنا من نص خاص نرجع إليه في معرفة أسلوب توارث العرش في المملكة ، ووجب علينا ، للإحاطة بهذا الأسلوب ، أن نتدارس أولاً قواعد الفقه السياسي الإسلامي في هذا الموضوع ، ثم نلقي نظرة على العادات والأساليب والسوابق الخاصة بالمملكة .

السوابق التاريخية

نجد في السوابق التاريخية الإسلامية طرقاً شتى في تسمية الخليفة أو الإمام ، وهي :

١) طريقة الإنتخاب أو (الإختيار)..من جانب أصحاب الحل والعقد، ثم الجمهور .

٢) طريقة العهد ، من قبل الإمام إلى رجل لا يمتُّ له بصلة نسب .

٣) طريقة الشورى ، يمارسها عدد من الرجال يسميهم الإمام القائم .

٤) طريقة العهد الوراثية ، يسمي فيها الإمام القائم خليفته من أفراد أسرته .

٥) وأخيراً وجدت الطريقة الملكية الوراثية ، يرث الملك الابن الأكبر ، ويصبح ولياً للعهد بمجرد ولادته ، لا بترشيح أبيه له ولا باختيار الناس وبيعتهم ..

وقد نستطيع أن نضيف الى هذه الطرق كلها طريقة سادسة ، وهي إمامة الأرشد ، ولم تتبع إلا قليلاً .

البيعة

يرافق كل هذه الأساليب ، ما عدا الملكية الموروثة ، مظهر عظيم المعنى ، خطير المغزى ، وهو : عقد البيعة ، أو (البيعة) اختصاراً .

والبيعة نوع من الإستفتاء ، يعلن فيه الشعب قبوله بالإمام ، وطاعته لـــه ، فهي تدل على أن الشعب هو مصدر السلطة ، لأن أهل الحل والعقـــد ، الذين يمثلونه ، يختارون له الإمام ، الواجب الطاعة ، وبذلك تنتفي عن أئمـــة المسلمين تلك الصفة التي كان يدّعيها بعض الملوك والرؤساء الأجانب لأنفسهم وهي الصفة الآلهية ! (كأن يزعم بعضهم أنه يمثل الرب على الأرض لأنه من سلالته ، أو يتحلى ببعض صفاته ، أو أنه رسول العناية الآلهية ومصطفاها ، ولا شأن للعباد في اختياره ! الخ ..)

الصفات الشرعية :

يشير قرار البيعة لسعود ، إلى توافر الصفات الشرعية فيه ، فما هي هذه الصفات الشرعية المطلوبة في ولي العهد ؟

يقول الفقهاء إن الصفات المطلوبة في ولي العهد ، هي نفس الصفات المطلوبة في الإمام ، لأنه مدعو ، في مستقبل قريب أو بعيد ، إلى تسلم الإمامة .

أفاض الفقهاء كثيراً في هذه الشروط ، ويمكن تقسيمها الى قسمين :

أ ـ الشروط الأساسية ، أو الضرورية ، وهي :

١) الحرية ، ٢) الذكورة ، ٣) البلوغ ، ٤) العقل ، ٥) سلامـــة الحواس الرئيسية كالسمع والبصر والنطق ٦) سلامة الأعضاء الرئيسية كاليدين والقدمين

وهناك شرط سابع يجعله بعضهم ضرورياً ، ويتجوّز فيه بعضهم .. وهو : « العدالة » .

والعدالة ليس معناها العدل والإنصاف ،وإنما هي الإستقامة في الأخلاق ، ويعرفها ابن رشد بأنها مقابلة للفسق ، وهي أن يكون المسلم : « ملتزمـــاً لواجبات الشرع ومستحباته ، متجنباً للمحرمات والمكروهات » .

ويقول الماوردي : « العدالة : أن يكون صادق اللهجة ، ظاهر الأمانة ، عفيفاً عن المحارم ، متوقياً عن المآثم ، بعيداً عن الريب ، مأموناً في الرضـــا والغضب ، مستعملاً لمرؤة مثله في دينه ودنياه ، فإذا تكاملت فيه ، فهي العدالة التي تجوز بها شهادته وتصح ولايته » .

ب ـ الشروط الكمالية ، وهي غير ضرورية .. وأبرزها :

١ ــ العلم ٢ ــ الشجاعة ٣ ــ الرأى

قالوا: الخليفة يجتهد في أمور المسلمين، فينبغي له أن يكون عالماً..وهو قائدهم الأعلى فيجب أن يكون شجاعاً، وهو رئيسهم ومدبر أمورهم فيجب أن يكون عاقلا حكيما صاحب رأي.

البيعة .. وولاية العهد

يستمد ولي العهد سلطته من الإمام القائم، الذي يستطيع تسمية خلفه، نيابةً عن المسلمين، ولذلك قال القاضي أبو يعلى في «الأحكام السلطانية»:

(يجوز للإمام أن يعهد الى إمام بعده، ولا يحتاج في ذلك الى شهادة أهل الحل والعقد).

وهذا يعني أن ولي العهد لا يحتاج الى عقد البيعة له من أهل الاختيار، ولكن الإمام القائم يحرص على أخذ البيعة من الجماهير لولي عهده، حتى لا ينكرها عليه أحد، ولا يعارضه فيها أحد.

مدلول الإمامة في السعودية

قلنا ان ملوك آل سعود هم ملوك أئمة.

وقد رأينا في بيعة العلماء لفيصل انهم يبايعونه ملكا وإماماً على المسلمين، فهل يعني ذلك ان ملك السعودية يدعي الخلافة على المسلمين في العالم كله؟

والجواب، طبعا: لا!

فالملك ـ الإمام في السعودية، هو ملك شرعي في بلاده وإمام على المسلمين في بلاده فقط.

وقد نسب بعضهم الى الملك عبد العزيز، بعد فتحه الحجاز، أنه يطمع في الخلافة فنفى ذلك بشدة، قال:

(يقولون إنني أطلب الملكية وأن أصير خليفة على المسلمين..

أنا ما ادعيت هذا ولا طالبت به، لأن على الخليفة واجباً، هو تنفيذ أوامر الدين على كل فرد من أفراد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهل هناك من رجل يستطيع أن ينفذ ذلك على المسلمين في هذه الأيام؟.

لقد كان من المستطاع أن يكون ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، أيام كانت كلمتهم تسري على كل فرد من أفراد المسلمين، أما اليوم فلا يمكن ذلك.)

الملك يختار ولي العهد

أنشأ الملك عبد العزيز ،باختياره سعود وليا لعهده ، سابقة دستورية،وهي : ضرورة اختيار الملك القائم ولي عهده في حياته ، بل في أوائل عهده .

وقد جرت عادة الأئمة من آل سعود على أن يأخذوا البيعة لأولياء عهودهم في حياتهم .

إنحصار الولاية في الإخوة

بقي أمر آخر : هل يكون ولي العهد أحد أولاد الملك القائم ؟ القاعدة ، في البلاد الملكية ، أن يرث العرش اكبر أولاد الملك ، ولكنهم في الطريقة العهدية ، كانوا يعهدون ، أحياناً ، إلى اثنين من أولادهم ، كما فعل الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، أو إلى ثلاثة، كما فعل هارون الرشيد، ومعنى ذلك ان ينتقل العرش من الأخ الى أخيه ، وربما عهدوا إلى ابن الأخ أو غيره من الأقرباء..

فهل فكر عبد العزيز في تعيين أحد إخوة سعود خليفةً له ، حتّى لا ينتقل الملك من ابنائه الى أحفاده ، مع وجود من يصلح للملك في طبقة الأبناء ؟

سمعنا كثيرين يقولون إن اختيار فيصل لولاية العهد ، عند تولي سعود للملك ، إنما كان تنفيذاً لرغبة الملك عبد العزيز ، وإن جلالته أحضر اليه بعض علماء الدين ، خلال مرضه الأخير في الطائف ، وأشهدهم على أنه يوصي لولده فيصل بالملك ، بعد سعود ، وإن ثمة وثيقة شرعية بذلك .

ولسنا نطيل في بحث هذا الأمر ، فحسبنا أن الملك سعود أعلن فور توليه الحكم أنه أختار أخاه (فيصل) ولياً للعهد .

وبذلك نشأ تقليد آخر ، ثالث : هو أن وراثة العرش بقيت محصورة في أولاد عبد العزيز ، ما وجد بينهم من يصلح للملك ، فيتولى العرش منهم الأخ بعد أخيه ، لا الوالد بعد أبيه ، مع ترجيح الأكبر سناً .

ومما دعم هذا التقليد أن جلالة الملك فيصل ، هو أيضا ، أختار (الأمير خالد) ولياً للعهد، فاذا قيل : ان الفيصل اختار خالدا ، مع ان محمدا أكبر منه أجبنا : ان الفيصل لم يبدل القاعدة المألوفة، فمحمد نفسه تخلى عن حقه، فانتقل الى من يأتي بعده .

الخلع

الأصل أن يبقى الملك في ملكه ما دام حيّاً ، إلا اذا بدا له الإعتزال والتخليّ عن العرش ، أو أصابه جنون مطبق ، أو مرض مرضاً عضالاً ، غير قابل للشفاء ، يمنعه من ممارسة سلطانه منعا باتا ، وهي أمور لا تحدث كثيرا ..

ان البيعة للأمير أو الامام تعني قبول الشعب به وطاعته له ، ولكنها تعني كذلك أن الشعب هو مصدر سلطة الإمام ، فيستطيع الشعب ، ممثلاً في أهل الحل والعقد ، أن يخلع الأمير أو الإمام ، متى خرج عن شروط البيعة وانحرف عن الطريق المستقيم ، وأصبحت أعماله خطراً على المصالح العامة .

والفقهاء لا يميلون ، في الجملة ، الى الخلع ، ولذلك لم يعرف أسلوب الخلع الهادىء الرصين ، في تاريخنا ، إلا في الندرة ، وكان المعارضون لسياسة الإمام القائم يلجأون غالباً الى قتله ، أو يخلعونه بالقوة وينصبون إماماً غيره ، ويدعون الناس الى البيعة للإمام الجديد ! ..

هكذا كان يتم « الخلاص » من الإمام القائم ..، بقتله، أو هربه، ثم يفرض الإمام الجديد نفسه على الجمهور فرضاً بالقوة ، ثم يبايع الناس له خوفاً منه والتماساً للسلم والطمأنينة .

ومن الإنصاف أن نقرر هذه الحقيقة التاريخية ، وهي أن أمراء آل سعود الذين تولوا الحكم ، كانوا في الجملة حكاماً صالحين ، محسنين ، وكان شعبهم مطيعاً لهم ، ملتفاً حولهم ، وما حدث لتركي بن عبد الله انما كان اغتيالاً دبّره رجل من أقربائه تغلب على تصرفاته الحماقة ، وأما الصفحة المحزنة في التاريخ السعودي فهي صفحة بعض أولاد فيصل بن تركي وأولاد أولاده ، فقد كان من آثار خلافهم : ضياع الملك السعودي واستيلاء ابن رشيد على الحكم في نجد،

أما حادث خلع الملك سعود من الملك فيعدّ حدثا فريداً من نوعه ، في تاريخ الدولة العربية السعودية ، لأنه تمّ سلماً ، وبالأساليب الشرعية .

التطورات

في تنظيم السلطات العليا في المملكة

من البحث في الملكية ، ننتقل إلى البحث في الحكم .

جرى فقهاء القانون الدستوري ، في البلاد البارلمانية ، على تقسيم سلطات الحكم في الدولة إلى ثلاث سلطات :

١ — السلطة التنفيذية ، ممثلة في رئيس الدولة ومجلس الوزارء .

٢ — السلطة التشريعية ، ممثلة في البارلمان .

٣ — السلطة القضائية ، ممثلة في المحاكم .

لم يقم في البلاد السعودية بارلمان على الطريقة الغربية يختص بوضع التشريعات أو الأنظمة، وما يعتبر في حكمها، ولكن مجلس الوزراء السعودي هو الذي يقوم الآن بهذا العمل ، لذلك سنتناول بحث السلطتين التشريعية والتنفيذية معاً من خلال دراستنا لسلطات الملك ومجلس الوزراء . ثم ننتقل إلى بحث القضاء .

وقبل معالجة هذه المواضيع ، في حدود الأنظمة الحاضرة ، لا بدّ لنا من إلقاء نظرة خاطفة على التطورات السابقة، التي أشار إليها جلالة الملك فيصل في بيانه الوزاري .

في عهد الملك عبد العزيز

دستور الحجاز

كانت البلاد في عهد الملك عبد العزيز خاضعة إلى سلطة هذا الزعيم الملهم الشخصية ، يديرها كيف يشاء ، لا يشاركه في سلطانه أحد ، وكانت شخصيته الصالحة أكبر ضمان لحسن سياسته ، وكانت البلاد ساكنة اليه ، سعيدة بزعامته ، لأنها كانت مدينة اليه ، بعد الله ، بكل شيء ، فهو الذي حرّرها ووحدّها ، وأعطاها الأمن والرخاء والقوة ، وانطلق بها في طريق النهضة والعزة !

ولكن رجلاً واحداً ، مهما يكن عظيماً ، لا يستطيع أن يحكم البلاد وحده ، وخصوصاً عند تكاثر الأعباء ، ودخول البلاد في الميدان الدولي ، على مقياس واسع ، فلا بد عند ذلك من تنظيم الجهاز الحكومي على أسس جديدة ، ولا بد من تحديد السلطة العليا في الدولة تحديداً يخرجها من دائرة الشخص الواحد والادارة الواحدة .

أدرك الملك عبد العزيز ، بعد دخوله الحجاز ، أن هذه المنطقة من بلاده تدار بأسلوب يختلف عن أسلوبه في إدارة نجد ، فأصدر لها نظاماً خاصاً ، أطلق عليه يومئذ اسم : (التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية) ، وهي مرادفة ، في لغة العصر ، للدستور .. والنظام الأساسي !

مبادىء الدستور

تقرر هذه التعليمات :

أولا — ان نظام الحكم في الحجاز ملكي ، ولغة البلاد الرسمية هي اللغة العربية ومكة عاصمة المملكة .

ثانيا — ان مصدر التشريع كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح .

ثالثا — ان الجهاز الاداري موزع بين ستة أقسام أساسية احتفظ الملك لنفسه بادارة اثنين منها مباشرة وهما : الامور العسكرية ، والامور

السياسية الخارجية ، وترك ادارة الاقسام الباقية الى نائبه المسئول عنها أمامه (وكان يومئذ سمو الامير فيصل) .

رابعا ـ انشاء مجلس للشورى وديوان للمحاسبات .

قد يقال : ان اعلان التمسك بالدين الاسلامي وأن اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية وأن مكة عاصمة دولة الحجاز .. كل هذا من بـــاب « تحصيل الحاصل » وتقرير الامر الواقع المسلم به.. ولكن هذا النظام ، على ضعفه ، أوجد تنظيما حكوميا واداريا ، وجهازين لمراقبة اعمال الحكومـــة ومصاريفها ، وأما مجلس الشورى ، الذي يضع صيغ القوانين ـ أو الأنظمة ـ فليس له صفة تمثيلية أو تشريعية كالمجلس النيابي ، لأن الملك عبد العزيـــز لم يتخل له عن السلطة التشريعية ـ التي يسمونها في السعودية السلطة التنظيميـــة ـ ولكنه أراد أن يكون اعداد الانظمة ، ذوات الصفة القانونية العامة ، اعدادا فنيا محكما ، فأوكل ذلك الى « مجلس الشورى »،والملك غير ملتزم بأن تمرّ كل المشاريع التي يريدها بهذا المجلس ، أو أن يصدرها بالشكل الذي يقره المجلس، فالكلمة العليا في ذلك للملك وحده وليس مجلس الشورى اكثر من مشير.. ـ١ـ

---

(١) صدرت هذه التعليمات بالامر الملكي المؤرخ في ٢١صفر ١٣٤٥ وهذه طائفة من موادها

القسم الاول

المملكة ـ شكل الدولة ـ العاصمة ـ اللغة الرسمية

المادة الاولى ـ ان المملكة الحجازية بحدودها المعلومة مرتبطة بعضها ببعض لا تقبل التجزئة ولا الانفصال بوجه من الوجوه .

المادة الثانية ـ ان الدولة العربية الحجازية دولة ملكية شورية اسلامية مستقلة فـــي داخليتها وخارجيتها .

المادة الثالثة ـ ان مكة المكرمة هي عاصمة الدولة الحجازية .

المادة الرابعة ـ ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة .

القسم الثاني

ادارة المملكة ـ الاحكام ـ النيابة العامة ـ مسؤولية الادارة

المادة الخامسة ـ تكون جميع ادارة المملكة الحجازية بيد صاحب الجلالة الملك عبد العزيز الاول بن عبد الرحمن آل سعود وجلالته مقيد بأحكام الشرع الشريف .

المادة السادسة ـ الاحكام تكون دواما في المملكة الحجازية منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح .

المادةالسابعة ـ يعين من قبل صاحب الجلالة الملك نائب عام وبقدر اللزوم مديرون ورؤساء لتدوير امور المملكة .

المادةالثامنة ـ بما ان النيابة العامة هي المرجع العمومي لجميع دوائر الحكومة واقسا مادارتها فكل واحد من مديري الدوائر ورؤسائها يكون مسؤولا أمامها وحسن جريان الامور الداخلية في دائرة وظيفته وهي مسؤولة امام صاحب الجلالة الملك .

القسم الثالث

أمور المملكة الحجازية

المادة التاسعة ـ تنقسم امور المملكة الحجازية لستة اقسام اساسية وهي :

١)الامور الشرعية . ٢) الامور الداخلية . ٣) الامور الخارجية .

٤) الامور المالية . ٥) أمور المعارف العمومية . ٦) الامور العسكرية.

المادة العاشرة ـ الامور الشرعية هي عبارة عن الامور والمسائل المتعلقة بالقضاء الشرعي والحرمين الشريفين والاوقاف والمساجد الشريفة وسائر المؤسسا تالدينية الخ ......

المادةالسابعةعشرةـالامور الخارجية هي عبارة عن اجرا سياسة الدولة الخارجية في محورها المطلوب ، وتنقسم الى اربع شعبات :

سياسية ادارية حقوقية قنصلية

المادةالثامنةعشرةـتوجه ادارة الامور الخارجية من قبل جلالة الملك لمن تتوفر فيه الاهلية والاقتدار لاجراء وظائفها الخصوصية .

المادةالتاسعةعشرةـ تكون مديرية الخارجية مرتبطة بالمقام الملوكي العالي رأسا ولكنها تتلقى أوامر يختص بالشعبتين الادارية والقنصلية .

وقد جعلت الامور العسكرية مرتبطة بالملك ..

ونص على تاليف مجلس شورى تحت رئاسة النائب العام يعين اعضاءه الملك ويعرض النائب العام مقررات مجلس الشورى على الملك .

كما نص على تاليف :

مجلس النواحي

ومجلس القرى والقبائل .

وديوان محاسبات ـ لتفتيش عموم الدوائر ومراقبة جريان المصاريف العمومية .

نظام مجلس الوكلاء

وفي رمضان من عام ١٣٥٠ هـ . سار الملك عبد العزيز خطوة جديدة في طريق التنظيم الحكومي فأصدر « نظام مجلس الوكلاء » ويدل اسم هذا النظام على أنه نظر فيه الى تنظيم من هذا النوع عرفه الحجازيون في عهد الشريف حسين فقد كان عندهم وكلاء منذ عام ١٣٣٤ هـ . وكان عندهم أيضا « مجلس شيوخ » يقوم بما يقوم به « مجلس الشورى » في البلاد العربية السعودية .

يتألف مجلس الوكلاءمن رئيس المجلسووكلاءالخارجية والماليةوالشورى.

ورئيس مجلس الوكلاء يصبح في غياب الملك نائباً عاماً لجلالته ، بحكم وظيفته ، وهو مرجع الجهات الآتية : الديوان الملكي ، الخارجية ، المالية ، العسكرية ، الشورى ، الداخلية ، رئاسة القضاء ، أمراء الملحقات .

ولكن مجلس الوكلاء ، وإن اطلق عليه اسم « مجلس » ، ليست له أية سلطات خاصة ، ومن هنا ضعف قيمته ، كمرحلة في طريق التطور الدستوري .

---

١) وهذه هي ابرز المواد التي تضمنها نظام مجلس الوكلاء :

المادة الاولى – يتألف مجلس الوكلاء من رئيس المجلس ووكيل الخارجية والمالية والشورى .

المادة الثانية – رئيس مجلس الوكلاء يصبح في غياب جلالة الملك وبحكم وظيفته نائباعاما لجلالته ، وأما في الاوقات التي يكون جلالته موجودا فيها فانه يكون رئيسا لمجلس الوكلاء فقط .

المادة ١٦ – رئيس المجلس هو المرجع الذي تراجعه الجهات الآتية : الديوان الملكي ، الخارجية ، المالية ، العسكرية ، الشورى ، الداخلية، رئاسة القضاء ، أمراء الملحقات .

المادة ١٧ – وزارة الداخلية هي مرجع الدوائر الآتية : الصحة ، المعارف ، البريد والبرق ، الكورنتينات ، الشرطة، البلديات، المحاكم الشرعية (في حالة عدم مراجعتها لرئاستها) .

المادة ٢٠ – يحول اسم النيابة العامة الحالية الى وزارة الداخلية ويصبح اسم الديوان : (ديوان النائب العام ورئاسة مجلس وكلاء) .

المادة ٢١ – ستصبح المعاملات التي تصدر بتوقيع سمو الامير على أقسام وهي :

١ – الاوراق التي تصدر حينما يكون سموه متقلدا لوظيفة النائب العام لجلالة الملك في اثناء غياب جلالته ، وهذه توقع هكذا : النائب العام لجلالة الملك .

٢ – الاوراق التي تصدر حينما يكون جلالة الملك حاضرا ويكون سمو الامير رئيسا لمجلس الوكلا فقط ، وهذه توقع هكذا : رئيس مجلس الوكـلاء .

٣ – من وزارة الداخلية وهذه توقع : وزير الداخلية .

٤ – من وزارة الخارجية وهذه توقع : وزير الخارجية .

اول مجلس وزراء في المملكة ..

في عام ١٣٧٣ هـ ، بعد تكاثر واردات الدولة من البترول وغيره ، وتعاظم أجهزة الدولة ، وتزايد مسؤولياتها ، في الداخل والخارج ، رأى الملك عبد العزيز أن يمنح بلاده تنظيماً حكومياً ينقلها إلى طور سياسي جديد ، لا بد لها من الدخول فيه ، لتجابه مطالب الزمن ، وحتى لا تكون غريبة عن الأساليب المألوفة في بقية بلاد الدنيا ، فأصدر في غرة صفر ، من ذلك العام ، أمراً ملكياً بتأليف « مجلس وزراء » ووضع له نظاماً ..

لم يعش الملك عبد العزيز ، رحمه الله، بعد إصداره هذا الأمر ، إلا شهراً واحداً .. فلم ير تطبيق هذا النظام أو « تجربته » ..وحظها من النجاح .

والحق إن صدور هذا النظام ، بشكله البسيط ، كان حسنة من حسنات الملك الراحل ، وسجل له فضل السبق في تقرير هذه المرحلة من تطور الحكم في السعودية ، أعني خروجه من دائرة انفراد الملك به إلى إقامة مجلس ينظر في أمور الدولة تحت، إشرافه .

لقد وضع عبد العزيز الفكرة ، ولكن الذين صاغوها له في شكل نظام لم يكونوا موفقين كل التوفيق ، ولم يكن هو في مرضه ، رحمه الله ، قادراً على التعمق في هذا الأمر ، فأقره ، ليكون منطلقاً ..

لم يتضمن هذا النظام تفصيلا لحقوق مجلس الوزراء وأسلوب عمله ، فهو يقول إن المجلس يجتمع للنظر في جميع شؤون الدولة ويتخذ فيها القرارات ويعرضها على الملك .. ولكنه لا يبين مدى صلاحيات المجلس ، ولا مدى صلاحية كل وزير ، ولا نعرف بعد هذا إن كان الملك يستطيع البت ، منفرداً ، في كثير من أمور الدولة ..

ومهما يكن الأمر ، فقـــد ولد هذا النظام ضعيفاً ، ولم يقدر له أن يعيش طويلاً ..

نص النظام

وهذا نص النظام :

المادة الاولى — يؤلف مجلس وزراء تحت رياسة ولدنا سعود ولي عهد المملكة القائد الأعلى للقوات المسلحة يتألف من جميع وزراء الدولة المكلفين بارادة ملكية لادارة شؤون الوزارات المعهودة اليهم للنظر في جميع شئون الدولة : خارجية كانت أو داخلية فيقرر بشأنها ما يراه موافقا لمصلحة البلاد لاجل عرضها علينا .

المادة الثانية — يعين رئيس مجلس الوزراء نائباً للرياسة أثناء غيابه .

المادة الثالثة — يعقد مجلس الوزراء اجتماعات دورية مرة في الشهر ، وفي الحالات الاستثنائية يعقد بدعوة من الرئيس .

المادة الرابعة — يبحث مجلس الوزراء في الاعمال التي تعرض عليه من قبل الرئيس أو من قبل أحد الوزراء في الدولة المنوه عنهم باقتراح خطي يقدم الى رئيس المجلس قبل مدة لا تقل عن ثلاثة أيام قبل الاجتماع .

المادة الخامسة — تتخذ قرارات مجلس الوزراء بالإجماع أو بالاكثرية وتوضع موضع التنفيذ بعد تصديق الرئيس وموافقتنا .

المادة السادسة — يوضع من قبل ولي عهدنا لكل وزارة من الوزارات نظام يبين فيه حدود صلاحيات وواجبات تلك الوزارة وتشكيلاتها الواجب عليها عرضها على مجلس الوزراء للنظر واتخاذ القرارات فيها .

المادة السابعة — لرئيس مجلس الوزراء حق الاشراف والهيمنة على جميع أعمال الوزارات ، وله أيضا أن يطلب أية قضية من أية وزارة لتدقيقها واصدار تعليمات بشأنها .

المادة الثامنة — لا يجوز لأية وزارة أن تقوم بأي عقد أو أي اتفاق مع أي جهة كانت الاّ بعد أخذ موافقة رئيس مجلس الوزراء عليه .

المادة التاسعة — يحضر مجلس الوزراء كبير المستشارين ومستشارونا كأعضاء بصفتهم وزراء دولة » .

جهود الفيصل لتطوير نظام الحكم

نظام ثان

استطاع الفيصل حمل الملك سعود على تعديل نظام مجلس الوزراء الموضوع في عهد الملك عبد العزيز ، وبذلك زاد قليلاً سلطة المجلس ونقص من سلطـة الملك ، ولم يكن هذا التعديل كافياً ، ولكنه كان خطوة إلى الأمام ، وقد تمت بهدوء..والفيصل بطبعه يفضل التطور السلمي الهادىء،ويكره الطفرة والتهور .

ويلاحظ أن هذا النظام استبقى للملك حق تعيين من يريد من مستشاريه أعضاء عاملين في مجلس الوزراء ، كما احتفظ للملك برئاسة المجلس .

الاتجاه الى وضع نظام ثالث

لم يكن نظام مجلس الوزراء السابق مرضيا لرغبات الفيصل المصلح وإنما كان مرحلة تستدعي ما بعدها ، فلما دعاه الملك الى استلام رئاسة مجلس الوزراء عام ١٣٧٧ هـ . كان من جملة شروط فيصل للعمل مع الملك أن يمنحه السلطات الكاملة وأن يوافقه على تعديل نظام مجلس الوزراء ، فقبل الملك ذلك ، وأصدر مرسوما ملكيا يوم ٢ مارس ١٩٥٨ م ، هذا نصـــه :

(بعد الاتكال على الله ، نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية ، بعد الرجوع الى نظام مجلس الوزراء ، ونظرا للخطوات التي سارت عليها حكومتنا الفتية لحد الان ، ورغبة منا في تقوية جهاز الدولة وتركيز المسئوليات على ضوء التجارب التي مرت بها حكومتنا في دور هذا الانشاء ، أنأمر بما هو آت :

أولا) نمنح رئيس وزرائنا السلطات الكاملة لرسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية والمالية والاشراف على تنفيذها .

ثانيا) يعاد النظر في نظام مجلس الوزراء وما يجب تعديله من الانظمة القائمة .

ثالثا) على رئيس وزرائنا تنفيذ إرادتنا هذه وبالله التوفيق :

سعود

وضع نظام جديد

لم يشأ الفيصل أن يعدل النظام السابق لمجلس الوزراء تعديلاً بسيطاً ، فقام بوضع نظام ، أوسع وأكمل ، وعرضه على الملك فأقره وأصبح نظاماً مرعياً . منذ عام ١٣٧٧ هـ . حتى اليوم .

تعديل النظام الجديد

وفي عام ١٣٨٤ هـ . (١٩٦٤ م .) ، بعد قليل من مبايعة الفيصل بالملك ، أصدر جلالته أمراً ملكياً بتعديل المادتين السابعة والثامنة من نظام مجلس الوزراء؛ وبهذا التعديل أصبح الملك رئيساً طبيعياً ، دائماً ، لمجلس الوزراء ، وألغيت الإزدواجية بين منصب الملك ومنصب رئيس مجلس الوزراء ، فقد أصبحت رئاسة المجلس من جملة اختصاصات الملك ، كقيادته العليا للجيش مثلاً ..

وأما نائب رئيس مجلس الوزراء ، فإنما ينوب عن الملك في إدارة جلسات المجلس عند اجتماعه ، في غياب الملك .

والملك إذا غاب وأحب أن ينيب ولي عهده أونائبه في رئاسة المجلس،فإنما ينيبه بتفويض خاص .

وما دامت رئاسة مجلس الوزراء قد اندمجت في منصب الملك،فقد ترتب على ذلك أن تسمية الوزراء وإعفاءهم من مناصبهم وقبول استقالتهم ، كل أولئك أصبح من حق الملك مباشرة ، وهو ما نصت عليه المادة الثامنة المعدلة .

وجاء في المادة السابعة المعدلة أن قرارات المجلس تصبح نهائية بعد توقيع الملك عليها .

وكان رئيس المجلس هو الذي يوقعها ، فيصبح بعضها نهائياً ، ويحتاج بعضها ، وهو الأهم ، إلى توقيع الملك ، ليصدر به مرسوم ملكي .

أما الآن فيوقع الملك جميع قرارات المجلس ، لأنه هو رئيسه .

والحق إن هذا التعديل تعديل أساسي ، عظيم الأهمية .

وقد يكون إقراراً للأمر الواقع ، فالفيصل كان يجمع في ذاته منصبي الملك ورئاسة الوزراء ، ولكن هذا الجمع كان يبدو ذا صفة مؤقتة ، فأصبح الآن نظاماً ثابتاً .

نظام الدولة الاساسي

إن نظام مجلس الوزراء الجديد ، هو ، في الحقيقة ، أوسع من اسمه ، لأنه يتناول تنظيم السلطتين التشريعية والتنفيذية ، ويبين طائفة من سلطات الملك ، ويحتوي على مواد غير قليلة لا تذكر ،عادة ، في دساتير الدول ، عند البحث في اختصاصات مجلس الوزراء ، وإنما تذكر عند البحث في اختصاصات البارلمان أو في مواضع أخرى ، ونضرب مثلا على ذلك المادة (٢٩) من نظام مجلس الوزراء ، التي تقول : (لا يجوز فرض ضرائب أو رسوم إلا بموجب نظام) والمادة (٣٢) التي تقول : (لا يجوز منح إنحصار أو إمتياز أو استثمار مورد من موارد البلاد إلا حسب نظام خاص ومراعاة المصلحة العامة) .. إلى مثل ذلك من المواد التي تتضمن مباديء وأحكاماً مهمة .

سلطة مجلس الوزراء

توضح لنا المادة « الثامنة عشرة » من نظام مجلس الوزراء اختصاصات هذا المجلس وهي تشمل كل السلطات التشريعية والتنفيذية والإدارية ، ما عدا سلطة القضاء ، وهذا نص المادة المذكورة :

(يرسم مجلس الوزراء السياسة الداخلية والخارجية والمالية والإقتصادية والتعليمية والدفاعية وجميع الشؤون العامة للدولة ويشرف على تنفيذها .

ويملك السلطة التنظيمية ، والسلطة التنفيذية ، والسلطة الإدارية .

وهو المرجع للشؤون المالية .

ومن أبرزها « ميزانية الدولة » ، التي لا يتم إنفاق إلا بمقتضى أحكامها.

.. ولجميع الشؤون المرتبطة في سائر وزارات الدولة والمصالح الأخرى ، ولا تعتبر المعاهدات والإتفاقات الدولية نافذة إلا بعد موافقته .)

يتبين لنا من هذه المادة أن مجلس الوزراء هو :

١ – صاحب السلطة « التشريعية » التي تضع الأنظمة ، أي القوانين ،

٢ – وصاحب السلطتين التنفيذية والإدارية .

٣ – وهو الذي يرسم سياسة الدولة في جميع الشؤون .

سلطة الملك

ولكننا نرتكب خطأ فاحشاً إذا وقفنا في دراستنا لمجلس الوزراء عند المادة الثامنة عشرة ، فلابد لنا من قراءة بقية المواد ، حتى نستطيع تكوين فكرة صحيحة عن مدى السلطة التي يتمتع بها مجلس الوزراء وحدودها !

.. فهناك الملك !

الملك أقوى من مجلس الوزراء !

وقد أصبحت سلطة الملك ، بعد تولي الفيصل للملك ، أكثر من ذي قبل ، بسبب تعديل المادتين السابعة والثامنة من نظام المجلس عام ١٣٨٤ هـ .

إن الملك هو رئيس المجلس الطبيعي ، الدائم ، وبهذه الصفة ، هو الذي يوجه « السياسة العامة للدولة » — المادة ٤٤ —

وهو الذي يصدق قرارات المجلس لتصبح نهائية ، وبدون توقيعه لا قيمة لتلك القرارات إطلاقاً — المادة ٧ — .

وللملك ، فوق هذا ، حق إقالة الوزراء من مناصبهم متى أراد ، ليأتي بوزراء غيرهم متى أراد — المادة ٨ — .

إن ضعف المجلس أمام الملك ضعف بالغ .

فالملك ثابت ، والمجلس موقت ..

و « وجود » المجلس مرهون بكلمة من الملك ، متى قالها ، انصرف الوزراء إلى دورهم ..

وأعمال المجلس مرهونة بتوقيع الملك ، فإن لم يوقعها ، فلاقيمة لقرارات المجلس ..

ماذا يعني ذلك ؟

أيعني أن سلطات المجلس الواسعة ، قد تضاءلت الآن ، بحيث أصبحت .. فارغة من مضمونها ؟ والجواب : لا !

ذلك أن الملك إنما يحكم بمجلس الوزراء ، ولا يستطيع أن يحكم إلا معه ، ومن خلاله !

إنه لا يستطيع أن يحكم منفرداً ، كما كان يفعل الأمراء السعوديون القدامى ، أو الملك عبد العزيز نفسه ، من قبل ..

وهنا ، قد يقال : إن الملك قادر على أن يؤلف مجلسه من وزراء لا يعصون له أمراً ولا يتحركون إلا بإرادته ، فكأنه هو الذي يحكم وحده ..

وهذه ملاحظة صحيحة ، في حد ذاتها ، ولكنها ليست كاملة .

إن أحسن القوانين يمكن أن يساء تطبيقه — كما قال الفيصل هو نفسه — فالعبرة ليست في النصوص وحدها ، وإنما العبرة في حسن تنفيذها ..

وقصة الملك مع مجلس الوزراء ، تشبه قصة زواج ..فالملك قادر على صرف الوزراء ، كقدرة الزوج على طلاق نسائه — ونلتمس العذر عن هذا التشبيه ! — ولكن الرجل الصالح لا يطلق المرأة الصالحة ، لغير سبب ..

لذلك يجب أن يكون على رأس السعودية ملك صالح ، كالفيصل ، فتستقيم أمورها ، وتسير مؤسساتها في طريق السداد والرشاد ، ولكن النصوص ، وحدها ، لا تستطيع أن تحمي البلاد من تصرفات ملك فاسد .. أو رئيس جمهورية فاسد ..

إن الملك الصالح يحترم حقوق مجلس الوزراء ويشجعه على ممارستها ولا يقف دون مقرراته ، إلا أن يكون من ورائها خطر على المصالح العليا للمملكة ، ولا يصرف وزيراً ، إلا أن يكون مقصراً أو سيء النية ..

الملك ورئاسة الوزراء

في الملكيات الغربية ، يترك الملك لغيره رئاسة مجلس الوزراء ، لأنه غير مسؤول ، ولا يجوز له أن يقحم نفسه في المجادلات السياسية وما قد تجره وراءها أحياناً من نقد وتجريح ، خصوصاً في البارلمان .

وأما في العربية السعودية فلايوجد بارلمان ، وقد استحسنوا الجمع بين الملك ورئاسة مجلس الوزراء ، لأربعة أسباب :

الأول — أن الملك السعودي هو إمام المسلمين ، وأئمة المسلمين كانوا يحكمون ، ولا يكتفون بمجرد الملك ، أي أنهم يملكون ويحكمون ، وليسوا كملك إنجلترا وأشباهه .. الذين يملكون ولا يحكمون .

الثاني — أن رئيس الولايات المتحدة الأميركية هو أيضاً رئيس دولة — أي

ملك لمدة محدودة — ولكنه هو الذي يحكم .. بل هو أقوى من الملك .. لأن لديه (وكلاء) .. لا يؤلفون مجلساً يُضيق حدود سلطاته ، كمجلس الوزراء .. وإنما هم موظفون بين يديه ! فلماذا يستكثر على الملك .. ما ليس يستنكر من رئيس جمهورية ؟

الثالث — وسبب ثالث ، هو أن الملك ، في هذه الأوقات التي تكاثرت فيها التحديات والدسائس الخارجية ، يعطي سياسة الدولة ، بمباشرته لها ، معنى الإستمرار والحزم .. فلا يطمع أحد بتغيير السياسة عند تغيير الوزارة ! ..

الرابع — وإذا كان الملك ، كما هو الواقع الآن ، أعظم رجل دولة في البلاد ، فكيف نحرم البلاد من مواهبه وتجاربه ، لنسلم الحكم فجأة إلى من هو أقل منه تجربة ؟ !

ولنفترض أن الملك لم يكن صاحب تجربة طويلة ، فحسبه أن يكون حسن النية ، كريم الخلق ، عاقلاً ، محباً لبلاده ، مؤثراً لمصالحها العليا ، فانه ، متى توافر له ذلك ، استطاع أن يدير رئاسة الوزارة بما يجب لها من الحياد والنزاهة وحسن الفهم ، مستعيناً بنواب له ومستشارين وخبراء يصدقونه الرأي ويمحضونه النصح .

الملك والوزارة

وهناك أمر آخر ، يبدو لنا قابلاً للمناقشة .. وهو أن الفيصل يقوم بأعباء وزارة الخارجية ، فهل الأفضل أن يشغل الملك منصباً وزارياً ، مع رئاسته الطبيعية للوزراء ؟

لقد بينا رأينا في هذا الموضوع ، قبل ، ونحب أن نقول ، هنا ، إن احتفاظ الفيصل بهذه الوزارة ، التي يشغلها منذ أكثر من ثلاثين سنة ، يمثل استمراراً ، لا ابتداء ، والقاعدة الفقهية تقول : « يجوز في البقاء ما لا يجوز في الإبتداء ».

ونحن نرجح ، على كل حال ، ألا يشغل الملك أية وزارة .

القضاء

القضاء ، في الأصل ، من حقوق الإمام،إن شاء تولى القضاء بين الناس بنفسه ، وإن شاء فوضه إلى آخرين .

كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضوان الله عليهم ، يقضون بين الناس في مقر خلافتهم ، ويفعل مثل ذلك الأمراء في بلدانهم ، أو يكلونه إلى بعض الفقهاء .

وأول من أوجد منصباً يشبه منصب وزارة العدل — عند أكثر الدول في هذه الأيام— ويتولى تعيين القضاة والنظر في أمورهم ، هو الخليفة هارون الرشيد ، فقد جعل الفقيه أبا يوسف قاضياً ولقبه (بقاضي القضاة) ، وأعطاه حق تولية القضاة وعزلهم ، دون الرجوع إلى الخليفة ..

إن القضاء من أعظم أعمال الدولة ، لكثرة معاملات الناس ومنازعاتهم .. فيجب أن يكون هناك مرجع يبين لهم وجه الحق ، ويضعه في نصابه ويرده إلى أصحابه ، ويعاقب المعتدي على عدوانه ؛ وبدون ذلك تسود شريعة الغاب ، فيكون الأمر للأقوى والأسوأ ...

لقد فسد كثير من شؤون المسلمين ، ولكن القضاء الشرعي عندهم كان أقل مؤسساتهم فساداً ، وحافظ ما استطاع على استقلاله وأدى رسالته في أحلك الأوقات ..

وشؤون القضاء في المملكة العربية السعودية يتولاها ، منذ إنشاء الدولة السعودية حتى اليوم ، علماء من آل الشيخ ، سلالة صاحب الدعوة الإصلاحية الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف هو اليوم مفتي المملكة الأكبر وقاضي قضاتها ، فهو بمنزلة وزير العدل ، ولكنه ليس وزيرا ..

ونجد في ميزانيات الدولة السعودية ، ما يشير إلى نية متجهة إلى إنشاء وزارة للعدل ، ولكن هذه الفكرة لم تتحقق بعد .

ومهما يكن الأمر ، فإن القضاء الشرعي ، الذي يتولى أمره قاضي قضاة المملكة ، ورئيس قضاتها ، هو قضاء واحد للجميع .. وهذه مزية كبيرة له ، يستطيع الإعتزاز بها .

فهناك دول عربية ، كان عندها قضاء للوطنيين ، وقضاء للأجانب .

.. وقضاء للحضر ، وقضاء للبدو ..

أما قضاء المملكة ، فلا فرق عنده بين وطني وأجنبي ، وبين حضري وبدوي . وفي القضاء الشرعي : قضاة منفردون ، ومحاكم استئنافية .

ولا شك أن الحكومة السعودية مهتمة برفع مستوى القضاة ، وقد أنشأت لهذه الغاية معهداً عالياً لتخريج القضاة .

وقد تسير خطوة جديدة ، فتؤلف وزارة عدل ، وتحدث نيابة عامة .

ديوان المظالم

عرف المسلمون قضاء المظالم منذ أقدم العهود ، فكان الخلفاء الأوائل يمارسونه بأنفسهم ، ولكن العباسيين هم الذين توسعوا في إنشاء ولايات المظالم ، وكان والي المظالم ينظر في شكايات الناس من الأمراء والعمال وكتاب الدواوين والجباة وغيرهم ، ممن نجمعهم في هذه الأيام تحت اسم الموظفين أو الحكومة أو الإدارة ..

وقد أحيت المملكة هذا التقليد الإسلامي ، فأنشأت : « ديوان المظالم » ، للنظر في الخلافات التي تقوم بين دوائر الحكومة المختلفة وبين الأفراد .. وهو يعامل الأفراد على قدم المساواة مع الحكام .

ويشبه هذا الديوان مجالس الدولة أو القضاء الإداري العالي في البلاد العربية الأخرى . وهو مرتبط برئاسة مجلس الوزراء لا برئاسة القضاء .

لجان قضائية

وفي وزارة الشؤون الإجتماعية لجان تقوم بالنظر في الخلافات التي تحدث بين أصحاب العمل والعمال .

وأمراء المناطق يستطيعون أيضاً التصدي لفصل الخلافات بين الأفراد ، بشرط أن يفرغوا جهدهم في التوفيق بين المتنازعين سلماً ويلتزموا حدود الشرع .

وهناك لجان في وزارة الدفاع والحرس الوطني وغيرهما تقوم بمهمات تأديبية وقضائية محدودة .

حقوق الإنسان

« حقوق الإنسان » ، في مصطلح علماء القانون ، هي هذه المباديء الرفيعة التي تواضع رجال الإصلاح في العصور الحديثة على وضعها في مقدمة الدساتير ، لحماية حريات الأفراد وكراماتهم والسهر عليها .

ويدعي الأمريكيون أنهم أول من أعلن هذه الحقوق . . فقد جاء في مقدمة وثيقة إعلان الإستقلال الأميركي ، التي صدرت عام ١٧٧٦ م . ما يأتي :

(.. إننا نعدّ الحقائق التالية من البدهيات :

ـ خلق الناس جميعاً متساوين .

ـ وقد منحهم الخالق حقوقاً خاصة لا تنتزع ، منها :

الحياة ، والحرية ، والسعي وراء السعادة .)

.. ويقول الإفرنسيون إنهم هم الذين أعطوا حقوق الإنسان أجمل صورة وأكمل تعبير ، وصاغوها في مواد بارعة في مقدمات دساتيرهم ، ثم لخصوها بكلمات ثلاث ، نقشوها بأحرف من ذهب على « واجهات » مبانيهم العامة واتخذوها شعاراً لفرنسا ، وهي : « الحرية ، المساواة ، الأخوة » . (١)

---

(١) يقول بعض المؤلفين الغربيين ان الديمقراطية « المدرسية » او « الكلاسيكية » تعنى بمبادىء المساواة والحقوق الفردية ، من الناحية السياسية ، بينما «الديمقراطية الماركسية » تعني بالمساواة وغيرها من الحقوق ، من الناحية الاقتصادية ..

ومن هنا ذهب بعض المثقفين العرب ، كالاستاذ احمد زكي اليماني ، الى القول بأن مزية الاسلام أنه جمع بين الحقوق السياسية والاقتصادية . وهذا استنتاج صحيح .. ولكنه يحتاج الى شيء من التعقيب ، فكلمة « الاخوة » ، الواردة في اعلان حقوق الانسان والمواطن الافرنسي ، وأمثالها من الكلمات الواردة في الاعلان الاميركي أو العالمي ، تدعو هي ايضا الى تحقيق العدالة الاجتماعية .. والتكافل الاجتماعي ، فليست المسألة ، في البلاد الديموقراطية غير الماركسية ، قاصرة على الحريات السياسية .. وللاسلام ، على كل حال ، فضل السبق .

وأخيراً .. قامت منظمة الأمم المتحدة بوضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، عام ١٩٤٨ ، وضمنته حق كل إنسان في الحياة والحرية والسلامة الجسدية والشخصية ، وفي حرية الرأي والتعبير ، وفي الكرامة ، وفي المساواة الخ.

فهل يوجد في المملكة العربية السعودية مثل هذه الضمانات ؟

والجواب : هو أن التزام الدول العربية السعودية بأحكام الشرع ، معناه أنها ملتزمة بحقوق الإنسان ، لأن الإسلام أعطى الإنسان حقوقه في الحرية والمساواة والعدالة والأخوة ، قبل ألف ومئتي سنة من إقرار الدساتير الحديثة لها ومناداة الغربيين بها ! ..

والمملكة ، فوق هذا ، ضمنت أنظمتها الجديدة أيضاً بعض هذه الحقوق .

وها نحن نستعرض طائفة من أبرز حقوق الإنسان في الإسلام :

المساواة .

المساواة معناها أن يكون الناس جميعاً متساوين في الحقوق والواجبات ، لا فرق بين رجل ورجل ، فهم متساوون في تطبيق القوانين ، وفي المثول أمام القضاء ، وفي طلب الوظائف ، وفي دفع الضرائب الخ ..

قال تعالى : « يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقال النبي (ص) : « الناس سواسية كأسنان المشط . لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود ، إلا بالتقوى » . —١—

---

(١) يقول الشيخ حسن آل الشيخ :

«.. ولتحقيق معنى المساواة في الاسلام ، فقد شرعت العبادات ..

ففي الصلاة مثلا يقف الفقير بجانب الغني صفا واحدا يجمعهما الخضوع لله ، وينطبقان معا : (الله اكبر !) لتضفي على نفسيهما شعورا متماثلا بالمساواة والعجز أمام قدرة الله واحاطته وعلمه .

وفي الحج الى بيت الله الحرام تتجلى ظاهرة المساواة بين كل المسلمين في الملبس والهيئة والنداء لا فرق بين لون ولون أو عنصر وعنصر ، الكل أقوياء بالاسلام ، وضعفاء لله ولرحمته وبره ، وفجاج عرفات والمشاعر المقدسة تدوي بلبيك اللهم لبيك .

وأوصى عمر بن الخطاب سعداً ، حين ولاه على حرب العراق ، فقال له :

« يا سعد ، لا يغرنك .. أن قيل : خال رسول الله .. فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة .

فانظر الأمر الذي رأيت النبي عليه ، منذ بعث إلى أن فارقنا ، فالزمه .)

فالناس متساوون ، لا يميز بعضهم عن بعض دم ، ولا لون ، وإنما تميزهم الفضائل !

.. الناس متساوون أمام أحكام الشرع !

جاء بعضهم إلى الرسول (ص) . وسألوه أن يستثني امرأة سارقة من حكم الشرع ، لشرفها في قومها ومكان أسرتها ، فأجابهم بما معناه :

« إنما أهلك من قبلكم أنهم إذا أذنب الضعيف فيهم عاقبوه ، وإذا أذنب الشريف تركوه .

والله لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها . » !

.. والناس متساوون أمام القضاء !

لم يعرف الإسلام قضاء خاصاً بالأشراف والكبار ، أو قضاء يفرق بين المتقاضين ، ويفضل بعضهم على بعض ..

والناس متساوون في طلب المناصب !

قال النبي (ص) : (من ولى رجلاً شيئاً من أمور المسلمين وهو يعلم أن فيهم من هو أولى منه ، فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين) .

ولم يحرم الإسلام طبقة من الناس بسبب مولدها أو لونها من تولي المناصب ، فإن كان يقع في هذا المجال شيء من المحاباة ، فلا يسأل عنه الإسلام ، وإنما يسأل عنه ولاة المسلمين !

والناس متساوون أمام الضرائب .

.. فإنها تجبى من الناس على قدم المساواة ، فمن كثر ماله كثرت زكاته ، ومن قل ماله قلت صدقاته ، ولا يستثنى أحد منها لشرف محتده ، أو غير ذلك ..

والخلاصة : لقد هدم محمد (ص) . وصحابته الذين عاشوا معه وتعلموا منه، نظام الطبقات،وأقاموا في ظل الإسلام مجتمع إخوان متساوين .

وليس في شيء من أنظمة المملكة ، سواء في نظام الموظفين أم في النظام المالي ، أم في سائر الأنظمة ، ما يخلّ بقاعدة المساواةو يرجح فريقاً من الناس على فريق .

الحرية

لا موضع للكلام عن الحرية ، بالمعنى الخاص ،المناقض للرق والعبودية، لأن الرق ألغي في المملكة .

وإنما نعني بالحرية : حرية الرأي ، وحرية العقيدة ، وحرية العمل ، والحرية الشخصية . بمختلف صورها .

حرية الرأي :

أما حرية الرأي ، فقد تجاوزها الإسلام ، إلى جعلها واجباً أحياناً .. فقال النبي ص . : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

ودعا أبو بكر الناس إلى إبداء رأيهم فيه ، ومصارحته بما يظنونه غير مستقيم في سيرته وعمله ، مع ما كان عليه من الصلاح والتقوى والإجتهاد في أداء الحقوق ، فقال :

« .. إن أحسنت فأعينوني ، وإن أخطأت فقوّموني » !

وطلب الحاكم من الناس أن يبدوا له رأيهم في أعماله ليس إلا تنفيذاً لأحكام القرآن ، قال تعالى :

« وشاورهم في الأمر » ، وقال : « وأمرهم شورى بينهم » .

.. وبين شعارات المسلمين الذهبية ، هذا الشعار : « الدين النصيحة » !

فلكل إنسان أن يبدي نصيحته ويعلن فكرته ، أخطأ في رأيه واجتهاده أم أصاب ، بشرط أن تتوافر له النية الصادقة !

الحرية الشخصية .

الحرية الشخصية مصونة ، فلايجوز الإعتداء على أي إنسان ، لافي دمه ولا في ماله ولا في جسده ولا في كرامته ، قال النبي ص . « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

ضرب رجل رقيقاً له وآذاه ، فأمر النبي ص . بعتقه ، عقوبة لمولاه الذي لم يرع حرمته كإنسان ...

حرية العقيدة .

حرية العقيدة مصونة ، فلا حجر على العقول و « لا إكراه في الدين » .

ولم يسمع عن محمد ص.أنه قتل نصرانياً (أو يهودياً) ،أو عذبه أو سجنه لأنه لم يسلم .. أو أنه منعه من التعبد على طريقته ، ولم ينقل عن محمد ، ولا عن خلفائه الراشدين (ر) . أنهم فعلوا شيئاً من ذلك ، أو هدموا كنائس أو بيعاً ..

بل رأينا في وصية أبي بكر (ر) لعامله وقائد جيشه أسامة هذه الكلمات :

« سوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

فهو يوصيه ، في حرب من حروب الدعوة الدينية ، أن يترك رجال الدين المسيحي أحراراً في معابدهم ، فلا يعرض لهم بسوء!

ذلك هو تسامح الإسلام ، الذي لم يعرف له العالم شبيهاً .

حرمة الدار .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا ، فارجعوا هو أزكى لكم ..)

وقال (ص) : « لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن ، فحذفته بحصاة ففقأت عينه ، ما كان عليك من جناح » ..

تلك حرمة الدار في الإسلام ، فلا يجوز لأحد أن يقتحم على إنسان منزله ، وليس لأحد أن يتجسس على إنسان في داره ، ولو كان حاكماً ..

روي عن عمر بن الخطاب أنه دخل على قوم يتعاقرون على شراب ، ويوقدون في اخصاص ، من غير أن يعلمهم بحضوره ، فلما وصل إلى مجلسهم قال لهم متوعداً :

«نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم، ونهيتكم عن الإيقاد في الاخصاص فأوقدتم.»

وهمّ بمعاقبتهم وجلدهم ..

فقالوا له : « يا أمير المؤمنين ! قد نهى الله عن التجسس فتجسست ، وعن الدخول بغير إذن فدخلت » !

فقال : هاتين بهاتين !

وانصرف عنهم ، ولم يعرض لهم بسوء .

ويقول بعض الفقهاء : إذا عرف رجل بوجود أشياء منكرة في الدار ، لتظاهر أهلها بأصواتهم ، جاز له أن ينكرها عليهم خارج الدار .

أما إذا كانت في الدار جريمة قتل على أهبة أن ترتكب ، جاز له أن يقتحم الدار ، لأن القتل لا يحتمل التأخير ولا يُستدرك !

الأخوة

ومعناها أن يكون المواطنون متضامنين كأنهم أفراد أسرة واحدة . وما نظن أحداً دعا إلى الأخوة كدعوة محمد (ص .)

قال ص. : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .)

وقال ص. : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.)

وقال ص. : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .)

وقال أيضاً : (المؤمن للمؤمن ، كالبنيان يشد بعضه بعضاً .)

ومن مظاهر الأخوة ، على صعيد العمل الرسمي ، أن تعنى الحكومة بالفقير مثل عنايتها بالغني وأكثر ، فالحكومة ليست شركة تجارية ، يأخذ منها الإنسان بنسبة ما يدفع ، ولو كان الأمر كذلك لما كان للفقير نصيب من خدمات الحكومة لأنه لا يدفع إليها شيئاً .. ولكن الحكومة مجتمع أخوي ، يعطي من يستحق ، ويأخذ من عفو أموال القادرين .

لقد جمع النبي ص. المهاجرين والأنصار ، في المدينة ، فتآخوا وتقاسموا الأموال ، ولكن هذا الحادث الفذ ، لا يبنى عليه حكم ، لأنه خاص بظرف خاص ، ونحن إنما نسوقه للتعبير عن المدى الذي تصل إليه الأخوة في الإسلام .

أما المظهر « المالي » العام للأخوة الإسلامية ، فيظهر جانب منه في الزكاة والصدقات والكفارات ، التي تتضافر كلها على مكافحة الفقر ، بل إن القرآن يجعل للمحرومين في مال المحظوظين « حقاً » ، وقد أحب بعضهم أن يسمي هذا الجانب المالي للأخوة : التكافل الإجتماعي . —١—

وجاء في مقررات المؤتمر الإسلامي ، المنعقد في مكة ما يأتي :

(لكل فرد في المجتمع الإسلامي حق ثابت في الضمان ، في حالة البطالة الخارجة عن إرادته والمرض والعجز والترمل والشيخوخة ، وفي جميع الأحوال التي يفقد فيها المرء وسائل معيشته لأسباب لا دخل لإرادته فيها) .

حق الملك .

حق الملك مضمون في الإسلام ، فحرمة الأموال كحرمة الدماء ، ولا يعني هذا أن حق الملك مطلق تماماً ، لا يجوز تقييده بقيود معقولة لمصلحة الجماعة ، ولكن الفقهاء لا يجيزون للدولة أن تغتصب شيئاً من ملك الأفراد .

وحق الملك يتبعه حق الإرث ، الذي بين القرآن أحكامه ، ولذلك تعدّ الشيوعية ، التي تحرم الملكية الفردية والإرث ، مخالفة لأحكام الشرع الإسلامي.

---

(١) يقول الشيخ حسن آل الشيخ ، في محاضرة له : (في المجال الاجتماعي ،نرى ان الاسلام قد تكفل للمسلم أن يعيش في منأى عن الحاجة وفي ظل من التكافل الاجتماعي ومن أبرز مظاهر ذلك فريضة الزكاة ، وتعداد وجوه صرفها للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلبوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، وليست الزكاة وحدها كل واجبات المسلم ، بل يجب على المسلم ان يواسي من يستحق من الفقراء والمعدمين بما يستطيع فلقد قال تعالى : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وفي بيت المال حق ثابت لهؤلاء بما يكفيهم ذل الحاجة ويعينهم على حياتهم ما لم يستطيعوا الكسب والعمل) .

الحقوق الفردية في الأنظمة السعودية .

ما دام الإسلام يضمن حقوق الإنسان فمعنى ذلك أن المملكة تضمنها .

وقد تضمنت الأنظمة السعودية نصوصاً تكفل أنواعاً من الحقوق الفردية ، نذكر منها على سبيل المثال ، لا الحصر ، ما يأتي :

حرمة المنازل — كفلت المادة (١٤٥) من نظام الأمن العام السعودي حرمة المساكن بنص لا يختلف كثيراً عن الأنظمة الغربية ، قالت :

(حرية المساكن مصونة ، فلا يجوز دخولها إلا في أحوال خاصة نص عليها النظام) .

وقد بين النظام طرق تفتيش المساكن في حالات الجرم المشهود ، والإستغاثة من داخل المساكن ، والحريق ، والغرق الخ ..

ويوجب النظام ، عند دخول الدار لأسباب موجبة : تنظيم محضر بالدخول والتفتيش ، بحضور عمدة المحلة .

حرمة المراسلات .

وجاء في نظام الأمراء والمجالس الإدارية :

(لا يجوز لأي أمير أن يحاول الإطلاع على أسرار البرقيات والبريد ، إلا في حدود الأوامر المبلغة إليه في هذا الشأن .)

الحرية الشخصية

وتضمن الأنظمة السعودية حرية المواطن الشخصية من كل عدوان أو توقيف تعسفي ، وقد جاء في المادة (١٥٣) من نظام الأمن العام (: إذا لزم الأمر لتوقيف شخص يجب كتابة مذكرة بتوقيفه ، تبين فيها الأسباب الموجبة وإرسال المتهم للمرجع المختص) .

وأعطي الأمراء ، بمقتضى المادة الحادية عشرة من « نظام الأمراء والمجالس الإدارية » الحق في التأنيب والتوقيف الموقت ، ولكن اشترط أن تتوافر لذلك الأسباب « من عبث وإفساد بالأمن وإضرار بالناس » ولم تُخلِ المادة المذكورة الأمير من المسؤولية فيما إذا ظهر أن الأسباب لم تتوفر ، وأن الإتهام لم يثبت .

وفيما خلا حالات التوقيف الموقت،لأسباب استثنائية تستند إلى تظاهر الشخص بالفساد والعبث بالأمن ، لا يجوز التوقيف إلا بحكم القضاء .

نظام مجلس الوزراء

الصادر بتاريخ ٢ شوال ١٣٧٧ ــ رقم ٣٨٠

والمعدل بتاريخ ١٤ رجب ١٣٨٤ ــ رقم ١٤

١) يسمى هذا النظام نظام مجلس الوزراء .

٢) مركز مجلس الوزراء الرياض ويجوز عقد جلساته في جهة أخرى من المملكة .

٣) لا يكون عضوا في مجلس الوزراء الا السعودى ، ولا يكون عضوا من كان سيء السمعة أو محكوما عليه بجناية أو جنحة مخلة بالدين والشرف .

٤) لا يباشر أعضاء المجلس أعمالهم بعد صدور هذا النظام الا بعد اداء اليمين الآتية :

(أقسم بالله العظيم أن أكون مخلصا لديني ثم لملكي وبلادي ، وأن لا أبوح بسر من أسرار الدولة وأن أحافظ على مصالحها وأنظمتهـــا وأن أؤدي أعمالي بالصدق والامانة والاخلاص) .

٥) لا يجوز الجمع بين عضوية المجلس وأية وظيفة حكومية أخرى الا اذا رأى رئيس مجلس الوزراء الضرورة تدعو الى ذلك .

٦) لا يجوز لعضو مجلس الوزراء أثناء توليه العضوية أن يشتري أو يستأجر مباشرة أو بالواسطة أو بالمزاد العام أيا كان من أملاك الدولة .. الخ ..

كما لا يجوز له بيع أو إيجار أي شيء من أملاكه إلى الحكومة ، وليس له مزاولة أي عمل تجاري أو مالي أو قبول العضوية لمجلس إدارة أي شركة .

٧) ــ الجديدة المعدلة ــ مجلس الوزراء هيئة نظامية يرأسها جلالة الملك وتعقد اجتماعاتها برئاسة جلالته أو نائب رئيس مجلس الوزراء .

وتصبح قراراته نهائية بعد تصديق جلالة الملك عليها .

٨) —الجديدة المعدلة — يتم تعيين أعضاء المجلس وإعفاؤهم من مناصبهم وقبول استقالاتهم بأمر ملكي ويكون جميع أعضاء المجلس مسؤولين عن أعمالهم أمام جلالة الملك . — ١ —

٩) يعتبر الوزير هو الرئيس المباشر والمرجع النهائي لشؤون وزارتـــه ، ويمارس أعماله وفق أحكام هذا النظام والنظام الداخلي لوزارتـــه .

---

(١) عدلت المادتان ٧ و٨ بموجب مرسوم ملكي صدر عن الفيصل بتاريخ١٤/٧/١٣٨٤، بناء على قرار مجلس الوزراء . وهذا نص المادتين القديمتين :

(٧) مجلس الوزراء هيئة نظامية وتعقد اجتماعاته برئاسة رئيس الوزراء أو نائبه ، ويباشر أعماله وصلاحياته حسب هذا النظام ونظامه الداخلي .

(٨) كل وزير مسؤول عن أعمال وزارته أمام رئيس الوزراء ، ورئيس الوزراء مسؤول عن اعماله واعمال المجلس أمام جلالة الملك ولرئيس الوزراء أن يطلب من جلالة الملك اعفاء اي عضو من اعضاء مجلس الوزراء من عمله،واستقالة رئيس الوزراء يترتب عليها استقالة جميع أعضاء المجلس .

(١) وهذا نص التعديل ، كما نشرته جريدة (أم القرى) الرسمية في العدد(٢٠٤٧):

مرسوم ملكي

بتعديل بعض مواد نظام مجلس الوزراء .

الرقم ١٤ — التاريخ ١٤/٧/١٣٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

(بعون الله تعالى ،

نحن فيصل بن عبد العزيز ال سعود ، ملك المملكة العربية السعودية

بعد الاطلاع على المادة العشرين من نظام مجلس الوزراء ،

وبناء على قرار مجلس الوزراء رقم ٣٤٨ وتاريخ ١٤/٧/١٣٨٤

وبناء على ما عرضه علينا نائب رئيس مجلس الوزراء ،

نرسم بما هو آت :

اولا — تعدل المادة السابعة من نظام مجلس الوزراء بحيث تصبح كالآتي :

« مجلس الوزراء هيئة نظامية يرأسها جلالة الملك وتعقد اجتماعاته برئاســة جلالته أو نائب رئيس مجلس الوزراء .

وتصبح قراراته نهائية بعد تصديق جلالة الملك عليها .

ثانيا — تعدل المادة الثامنة من نظام مجلس الوزراء بحيث تصبح كالآتي :

« يتم تعيين أعضاء المجلس واعفاؤهم من مناصبهم وقبول استقالاتهم بأمــر ملكي ويكون جميع اعضا المجلس مسئولين عن أعمالهم أمام جلالة الملك » .

ثالثا — يلغي هذا المرسوم جميع ما يتعارض معه من أحكام جاءت بها النظم المختلفة ويعتبر ساري المفعول من تاريخ نشره .

١٠) النيابة عن الوزير لا تكون الا لوزير آخر ..

١١) يتألف مجلس الوزراء من :
١) رئيس مجلس الوزراء .
٢) نائب رئيس مجلس الوزراء الذين يعين بامر ملكي بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء .
٣) الوزراء العاملين الذين يعينون بأمر ملكي بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء .
٤) وزراء الدولة الذين يعينون أعضاء في مجلس الوزراء بناء على أمر ملكي بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزاراء .
٥) مستشارى جلالة الملك الذين يعينون أعضاء في مجلس الوزراء بأمر ملكي بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء .

١٢) حضور مجلس الوزراء حق خاص بأعضائه فقط وبالامين العام لمجلس الوزراء ويجوز بناء على طلب رئيس أو أحد الاعضاء بعد موافقة مجلس الوزراء السماح لاحد الموظفين أو الخبراء بحضور جلسات المجلس لتقديم ما لديه من معلومات وايضاحات ، على أن يكون حق التصويت خاصاً بالاعضاء فقط .

١٣) لا يعتبر اجتماع المجلس منعقدا الا بحضور ثلثي أعضائه ولا تكون قراراته صحيحة الا بصدورها بأغلبية الحاضرين، وفي حالة التساوي يعتبر صوت الرئيس مرجحا .

١٤) لا يتخذ المجلس قرارا في موضوع خاص بأعمال وزارة من الوزارات الا بحضور وزيرها أو من ينوب عنه الااذادعت الضرورة لذلك .

١٥) مداولات المجلس سرية ، أما قراراته فالاصل فيها العلنية عدا ما اعتبر منها سريا بقرار من المجلس .

١٦) يحاكم أعضاء مجلس الوزراء عن المخالفات التي يرتكبونها في أعمالهم الرسمية بموجب نظام خاص يتضمن بيان المخالفات وتحديد اجراء الاتهام والمحاكمة وكيفية تأليف هيئة المحكمة .

١٧) يجوز لمجلس الوزراء أن يؤلف لجانا من بين أعضائه أو من غيرهم لبحث مسألة مدرجة بجدول أعماله لتقديم تقرير خاص عنها. ويتولى النظام الداخلي للمجلس بيان عدد اللجان وسير أعمالها .

١٨) يرسم مجلس الوزراء السياسة الداخلية والخارجية والمالية والاقتصادية والتعليمية والدفاعية وجميع الشئون العامة للدولة ويشرف على تنفيذها ويملك السلطة التنظيمية والسلطة التنفيذية والسلطة الادارية وهو المرجع للشئون المالية ولجميع الشئون المرتبطة في سائر وزارات الدولة والمصالح الاخرى وهو الذي يقرر ما يلزم اتخاذه من اجراءات في ذلك ، ولا تعتبر المعاهدات والاتفاقيات الدولية نافذة الا بعد موافقته ، وقرارات مجلس الوزراء نهائية ، الا ما يحتاج منها لاستصدار أمر أو مرسوم ملكي طبقا لاحكام هذا النظام .

١٩) لا تصدر الانظمة والمعاهدات والاتفاقيات الدولية والامتيازات الا بموجب مراسيم ملكية يتم اعدادها بعد موافقة مجلس الوزراء

٢٠) لا يجوز تعديل الانظمة أو المعاهدات والاتفاقيات الدولية والامتيازات الا بموجب نظام يصدر حسب المادة (١٩) من هذا النظام .

٢١) يبت المجلس في مشروعات الانظمة المعروضة عليه مادة مادة ثم يصوت عليها بالجملة وذلك حسب الاجراءات المرسومة في النظام الداخلي لمجلس الوزراء .

٢٢) لكل وزير الحق بأن يقترح على المجلس مشروع نظام يدخل ضمن أعمال وزارته ، لغرض اقراره ، وللمجلس الموافقة عليه أو رفضه ، واذا رفض المجلس اقتراحا فلا يجوز اعادة عرضه عليه الا اذا دعت الضرورة لذلك ، كما أنه يحق لكل عضو من أعضاء مجلس الوزراء أن يقترح ما يرى مصلحة من بحثه في المجلس .

٢٣) اذا لم يوافق جلالة الملك على أي مرسوم أو أمر يقدم اليه لتوقيعه يعاد الى المجلس مشفوعا بالاسباب التي دعت لذلك لبحثه ، وإذا لم يرد المرسوم او الامر من ديوان جلالة الملك الى مجلس الوزراء خلال ثلاثين يوما من تاريخ وصوله يتخذ رئيس المجلس ما يراه مناسبا ويحيط المجلس علما بذلك .

٢٤) يجب نشر جميع المراسيم في الجريدة الرسمية وتكون نافذة المفعول من تاريخ نشرها الا اذا نص فيها على مدة .

٢٥) للمجلس باعتباره السلطة التنفيذية المباشرة ، الهيمنة التامة على شؤون التنفيذ وهو صاحب الاختصاص الاصلي في اتخاذ جميع ما يرى في مصلحة البلاد . ويدخل في اختصاصاته التنفيذية الامور الاتية :

١) مراقبة تنفيذ القرارات والانظمة .

٢) احداث وترتيب المصالح العامة والوظائف وتعيين وفصل وترقية مديري المصالح والموظفين الذين يشغلون المرتبة الثالثة فصاعدا أو احالتهم على المعاش .

٣) لمجلس الوزراء أن يقرر انشاء لجان تحقيق تتولى التحرى عن سير أعمال الوزارات والمصالح بصفة عامة أو عن قضية معينة وترفع لجان التحقيق نتائج تحرياتها الى المجلس في الوقت الذي يحدده لها ويبت المجلس في نتيجة التحقيق حسب النظام .

٢٦) مجلس الوزراء هو السلطة المباشرة لادارة البلاد وله الهيمنة التامة على كافة قضايا الادارة وتدار المناطق المختلفة في كافة أنحاء المملكة بموجب أنظمة تسن لذلك .

٢٧) تدار الشئون البلدية بموجب نظام خاص ، يسمى « نظام البلديات » يحدد درجات البلديات وواجباتها وتشكيل المجالس البلدية الى غير ذلك من الشئون التي لها مساس باعمال البلديات .

٢٨) شؤون الدولة المالية مرجعها مجلس الوزراء .

٢٩) لا يجوز فرض ضرائب ورسوم الا بموجب نظام .

٣٠) تكون جباية الرسوم والضرائب بمقتضى أحكام الانظمة ولا يجوز الاعفاء منها الا بمقتضى النظام .

٣١) بيع أموال الدولة أو إيجارها أو التصرف فيها لا يكون الا وفق النظام .

٣٢) لا يجوز منح إعفاء أو امتياز أو استثمار مورد من موارد البلاد الا حسب نظام خاص ومراعاة المصلحة العامة .

٣٣) لا يجوز للحكومة أن تعقد قرضا الا بعد موافقة مجلس الوزراء وصدور مرسوم ملكي يتضمن الاذن لها بذلك .

٣٤) كل تعهد تقوم به الحكومة ويترتب عليه دفع مال من الخزينة العامة لا يكون الا بمقتضى احكام الميزانية المصدقة حسب الاصول فان لم تتسع بنود الميزانية وجب أن يكون بموجب نظام خاص يجيزه .

٣٥) يلزم أن تسلم جميع واردات الدولة الى الخزينة العامة الموحدة وأن يجرى قيدها وصرفها بموجب الاصول المقررة نظاما .

٣٦) لا يجوز تخصيص مرتب أو منح مكافأة أو صرف أي مبلغ من أموال الدولة الا بموجب النظام أو بقرار من مجلس الوزراء .

٣٧) يصدق مجلس الوزراء سنويا نظاما بميزانية الدولة يشتمل على تخمينات الواردات والمصاريف لتلك السنة ويرفع لجلالة الملك لتصديقه ويجرى تصديق الميزانية قبل السنة المالية بشهر على الاقل فاذا حلت السنة المالية وحالت أسباب اضطرارية دون تصديق الميزانية وجب السير على الميزانية السابقة بنسبة اثنى عشرية حتى صدور الميزانية الجديدة

٣٨) كل زيادة يراد احداثها على الميزانية لا تكون الا بموجب نظام أو قرار من مجلس الوزراء .

٣٩) اجراءات تصديق الميزانية تجري حسب الاصول المقررة لاصدار الانظمة ويصوت عليها فصلا فصلا .

٤٠) تبقى النظم المالية النافذة حاليا مرعية الاجراء حتى تصدر أنظمة .

٤١) تقوم مراقبة حسابات الدولة بتدقيق جميع حسابات الحكومة والتحقق من صحة قيود واردها ومصرفها حسب احكام نظام هذه الدائرة ،

٤٢) على وزارة المالية ان تقدم لمجلس الوزراء الحساب الختامي للادارة المالية عن العام المنصرم لغرض اعتماده خلال الثلاثة أشهر الاولى من السنة الجديدة .

٤٣) ميزانية الدوائر غير التابعة لوزارة من الوزارات وحساباتها الختامية يجرى عليها ما يجرى على ميزانية الدولة وحسابها الختامي من الاحكام.

٤٤) رئيس مجلس الوزراء هو الذي يوجه السياسة العامة للدولة ويكفل التوجيه والتنسيق والتعاون بين مختلف الوزارات ويضمن الاضطراد والوحدة في أعمال مجلس الوزراء ويتلقى التوجيهات السامية من جلالة الملك للعمل بموجبها وهو الذي يوقع قرارات المجلس ويامر

بتبليغها الى الجهات المختلفة وله الاشراف على مجلس الوزراء والمصالح العامة وهو الذي يراقب تنفيذ الانظمة والقرارات التي يصدرها مجلس الوزراء وهو مسؤول عن أعماله وأعمال المجلس أمام الملك. ولرئيس مجلس الوزراء أن يطلب من جلالة الملك اعفاء أي عضو من أعضاء مجلس الوزراء من عمله واستقالة رئيس مجلس الوزراء يترتب عليها استقالة جميع الاعضاء .

٤٥ — يدخل في تشكيلات مجلس الوزراء الإدارية الشعب الآتية :

أولاً — ديوان رئاسة مجلس الوزراء

ثانياً — الأمانة العامة لمجلس الوزراء

ثالثاً — شعبة الخبراء .

ويتولى النظام الداخلي لمجلس الوزراء ، بيان تشكيلات هذه الشعب واختصاصاتها وكيفية قيامها بأعمالها .

٤٦ — مرجع ديوان المظالم وديوان مراقبة الحسابات العامة لرئيس مجلس الوزراء طبقاً لأنظمتها الخاصة .

٤٧ — يصادق مجلس الوزراء على هذا النظام ، ثم يرفعه إلى جلالة الملك للإقتران بالموافقة السامية ويصدر موقعاً عليه من لدن جلالته ورئيس مجلس الوزراء .

٤٨ — يشرع مجلس الوزراء بعد نفاذ هذا النظام ، بوضع الأنظمة الآتية :

١ — نظام داخلي لمجلس الوزراء

٢ — نظام داخلي لكل وزارة من الوزارات

٣ — نظام إدارة المقاطعات

٤ — نظام البلديات

٥ — نظام محاكمة الوزراء

٦ — نظام بيع وإيجار أملاك الدولة

٤٩ — يكون هذا النظام مرعي من تاريخ إصداره ونشره في الجريدة الرسمية.

٥٠ — يلغى هذا النظام ، نظام مجلس الوزراء الصادر بتاريخ ١٢-٧-٧٣ وجميع الأنظمة والقرارات التي تخالف أحكامه وكل حكم آخر .

الفصل السادس

تنظيم الجهاز الحكومي

البيان الوزاري

مبادىء السياسة السعودية



صورة معبرة لجلالة الملك فيصل وهويغرس بيديه الكريمتين شجيرة صغيرة« شتلة »

الفيصل .. مزارع

فيصل والزراعة

بين الأوراق التي خلفها الرئيس الأميركي روزفلت ، ورقة يقول فيها :

(.. تحدثت إلى ابن سعود عن ضرورة العناية بالزراعة في بلاده ، وقلت له إنني أعنى بتربية الأشجار وأحب ذلك ، وإنني مزارع عريق ..

وكان نجله الأمير فيصل يصغي إلينا ، فلم يخف سروره مما سمع ، وقال : أنا أيضاً مزارع !

أما الملك عبد العزيز ، فقال : أنا الآن شيخ كبير .. ولو كنت أصغر سناً ، لحاولت نفسي على هذا الأمر !

والحق،إن الجزيرة العربية مدعوة إلى العناية بالزراعة، والماء هو الطريق إلى النهضة الزراعية الصحيحة ..

.. وغداً ، متى انتهت ولايتي ، سوف أذهب إلى جزيرة العرب ، وأعمل في استخراج الماء ، لترتوي منها الأراضي العطاش .)

فترتان تاريخيتان

تولى (الفيصل) الحكم ، في عهد أخيه الملك سعود، رئيساً أو نائب رئيس لمجلس الوزراء ، مدة عشر سنوات أو أكثر ..

ولم تكن هذه السنوات خالصة لفيصل ، وإنما كانت مشوبة بأزمات عصيبة خفية أو معلنة ، كما رأينا ذلك قبل ، ولكن الفيصل استطاع ، برغم كل العثرات التي كانت تعترض مسيرته ، أن يحقق لبلاده خيراً كثيراً ويدفع عنها ضرراً كبيراً .

ونحن إذا استعرضنا أحداث هذه السنوات العشر ، من زاوية التنظيم السياسي ،في معناه الواسع الذي يشمل أسلوب الحكم والإقتصاد وإصلاح المجتمع وإسعاده ، وجدنا أن أجلها قدراً وأعظمها أثراً إنما تم خلال فترتين :

الفترة الاولى

تبتديء في عام (١٣٧٧) ﻫ . حين وضع الفيصل نظاماً عصرياً لمجلس الوزراء ، لا يزال مرعياً حتى اليوم .

وفي هذه الفترة أنقذ الفيصل البلاد من أزمة مالية هائلة ، ووضع لها ميزانية حديثة ، وأنشأ الورق النقدي السعودي .

الفترة الثانية

تبتديء عام (١٣٨٢ ﻫ .) ، حين ألف الفيصل وزارة إصلاح ، وأصدر لها بياناً وزارياً،يعد فاتحة عهد جديد في حياة المملكة العامة، وهو قائم حتى اليوم : بما تحقق منه وانتهى أمره ، وبما يستمر تحقيقه لأنه بطبعه دائم ، وبما ينتظر تحقيقه لأن الظروف لم تأذن بإنجازه بعد .

وستتكلم في هذا الفصل عن هذه الفترة .

أما الفترة الأولى، التي تتناول الأزمة المالية وما تبع معالجتها، فسندرسها في فصل الاقتصاد .

البيان الوزاري

في يوم الثلاثاء ٩ جمادي الثانية ١٣٨٢ هـ ـ ٦ نوفمبر ١٩٦٢ م٠ القى الامير فيصل ، في أول اجتماع رسمي عقدته الوزارة الجديدة بعد اداء اليمين القانونية ، البيان الآتي ، الذي يتضمن خطة الحكم ومناهج الاصلاح ٠ قال سموه :

(حرصت الدولة السعودية منذ فجر تأسيسها على أن تخوض بكل جد وقوة معركة بناء هادفة ولقد مرت سنون طويلة من العرق والدم ،سار خلالها المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله في طريق شاق وخاض معارك عنيفة استطاع بعدها أن يؤسس كيان هذا البنيان الشامخ الكبير وجاءت بعد ذلك عملية إرساء الأسس لنهضتنا ، وعلى الرغم من أن عمليات إرساء الأساس لا تظهر عادة أهميتها البالغة للعين المجردة وعلى الرغم من أن تدفق موارد الزيت لم يتم إلا منذ عهد قريب في حساب الزمن ، فقد استطاعت حكومة جلالة الملك سعود المعظم بفضل توجيهاته الرشيدة أن تستفيد من هذا المورد الهام وأن تظهر آثاره سريعاً على الرغم من تباعد أطراف المملكة وقسوة طبيعة الصحراء فيها وندرة أصحاب الكفاءات لديها .

ويسر حكومة صاحب الجلالة أن تعلن ، نتيجة لهذا الجهاد الشاق المتواصل ، فقد آن لها وللمواطنين من أبناء هذا الوطن الكريم أن يقتطفوا منذ الآن ثمار بعض جهودهم وان يستعدوا بعد ذلك للاستمرار في اقتطاف ثمار الجهود الأخرى وسوف تضاعف حكومة صاحب الجلالة جهودها في تطوير كيان هذه الدولة الفتية وتدعيمه والأخذ بيد المواطنين إلى المكان اللائق بهم كشعب كان منذ فجر التاريخ العربي مركز انطلاق العروبة الحقة ومصدر إشعاع للحضارة الإسلامية الخالدة في سبيل قطف الثمار ومضاعفة الجهود لتطوير الكيان ، فقد وضعت حكومة صاحب الجلالة برنامجاً إصلاحياً ضخماً يمكن تلخيص أهم عناصره في النقاط التالية :

أولاً — لما كان من الواجب أن يكون نظام الحكم في أي دولة صورة صادقاً لحقيقة التطور الذي وصل إليه مجتمعها فقد حرصت حكومة صاحب

الجلالة على تطوير المجتمع السعودي علمياً وثقافياً واجتماعياً حتى يصل إلى المستوى الذي تنعكس معه صورته في شكل نظام راق للحكم يمثل الأهداف العظيمة الخالدة التي جاءت بها شريعتنا الغراء ، ولقد حدثت من آن لآخر عدة تطورات فعلية لشكل الحكم السعودي كانت تمثل تطور المجتمع لدينا وتحاول في الوقت نفسه أن تأخذ بيده لمستوى أرقى مما هو عليه .

وتعتقد حكومة صاحب الجلالة أن الوقت قد حان الآن لاستصدار نظام أساسي للحكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة خلفائه الراشدين حيث توضع في وضوح كامل المباديء الأساسية للحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم وتنظم سلطات الدولة المختلفة وعلاقة كل جهة بالأخرى وينص على الحقوق الأساسية للمواطن ومنها حقه في حرية التعبير عن رأيه في حدود العقيدة الإسلامية والنظام العام ولقد شرعت الوزارة السابقة في تطوير مجلس الشورى ليقوم بدوره كسلطة تنظيمية للبلاد وستكون هذه الدراسة مع ما سيطرأ عليها من إضافات وتعديلات جزءاً من النظام الأساسي للحكم الذي لن يتأخر صدوره إن شاء الله والذي سيأتي صورة صادقة عن المستوى الكريم الذي وصلت إليه أمتنا ونموذجاً رائعاً لنظام الحكم الإسلامي المستمد من نصوص الشريعة وروحها ، ومما يساعد على بلوغ هذا الهدف السامي أن قواعد شريعتنا السمحة مرنة متطورة صالحة لمواجهة كل الظروف وقابلة للتطبيق في كل مكان وزمان حسب متطلبات ذلك الزمان والمكان .

ثانياً — ولم تكتف حكومة صاحب الجلالة في التفكير فقط في نظام أساسي يضع قواعد الحكم المركزي فحسب بل إنها قامت بدراسات مختلفة لوضع نظام للمقاطعات يوضح طريقة الحكم المحلي لمناطق المملكة المختلفة ولقد تبلورت شتى الدراسات التي تمت لمشروع نظام المقاطعات لدرجة لن يطول معها ظهوره إلى حيز الوجود وسيكون عند صدوره عاملاً فعالاً في دفع عجلة التطور الاداري والسياسي والإجتماعي لمملكتنا الفتية .

ثالثاً – وتحرص حكومة صاحب الجلالة على أن يكون للقضاء حرمته ومكانته فهو مناط القسط ورمز العدالة وكلما ارتفع شأنه وعظمت حرمته كلما حققنا بذلك هدفاً أساسياً من أركان ديننا الاسلامي الحنيف وقد عقدنا العزم على مضاعفة الجهود نحو هذه الغاية واصدار نظام لاستقلال القضاء يمسك بزمامه مجلس أعلى للقضاء وقررنا انشاء وزارة للعدل تشرف على الشؤون الإدارية للقضاء ويلحق بها نيابة عامة للدولة ترعى مصالح المواطنين وتذود عن حقوقهم وتقوم بالتعاون مع المحاكم المختلفة للدولة مقام الحارس الأمين الذي يدافع عن المظلومين ويضرب على أيدي الظالمين .

رابعاً – ولما كانت نصوص الكتاب والسنة محددة ومتناهية بينما وقائع الأزمنة وما يستجد للناس في شؤون دنياهم أمور متطورة غير متناهية ونظراً لأن دولتنا الفتية تقيم حكمها والحمد لله على أساس الكتاب والسنة نصاً وروحاً فقد أصبح لزاماً علينا أن نمنح الفتيا عناية أكبر وأن يكون لفقهائنا وعلمائنا حملة مشاعل الهدى دور إيجابي فعال في بحث ما يستجد من مشاكل الأمة بغية الوصول إلى حلول مستمدة من شريعة الله ومحققة لمصالح المسلمين ولذلك كله فقد قررت حكومة حضرة صاحب الجلالة تأسيس مجلس للافتاء يضم عشرين عضواً من خيرة الفقهاء والعلماء، ليتولى النظر فيما تطلب الدولة منه النظر فيه وما يوجهه إليه افراد المسلمين من أسئلة واستشارات وليكون أداة قوية لتنوير الأذهان وتذليل العقبات التي تعترض سبيل التقدم السليم .

خامساً – وإن حكومة صاحب الجلالة لتشعر شعوراً تاماً بواجبها للعمل بكل جد واهتمام لنشر دعوة الإسلام وتثبيت دعائمه والذود عنه قولاً وعملاً ، وقد عملت وستعمل على اتخاذ كل الوسائل لتحقيق اداء هذا الواجب الشريف .

سادسا – ولما كانت الخصيصة الأولى لهذه الأمة الإسلامية المجيدة انها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولحرص الإسلام على هذه الوظيفة السامية فقد بينت الشريعة فضلها وفضل من يقوم بها والزمته بأن يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبذل جهده ليعمر قلوب الناس بالحق والخير والمحبة ولهذا فقد قررت حكومة صاحب الجلالة أن تقوم حالاً باصلاح وضع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يتمشى مع الأهداف الاسلامية الرفيعة التي وضعت أساساً من أجلها وبما يضمن اجتثاث بواعث

المنكر من قلوب الناس ما استطعنا لذلك سبيلاً .

سابعاً — وتشعر حكومة صاحب الجلالة أن من أهم واجباتها النهوض بالمستوى الإجتماعي للأمة وقد قامت الدولة بأدوار هامة وفعالة في هذا الحقل فضمنت لشعبها العلاج والدواء بالمجان في داخل المملكة وخارجها وفعلت مثل ذلك بالتعليم وجعلته مجاناً في جميع مراحله ، بل ومنحت الكثير من الطلبة مكافأة مالية سخية تعينهم على متطلبات العيش وابتعثت على حسابها آلاف الطلبة في شتى حقول العلم والمعرفة ولجميع أنحاء المعمورة واعفت كثيراً من المواد الغذائية من الرسوم الجمركية ، بل ومنحت اعانات ضخمة لتخفيض أسعارها للمستهلكين ، وجاء أخيراً نظام الضمان الاجتماعي ليجعل الدولة مسؤولة مسؤولية كاملة عن معيشة كل شيخ وعاجز ويتيم وامرأة ممن لا مورد أو عائل لهم شرعاً ولن يمضي وقت طويل حتى يصل إلى كل محتاج ما يكفيه ذل السؤال ويضمن له العيش الكريم وعندما تقدم الدولة لطائفة العمال فيها نظاماً يحميهم من البطالة نكون بذلك قد وصلنا إلى المستوى الإجتماعي الذي لا يزال حلماً يراود كثيراً من دول العالم المتحضر وحققنا فعلياً أهداف العدالة الإجتماعية الحقة دون أن تطغى الدولة على حريات الناس الفردية أو تسلبهم أموالهم وحقوقهم ولن تقتصر حكومة صاحب الجلالة على تيسير الكفاية لشعبها وتأمين فرص العمل له بل انها تسعى جادة إلى اجراء تعديلات هامة في شكل الحياة الإجتماعية وإلى توفير وسائل التسلية لجميع المواطنين .

ثامناً — وتؤمن حكومة صاحب الجلالة بأن التطور الاقتصادي والتجاري والاجتماعي الذي ساد مجتمعنا في السنوات الأخيرة لا يزال في كثير من مجالاته يفتقر إلى التنظيم ولذلك فإن مجموعة كبيرة من الأنظمة الهامة ستأخذ طريقها تباعاً إلى الصدور بحيث تصبح الدولة بعد فترة غير طويلة ولديها تراث تنظيمي شامل يساعد على تقدم النشاط وسرعة الحركة واجتذاب رؤوس الأموال وسوف تنشيء الدولة اجهزة مستقلة تتولى تطبيق مختلف الأنظمة التي تصدرها وسيكون كل ذلك متمشياً مع شريعة الله الخالدة ومحققاً لمصالح الأمة العليا .

تاسعاً — أما الإنتعاش المالي والتطور الإقتصادي فهو شغل الحكومة الشاغل وإلى جانب الإحتفاظ بالمركز المالي القوي الذي تمتاز به المملكة بين مختلف دول العالم فقد اتخذت حكومة صاحب الجلالة وسوف تتخذ اجراءات هامة

وحازمة لوضع برامج إصلاحية ملموسة ينتج عنها انتعاش دائم للحركة الإقتصادية، لتكون هذه المملكة في مستوى عال من المعيشة لكل أفرادها ومن أهم ما سيبرز إلى حيز الوجود قريباً إن شاء الله برنامج ضخم للطرق يربط جميع أطراف المملكة ومدنها ببعضها البعض ، وسنبذل عشرات الملايين من الريالات لدراسة مصادر المياه وتوفيرها للزراعة والشرب ، وسوف تبني الحكومة السدود اللازمة لحفظ مياه الأمطار وتوفير المراعي وسوف تمد الصناعة الخفيفة والثقيلة بعون فعال يحميها ويجذب رؤوس الأموال اليها وستكون المملكة السعودية بحول الله في القريب دولة صناعية ولها اكتفاء زراعي ذاتي فتتعدد مصادر دخلها وتتنوع بما يسهل لها القيام بواجباتها نحو شعبها الكريم . وإلى جانب المبالغ التي ترصد في ميزانية الدولة لتنفيذ المشروعات فقد قررت حكومة صاحب الجلالة أن ترصد جميع المبالغ الإضافية التي سوف تستلمها من شركة ارامكو عن حقوقها التي تطالب بها الشركة للسنوات الماضية في ميزانية انتاجية خاصة بحيث تصرف جميعها على المشروعات الإنمائية كالطرق والسدود والمرافق العامة وغير ذلك وسوف يكون هذا العمل دفعة قوية لاقتصاد المملكة وتحقيقاً سريعاً لكثير من مشروعاتها الاعمارية ، ويجري الآن اتخاذ المراحل النهائية لدراسة انشاء بنك صناعي وآخر زراعي ، كما أن المؤسسة العامة للبترول والمعادن ستظهر إلى الوجود قريباً وسوف تسهم هذه المؤسسات الثلاث مع غيرها من المؤسسات الحكومية والأهلية في إظهار خيرات البلاد والكشف عن ثرواتها المعدنية وغيرها.

عاشراً — ومن المعروف أيضاً موقف الشريعة الإسلامية من الرق وحثها على فك الرقاب ، ومن المعروف أيضاً أن الرقيق الموجود في العصر الحاضر قد تختلف فيه كثير من الشروط الشرعية التي أوجبها الإسلام لاباحة الاسترقاق ولقد واجهت الدولة السعودية منذ تأسيسها مشكلة الرق والرقيق وعملت بجميع الوسائل التدريجية للقضاء عليه ، فمنعت أول الأمر استيراده وفرضت العقوبات على ذلك ثم منعت مؤخراً بيعه أو شراءه ، وتجد الحكومة الآن الفرصة مؤاتية لأن تعلن إلغاء الرق مطلقاً وتحرير جميع الأرقاء وستقوم الحكومة بتعويض من يثبت استحقاقه للتعويض .

هذه جملة من الإجراءات الأساسية التي عزمت حكومة صاحب الجلالة على تنفيذها، وهناك ولا شك امور كثيرة هي موضع اهتمام هذه الحكومة..)

تحليل البيان

لم يكن بيان الوزارة ، على عظمته ، بياناً جامعاً لكل شئون الدولة ، فهو ، مثلاً ، لا يتحدث عن أمور الدفاع الوطني والأمن الداخلي ، ولا عن سياسة الدولة في علاقاتها مع البلاد الإسلامية والعربية والأجنبية — هذه السياسة التي كانت ، هي وحدها ، مادة البيانات الوزارية السابقة !

ولعل السبب في هذا الاهمال المقصود ، هو أن الفيصل أراد للبيان الوزاري أن يكون معبراً عن الطابع المميز لحكمه في هذه المرحلة الجديدة ، وهو طابع الإصلاح والتطور ، « فركز » — إن صح هذا التعبير — على « تطوير » الحكم المركزي والمحلي ، وعلى رفع المستوى الاجتماعي للشعب ، وتحقيق العدالة الإجتماعية ، والقيام بمشاريع ضخمة من شأنها أن تشيع الرخاء في المجتمع السعودي ، إلى جانب الرقي الفكري والسعادة الروحية .

ومما تحسن الإشارة إليه هو أن هذا البيان ظهر في وقت قويت فيه أصوات الدعايات « الإشتراكية » التي كانت تتصاعد من بعض الإذاعات العربية ، معلنة احتكارها للتقدمية والعدالة الإجتماعية .. فكان هذا البيان أبلغ ردّ عليها ، لأنه أبرز حقيقتين :

الأولى — ان « الاسلام » يحقق للناس ما أرادوا من العدالة والتقدم وفوق ما يحققه لهم أي نظام آخر !

الثانية — ان تقدمية المملكة تقدمية حقائق ملموسة و « إنجازات » موصولة ، لا تقدمية « المزايدات الكلامية » .. وقرع الطبول ..

وها نحن نتكلم عن أبرز ما جاء في هذا البيان .

نظام الحكم المحلي

يعد البيان بوضع نظام أساسي كامل للمملكة ونظاماً للحكم المحلي .

وقد عالجنا موضوع النظام الأساسي ، قبل ، وأما الحكم المحلي ، فقد وضع له في جمادى الأولى عام ١٣٨٣ هـ . (١٩٦٣ م .) نظام عرف باسم

« نظام المقاطعات » ، وقد نص فيه على تقسيم الدولة إلى مقاطعات ، يترأسها (حاكم) اداري ، يمثل الحكومة ، وتكون للمقاطعة شخصية معنوية يمثلها : « مجلس المقاطعة » ، ويتم اختيار أعضاء هذا المجلس من بين الأشخاص المتعلمين في المقاطعة بقرار من مجلس الوزراء الخ ..

ولكن هذا النظام لم ينفذ ، وأحيل إلى لجان من الخبراء الدوليين ، وما زال ، فيما نعلم ، قيد الدرس

ويمكننا القول ان نظام (الأمراء والمجالس الأدارية) الموضوع عام (١٣٥٩) هـ . ما يزال مرعياً ، حتى يتقرر ابداله بنظام جديد .

وهذا النظام ينص على تعيين حاكم إداري في كل بلد ، يسمى : « أميراً »

والأمير مسئول عن شئون المقاطعة ومكلف بتنفيذ الأحكام الشرعية والأنظمة .

وهو مرجع جميع القرى والقبائل في منطقته.

وهناك (مجلس ادارة) ، يحيل اليه الأمير كل الشئون التي ليس لها نظام : أو تعليمات أو أوامر مخصوصة .

وعلى الأمير ، كما يقول النظام : (تقوى الله ومراقبته تعالى وإنفاذ أحكام الشريعة الغراء ، في نفسه وعمله . والمحافظة على الآداب الدينية وعلى الأعراض والأموال الشخصية والحقوق العامة) .

وهذه التوصيات ، غير المألوفة في الأنظمة الحديثة ، تذكرنا بالعهود التي كان يكتبها الخلفاء للأمراء قديماً . وهي ، في الحقيقة ، الأساس الخلقي الذي يرتكز عليه كل حكم صالح .

إن « الأمير » ، بمعنى « المحافظ » أو الحاكم الإداري .. لقب قديم جداً في تاريخنا ، وربما أبدلوه أحياناً باسم « العامل » ، ولكن المملكة ما زالت محتفظة به ... ويجب التفريق بين هؤلاء الأمراء وبين أفراد الأسرة المالكة .. وقد تجمع لبعضهم الإمارتان : الموروثة والإدارية .

أرونا حكومة واحدة من الدول العربية ، التي تدعي « الاشتراكيــة » صنعت لشعبها في مجال « العدالة الاجتماعية » أكثر مما صنعته حكومة الفيصل لشعبها ، بل مثلها !

لقد حققت الحكومة للشعب :

١ ــ مجانية التعليم ، والكتاب المدرسي ، ووسيلة الإنتقال إلى المدرسة ، وفوق ذلك ، أعطت طالب العلم مكافأة بل « مرتباً » .. مما لا نجد مثله عنــد أرقى الأمم ، هذا إلى ابتعاثها أعداداً كبيرة من الطلاب إلى الخارج على نفقة الدولة .

٢ ــ مجانية التداوي والعلاج والاستشفاء ، وفوق ذلك ، أعطت المريض الذي لا يستطيع الأطباء معالجته في البلاد المال الذي يساعده على السفر إلى الخارج للتداوي والعلاج على نفقة الدولة ،

٣ ــ كفلت للعامل حقوقه ، ونظمت أوقات عمله وإجازاته وأجوره ، وضمنت له مورداً للمعيشة عند تعطله عن العمل ، ومن مظاهر عنايتها بالعمال انها أنشأت لهم ، ولتعهد الشؤون الاجتماعية ،وزارة خاصة ، .

٤ ــ تبذل الحكومة المساعدات المالية لمستوردي المواد الضرورية لغذاء الشعب ، وذلك ليستطيع أبناء الشعب تأمين حاجاتهم الغذائية بسهولة ورخص .

٥ ــ تطبق الحكومة نظام « الضمان الجماعي » وترصد له في الميزانيــة الملايين ، وذلك لتكفي أبناء الشعب العاجزين عن الكسب ذل السؤال ، إنها تكفل الشيخ والعاجز واليتيم والمرأة ، كما تكفل المتعطل عن العمل .

٦ ــ وهناك مشاريع وأعمال كثيرة لا يراد منها مجرد سداد احتياجات الدولة ، وإنما يراد منها أيضاً ضمان العمل والمعيشة للمواطنين ، ومن أبرزها مشاريع التوطين واستصلاح الأراضي ..

لذلك كان الفيصل على حق حين قال في إحدى خطبه ، هذه الكلمات الرائعة، مخاطباً الجماهير :

(نحن لسنا في حاجة إلى الدعاية ، حتى نتبع الطريق التي تؤدي إلى العدالة الإجتماعية .. ذلك لأننا سائرون فيها فعلاً ، ببركة الله سبحانه وتعــالى ، وباتباعنا دستورنا الحكيم وهو القرآن . إننا نطبق العدالة الإجتماعية الحقيقية،

وهي حق لكم وواجب علينا ، فنحن خدامكم ، وخدمتكم هي مصدر اعتزازنا .)

القضاء والامر بالمعروف

يعد البيان بتأسيس وزارة للعدل ونيابة عامة وإصلاح الهيئات المعروفة باسم (هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، كما يعد بإنشاء مجلس للقضاء ومجلس للفتوى .

وقد سبق لنا الكلام عن القضاء .

أما هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي الهيئات الدينية التي تراقب تطبيق الأوامر الشرعية والأخلاق العامة ، مؤدية في هذا العصر بعض وظائف «الحسبة» القديمة ، فهي غير معروفة في البلاد الأخرى ، لأن السلطات الإدارية هي التي تتولى مراقبة الناس ؛ ولكن المملكة تمتاز بتحقيق القاعدة الشرعية العظيمة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » على أيدي رجال الدين ، وقد تسلسل ذلك فيهم جيلاً بعد جيل ، من غير انقطاع .

ومهما يكن الأمر فإن الإصلاح يبدأ بحسن اختيار أفراد هذه الهيئات ، وحسن تفهمهم لأسلوب الأمر والنهي ، ووضع حدود معروفة له . وقد بدأ الناس يلمسون آثار التطور في هذا المجال ، ونرجو ان يستمر . .

وسائل التسلية

ويتحدث البيان عن « وسائل التسلية » ، .. وهو موضوع يظنه بعض الناس تافهاً ، مع أن فرنسا أنشأت له ذات مرة وزارة خاصة !

إن الإسلام لا يحول قط دون حصول كل إنسان على قسط من الراحة والتسلية ، وكثير من الناس — وخصوصاً الأجانب — كانوا يشكون من خلو المملكة من بعض أسباب التسلية ، كالأندية الرياضية ودور السينما والمقاهي العصرية والمسارح وغير ذلك ... وربما طلب بعضهم إباحة تناول المسكرات أو الرقص للأجانب ..

والحكومة لا تستطيع ، بالطبع ، تحقيق هذه الرغبات كلها ، لأن بعضها يجر إلى مفاسد كبيرة ..

ولكن الحكومة تدرك ، من ناحية ثانية ، ان (الكبت يحدث الإنفجار) وأن هناك أشياء لا بد من توفيرها للشعب لتدرأ عنه شراً كبيراً ..

تحرير الأرقاء

يقول حافظ وهبة : « أعتقد أنه ليس في إمكان أية دولة أن تأمر بإلغاء الرقيق وتحرير العبيد في جزيرة العرب دفعة واحدة ، فإن ذلك قد يؤدي إلى ثورة أهلية » .

ويبدو أن هذا الرأي كان صحيحاً في وقت ما ، ولكن الفيصل نقضه عام ١٣٨٣ ، حين أعلن في البند العاشر بيان الوزارة التاريخي إلغاء الرق مطلقاً !

كان لهذا القرار ، في المحافل الدولية ، دوي هائل ، وعدوه خطوة تقدمية واسعة وذهب كثيرون إلى تشبيه الفيصل ، من هذه الزاوية ، بالرئيس الأمريكي (إبراهام لنكلن) ، الذي دعا إلى تحرير العبيد ، وحارب في سبيل ذلك الولايات التي كانت متمسكة بنظام الرق وانتصر عليها .

والواقع أن الفيصل ولنكولن يتشابهان من حيث النتيجة التي وصلا إليها ، وهي منح الحرية للمستعبدين ، ولكنهما يختلفان من حيث الوسائل ، فالرئيس الأميركي خاض حروباً رهيبة لتحقيق غايته ، وأما فيصل فقد استطاع تحقيقها سلمياً ، ويجب علينا أن نعترف له بحكمته ومعرفته بنفسية الشعب ومبلغ استعداده لقبول الحركات الإصلاحية ، فهو ما أقدم على هذه الخطوة إلا بعد التوثق من أمرين : أولهما : موافقته للشرع . والثاني : إرضاء مالكي الأرقاء .

وهناك أمر آخر قد يكون له وزنه في هذه القضية ، هو أن كثيراً من الأرقاء أصبحوا يمثلون عبئاً على كواهل مالكيهم ، حتى قيل لنا إن بعض المالكين عرضوا على أرقائهم تحريرهم لوجه الله ، فرفضوا ! ..

مأثرة للفيصل

إن إلغاء الرقيق مأثرة عظيمة تسجل لفيصل ، فقد كان طائفة من كتاب الغرب وساسته يوجهون الإنتقادات الشديدة إلى المملكة ، وكان استمرار الرق في السعودية أحسن غذاء بل أقوى سلاح يستعملونه في حملاتهم الماكرة ، التي كان هدفها ، غير المعلن ، الدين الإسلامي نفسه !

لقد جردهم فيصل من هذا السلاح ، وأرضى أصدقاء الحرية في العالم ، ولكنه لم يترك لأعداء الإسلام مجالا للإدعاء بأن عمله مناقض للإسلام ، فأفهمهم بوضوح أن هذا العمل تحقيق للمبادىء الإسلامية الأصيلة !

يقول بنوا ميشان :

بحث الملك عبد العزيز عن الماء ، وأمر بحفر بعض الآبار ، في الطائف والخرج والأرطاوية ، ولكنها كانت ضعيفة لا تغني !..

وكُلِّفَ خبراء أمريكان أن يبحثوا عن الماء في المملكة ، فبحثوا .. ولكنهم أخفقوا ..

وفي عام (١٩٥٤ م .) جاء الخبير الجيولوجي الإفرنسي المشهور مسيو (كابروف) إلى المملكة ، وقام بدراسة واسعة وحلّق بطائرة استكشاف فوق منطقة الرياض ، ثم انتهى إلى تقرير هذه الحقيقة المذهلة : وهي أنه يوجد ، تحت أرض نجد ، بحر من الماء .. تجمّع خلال عشرات الآلاف من السنين ..

كان جو الجزيرة العربية ، في ذلك الماضي البعيد ، رطباً رخيّاً ، وكانت الصحارى القاحلة التي نشاهدها اليوم غابات تغطيها الأنهار والبحيرات .. تشهد على ذلك بقايا أسماك المياه الحلوة والتماسيح ، وغير ذلك من الدلالات ..

وقد غاصت تلك المياه في أعماق الأرض السحيقة ، حيث لا يمكن أن « تتبخر » .. وهي تؤلف الآن خزاناً جباراً ، تبلغ مساحته ألف كيلومتر طولاً وأربعمائة كيلومتر عرضاً ، أي مساحة أربعين مقاطعة فرنسية .

وهكذا وُلِدَ حلم عظيم .. حلم عربية سعودية تصبح فيها الصحاري بساتين وجنائن وارفة الظلال

ولكن هذه المياه العتيقة ، المستقرة في أعماق الأرض ، تستوجب حفر آبار عميقة جداً لاستخراجها ، فالعمل شاق ، محفوف بالمصاعب .

..بدأ المهندس الإفرنسي ومساعدوه « عمليات » الحفر ، في شهر آذار عام (١٩٥٥) .

واصطدم العمل بصعوبة الأرض و « سلبية » بعض الموظفين السعوديين .. ولكن المهندس والفنيين الإفرنسيين مضوا في عملهم ، واستحضروا آلات جديدة ، وبلغ عمق الحفر (٨٢٠) متراً ..

وبعد مراحل كاد اليأس فيها يستحوذ على الجميع ، تفجرت المياه بمعدل ٢٠٠ متر مكعب في الساعة ..

وكان ذلك في اليوم السادس من تشرين الأول ١٩٥٦ .

.. ثم تفجرت آبار جديدة !

.. وبفضل هذه النتائج ، وضعت وزارة الزراعة السعودية مشروعاً للتنمية الزراعية في المملكة يمتد إلى خمس وعشرين سنة ، وإذا أحسن تطبيقه فسوف يكفل للبلاد موارد زراعية تغنيها عن الاستيراد من الخارج ..

ولكن تطور البلاد يستوجب تطور عقلية السكان ، فيجب اقناع البدوي بأن العمل في الأرض ليس محطاً بقدره !

إنك تدعو البدوي إلى العمل ، فيقول لك :

(لما خلق الله العالم ، خلق الهواء ، ومع الهواء خلق البدو ..

ثم أخذ سهماً ، ومع السهم خلق الجواد ..

ثم أخذ قبضة من طين ، ومعها خلق الحمار ..

ومع الحمار ، خلق الفلاحين .

أخرجنا من الأعماق ماءً كان يغط في نومه منذ مليون سنة ..

فلماذا لا نخرج البدوي من نومه ، ليفتح عينيه على حضارة العالم الجديد.؟)

ذلك ما قاله كاتب إفرنسي ، زار المملكة في أوائل عهد الملك السابق سعود ، وعاش في جو « فيلبي » الغاضب .. وكلامه عن البدو مصنوع !

وقد عاد منذ قليل إلى المملكة ، بعد مبايعة الفيصل بالملك ، فأدهشه ما رأى من مظاهر النهضة ، وعرف أن الأمور التي يحلم فيها .. أصبحت ، في عهد الفيصل ، حقائق ، والأماني وقائع ؛ فالمملكة لا تستغني بموارد البترول عن العمل .. ولكنها تستعين بموارد البترول على العمل ؛ وقد عنيت بمصادر الماء عناية تجاوزت بها آمال الكاتب الفرنسي ، لأنها تجتهد في تحلية ماء البحر ، فضلاً عن مياه البر ..

وسيجد القاريء في فصل الزراعة بياناً موجزاً لمشاريع المياه . التي اشار اليها البيان الوزاري .

الهجر

يظن بعض الكتاب الغربيين أن الحكم السعودي كان حكماً بدوياً ، أي أن البدو مادته ، كبشر أو رعية .. والأساليب البدوية مادته ، كنظام !

وهذا خطأ فاضح .

فالحكم السعودي ، منذ تأسيسه ، بعد اتفاق الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كان حكماً حضرياً ، يكافح « البداوة » ويدعو إلى الحضارة .

ولهذه الدعوة سبب ديني ، فالأعراب ليس لهم مسجد يؤدون فيه صلاة الجماعة ، ولاوعاظ ، ولا محتسبون أو « مطوعون » .. لأنهم يعيشون متفرقين تحت الخيام ، وينتقلون من مكان إلى مكان .. ولذلك كان رجال الدين يرغبون أفراد البدو ، الذين يستمعون إلى نصائحهم ، في الهجرة إلى المدن ..

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن ان الهجرة من بين جماعة البدو إلى المدن تكون « مستحبة » إن كانت تلك الجماعة تقيم شرائع الاسلام ، لما في الهجرة من إقامة « الجمعة » وغير ذلك من المصالح التي يعرفها من نوّر الله قلبه ورزقه البصيرة .) .

ولكن الهجرة تصبح (واجبة) ، متى كان الأعراب متظاهرين بالكفر والشرك وارتكاب المحرمات ، ولا يقدر البدوي المتمسك بدينه على الإنكار عليهم ..

في عهد عبد العزيز

وتطبيقاً لهذه القاعدة الدينية : التهجير ، أو التحضير ، ولما فيها من المصالح الدينونية ، قام الملك عبد العزيز منذ عام ١٩١٣ بإنشاء القرى للبدو ورغبهم في السكنى فيها ، وقد أطلق عليها الاسم الديني المعروف : « الهجر » جمع هجرة .. لأنها هجرة من البداوة إلى الحضارة ، ومن الغزو إلى الزراعة والتجارة .

قالت جريدة (أم القرى) في مقال نشر فيها عام ١٩٢٩ م :

« من أجلّ الأعمال التي قام بها جلالة الملك عبد العزيز في اصلاح الجزيرة

ولم يسبقه إليها أحد من الملوك والأقيال والزعماء، هي : تشييد الهجر في نجد..

ولم يجد جلالة الملك كبير عناء في إقناع الشعب بالسكنى في المدن والاشتغال بالفلاحة ، لأن المطاوعة كانوا انتشروا بين القبائل ، يشرحون للعرب سيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح وكيف كانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة ولا يأنفون منها .

بعد هذا التمهيد الذي كان له أثره المحمود ، باشر جلالة الملك في إخراج مشروعه إلى حيز الوجود ، وطريقته في ذلك هي أن جلالته يعين بقعة فيها ماء لقبيلة أو فخذمنها فتنزح إليها وتباشر بناء البيوت فيها ، بعد إجبار هذه القبيلة التي تهاجر على بيع أباعرها ..

كما أن جلالته يمدّها مالياً في بناء البيوت الجديدة وتوزيع البذور والأغراس

وكانت أول هجرة أسست هي (الأرطوية) أو الأرطاوية كما يرسمها بعضهم ، نسبة إلى الأرطى ، وهو شجر يشبه بالغضا – وضع أساسها عام ١٩١٣ م . – ١٣٣٠ هـ . وبلغ نفوسها (٣٠) ألفاً ..

وقد بلغ عدد الهجر التي خططها جلالة الملك في نجد حتى اليوم (٢٠٠) هجرة أو مدينة أو دسكرة .. وليست هذه قرى صغيرة أو مزارع كبيرة ، وإنما هي مدن ودساكر أصغرها يربو نفوسه على الألفين .. .

وقد « هجر » ثلث القبائل النجدية أو أكثر .)

في عهد الفيصل

وضعت حكومة الفيصل مشاريع واسعة لتحضير البدو ، ويأتي في مقدمتها « مشروع الفيصل النموذجي لتوطين البدو » في منطقة حرض ، وقد أشرنا إلى ذلك في فصل الزراعة ، وبهذا العمل يكمل الفيصل ما بدأه أبوه وأجداده من قبل ، مستعيناً بالوسائل الحديثة التي تجعل هذا التحويل ، من البداوة إلى الحضارة ، أوفر حظاً من النجاح .

وهذه المشاريع التي يقيمها الفيصل لتحضير البدو سيكون نفعها أعظم كثيراً من كل المحاولات « القانونية » التي قامت بها دول أخرى لإسكان البدو بطريقة .. الإكراه !

وأما كراهية العمل في الزراعة والحرف ، التي كانت متأصلة في البدو وفي بعض سكان المدن ، فإنها في طريقها إلى الزوال تدريجياً ، إن شاء الله !

الفصل السابع

الاقتصاد

الصناعة — الزراعة

الميزانية

النقد السعودي

كيف أنقذ الفيصل البلاد من أزمتها المالية

متانة الوضع الاقتصادي

إرتفاع الإنتاج القومي – إرتفاع مستوى دخل الفرد

متانة الوضع الاقتصادي في المملكة

أشار التقرير السنوي السادس لمؤسسة النقد العربي السعودي إلى متانة الوضع الاقتصادي والمالي في المملكة ، وأبرز الحقائق الآتية :

أولاً – التقدم السريع المطرد في جميع قطاعات الإقتصاد .

ثانياً – محافظة الإنتاج القومي على معدل نموه البالغ حوالي ١٠ بالمائة .

ثالثاً – إرتفاع نصيب الفرد من الدخل القومي إلى حوالي ١٢٦٠ ريالاً ، بعد أن كان لا يتجاوز مستوى الكفاف قبل الحرب العالمية الثانية .

« وهناك ما يبشر بأن هذا الدخل سيتضاعف كل سبع سنين ، إذا استمرت الظروف والسياسات الحالية » .

رابعاً – بلغت احتياطات المملكة من الذهب والعملات الأجنبية ، خلال السنة الحالية ٨٥ – ٨٦ مبلغ (٣٣٣٥) مليون ريال ..

خامساً – حافظ شكل الإنفاق الحكومي على اتجاهه السليم ، نحو المشاريع الإنتاجية وأجهزة التنمية ، وخصص ٥٢ بالمائة من الميزانية للمشاريع والأجهزة التي تدعم كيان البلاد الإقتصادي ...

وتحدث التقرير عن إنجازات الحكومة في حقول الزراعة والصناعة والمواصلات وخصوصاً إنشاء شبكة الطرق فأظهر أهميتها البالغة في تطور البلاد.

ان هذه النتائج، التي تدعو إلى الغبطة والاعتزاز، لم تتم بفضل موارد البترول وحدها .. وإنما بفضل السياسة الحكيمة التي تنتهجها الحكومة ، بتوجيه الفيصل ورعايته .

أهداف الفيصل

إن موارد البترول كبيرة جداً ، وقد قدمنا بين يدي هذا البحث دراسة خاصة عن استثمارات البترول في المملكة ، لمعرفتنا بمكانته الكبرى في حياة البلاد الإقتصادية ، ولكن موارد البترول مهما تكن عظيمة ، لا تكفي وحدها في تطوير البلاد إلى حالة أحسن وأكمل ، بل يمكن القول إن نعمة البترول ، انقلبت في وقت ما إلى نقمة .. لأن بعض الحكام لم ينفقوا الأموال كما يجب أن تنفق . فقادوا البلاد إلى هاوية الإفلاس . ولكن الفيصل تدارك الموقف بحكمته وإخلاصه فأنقذ البلاد من أزمتها ، وأنشأ لها نقداً قوياً وميزانية حديثة ، ووضع أسساً متينة لنهضة إقتصادية سليمة .

وقد أطلق الفيصل هذا الشعارأو هذا الامل الحلو ، في بيانه الوزاري عام (١٣٨٢) :

« ستكون الدولة السعودية ، بحول الله ، في القريب ، دولة صناعية ، ولها اكتفاء زراعي ، وتتعدّد مصادر دخلها وتتنوع » .

فالفيصل لا يريد أن تعتمد الدولة ، في دخلها ، على البترول وحده ..

وهذا ما تحققه برامجها الإقتصادية والإنمائية وما تعبر عنه ميزانية الدولة نفسها تعبيراً مادياً ملموساً .

الاوليات في الانفاق

يقول وزير المالية سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن في بيان له :

(.. إن نسبة الزيادة في ايرادات الدولة ، ما خلا ايرادات الزيت ، ما زالت ضئيلة .

لذلك تسعى حكومة جلالة الملك إلى استخدام الدخل من الزيت في تنويع اقتصاديات البلاد ، وايجاد موارد أخرى دائمة للثروة .

وسلاحها الأول في ذلك ، هو توزيع الإنفاق على النحو الذي يحقق هذا الهدف .

لذلك ضغطت المصروفات الاستهلاكية .. فأصبحت زيادتها السنوية

قليلة ، بينما تعاظمت نسبة الزيادة في المشاريع الإنمائية .

وروعيت في النفقات « الأوليّات » التي تبنتها حكومة جلالة الملك كسياسة عامة للميزانية وكمعيار للنظر في توزيع الإنفاق العام والتي تتركز حالياً في تهيئة قاعدة التطور وتوفير المتطلبات الأساسية للنمو ، كالاستثمارات في الطرق والمواصلات ، والزراعة ، والمسح والإحصاء والدراسات ، إلى آخر ما يكون الأساس الاقتصادي .

وكالاستثمارات في التعليم والتدريب والصحة ، إلى آخر ما يكون الأساس الاجتماعي .

ومما يحسن التنبيه اليه أن الحكومة وافقت على جلّ ما قدم من مشاريع التدريب الفني والمهني بأنواعها ومشاريع التعليم والصحة وكل ما من شأنه التمهيد لإيجاد وتحسين الخبرات المحلية .

وبلغ مجموع المبالغ المتاحة فعلا للانفاق على المشاريع بأنواعها في هذا العام : (١٦٦١) مليون ريال .

وللتوفيق بين خاصية استمرار المشاريع وامتداد مراحل تنفيذها على عدة سنوات من جهة ، وبين سنوية الميزانية العامة للدولة من جهة أخرى ، عمدت الحكومة إلى تدوير المبالغ المخصصة والباقية دون صرف من سنة إلى أخرى.)

محتويات هذا الفصل

سنتحدث الآن عن الزراعة والصناعة في المملكة ، لنرى كيف تنفذ سياسة التنمية ، وصحيح أن ثمة عوامل أخرى تساعد على التنمية ،ولكن الزراعة والصناعة هما أقوى أسس النهضة الأقتصادية ، وقد يماً قيل :

لكل أمة ثديان ترضعان أبناءها :الزراعة والصناعة ، وإن كان ثدي أدّر من الآخر ..

ولا بدّ لنا ، بعد ذلك ، من القاء نظرة على الماضي القريب ، لنرى كيف أنقذ الفيصل البلاد من أزمتها وثبت نقدها وصنع لها ميزانية حديثة صحيحة .

الصناعة

لم تكن المملكة العربية السعودية في ماضيها بلاداً صناعية ، ولكن الحـال تغيرت بعد ظهور البترول .

ذلك أن البترول نفسه يقدم إلى المملكة عدداً من المواد الأولية التي تصلح لإنشاء صناعات ناجحة ، ويمد الصناعات الأخرى بالوقود الرخيص ، ويوفر لها الاموال والقطع الأجنبي ..

والسؤال الآن هو : هل يجب على الحكومة السعودية أن تسلك طريـق التصنيع ، وتحرص على إنشاء الصناعات الكبيرة ، أم الأصلح أن تعنى بالزراعة وتشجع الصناعات الصغيرة وحدها ؟

والجواب هو أن الأولوية للزراعة حتماً وللصناعات الصغيرة ، ولكن هذا لا يمنع من قيام الصناعة الكبرى ، متى توافرت الشروط لنجاحها وثبت نفعها .

إن التصنيع ليس مجرد شهوة أو مباهاة .. فلا بدّ لقيام صناعة معينة في البلاد من أن تتوافر لها الخبرة الفنية والمواد الأولية والأسواق ..

الخبرة الفنية : كان الفيصل على حق حين أعلن في إحدى خطبه أن الحكومة قادرة على إنشاء أضخم المعامل ، لكثرة مواردها ، ولكنه تساءل :

« هل يراد منا أن نستورد جيوشاً من الخبراء والفنيين من الخارج ، ليديروا المعامل ويعملوا فيها ؟ »

لذلك تولي حكومة الفيصل قسماً كبيراً من عنايتها للتعليم الفني والتدريب المهني ، استعداداً لخوض معركة التصنيع على نطاق واسع .

المواد الأوليّة : وهناك مسألة ثانية بالغة الخطورة ، وهي « المواد الأولية » .. فلا بدّ من توافرها في البلاد بثمن رخيص ، حتّى تكون صناعتها مجزيـة ناجحة .

فما هي المواد الأولية المتوافرة في البلاد ؟

يقول تقرير لبنك الانشاء والتعمير » :
(لا زالت تنمية الصناعة في المملكة العربية السعودية في مهدها ..
والعوامل الرئيسية التي تعوق التوسع السريع في الصناعة هي : قلة المو د الاولية المنتجة محليا وعدم توفر المهارات الفنية وضيق السوق المحلية وانتشارها وإرتفاع مستوى الأجور وانخفاض « انتاجية » اليد العاملة) .

الصناعات الناجحة

يعود التقرير المذكور فيشير إلى أن الصناعات الناجحة أو التي يرجى لها النجاح في المملكة ، هي الصناعات التي تعنى بتحضير المحاصيل ، كتبخير التمر ورحي (طحن) القمح ، والمجازر - بما في ذلك تثليج اللحم وحفظه - ودباغة الجلود والمنتجات الجلدية ، وتعليب السمك وتثليجه ، وتكرير الملح .

وقد نستطيع القول بأن الزراعةمتى توسعت،بفضل المشاريع الكثيرة التي أعدت لاستخراج المياه والتنمية الزراعية ، ولدت حتما عددا كبيرا من الصناعات الزراعية ، كصناعة السكر من الشمندر والقصب ، والنسيج والخيوط والألياف من القطن والقنب ، وصناعة المحفوظات من مختلف الثمار والخضر ، واللبن والجبن ونحو ذلك مما لا يحصى كثرة .

واذا تركنا الصناعات الزراعية ، وجدنا أكثر الصناعات الكبيرة نجاحا في المملكة ، حتى اليوم ، هي صناعة الاسمنت والجص ، المستعملين في البناء ، لشدة الحاجة اليهما مع توافر المواد الأولية لهما .

وهناك معملان للرخام أيضا ، قام أحدهما بتغطية احتياجات الحرم المكي ، وهو ينتج أصنافا حسنة ،من « مقالع » البلاد .

أما محطات توليد الكهرباء ، فهي ضرورية للسكان وللصناعات ، فلا بدّ من قيامها في البلاد مهما تبلغ تكاليفها ، ومن حسن حظ المملكة أن بترولها وأفراد أسرته كثيرة رخيصة ، مما يجعل أثمان النور والقوة الكهربائية في المملكة أثمانا مقبولة ، إن لم نقل رخيصة .

المعادن في المملكة

الحديث عن المعادن وأشباه المعادن في المملكة حديث مقارب .. لأن الدراسات القائمة لم تنته بعد ، وقد وقعت الحكومة اتفاقات ضخمة مع شركات

عالمية للقيام بمسح معدني شامل للمملكة ، وتحديد مناطق المعادن فيها وكمياتها و « صلاحيتها » للاستثمار التجاري .

وتقول احدى النشرات الصناعية « إن الحكومة السعودية لا تريد أن يكون البترول موردها الوحيد ، ولذلك ضاعفت جهدها في عمليات المسح المعدني لاكتشاف مصادر أخرى للثروة ، وقد اكتشف حتى اليوم :

الحديد ، والنحاس ، والكروم ، والزنك ، والمنغنيز ، والميكا ، وخامات « الباريوم والاسيستوس » .

وتشير الدراسات الأولية إلى أنه بامكان المملكة أن تصبح واحدة من أغنى الدول بالمعادن في العالم . »

وتشير الصحف السعودية إلى اكتشاف بعض المعادن المشعة ، كاليورانيوم والنوبيوم وغيرهما ، وبصورة عامة مجموعة البيرو- كلور المشعة، وذلك في مناطق جبل صايد والصواوين والحوية .

الحديد الخام

ويظهر أن المعدن الذي نستطيع منذ الآن توكيد وجوده في المملكة ، بكميات تكفي احتياجاتها لمدة طويلة ، هو الحديد ، وهو أعظم مادة ضرورية للصناعة الثقيلة .

وتذكر التقارير أن الحديد الخام يوجد في عدة مناطق في المملكة ، أهمها

١ - منطقة وادي فاطمة ، وتقدر كميته المكتشفة بحوالي خمسين مليون طن ، ونسبة الحديد فيها ٤٦ في المائة .

٢ - منطقة أدساس ، وتقدر الكمية بستة ملايين طن ، والنسبة ٦٥ في المائة .

أما المعادن اللافلزية ، فأهمها الجبس والجص .

وتتوافر كميات من الرمل النقي الذي يصلح لصناعة الزجاج ، خصوصا في منطقة الخرج .

مناجم سليمان .. ومهد الذهب

يكثر الحديث عن الذهب في المملكة ، لأن الذهب كان يحمل إلى النبي سليمان من جزيرة العرب ..

وقدر بعضهم قيمة الذهب الذي نقل إلى مملكة سليمان بـ ٩٠٠ مليون ريال .

كانوا يستخرجون الذهب من أرض الحجاز ، وأشهر مناجمه : « مهد الذهب » ، ولكن عروق الذهب في هذا المنجم تضاءلت لكثرة ما استخرج منها ، ويقدرون ما استخرجه الأقدمون من هذا المنجم بنحو نصف مليون طن من الذهب ..

وقد توقف العمل فيه منذ عام ١٩٥٤ لأن تكاليف استخراج الذهب وتصفيته أصبحت تزيد عن أرباحه ..

وكانت الفضة توجد في مناطق الذهب ، ولكنها هي أيضا لم تعد مجزية .

ويوجد في الحجاز النحاس أيضاً ، وكمياته غير كبيرة ، والله أعلم .

الحكومة والصناعة

تحاول الحكومات ، في بلاد كثيرة ، أن تضع أيديها على المشاريع الصناعية الكبيرة بطريقة التأميم أو المصادرة .. أو الاحتكار الحكومي ..

أما الحكومة السعودية ، فأكبر همها أن تدفع الأفراد والشركات إلى انشاء المعامل والمشاريع العمرانية والتجارية ، وهي لا تتولى من المشاريع إلا ما يحجم عنه الافراد ، ومتى تهيأ لمشروع حكومي هيئة أهلية تستطيع القيام به نقلته الحكومة اليها بكل سرور ..

المؤسسة العامة للبترول والمعادن

هناك صناعات ضخمة وضرورية ورابحة لم تقدم عليها الشركات الخاصة ، لما تستوجبه من الدراسات والأموال ، كالصناعات البترولية والمعدنية ، ولذلك اضطرت الحكومة إلى التحرك في هذا المجال ..

ان الحكومة ، بقوانينها المالية وقيودها الكثيرة ، لا تستطيع الاشتغال بالتجارة والصناعة على أسلوب ناجح ، ومن هنا جاء قرارها الموفق بانشاء مؤسسة خاصة ، تابعة للحكومة ، ولكنها ذات شخصية اعتبارية مستقلة ، تؤهلها للدخول في ميادين الصناعة والتجارة كأية شركة أخرى أهلية ، وقد صدر المرسوم الملكي بانشائها عام ١٩٦٢ وأطلق عليها اسم : (المؤسسة العامة للبترول والمعادن) ، واختصارا : « بترومين » .

ان مرسوم انشاء هذه المؤسسة يعطيها حق الاشتغال بعمليات البترول والتعدين في كل المراحل ، سواء بطريقة مباشرة أو بتلزيم بعض مشاريعها إلى شركات أخرى أو باشتراكها مع مؤسسات خاصة .

وللمؤسسة مجلس ادارة يترأسه وزير البترول والثروة المعدنية ، ويعمل معه موظفون كبار ، فنيون وماليون ، ويتولى ادارة المؤسسة « محافظ » فني .

ومجال نشاط المؤسسة واسع جدا ، وقد احتلت ، بعد قليل من تأسيسها ، مكان الصدارة في الصناعة السعودية .

مصنع الحديد والصلب

بدأت المؤسسة عملها بانشاء منطقة للصناعات البترولية في جنوب منطقة جدة ، على أرض تبلغ مساحتها « ٢٥٠٠ دونم ، وتضم مصفاة للبترول ومصنعا لخلط الكبريت ، وقد قام جلالة الملك فيصل بافتتاحها ، كما وضع الحجر الاساسي لمصنع الحديد والصلب .

لم تشأ المؤسسة أن تقصر همها على البترول ،وانما اقتحمت ميدان الصناعة الثقيلة بأضخم مشروع عرفته المملكة مصنع الحديد والصلب .

وكان على المؤسسة أن تنتظر ، قبل اقدامها على انشاء هذا المصنع ، أن تتوافر لها الخبرات الفنية والامكانيات اللازمة لاستخراج الحديد الخام من مكامنه وتصفيته ثم تصنع سبائك الصلب ولكنها أحبت كسب الوقت ..

وهكذا تعاقدت مع شركة انكليزية على شراء معمل كبير للحديد والصلب وتركيبه وتدريب العمال السعوديين في مصانع أنكليزية مماثلة ، ويبدأ المصنع فورا بصنع القضبان والحدائد المبسطة ، من كتل الحديد التي يشتريها من الأسواق،وخلال ذلك تتم المؤسسة استعداداتها، لاستخراج الحديد من مكامنه ولصنع سبائك الصلب ، فيصبح إنتاجها متكاملاً .. بوسائلها الخاصة !

الصناعات البترو – كيماوية .

ان هذه المؤسسة تستعد لليوم العظيم الذي تخلف فيه الشركات الأجنبية الكبرى ، التي تستثمر بترول المملكة ، والاتفاق المعقود مع « أوكسيراب » يعد تمهيدا لذلك .

...وبانتظار هذا اليوم ، تقوم المؤسسة بنشاطات مختلفة، كمشروع انتاج لدائن البلاستيك ، وتشكيل البلاستيكومشروع السماد ، والنشادر الخ ..

الزراعة

يقوم على وزارة الزراعة ، شاب ذكي ، نشيط ، سألناه عن مشاريع الوزارة الكبرى ، فقال لنا :

– الفضل ، بعد الله ، لجلالة الفيصل وحده ، في كل هذا النشاط الذي حدث في وزارة الزراعة ، فهو الذي يدفع ، ويشجع ، وهو الذي يحقق كل هذه الإتفاقيات التي تعقد مع شركات عالمية أو محلية للقيام بالدراسات والتخطيط أو لتنفيذ المشاريع الضخمة .

ومن أعظم مشاريعنا الآن : مشروع حرض ، وسد جيزان ، ومشروع الأحساء للري والتصريف .

مشروع الفيصل النموذجي لتوطين البدو

وأردف الوزير قائلاً : أما المشروع الذي كان يعرف سابقاً بمشروع حرض ، نسبة إلى موقعه ، فهو الذي نسميه بحق : مشروع فيصل النموذجي للتوطين .

إنه أكبر « عملية » تحويل لفئة كبيرة من المجتمع ، ينقلها من مرحلة البداوة إلى مرحلة الإستقرار والحضارة .

وهو يستصلح أرضاً صحراوية لم تسكن من قبل ، ولم تزرع قط !

وسيتم تحقيقه بأحدث الطرق العلمية ، وفق مخططات تضعها شركات استشارية عالمية وتنفذها مؤسسات قوية .

ابعاد مشروع الفيصل للتوطين

يقوم المشروع في وادي السهباء ، عند محطة « حرض » ، وقدرت تكاليفه بمئة مليون ريال ، ويستغرق تنفيذه خمس سنوات ، ويستصلح أكثر من ثلاثين ألف دونم من الأراضي الصحراوية يجعلها أرضا زراعية ، وستحفر فيها عشرات الآبار العميقة ، وتبنى شبكات كاملة للري والتصريف ، ومحطة

للأبحاث ، وتشيد قرى نموذجية ، يبنى فيها ألف وخمسمائة بيت مستجمع للشروط الصحية ، وتوزع على البدو بأثمان زهيدة رمزية ، يدفعونها أقساطاً ، في مدى طويل ، من فيض حاصلاتهم ..

ومعنى ذلك أن عشرات الآلاف من البدو سيصبحون مزارعين مستقرين ، يساهمون في الإنتاج القومي .

مشروع الاحساء

الأحساء مستودع البترول في المملكة ، ولكنها تستطيع أن تكون أيضاً من أغنى المناطق الزراعية ، وهذا ما تعمل وزارة الزراعة على تحقيقه .ومن المعروف أن الأحساء تحتوي على مساحات كبيرة من الأراضي تستنقع فيها المياه السطحية فتتلف المزروعات ، لذلك كان التفكير يدور قبل كل شيء حول تصريف هذه المياه التي لا تخلو من ملوحة ، وقد وضع مشروع للتنمية الزراعية في الأحساء يتضمن في وقت واحد : توفير المياه الحلوة اللازمة للزرع ، وتصريف المياه الضارة التي تهدد المدن فضلا عن القرى ، ومضاعفة الرقعة الصالحة للزرع ، بحيث تصل مساحتها إلى (٢٠٠) ألف دونم .

وقامت شركة واكوتي الألمانية بوضع الدراسات الخاصة بهذا المشروع ، وتقدر تكاليفه بنحو (٢٠٠١) مليون ريال .

مشروع تنمية وادي جيزان

قامت شركة « رايتال كونسلت » بدراسة هذا المشروع ، وهي تضع الآن الخطط التفصيلية له ، وسيبدأ بانشاء سد في جيزان، وتقدر تكاليفه بنحو خمسين مليون ريال .

ويعد وادي جيزان ، مع وادي بيشة ، ووادي السليل ، من أخصب مناطق المملكة .

مشروع مياه الرياض

مشروع مياه الرياض من أعظم مشاريع المملكة المائية . وقد رسا عطاؤه على شركة (فاتن) السويدية ، وصرح مسئول في وزارة الزراعة بأن تكاليف المشروع تزيد على ستين مليون ريال ، وهو يتضمن انشاء شبكة عامة لتوزيع

المياه ، واقامة محطة ضخمة لتنقية الماء حتى يكون صالحا للشرب وصحيا . وستقوم الشركة بتدريب السعوديين على الأعمال الادارية والفنية ليتولوا بأنفسهم كل أعبائه .

مياه الشرب في مختلف المدن والقرى

ويقول تقرير لوحدة التخطيط في وزارة الزراعة ان من أهم انجازات الوزارة : « مشاريع مياه الشرب في مختلف مدن المملكة وقراها ، ونورد فيما يلي ، على سبيل المثال لا الحصر أسماء المدن والقرى التي تم التعاقد على إقامة مشاريع لمياه الشرب فيها خلال الثمانية عشر شهرا الماضية : —

الهفوف ، جيزان ، بريدة ، عنيزة ، حائل ، تبوك ، الخرج ، سكاكا ، القريات ، ليلى ، الافلاج ، ضرما ، ثرمدا ، دومة الجندل ، البدائع ، صبيح ... الخ ...

عقود ضخمة مع شركات كبيرة

تعاقدت وزارة الزراعة مع شركات عالمية معروفة على القيام بمسح واسع لدراسة وتقييم موارد المملكة وامكانياتها الزراعية ، وتسهيلا لذلك قسمت المملكة إلى أقسام ، فكلفت شركة « بارسونز بيزل » الأميركية العمل في منطقة « النفود الكبرى » في رقعة تبلغ مساحتها نحو أربعمائة ألف كيلو متر مربع ، وتبلغ قيمة العقد (٣٤) مليون ريال .

وأنيط بشركة « ايتال كونسلت » الايتالية العمل في مساحة تبلغ نحو مائتين وخمسين ألف كيلو متر مربع في جبال طويق الجنوبية (بما في ذلك الأفلاج ووادي الدواسر والتثليث ، إلى حدود الطائف وبيشة .. وتبلغ قيمة العقد ٢٥ مليون ريال .

وعهد إلى شركة « سوغريا » الافرنسية العمل في منطقة الرياض (بما في ذلك جزء من الخرج وسدير) في مساحة تزيد على مئة ألف كيلو متر ، وتبلغ قيمة العقد تسعة ملايين ريال

تحلية مياه البحر

لم تقف همة الحكومة السعودية في البحث عن موارد المياه عند الآبار الحلوة وانما تطلعت إلى البحر الأحمر ، في المنطقة الغربية ، وإلى الخليج العربي في

المنطقة الشرقية لتقيم على ضفافهما معامل « تحلية مياه البحر » .

هذه المشاريع كانت تبدو خيالية ، لأن « تقطير » ماء البحر عملية صعبة جدا ، وتعطي كميات محدودة من الماء ، قد تكفي لشرب عدد قليل من الناس ، ولكنها لا تكفي لشرب مدينة ، فضلا عن أن تتسع لاحتياجات الزراعة الواسعة .

ولكن المملكة لم تيأس ولم تجزع .

وكان الأمير محمد الفيصل ، نجل جلالة الملك ، قسط غير قليل من الفضل في الأسس الصالحة لمشاريع تحلية مياه البحر ، بالتعاون مع خبراء أمريكان وقد اختير الخبراء من أمريكا لسبب طبيعي ، وهو أن الأمريكيين تفوقوا على غيرهم في تحلية مياه البحر ولهم تجربة حسنة في هذا المضمار ، فتحسن الافادة منها .

ويقال إن تكاليف انتاج الماء الحلو الصالح للشرب والزراعة ، من مياه البحر ، لن تكون باهظة ، وربما كانت ، في بعض الحالات ، أقل من تكاليف استخراج بواسطة المضخات ..

ومما يخفف تكاليف الانتاج أن المملكة لديها موارد من النفط والغاز عظيمة ، وأسعارها طفيفة .. و « الوقود » عماد معامل التحلية !

ويقال إن مشاريع التحلية في المملكة ستكون من أضخم المشاريع العالمية .

وربما استخدمت « الذرة » في المستقبل ، في هذه المشاريع .

وقد نشرت الصحف أن الرئيس الاميركي جونسون عرض على المملكة تقديم المساعدات الفنية لتحلية مياه البحر ، ولما سئل جلالة الملك فيصل عن صحة ذلك ، فأجاب :

« إن حكومتنا ماضية في دراساتها بجهودها الخاصة ، ولم تطلب مساعدة أحد .

ولكنها لا تتردد عن الاستفادة من المساعدة الفنية ، متى شعرت بحاجتها إلى ذلك . »

انشاء وزارة الزراعة

اقترحت بعثة « البنك الدولي للانشاء والتعمير » ، أن تنشىء المملكة وزارة خاصة للمياه ، مستقلة عن وزارة الزراعة ، (لأن الماء أكثر موارد

البلاد حيوية .. وهو يتطلب تنظيما صارما واجراآت معينة .. وادارة برنامج المياه تختلف اختلافا كبيرا عن ادارة التمية الزراعية .. والمياه ، فوق ذلك ، تهم المدن والأرياف على السواء ، فهي غير مرتبطة بالزراعة وحدها .. فلا بد من فصلها عن وزارة الزراعة)

« نشاطات » وزارة الزراعة

تحقق الوارة كل سنة عدداً من مشاريع المياه الصغيرة والمتوسطـــة ، يستوجب إنجازها وقتاً غير قصير ، مع العمل على تحقيق المشاريع الكبرى ، وهي غير قاصرة على الماء فحسب .

لقد أنشأت وزارة الزراعة أقساماً خاصة للتخطيط والبحوث الزراعية ، والإرشاد الزراعي (بقصد تنوير المزارعين وإرشادهم إلى الطرق الحديثة في الزراعة ومكافحة الحشرات واستعمال الأسمدة الخ . الخ ..) ، كما أنشأت مصرفاً زراعياً لتسليف الزراع القروض ، ولها مشاتل ومختبرات في كثير من المناطق ..

وتقوم الوزارة بمسح الأراضي البور في جميع أنحاء المملكة ، لتوزيعها على البدو والفلاحين الذين لا يملكون أرضاً ، وستمدهم بالقروض من البنك الزراعي لمساعدتهم على إحيائها .

« معلومات » واحصاءات زراعية

كلف « البنك الدولي للانشاء والتعمير » بعثة فنية بمهمة دراسة أحوال المملكة العربية السعودية الاقتصادية واقتراح الوسائل التي يجب اعتمادها لتنمية مواردها المختلفة ، وقد وضعت البعثة تقريرا شاملا منذ ست سنوات ، وما يزال أكثره صحيحا .. وها نحن نقتطف منه لكتابنا بعض ما يتصل بالشؤون الزراعية في المملكة :

تبلغ النسبة المئوية للأهالي المشتغلين بالزراعة المستقرة نحو ١٢ في المائة من الشعب السعودي .

مساحة الاراضي المفتلحة

ومساحة الأراضي القابلة للزراعة ، أو المزروعة بالاشجار ذات المحاصيل تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ هكتار. وهناك مناطق حراجية تبلغ مساحتها : ٤٠٠,٠٠٠ هكتار.

وبقية مساحة الأرض ، ومقدارها نحو ١٦٠ مليون هكتار هي أرض غير مفتحلة ، ولكن العشب ينبت في معظمها متفرقاً فيصلح للرعي ، وأما الأرض الجرداء تماماً فمساحتها نحو سبعين مليون هكتار ..

الاراضي المروية

أن نحو ٨٠ في المائة من الأراضي المفتلحة قابلة للري ، ويتم ريها بواسطة الآبار ، ما عدا ٣٠ بالمائة تروى من الينابيع أو من مياه الفيضانات .

الاراضي البعلية

(٢٠) في المائة من الأراضي المفتلحة ، ومعظمها يقع في جبال عسير الجنوبية ، يعتمد على الأمطار وحدها ..

كمية المطر : تقع المملكة العربية السعودية في قلب الصحراء وتعتبر من أكبر الصحارى في العالم ، ويبلغ هطول الأمطار فيها ١٠٠ ميلمتر (٤ بوصات)

والمنطقة الوحيدة التي يزيد هطول الأمطار فيها عن ذلك تقع على قمم الجبال في الجزء الجنوبي الغربي ن المملكة .. حيث يبلغ معدل هطول الأمطار ٣٠٠ ميلمتر وهذه الجبال تمتد من عسير إلى المرتفعات الواقعة إلى الغرب من الطائف . وقد اختيرت مدينة (أبها) ، في عسير مكانا صالحا لاقامة سد للمياه ، لا يكلف نشاؤه الا نفقات قليلة .

المحاصيل والماشية

« ان انتاج المحاصيل وتربية المواشي يعتبران من الموارد المباشرة التي يعتمد عليها أكثر من ثلاثة أرباع السكان في معيشتهم ..

وسيؤدي تحسين طرق الانتاج واستعمال الوسائل العصرية إلى زيادة انتاج المزارعين ورفع مستوى معيشتهم ..

ويمكن زراعة مناطق جديدة وتهيئة المجال والحافز لدى البدو على اتباع

أساليب الزراعة المستقرة . »

الماشية

كانت البلاد السعودية قديما مصدرة للماشية ، فأصبحت الآن مستوردة ، ويقدر ما تستورده من الضأن بربع مليون رأس ، تزيد قيمتها على ثلاثة ملايين دولار ، وأكثرها يستورد من السودان والحبشة والصومال .

أما الماشية الموجودة في المملكة فيقدرونها بأربعة ملايين رأس من الضأن ومليونين من الماعز ، وهناك أكثر من ربع مليون رأس من الأبل ، وفيها من البقر أقل من مئة ألف ، ومن المؤسف أن تربية الجياد التي اشتهرت بها بلاد نجد تراجعت كثيرا ، ولا يوجد الآن في البلاد الا القليل من الخيل نسبيا..

المحاصيل

التمر أهم محاصيل البلاد : التمر ، وكان يؤلف وجبة الغذاء الرئيسية للشعب ، ثم استعيض عنه بالأرز واللحم ويقدر عدد أشجار النخيل في المملكة بعشرة ملايين نخلة ، يوجد نصفها في الأحساء والقطيف والقصيم ، وهي أعظم مناطق التمر ، تليها منطقة المدينة ، ووادي فاطمة ، والرياض .

أما الانتاج السنوي للتمر فيقدر بأكثر من مئتي ألف طن .

وتعد المملكة رابع بلد في العالم من حيث انتاج التمر ، بعد العراق ومصر وايران .

الحبوب : ومن المحاصيل الهامة الأخرى : القمح والشعير والدرة الصيفية والدخن والذرة الصفراء والسمسم والعدس ،خصوصا في تهامة ، ويزرع البن في جنوبي عسير .

أشجار الثمار : وتوجد في المملكة كميات قليلة من الأشجار كالبرتقال والليمون واليوسفي والرمان والتين ، والعنب والخوخ والمشمش الخ ..

الخضر : أما الخضار فتشتمل على الطماطم والخيار والكوسا والقرع والبطيخ والبصل والباذنجان والبامية والملفوف والجزر واللفت والفلف والحس الخ ..

الفصفصة : وتعتبر الفصفصة في مقدمة المحاصيل وهي العلف الأساسي للماشية وتزرع على نطاق واسع في معظم الواحات ويقدرون مساحة الأراضي التي تزرع فصفصة بـ ١٠٠,٠٠٠ فدان .

إنقاذ البلاد من الإفلاس المالي وسوء السمعة

من أعظم معارك الفيصل ، في ميدان الإقتصاد والمال ، جهاده لإنقاذ البلاد من هاوية الإفلاس وسوء السمعة المالية ، التي تردّت فيها ، في العام الثالث لملكية أخيه الملك سعود وما بعده .

وقد بيّنا في فصل آخر الأسباب التي أوصلت البلاد إلى تلك الحالة المحزنة .

.. وكان يظن أن المملكة لن تخرج منها إلا بمعجزة ..

وفيصل إنسان ، وليس بصاحب معجزات ..

ولكن الفيصل استطاع ، بفضل الله ، ثم بفضل عبقريته وحزمه وإخلاصه وثقة الناس بنزاهته وصدقه ووفائه بعهوده ، أن ينقذ البلاد من أعظم كارثة مالية مرت بها في هذا العصر ، وأن يضمن لها ، بعد ذلك ، مركزاً ممتازاً جداً ، من حيث قوة نقدها وسمعتها العالمية .

كانت الدولة مديونة لمؤسسات وطنية وأجنبية بألفي مليون ريال .. ولم يبق في خزينتها سوى (٣١٧) ريالاً .. وفي شهر رمضان من عام ١٣٧٧ هـ . كانت الدولة عاجزة تماماً عن دفع الرواتب للموظفين في آخر الشهر ! ..

ومتى تأخرت الدولة عن دفع الرواتب ، ظهر عجزها المالي أمام الناس بأجلى مظاهره ، وكان ذلك بمثابة إشهار إفلاسها .. وانهيارها المالي !

فماذا فعل الفيصل للخروج من هذه الأزمة الهائلة ؟

يقول المرحوم أحمد قاسم جودة :

(تحرك فيصل على عجل ، ولكن بلا جزع ، وفي استطاعة فيصل أن يتحرك بسرعة البرق .. وان بدا للناس في بعض حالاته بطيء الحركة ، ويخيل إلي أن فيصل يكون في هذه الحالات بالذات ، حالات البطء الظاهر ، في أشد ثوراته من الداخل . إنه يجتر في وحدته وفي عزلته وفي رحلات قنصه داخل الصحراء ، ما لا يستطيع وما لا يحب أن يجهر به من أسباب السخط والثورة والضيق بالناس والأشياء ، وقد دفع فيصل في سبيل ذلك ثمنا غاليا من صحته باصابته بقرحة المعدة ، التي أثبت العلم أن أكثر الناس تعرضا للاصابة بها هم الذين يكظمون غيظهم ويكتمون شعورهم لأى سبب من الأسباب ..

تحرك فيصل في اتجاهين حاسمين ، كلاهما لم يشعر به أحد ، لأن السرية الكاملة كانت في تلك الظروف لا مفر منها ، خوفاً من الذعر الهدّام .

إن المشكلة الأولى تجسمت أمامه في صورة مرتبات الموظفين والتزامات الدولة التي لا تحتمل التأخير ، وكانت الصدمة عاجلة .. لقد رفضت البنوك إعطاء القرض للحكومة ، لأنها تعتبرها غير قادرة على ضمان السداد ، ولكن .. قيل لفيصل ، في الوقت ذاته ، إن في استطاعته أن يحصل على هذا القرض باسمه هو شخصيا ، لا لأنه أغنى من الحكومة ، ولا لأنه يملك رصيداً يضمن كل هذا المبلغ أو بعضه .. بل لأنه يملك « كلمة » ، تغني عن كل الضمانات ، فهو إذا « وعد » ، بقي عند وعده ، كأنه قد وقع صكا يضمنه بحياته .

قبل فيصل ، ولم يكن يسعه أن يرفض ، قبل على مضض ، لأن الثقة التي أبديت في شخصه ، كانت تقابلها ثقة نزعت من حكومته ، وإن لم يكن له في ضياع هذه الثقة أصبع ولا يد ..

وفي صمت وكتمان ، تسلم فيصل مبلغ ٢٦ مليونا من الريالات ، وأودعها خزانة الدولة ، وفي صمت واطمئنان تسلم موظفو الدولة رواتبهم في موعدها كاملة بلا نقصان ، ومرت الأزمة العاجلة بسلام ..

وجاء موعد الأزمة الآجلة ، الأزمة التي كان لا بد أن تتفاقم بعد أسابيع معدودة ، حين يحل الموعد المضروب لدفع حصة الدولة من عائدات البترول ،

فلا يكون هناك دفع بل يكون على العكس مطالبة بالديون .

واستدعى فيصل المسئولين عن عوائد البترول وقال لهم كلاماً لا يحتمل الجدل : ان القسط المعتاد لا بد من أن يدفع الى الخزينة في موعده .

قالوا له : ولكن هناك قروضاً أعطيناها ، وحل موعد تحصيلها ..

فقال فيصل : إن المسألة أخطر بكثير من قروض أعطيتموها ، وأقساط تصرون على أن تخصموها .. ان كيان الدولة لا يسمح لي بالتهاون .

وجاءت عروض كثيرة في تلك اللحظة « السيكوليجية » الحاسمة .. لتقديم قروض أجنبية للحكومة السعودية ، وفطن فيصل الى اللعبة – التي جربت ونجحت .. على أيام اسماعيل وتوفيق في مصر – فقال وهو يبتسم : شكراً .. لسنا في حاجة الى قروض ..) .

تلك رواية الاستاذ جودة ، وقد أيدّها لنا أحد كبار الموظفين السعوديين المطلعين على أسرار تلك الفترة العصيبة ،وزاد عليها أنممثلي (الآرامكو) اضطروا أمام إصرار الفيصل وتهديده المبطن إلى دفع الأقساط المستحقة الى مؤسسة النقد.

ولم تكن المبالغ التي ينتظر ورودها من الارامكو كافية لتنفيذ مشاريع الحكومة ونفقاتها الكبيرة لأن مجموع ما دفعته يومئذ لم يتجاوز تسعين مليون ريال .. فما العمل ؟

موازنة مختصره ..

أمر فيصل باعداد موازنة لثلاثة أشهر ، وطلب من الوزراء أن يدرسوا المشاريع التي تقررت سابقاً دراسة جديدة ، وهي طريقة للتوفير .. بالتأخير .. ولم تكن أمامه طريقة غيرها ، لأنه كان مطالبا بدفع رواتب الموظفين بأي ثمن ، ولو نفذ بعض تلك المشاريع لما بقي لهم شيء ..

ثم عمد الى تدبير آخر ، فجعل بدء السنة المالية – أي الميزانية – في مطلع رجب ، ووضع ميزانية لستة أشهر ، مكتفيا بصرف رواتب الموظفين وتنفيذ ما هو ضروري جدا من المشاريع والنفقات ، وبفضل هذه السياسة الحكيمة بدأ المال يتجمع في صندوق مؤسسة النقد ، التي تقوم بعمل الخزينة المركزية في البلاد الأخرى .

.. وبدأت البلاد تتنفس الصعداء .

النقد السعودي

لما أتم الفيصل انقاذ البلاد من الأزمة المالية والأزمة الإقتصادية ، رأى أن تكون للبلاد عملة ورقية نقدية قوية ، فأنشأ النقد السعودي الحاضر .

مر النقد السعودي بست مراحل :

المرحلة الأولى :ـلم يكن للمملكة عند تأسيسها ، نقد خاص. وكان الأهالي يستعملون العملات الأجنبية ، كالدينار الذهبي ، الإنكليزي والعثماني ، والمجيدي الفضي العثماني ، والروبية الهندية و « ماريا تيريزا » واستعمل الناس في الحجاز سكة كان ضربها الملك حسين .

المرحلة الثانية ـبعد فتح الحجاز والمبايعةللسلطانعبد العزيز بالملك ضربت عملة صغيرةمن فئة القرش ،على النحاس والنكلباسمملك الحجاز وسلطاننجد .

المرحلة الثالثة :ـوفي عام ١٩٢٨ م.ضرب الريال السعودي ،وهو في حجم الدولار تقريباً ، من الفضة ، وكانت قيمته تعادل عشر الجنيه الإنكليزي ، وهو يساوي (١١) قرشاً أميرياً ، أو ٢٢ قرشاً دارجاً .

وفي عام ١٩٣٦ م . ضرب ريال سعودي جديد ، بحجم يعادل نصف دولار ، وكانت قيمة كل ثلاثةريالات سعودية وثلاثة أرباع الريالدولاراً .

وضربت بعد ذلك أنصاف الريال ، وأرباع الريال ، وقروش وأنصاف القرش وأرباع القرش ..

المرحلة الرابعة :ـ وفي عام ١٩٥٢ م أنشئت مؤسسة النقدالسعودي ،لتثبيت سعرالنقد والإشراف عليه الخ .. وضرب الدينار السعودي الذهبي ، بوزن الدينار الإنكليزي الذهبي وعياره تقريباً ..

المرحلة الخامسة : في عام ١٩٥٣ م قامت مؤسسة النقد العربي السعودي بمحاولتها الأولى لتعويد الشعب على قبول أوراق نقديـــة ، بدلاً من معادن الذهب والفضة التي كان يتداولها دون غيرها من العملات .. فطبعت أوراقاً باسم « إيصالات الحجاج» لا تتجاوز قيمتها عشرة ريالات ، وتعهدت بصرف قيمتها ريالات سعودية فوراً لحاملها ، وكتبت عليها هذه الكلمات :

(صدر هذا الإيصال من قبل المؤسسة لتيسير أداء حامله فريضة الحج وذلك بجعل حصوله على الريالات العربية في متناول يده بسهولة وسرعة أثناء إقامته في البلاد العربية السعودية وبدون تكبده نفقة الصرافة) !

وهكذا كانت هذه الأوراق النقدية بمنزلة ما يسمونه اليوم (شك المسافر) أوشك السياحة ، وقد استعملها الناس ورغبوا في اقتنائها لخفتها وسهولة نقلها .

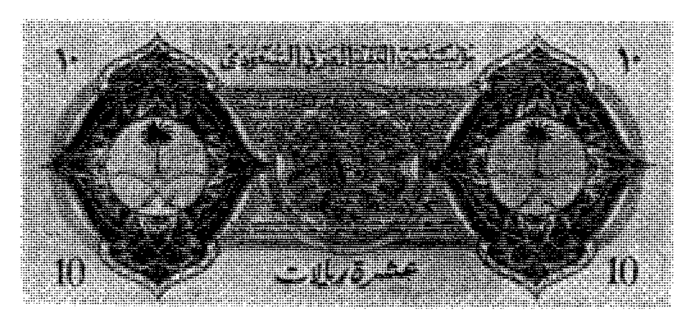
الريال السعودي الورقي

نعم كانت « ايصالات الحجاج « تعتبر كالورق النقدي ، ولكنها لم تكن تلزم إلا مؤسسة النقد ، وكان اسمها نفسه على شيء من الغرابة ، مع ضعف قيمتها ، ، لأن أكبر قطعة منها لا تتجاوز عشرة ريالات ، ثم جاءت الأزمة المالية عام ١٣٧٦ هـ فزلزلت الثقة بها ..

لذلك رأى سمو الأمير فيصل ، رئيس مجلس الوزراء ، بعد مشورة الخبراء ، إصدار أوراق النقد السعودية ، على اسس جديدة ، متينة كما هو الحال في أرقى بلاد العالم وأسلمها اقتصاداً وأحسنها سمعة مالية .

وتم اصدارها فعلا الى التداول عام ١٣٨١ هـ.

إن وحدة النقد السعودي هي الريال السعودي ، ويقسم الريال إلى عشرين قرشاً سعودياً ، والقرش السعودي يقسم إلى خمس هلل سعودي .
تعادل قيمة الريال السعودي ١٩٤٨٢ ـ غرام من الذهب الخالص .
وهو يساوي اليوم سبعين قرشا لبنانياً وأكثر .



صورة لورقة نقدية سعودية من فئة عشرة ريالات (قديمة)

الموازنة

لم تكن للدولة ، في عهد الملك عبد العزيز ، ميزانية بالمعنى الحديث ، فقد استمر في جباية الأموال وإنفاقها على الأسلوب القديم الذي كان يتبعه في نجد .

يقول عبد الله السليمان ، الذي كان وزيراً للمال ، بعد انضمام الحجاز إلى مُلك عبد العزيز ، إن أول ميزانية وضعت للدولة كانت ميزانية عام (١٣٥٤) . وكان مجموع الواردات ١١ مليون ريال ..

وفي اعتقادنا ان تلك الميزانية ، لم تكن ميزانية ، بالمعنى الحديث — ونصرّ على هذا الوصف — وانما كانت جدول واردات ونفقات ، كالذي تصنعه الشركات الخاصة ،وقد تكون خطوة أولى نحو التنظيم المنشود،لا أكثر ..

ذلك أن جدول الموازنة العصري مرتبط بمفهومين :

الأول : أنها قانون — أو نظام — تقره السلطة التشريعية ويصبح ملزماً للجميع ، ولرئيس الدولة نفسه .

الثاني : أنها موضوعة على أسلوب فني مخصوص يحقق جباية الأموال وإنفاقها ، في حدود سياسة الدولة ومخططاتها ، وطبقاً لمواد الموازنة نفسها .

وأول من وضع ميزانية للمملكة السعودية ، بهذا المفهوم ، هو :فيصل .

من هنا .. نستطيع القول إن أول ميزانية حديثة للدولة ظهرت عام ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م . ففي هذا العام استطاع (الفيصل) ، الذي جاء في غمرة أزمة مالية عنيفة ، أن يفرض على الملك نظاماً جديداً لمجلس الوزراء ، يتضمن ، فيما تضمنه ، المواد الآتية :

تنشر الموازنة في أول شهر رجب ، بمرسوم ملكي ، يتخذ بناء على قرار مجلس الوزراء ، ويحتوي في مادته الأولى على تقدير الايرادات وأنها تستوفى وفقا للأنظمة وتدفع إلى « مؤسسة النقد العربي السعودي وفروعها ، لحساب وزارة المالية والاقتصاد الوطني »

وقد أدخل شيء من « التطور » في صياغة الميزانية ، بحيث أصبحت النفقات تبوّب ضمن أربعة أبواب : فالباب الأول للرواتب والأجور ونحوها ، وخصص البابان الثاني والثالث للنفقات ، والباب الرابع للمشاريع .

الفصل الثامن

السّياسة الخارجيّة

أسس السياسة السعودية

من يتتبع خطب الفيصل وتصريحاته، تتبين له سياسته في وضوح كامل، لأن سياسة الفيصل، كما أعلن ذلك غير مرة، سياسة صريحة، لا تنطوي على أمور سرية، غير معلنة .

ويمكننا تلخيص مبادىء السياسة السعودية بأربع كلمات، فهي:

١ ــ حيادية غير منحازة

٢ ــ إسلامية.

٣ ــ عربية.

٤ ــ وهي، مع دول الغرب: تصادق الصديق ، وتعادي العدو .

موقف المملكة من مشاكل العالم الكبرى موقف إنساني شريف، ، فهي تريد نشر مبادىء السلام والأخوة والتضامن بين شعوب الدنيا كلها، وقد أوضح جلالة الملك فيصل المبادىء العامة لسياسة بلاده، فيما يتعلق بتدعيم السلام العالمي، في خطاب ألقاه في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٦٤ فقال إنها تتلخص بما يأتي :

أولاً – نزع السلاح نزعاً شاملاً، تحت إشراف دولي فعال، وعدم استعمال الذرة إلا لأغراض سلمية ترمي لرفاه البشر .

ثانياً – تصفية الإستعمار بجميع أشكاله نهائياً من العالم .

ثالثاً – اتخاذ الاجراءات الفعالة الكفيلة بالقضاء على التفرقة العنصرية .

رابعاً – حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية القائمة على الحق والعدالة .

خامساً – بذل الجهود لرفع المستوى الإقتصادي والإجتماعي لمختلف الشعوب .

في مؤتمر باندونغ

تصادق المملكة العربية السعودية جميع الدول، ولا تتحيز إلى جانب دون جانب، وقد رفضت الدخول في التكتلات والأحلاف العسكرية، محافظة منها على حيادها بين المعسكرين الغربي والشرقي – مع أنها تكره الشيوعية ، ولها مع الغرب مصالح كبيرة، ولم تأذن بإقامة تمثيل ديبلوماسي للدول الشيوعية حتى لا ينشروا فيها المبادىء الهدامة .

ولما ظهرت فكرة عدم الانحياز، ودعا القائمون بها إلى مؤتمر «باندونغ» الذي انعقد في اندونيسيا عام ١٩٥٥ ، سارعت المملكة إلى الاشتراك فيه .

حضر فيصل بنفسه مؤتمر باندونغ ، على رأس وفد سعودي، وأثنى على النتائج التي حققها هذا المؤتمر ، وحضر بعد ذلك مؤتمرات دول عدم الإنحياز التي انعقدت في بلغراد وفي القاهرة

خطاب فيصل في المؤتمر

وقد ألقى الفيصل، في مؤتمر عدم الإنحياز، الذي انعقد في القاهرة، عام ١٩٦٤، قبل مبايعته بالملك، خطاباً ذكّر فيه بأن دعوة الحياد غير غريبة عن دعوة الإسلام، وهذا بعض ما قاله:

(ان المملكة العربية السعودية التي أتشرف بتمثيلها في هذا المؤتمر تشغل القسم الأكبر من الجزيرة العربية، وهي فضلاً عن مكانها في المحيط العربي تحتل مكاناً هاماً في العالم الإسلامي، لأنها منبع الحضارة العربية ومهبط الوحي والرسالة الإسلامية الخالدة التي أفاضت على العالم أجمع بما قدمته له من حضارة وتقدم وستبقى على مر العصور المؤتمنة على التراث الاسلامي والحامية لأماكن الإسلام المقدسة التي تهوي اليها أفئدة ستمائة مليون من البشر يستقبلون يومياً قبلتها ويؤدون فيها ركناً من أركان دينهم

ومن هذا المعين الروحي والتقليدي الذي لا ينضب تستلهم المملكة سياستها.

سيادة الرئيس، لقد عاش العالم بعد الحرب الأخيرة في دوامة من القلق على مصيره من جراء التطاحن لبسط النفوذ والسيطرة والإستغلال، وفي صراع حول المبادىء لاختيار حياة أفضل لمختلف شعوبه مما جعله يتخبط وهو في حيرة من أمره، ومن هذا القلق والصراع انبثقت فكرة عقد مؤتمر باندونج ثم مؤتمر بلغراد من الدول التي ترغب في أن يعيش العالم عيشة راضية بالتعاون تعاوناً صادقاً بين مختلف الشعوب دون النظر الى مذاهبها وألوانها ونظمها السياسية.

ولقد كان للمملكة العربية السعودية في بلجراد شرف المشاركة في وضع المبادىء لمدلول عدم الانحياز، إيماناً منها بأن هذه المبادىء تتمشى مع سياستها المنبثقة عن دينها وتقاليدها، فهي تؤمن بالتعايش السلمي بين الدول على اختلاف نظمها السياسية والإجتماعية والإقتصادية دون التدخل في شؤونها الداخلية وممارسة الشعوب حقها في تقرير مصيرها واختيار نظمها السياسية والإجتماعية طبقاً لظروفها وحاجاتها وإمكانياتها وأن تعمل في سبيل تطورها الإقتصادي والإجتماعي والثقافي وان تحل المشاكل الدولية حلاً سلمياً يرتكز على مبادىء الحق والعدالة).

السياسة الاسلامية

تقوم المملكة بما يترتب عليها من الدعوة إلى الدين وإعزازشأنه ، ومساعدة الجمعيات والمشاريع الإسلامية في جميع أنحاء العالم ، وهذا الأمر لا يستغرب منها ، ولا يستكثر عليها ، فهي مهد الإسلام وموطن المسلمين الروحي ، وجلالة الملك فيصل—وإن لم يحمل لقب « خليفة المسلمين »— فهو الذي يقوم على حماية الأماكن المقدسة وتعهدها ، ولذلك لقبوه بحق : « خادم الحرمين الشريفين » ، وليس أحد أحق من الفيصل بأن يحمل رسالة الإسلام ، لا في المملكة وحدها ، فهذا أمر مفروغ منه ، ولكن في كل بلد يسكنها مسلمون .

وقد تجاوز الفيصل مرحلة الدعوة إلى الإسلام بين الأفراد ، إلى مرحلة الدعوة إلى «التضامن الإسلامي » ، بين الشعوب والدول الإسلامية .

التضامن الإسلامي

هذه الدعوة إلى التضامن الإسلامي، أثارت شيئاً من الجدل ،غير قليل، في بعض البلاد ، مع أنها نتيجة منطقية للأخوة الإسلامية ، وللدعوة الإسلامية بوجه عام .

ولقد كان المفتي الأكبر للمملكة موفقاً كل التوفيق في إشارته إلى هذه الحقيقة ، حين قال في خطاب له بمكة :

(.. قبل أربعة عشر قرناً ، اختار الله هذه البقعة الطاهرة لتكون موطناً لدينه ، ينبعث منها ضوء الرسالة ونبراس الهداية .

وما كان هذا الإختيار مؤقتاً ، بدليل أنه جعل فيها دينه ، وشرع فيها فريضة الحج وجعلها بمثابة مؤتمر سنوي يجتمع فيه المسلمون من كافة أنحاء الأرض ، ليتدارسوا مشاكلها ويتداولوا شؤونهم وليشهدوا منافع لهم .

.. والمملكة حين تحرص على الدعوة الإسلامية ، ورفع شعار هذا الدين ، فذلك هو الأمر الطبيعي المعبر عن واقعنا المنبثق من أهدافنا ، نفديه بأرواحنا ونبذل فيه أموالنا ونسأل الله أن نوفق فيه أو نهلك دونه .

وقد أوضح بالأمس إمامنا وولي أمرنا جلالة الملك فيصل هذه السياسة الإسلامية بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح .

فنحن أمة : الإسلام ديننا ودستورنا ، والدعوة إليه هدفنا ، والدفاع عنه واجبنا .

نؤمن بالتجمع مع إخواننا المسلمين ، ممثلين في ذلك قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .. ») .

الدعوة الى التضامن الاسلامي

والحق، إن الدعوة الكريمة الملهمة إلى التقارب الإسلامي ليست إلا تعبيراً صادقاً عن آمال الملايين من المسلمين الذين ملأت نفوسهم الأشواق إلى نداء يجمع صفوفهم حول القيم الروحية العليا ، ويدخل على قلوبهم الطمأنينة بأن الإسلام الخالد حصن شامخ ممتنع ، تتحطم على صخوره أمواج الإلحاد والمبادىء الهدامة.

كان المسلمون في مختلف أقطارهم ينتظرون أن تأتي المبادرة ، في هذه الدعوة المباركة ، من البلاد المقدسة التي كانت مهد الإسلام ومنطلق الدعوة ، وستظل أبداً الوطن الروحي لكل مسلم ما دام فيها « بيت الله الحرام » ، الذي يتجه إليه المسلمون في صلواتهم كل يوم ، ويحجون إليه ، ويعتمرون ، ويعقدون في رحابه كل عام مؤتمراً أخوياً يتعارفون فيه ويتدارسون شؤونهم .

وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون على رأس المملكة العربية السعودية الإمام الحكيم والملك العظيم فيصل بن عبد العزيز ، فكان من منطق الأشياء أن ينهض جلالته بهذا الواجب المقدس ، مهما تكن تبعاته ومتاعبه .

لقد حمله المسلمون في مؤتمرهم بمكة هذه الأمانة ، واقترح رئيس دولة الصومال أن تكون البادرة الأولى للتضامن الإسلامي أو طليعة منجزاته : عقد مؤتمر ذروة إسلامي ، يشترك فيه ملوك البلاد الإسلامية ورؤساؤها ، فاستجاب الفيصل لهذا النداء الكريم ، وباركه ، ولعله استعجل الخطى إلى تحقيقه ، خلافاً لعاداته ، وما ذلك إلا لأن فكرة « التضامن الإسلامي » ، كانت في نظره فكرة مقبولة عند زعماء البلاد الإسلامية كلها ، وليس يجرؤ أحد منهم على إعلان تنكره لها أو سخطه عليها ، متحدياً بذلك شعور الجماهير !

ولكن الفيصل فوجيء بحملات لئيمة تثار ضد دعوة التضامن .. وتغلفها بالشبهات .. وكان غرض هذه الحملات واضحاً ، وهو أن يتخلى فيصل عنها ، فتنهار أو تضعف ..

وما كان أضل أصحاب تلك الحملات ، وما كان أجهلهم بطبائع الرجال ، وخصوصاً بطبع الفيصل ، الذي يزيده التحدي مضاء ، وتزيده المقاومة إقداماً ، لأنه واثق بربه ، عارف بنزاهة قصده ، مؤمن بنبل غايته ، فتصميمه عن وعي ، وثباته عن عقيدة !

رحلات الفيصل ومفاوضاته

انطلق الفيصل يزور البلاد الإسلامية ، في آسيا وإفريقية ، فيجتمع إلى رؤسائها ، ويخطب في جماهيرها وقادة الرأي فيها ، داعياً إلى التمسك بالإسلام ، ديناً ودنيا ، ومناشداً الشعوب الإسلامية كلها أن تتعاون فيما بينها تعاوناً صادقاً يعلي في العالم كلمتها ويعزز شأنها ويرد عنها تلك الحملات الرهيبة الجائرة التي تقودها القوى المتحالفة ضد الإسلام بل ضد الديانات كلها ..

وقد استقبلت الشعوب الإسلامية الفيصل في زياراته لها استقبالاً حاراً ، تجاوبت أصداؤه في العالم كله ، ودل على مبلغ حب المسلمين للفيصل وإعجابهم به ، كما دل على تأييدهم القوي العفوي لفكرة التضامن الإسلامي .

البيانات المشتركة

كانت مفاوضات الفيصل ، مع رؤساء البلاد الإسلامية ، مفاوضات بناءة ، انتهت إلى إصدار بيانات مشتركة وقعها إلى ، جانب الفيصل ، رؤساء الدول الإسلامية ، ولن نستطيع هنا إثبات نصوصها ، ولكننا نلخص محتوياتها بما يأتي :

أولا — التمسك برسالة الإسلام الخالدة .

ثانياً — الدفاع عن القيم الإنسانية والتعاليم الروحية أمام حملات الإلحاد والأفكار الهدامة .

ثالثاً — تحقيق مبدأ العدالة الإجتماعية الذي يتضمنه الإسلام ، فهو أنفع للناس من « الفلسفات » المادية والمذاهب المستوردة .

رابعاً — اعتبار التضامن الإسلامي أمراً طبيعياً وحتمياً ، ونفي ما ينسبه إليه بعضهم من أنه « حلف محدود ، فالدعوة إلى تضامن المسلمين ليست

دعوة فرد واحد أو قطر واحد وإنما هي واجب كل مسلم ، وعلى كل فرد من المسلمين أن ينمي هذه الرابطة ، ويعمق هذا التضامن لدرء أخطار الإستعمار والصهيونية والمباديء الهدامة .

خامساً — إعتبار قضية فلسطين قضية البلاد الإسلامية كلها والدفاع عن عروبتها والعمل إلى إعادتها إلى أصحابها .)

وبذلك أضيفت إلى قضية فلسطين قوة جديدة كبيرة ، تجتمع على تأييدها ، وهو حدث له شأنه العظيم ، ويعد كسباً خطيراً لما يترتب عليه من النتائج السياسية المقبلة .

هذا إلى أمور أخرى جليلة برزت في بعض البيانات المشتركة وفي مقدمتها : مكافحة التمييز العنصري ، لأن عدالة الإسلام وحرصه على المساواة بين الناس يشجبان مثل هذا التمييز ، مهما يكن مصدره . .

كيف استقبلها التقدميون الأحرار ؟

كلمة الحبيب بورقيبه

لم يستقبل نفر من حكام العرب ، يدعون أنفسهم « اشتراكيين » و« تقدميين » الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي ، وإلى التقارب بين بلاد الإسلام بالتأييد ، أو بالسكوت على الأقل .. وإنما نهضوا نهضة واحدة لتشويهها ومكافحتها .. مدعين أنها حركة « رجعية » مشبوهة .. وأنها في حقيقتها « حلف » موجه ضد الدول العربية التقدمية .. وأنه لا محل بين الحركات العصرية الجديدة لتجمع يقوم على أساس ديني ، رجعي .

أما البلاد التقدمية الحرة ، التي لا تنحاز إلى الشيوعية ولا تسير في فلكها ، فقد عبر فخامة الحبيب بورقيبة ، رئيس تونس ، عن تأييدها الحار لفكرة الدعوة إلى التقارب الإسلامي .

وقد كشف هذا الزعيم عن المعاني التقدمية لهذه الدعوة ، فقال ، في خطاب ألقاه خلال زيارة الفيصل العظيم لتونس :

(نحن نرحب .. بالدعوه الخيرة .. التي زكيتموها وأخذتم على عاتقكم العمل على إنجاحها .

ونحن نتتبع بفائق الإهتمام جهودكم في المحافل الإسلامية ، وما تحظى به من تأييد ومساندة من طرف المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وإن كنا نأسف لانكماش بعض الدول عن هذه الدعوة ، لعدم تقدير أهميتها أو لمصانعة المناوئين لها .

«ونحن لا نصدق بأن شعباً مسلماً يعرض عن دعوة ترمي إلى تأكيد اللحمة بين المسلمين ، والنظر الجماعي في شؤونهم المشتركة ، ولا نصدق بأن دولة إسلامية يمكن لها أن تحجم عن المشاركة في هذا العمل مدعية أن ذلك ليس من شأنها وليس مما يمكن لرجال الحكم الخوض فيه ، اللهم إلا إذا كان الحرج من ذلك راجعاً إلى إعتبارات سياسية ليس فيها للإسلام ولا للغيرة عليه من دخل.

فالإسلام وحدة متماسكة بين شؤون الدنيا والدين ، وأولو الأمر هم القوامون على هذه وتلك سواء . ولنا في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وفي سلوك خلفائه الراشدين دليل على أن الإمام هو الذي يستطيع أن ينظر في شؤون الإسلام ، وهو القادر وحده على أن يصدع بالإختيارات الكبرى التي تتوقف عليها مناعة الدولة ومصير الإسلام كنظام سياسي واجتماعي .

فليس الإسلام ولا النظر في شؤون المسلمين من اختصاص الفقهاء دون سواهم ، وليس للإسلام كنيسة منفصلة عن الدولة ..

ولعل بعض من يدعون الثورية يرفضون دعوة التقارب الإسلامي لأنهم يسيئون الظن بالإسلام ويعتقدون أن الدين في جوهره يقوم على تعاليم رجعية ..

أما نحن فنعتقد يقيناً أن الإسلام قوة يمكن أن تعاد إليها إيجابيتها إذا صحت العزائم ، ونعتقد أن ما مر على الشعوب الإسلامية من تقهقر وانحطاط إنما مرجعه أسباب تاريخية واجتماعية ليس للدين فيها دخل إطلاقاً .

ونحن الذين قاومنا الرجعية وجعلنا مصير أمتنا في طريق التقدم ، لا لا تساورنا هذه المخاوف وليس لها إلى أنفسنا من سبيل .

..لذلك فإننا نهيب برؤساء الدول العربية جميعاً أن يتفهموا مصلحة الإسلام ومصلحة شعوبهم على الوجه الذي يرضي الله والضمير ، حتى ننفي عن ديننا وعن شعوبنا وصمة التخلف التي أصبحت تنعت بها ، والتي تجعل جانباً متزايداً من شبابنا ينكمشون عن الدين ..

« وإن التطور المادي الذي تشهده اليوم معظم البلدان الإسلامية يوشك أن يزعزع أسس الحياة الروحية ، إذا لم يواكبه تطور روحي ، يرجع إلى الدين مكانته ، ويجعله من جديد الينبوع الصافي للمباديء الأخلاقية والإنسانية التي لا تستقيم حياة إجتماعية بدونها .

لذلك نعتقد أن عقد مؤتمر إسلامي في أعلى درجات المسؤولية أمر حيوي بالنسبة إلى الشعوب المنتسبة إليه .

بل نعتقد إنه من الضروري أن ينعقد هذا المؤتمر بمشاركة كافة الدول الإسلامية بدون استثناء ، لأن طبيعة الأهداف التي يرمي إليها هذا المؤتمر تقضي بالإجماع ، ولأن غياب البعض منها يحول دون بلوغ القصد الأسمى من هذا المؤتمر ، مهما كانت أسباب الإمتناع) .

خصوم الدعوة

أشار الفيصل في إحدى خطبه إلى خصوم « التضامن الإسلامي » فقال :

(إننا لا نجهل القوى التي تعارض دعوتنا ، فهي قوى إستعمارية ، وقوى صهيونية ، وقوى شيوعية . .

التضامن الإسلامي ليس حلفاً عدوانياً

ورد الفيصل على افتراءات الذين يدعون أن الدعوة إلى التضامن الإسلامي حلف توجهه دول استعمارية ، فقال :

(إنني أمامكم أيها الإخوان ، أدعو من يقول ذلك بأن يتفضل .. ويشاركنا في هذه الدعوة ، ويقوم بها معنا ، فيرى بنفسه إن كانت صادرة عن دوافع استعمارية .. أم أنها نابعة من أعماق قلوب مخلصة لربها .

إننا نرحب بكل من يؤيد هذه الدعوة ، ونضعه بكل سرور .. في المقدمة !)

سياسة عربية

سياسة المملكة سياسة عربية ، تنبع من إيمانها بأن العرب أُمة واحدة ، بل أُسرة كبيرة ، تشدّ أفرادها بعضهم إلى بعض صلات الدم وروابط الروح وذكريات الماضي وآمال المستقبل .

ونحن لانحتاج في حديثنا عن سياسة الفيصل العربية إلى استنتاج مبادىء هذه السياسة من مواقف المملكة في الأحداث التي هزّت بلاد العرب ، فعندنا ، فوق ذلك ، أحاديث الفيصل وخطبه ، فهي خير مورد نستقي منه ونصدر عنه ، لأنها نابعة عن عقيدة أصيلة وفكرة نيِّرة ، وصاحبها هو نفسه يعرضها علينا في بيان جلي ومنطق قوي ، يتسم بالصدق والصراحة .

القومية العربية .

يقول الفيصل :

«ليست القومية العربية مذهباً وليست مبدءاً وليست عقيدة ، وإنما هي : حس ، ودم ، ولغة !

ونحن لا نحتاج إلى إقامة الدليل على قوميتنا العربية ! »

ويقول فيصل عن بلاده :

« هذه البلاد .. هي بحق ، قلب العروبة النابض ، ومهد الحضارة التي جمعتنا حول قيمها الروحية ووحدت بين آمال أبناء الأمة العربية ومشاعرهم .

إن العربي ، مهما اختلفت أوطانه ، يرجع بأصوله إلى شبه الجزيرة العربية ، وإليها تتجه آماله ومشاعره .

وأنتم أيها الإخوان ، أبناء هذا الشعب ، أنتم أصل العرب ! »

نحن أول من دعا إلى الوحدة

ويقول الفيصل :

« إنهم يتحدثون الآن .. عن الوحدة العربية ، فليعلموا .. أننا أول من أسسها وبناها ، ونحن أول من دعا إليها .

وإنه لفخر عظيم لهذه البلاد أن تكون أول من أسس الوحدة ، وذلك في عهد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ، الذي سعى جهده لتوحيد أجزاء هذه المملكة ، بعد أن كانت نهباً للفتن والقتال والنهب . »

تلك هي عروبة فيصل ، عروبة أصيلة ، لا تحتاج إلى دليل ، إلا إذا احتجنا إلى إثبات أن الشمس تضيء ..

ولكننا نتساءل الآن: كيف تتحقق عروبة الفيصل في المجال العربي؟

هل تكتفي بمجرد شعور من العطف « النظري » على بقية البلاد العربية ، أم تتجاوز ذلك إلى مساهمة فعّالة في نصرة قضاياهن والدفاع عن سلامتهن ، ثم تتجاوز ذلك إلى إقامة نوع من الوحدة السياسية معهن ؟

الوحدة السياسية .

يظن فريق من الناس أن الوحدة .. معناها ، حتماً ، توحيد جميع البلاد في ظل دولة واحدة مركزية .

وهذا المفهوم الضيّق للوحدة غير صحيح ، ففي العالم دول كثيرة ــ بل أعظم دول العالم ــ لا تؤلف حكومات مركزية .. وإنما هي اتحادات .. وألمانيا نفسها بدأت بشكل « جامعة دول » ثم تطورت إلى اتحاد :.

الجامعة العربية

لم يكن جمع البلاد العربية كلها في ظل حكومة واحدة أمراً ممكناً ، ولم يكن كذلك شيئاً مرغوباً فيه ، لأسباب كثيرة ، فاتجهت الأفكار إلى إقامة جامعة دول عربية ، تحترم استقلال كل دولة ، ولكنها توحد ما تستطيع توحيده من جهود الدول العربية في خدمة أغراضها المشتركة ، وتعبر عن أشواقها إلى وحدة أكمل ..

ولدت جامعة الدول العربية يوم ٢٢ آذار ١٩٤٥ م . في اللحظة التي تمّ فيها التوقيع على ميثاقها في القاهرة ، وكان الموقعون يمثلون سبع دول عربية ، هي : مصر ، السعودية ، العراق ، سورية ، لبنان ، الأردن ، اليمن .

وقد سبق مولد الجامعة مخاض استمر سنتين أو أكثر .. كانت تجرى خلاله المشاورات بين الدول العربية للإتفاق على أُسس التعاون ، إذ كان بعضها يرى أن يبدأ بتوحيد بعض الأقاليم المتجاورة ودمجها في دولة واحدة ، ثم يُصار

إلى إقامة إتحاد فيديرالي بين الأقاليم الموحدة ، وهذا ما أثار مخاوف المملكة العربية السعودية ، لأنها خشيت أن تكون الجامعة المقترحة ستاراً تختفي وراءه مشاريع بريطانية موجهة ضدها أو محاولات غير معلنة لتحقيق مشروع سورية الكبرى أو الهلال الخصيب .. وقد انتهى الأمر بقبول وجهة النظر السعودية ، التي كانت تدعو إلى جامعة عربية تكفل استقلال الدول المشتركة فيها من الأحلاف « الموجهة » ، والتكتلات المتنافسة .. وعلى هذا الأساس وقعت المملكة على ميثاق الجامعة وأصبحت من أعظم مؤيديها .

كانت جامعة الدول العربية تعبيراً سياسياً ومظهراً دولياً لوحدة الأمة العربية ، على تعدد دولها واختلاف نظمها ، وقد انضمت إليها تدريجياً كل الدول العربية التي نالت استقلالها .

بدأت الجامعة بداءة حسنة ، ثم تعثرت ، ولم تستطع تحقيق الآمال المعقودة عليها في إشاعة روح السلام والمودة بين مختلف بلاد العرب وإزالة أسباب الجفاء والخلاف فيما بينها .

ويرد ذلك بعضهم إلى سيطرة الحكومة المصرية عليها واتخاذها لها أداة لتنفيذ خططها السياسية الخاصة ، ولذلك يقترحون نقل مقرها من القاهرة إلى بلد عربي محايد وتعديل ميثاقها ..

أما الفيصل ، فإن له في نجاح الجامعة وإخفاقها رأياً آخر ، بينه في إحدى خطبه الشعبية ، قال :

« إذا ذكرت الجامعة فلا يعني هذا مجرد اسمها أو المبنى الذي تعقد فيه الإجتماعات ، بل الدور الذي يقوم به أعضاؤها والثقة المتبادلة فيما بينهم ، فهم المسؤولون عن إيجابية القضايا المعروضة عليها .

لقد قامت الجامعة العربية في السابق بدور فعال في معالجة القضايا العربية ، ونأمل أن تقوم في المستقبل بجمع كلمة العرب وبتوجيه جهودهم إلى حل القضايا المشتركة .

أما بصدد المقترحات الرامية إلى تعديل الميثاق ، فإني أعتقد أن القضية هي أعمق من تعديل في الميثاق ، لأن الثقة المتبادلة والنية الحسنة إذا توافرتا سهل كل شيء ، وكل ما أرجوه من الله أن يوفق العرب إلى العمل لمصلحة العرب ، مع إنكار الذات في سبيل المصلحة العربية العليا . »

الدعوة إلى وحدة مذهبية

كان « إطار » الجامعة العربية منطلقاً كافياً لتحقيق آمال العرب في الوحدة ، لو أن زعماء البلاد العربية أخلصوا النية وتعاونوا على أساس الثقة المتبادلة ، ولكن فريقاً منهم تجاهلوا مبادىء الجامعة نفسها وراحوا يدعون إلى وحدة « ملتزمة » بمذهب معين .. ففرقوا العرب ، بينما كانت طبول دعايتهم تمزقُ الأجواء بأصوات صاخبة تريد سوق الناس إلى الإنضواء تحت لواء « الوحدة » .. بالشتائم .. والعنف !

إنهم يريدونها وحدة إشتراكية .. بل يريدونها وحدة زعامة مخصوصة ، تلهمها فكرة .. حمراء يوماً وزرقاء يوماً آخر .. وإن كان يغلب عليها طابع اليسارية المتطرفة والإنحياز إلى المعسكر الشرقي ، الشيوعي .

وحدة فوق الاهواء

فما هو موقف فيصل من هذه الدعوة الصاخبة المتحدية ؟

يقول فيصل ، واضعاً النقط على الحروف :

(.. الوحدة العربية هي غاية كل عربي ، والهدف الأسمى لجميع الشعوب العربية ، ولذلك يجب أن تبقى فوق أهواء الأشخاص ، وفوق الشعارات والأحزاب .

.. لا مجال في دنيا العرب لوحدة تفرض على الدول العربية بطريق القوة والتحكم ، كما حدث في بعض الأقطار ، فنحن لا نقرّ ذلك ، وقد كفتنا تجربة سورية ..

إننا هنا ، مثلاً ، نعتز بصفتنا الإسلامية ، التي لا يمكن أن نتخلى عنها ، والوحدة – التي يدور الحديث حولها الآن – يراد لها أن تكون قائمة على أساس مذهب واحد معين ، فكيف يمكن لذلك أن يتفق مع وضعنا الإسلامي ؟)

وأوضح فيصل ، بعد ذلك ، أنه لا تناقض بين الصفة الإسلامية للمملكة العربية السعودية وبين صفتها العربية ، فالإسلام دعوة ترفع مستوى الأخلاق وتقي الشعب مصارع المبادىء الهدامة.

وقدانطلقت الجماهير في المملكة، بعد خطاب الفيصل ، متجاوبة معه ، تهتف بهذا الشعار الملهم : « إسلامية ، لا شرقية ، ولا غربية » . !

لا نرضى بالإشتراكية بديلاً عن الإسلام !

ويقول فيصل للإشتراكيين الذين يأبون الوحدة إلا على أساس دعوتهم :

يا أيها الإشتراكيون ، لكم فكرتكم ولنا عقيدتنا :

(يقولون إننا نحارب الإشتراكية ، فنحن كمسلمين نؤمن بالله وشريعتنا القرآن ، فإذا كانوا يدعون أن الإشتراكية لا تتنافى مع الإسلام ، فلماذا يدعون إلى ترك الأصل والتمسك بالفرع ؟

أما إذا كانت خلاف الإسلام ، فليقولوها صريحة ، وليكشفوا عن غاياتهم ومراميهم ، وفي ذلك الوقت .. تكون لكل حرية اختيار المنهج الذي يريده .

.. نحن لم نتدخل حينما ألغوا المحاكم الشرعية ، ونقول لهم : لا ، يجب أن تعاد المحاكم الشرعية ويبقى للإسلام حكمه .

مع أن هذا كان واجباً علينا ..

ونحن لم نتدخل حينما أرادوا نزع كلمة أن (الإسلام دين الدولة) . من دستورهم .

لم نقل لهم شيئاً ، لأنهم أحرار في بلادهم ، يفعلون ما يشاؤون ..

وإن كان من واجبنا أن نقاوم ذلك ..

فلماذا يريدون أن يفرضوا علينا مبادىء وشرائع لا يقرها ديننا ولا وطنيتنا؟

ما هو الهدف ؟

ويتساءل الفيصل ، بعد هذا ، عن معنى « وحدة الهدف » ، التي يتبجح بها دعاة الإشتراكية ، فيقول :

« .. أتساءل : ما هو الهدف الذي يريدون أن نتحد معهم فيه ؟

فإذا كان الهدف هو خدمة المصلحة العامة وخدمة العرب ، وقبل كل شيء الإيمان بالله وخدمة الوطن وأبناء الوطن والقيام بمصالحهم ، فنحن أول الداعين إلى ذلك والمتسابقين إليه .

أما إذا كانت وحدة الهدف هي دس المبادىء الهدامة .. والتحلل من الأخلاق .. وإنكار وجود الإله عزّ وجلّ والمروق من أية عقيدة سماوية ، فنحن نأبى ذلك وسنقاومه بكل ما أوتينا من قوة .

لماذا يتهيبون من التعاون العربي ، فيقولون .. وحدة الهدف ؟)

وبرغم كل التحديات والإستفزازات والإعتداءات .. التي تعرضت لها المملكة ، يمضي الفيصل في سياسته العربية ، متجاهلا ما يراه من سلوك الآخرين وكأنه المعني بقول الشاعر :

« وإن الذي بيني وبين بني أخي وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا »

وهذا ما قاله الفيصل ، في خطاب له في الرياض :

(نحن ، هنا في هذه البلاد ، ماضون ، كما هو دأبنا ، في سياستنا لخير أمتنا ولخير جميع البلاد العربية ، ولن تثنينا الأحداث عن بذل جميع جهودنا الصادقة الدائبة لما فيه عز الأمة العربية ولتذليل كل عقبة تقف في سبيل وحدة كلمتها ولمّ شملها وجمع صفها على كلمة سواء ، حتى تستطيع أداء دورها التاريخي ، لخيرها وخير البشرية جمعاء . »

مناصرة البلاد العربية

قامت المملكة العربية السعودية بمناصرة القضايا العربية كلها ، وما نظن دولة عربية أخرى ساهمت أكثر منها ، في هذا المجال ، أو مثلها .. مع التجرد من كل غرض خاص أو طمع .

ولا يتسع هذا الكتاب لبحث طويل في الخدمات التي أدتها المملكة لشقيقاتها العربيات ، سواء على الصعيد السياسي أم على الصعيد المالي والإقتصادي.

ونترك جانباً مساعدات المملكة لفلسطين وسورية والأردن وغيرها من الاقطار العربية ، ونتحدث على سبيل المثال ، عما قدمته المملكة من معونة لمصر ، برغم الخلافات القائمة بينهما ، بل نترك الحديث إلى سفير عربي سابق تولى الكلام عن ذلك في جريدة بيروتية ، قال :

مساعدات السعودية لمصر

(لا أزال أذكر مجلساً جمعني بالعاهل السعودي ، وكان لا يزال رئيساً للوزراء ، وجرى حديث السويس وما قدمته كل من الدول العربية وشعوبها للثورة المصرية من ضروب التأييد المادي والمعنوي ..

وأبديت تعجبي ، بل استنكاري ، لسكوت المملكة العربية السعودية على الإتهامات المتزايدة ، وقلت : « وأغرب من ذلك أن دعايتكم لم تأت على ذكر شيء من مواقف المملكة ومساعداتها للمصريين ابان وحدتهم » .

فما كان من الفيصل إلا أن التفت إلي ، ووجنتاه مضرجتان وردد بلهجة يستحيل على أي قلم في الدنيا ابراز ما فيها من حياء فطري وأريحة أصيلة ، قائلاً :

« يا أخي نحن عرب ، نحن عرب .. كيف يمكن أن نعطي ونتمنن ؟ »

وأطرق هنيهة ، ثم تمتمت شفتاه ، كأن بين ضميره وفكره مساجلة ومشادة « والله أستحي . والله أستحي أن أذكر أمام الناس ما فعلناه . وما فعلنا في الحقيقة ألا أقل مما يجب على العربي لأخيه العربي في محنته » .

وتحدث الكاتب ، بعد ذلك ، عما عرفه من المساعدات السعودية ، فقال :

(.. في جلسة ليلية تاريخية مباغتة ، تناسى فيها الجانب السعودي صحته المهددة وأمن شعبه وبلاده ، قرر فوراً المساعدة المالية لمصر ، لشد أزرها تجاه العدوان الثلاثي ، وبلغت المساعدات المدفوعة بالفعل وفوراً ودون أي مقابل ، لا في الحاضر ولا في المستقبل :

٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال سعودي ، دفعت بالدولار

.. وبترولياً : قدمت المملكة إلى مصر ٩٥ ألف طن من البترول شحن إليها على حساب السعودية .

وقطعت المملكة نفطها طوال تسعة وعشرين يوماً ، متحملة خسارة مليون دولار كل يوم ..

وقطعت كذلك أنابيب النفط الموصلة إلى البحرين ..

وعلى الصعيد العسكري : أعلنت القيادة الملكية السعودية تعبئة القوات العربية السعودية ، وتلقت قيادة الثورة المصرية إشعاراً باستعداد المملكة للقتال في سبيل القضية العربية المصرية وضد أية جهة من جهات العدوان .

وعلى الصعيد الديبلوماسي : أمرت المملكة بعثاتها الديبلوماسية في الخارج بدفع نفقات السفارات المصرية طوال مدة الأزمة .

وفي مجال الطيران : وضعت جميع مطارات المملكة تحت تصرف الطيران المصري ، فاستفاد منها بايوائه واصلاحه وانقاذ عدد كبير من طائراته . كما استقبلت المملكة سبعة عشر طياراً مصرياً وآوتهم في الطائف ، ضيوفاً مكرمين عليها طوال مدة العدوان .

وفي المجال البحري : فتح ميناء ينبع السعودي لقطع الأسطول الحربي والتجاري المصري ، وكان لذلك أثر كبير في حمايتها وإنقاذها من التدمير .

وفي المجال الدولي : لم تكد مصر تعلن عن وقوع العدوان الثلاثي حتى بادرت المملكة إلى قطع العلاقات فوراً مع إنكلترا وفرنسا) .

أما الأقطار العربية ، في إفريقيه ، التي كافحت الإستعمار ، فقد لقيت من المملكة تأييداً ديبلوماسياً مخلصاً ، وكانت « الجزائر » أكثرهن حاجة في أول الأمر إلى العون المالي أيضاً، فبادرت المملكة الى بذل مساعداتها المالية السخية لثوار الجزائر .

وقد عبر وزير الزراعة التونسي عن شعور العالم العربي كله بالعرفان والإمتنان للفيصل ، خلال زيارته للمملكة ، فقال في حديث له :

(إنني لسعيد أن تتاح لي الفرصة لكي أنقل إلى جلالة الملك فيصل العظيم تحيات ومودة المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة ، تلك المودة الصادقة التي نشأت منذ ثلاثين عاماً ، حينما كانت تونس تنشد من يساندها في قضية الكفاح ضد المستعمر ..

وقد كان جلالة الملك فيصل من أكبر المنادين لهذه القضية العظيمة ، في مختلف أنحاء العالم ، من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال) .

غيوم وأزمات ..

ومع شدة حب السعودية لشقيقاتها العربيات وشدة حرصها على سعادتهن ، لم يخل الأمر بينها وبين بعضهن من خلافات وأزمات ..

وقام أكثر الخلاف بين السعودية و « المحور الهاشمي »، وبين السعودية ومصر ، وسنتحدث عن ذلك قليلا ، ثم نتبعه بكلمة عن الجنوب العربي .

العلاقات بين السعودية ومصر

نظرة تاريخية

وقع اختيار السلطان العثماني على والي مصر « محمد علي » ، ليقوم بحرب الدولة العربية السعودية والقضاء عليها ، فقام هو وابناه طوسون وإبراهيم بتمثيل هذا الدور الأثيم ..

لذلك كره شعب نجد حكام مصر السابقين مثل كراهيته للترك ، لأنهم قتلوا رجاله ونهبوا أمواله وهدموا عاصمته « الدرعية » وذبحوا إمامه واحتلوا دياره وأزالوا دولته الإسلامية الحرة ..

ثم تكفل الزمن بمحو هذه الكراهية من نفوس النجديين ، وساعد على ذلك قيام الشيخ محمد عبده ثم تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا بحركة دينيـــة إصلاحية في مصر كانت ، في أسسها ، غير بعيدة عن دعوة الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب

في عهد عبد العزيز

ولكن الملك عبد العزيز لم يكد يعلن ملكيته على الحجاز وقيامه بحماية الأماكن المقدسة ، حتى تنكر له عاهل مصر الملك فؤاد ، وقد أبى ، طوال مدة ملكه ، أن يقيم صلات سياسية مع السعودية ، وكان يبرر ذلك بأمور تافهة وحجج واهية ، كحادثة المحمل أوكسوة الكعبة ..

.. وتوفي الملك فؤاد عام ١٩٣٦ ، فخلفه ابنه فاروق ، وكان صغيراً ، فأقيم عليه مجلس وصاية ، وترأس الوزارة رجل عاقل ، هو « علي ماهر » ، وفي عهده عقدت معاهدة « سلام دائم وصداقة خالصة » بين مصر والمملكة ،

وهذه هي المواد الثلاث الأولى من المعاهدة :

١ - تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة ذات سيادة ، مستقلة إستقلالاً تاماً مطلقاً .

٢ - يكون بين المملكة المصرية والمملكة العربية السعودية وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة .

ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الطرف الآخر وأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر .

٣ - تنشأ بين المملكتين العربية السعودية والمصرية علاقات التمثيل السياسي والقنصلي ، ويعامل الممثلون السياسيون والقنصليون الذين يعتمدهم أحد الفريقين المتعاقدين أو يعينهم لدى الفريق الآخر وفقاً للأصول المرعية في القانون الدولي العام ، على أن يكون ذلك على أساس التبادل .) .

وبعد إبرام هذه المعاهدة ، تبودلت الكتب بين الحكومتين السعودية والمصرية ، بشأن كسوة الكعبة وصرف الصدقات لفقراء الحجاز ، وجنسية المصريين الذين كانوا مقيمين في الحجاز ، وأنشئت مفوضية لمصر في جدة ومفوضية للسعودية في القاهرة .

وقد زاد في متانة الصداقة المصرية السعودية ، في عهد الفاروق ، تأييد الملك عبد العزيز لمصر في مطالبها القومية من بريطانيا .

ومما ضاعف في محبة الملك عبد العزيز لمصر إتجاهها نحو العروبة وإنكارها للدعوة الفرعونية الإقليمية التي كان يتمسك بها رجال أمثال إسماعيل صدقي .

يقول حافظ وهبة : (إن الوعي العربي في مصر قد ظهر لأول مرة في مجلس عصبة الأمم ..

.. ومؤتمر فلسطين سنة ١٩٣٩ في لندن ، يعتبر أول خطوة صحيحة لدخول مصر في معترك النضال العربي ..

ولقد كان كل هذا حافزاً للملك عبد العزيز أن يسعى جاهداً لمساعدة مصر في حل مشاكلها مع بريطانيا ..

لقد تألم أشد الألم يوم هجم السفير البريطاني على قصر عابدين في ٤ فبراير ١٩٤٢ واعتبر هذا العمل حماقة كبيرة من بريطانيا ، فهي إهانة لمصر في شخص مليكها ، وكان من مساعيه غير الظاهرة أن نقل السفير البريطاني من مصر .) .

وقدر الملك فاروق للملك عبد العزيز مساعدته، فقام عام ١٩٤٥ بزيارة المملكة العربية السعودية وأعرب لمليكها العظيم عن شكره وامتنان شعبه وتقديره.

وكان عبد العزيز دائم السهر على قضية مصر ، ويذكر حافظ وهبة ، الذي كان يمثل المملكة في لندن ، أن الملك عبد العزيز كان يتابع مطالب مصر لدى بريطانيا كأنها قضاياه الخاصة ، وقد جاء في إحدى برقياته إلى وهبه قوله :

« نود أن تذكروا له – لوزير الخارجية إيدين – أننا نعلق أكبر الأمـــل عليهم وعلى أصدقائنا الأميركيين في حل مشاكل الشرق الأوسط ، وبالأخص مسألة مصر ، التي يتوقف عليها كل الأمور ، لأنه يجب ألاّ نغالط أنفسنا .. بأنه ما دام هذا الشغب وهذا الإختلاف في مركز مثل مصر ، تعلمون أهميته في الشرق الأوسط ، فإن الإستقرار لا يمكن أن يكون .

إن الشعوب اليوم غيرها بالأمس في كل البلدان .. وإن العدو السوفياتي يغذي روح العداء ضد الغربيين ، فالحكمة الرشيدة هي ألا يكونوا عوناً مع العدو ، حتى لا يفلت الزمام وتضيع الفرصة ..) .

ولكن البريطانيين لم يحسنوا الإصغاء إلى نصيحة الملك عبد العزيز ، فاحتفظوا بقواعد عسكرية لهم في مصر .. وكانت النتيجة ما توقعه الملك عبد العزيز : ظهور المعسكر الشيوعي على المسرح .

الإنقلاب المصري

شهد الملك عبد العزيز في آخر أيامه ، مولد الإنقلاب المصري الذي أطاح بحكم الفاروق ، فلم يقاومه ولم يباركه ، وآثر الصبر عليه ليرى أعماله ، ومات ، رحمه الله ، قبل أن تنجلي الأمور ..

فيصل والإنقلاب المصري

رأى الفيصل ، بعد وفاة أبيه ، وبعد استقرار الحكم الجديد في مصر ، أن المملكة تستطيع مد يدها إليه ، لأن كل بلد حر في اختيار نظام الحكم الذي يرتضيه ، والمهم هو أن يقوم بينه وبين البلاد العربية الأخرى تعاون صادق على أُسس كريمة .

ورأى فيصل ، فوق ذلك ، أن التكتلات والمحالفات القائمة في الشرق الأوسط ، كمشروع سورية الكبرى وحلف بغداد ، هي تكتلات مؤذية لمصلحة البلاد العربية عامة وللمملكة خاصة ، فزاده ذلك ميلاً إلى التعاون مع الحكم المصري ، الذي يكافح هذه التكتلات مثله .

وهكذا سار التقارب السعودي المصري خطوات واسعة إلى الأمام .

وقد سجل بلاغ رسمي مشترك صدر في أعقاب اجتماع عقد عام ١٩٥٤ في القاهرة بين الملك سعود ورئيس الدولة المصرية أن الإتفاق كان (تاماً على السياسة الخارجية للحكومتين السعودية والمصرية ، وعلى ضرورة إنماء المصالح المشتركة الإقتصادية والثقافية بينهما ، لخير القطرين والمجموعة العربية) .

وسجل اجتماع وزراء الخارجية العرب ، الذي عقد في القاهرة أيضاً ، وحضره الأمير فيصل ، أن السياسة الخارجية للدول العربية ترتكز : (على ميثاق الجامعة العربية ، ومعاهدة الدفاع المشترك ، والتعاون الإقتصادي بين الدول العربية ، وميثاق الأمم المتحدة ، ولا تقرّ عقد أحلاف غير ذلك) .

الدفاع المشترك

وهنا لا بد لنا من كلمة مختصرة عن « الدفاع المشترك » ، فهو تحالف عسكري بين الدول العربية ، بل وحدة عسكرية تغنيها عن الأحلاف الغربية .. ولكنها محاولة لم تكتب لها حياة طويلة ..

ومهما يكن الأمر ، فقد وقع الأمير فيصل وجمال عبد الناصر في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥ اتفاق «الدفاع المشترك » ، وهو يتألف من عشر مواد تتلخص بما يأتي :

أولا – اتفقت الدولتان على حل جميع منازعاتهما بالطرق السلمية .
ثانياً – تعتبر الدولتان كل اعتداء على إحداهما كأنه واقع على الأخرى وتبادران إلى رد العدوان .
ثالثاً – تضع الدولتان قواتهما العسكرية تحت قيادة مشتركة يشرف عليها مجلس أعلى ومجلس حربي .
رابعاً – مدة الإتفاق خمس سنوات ويتجدد من تلقاء نفسه .

وقداختير اللواءعبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المشتركة السعودية المصرية .

وفي شهر ابريل من عام ١٩٥٦ توسع هذا الميثاق وأصبح ثلاثياً بانضمام اليمن ، وأعيدت صياغته .. وكانت مصر قد عقدت مع سورية اتفاقاً مماثلا ..

العدوان الثلاثي على مصر

وفي ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ، التي كان يملك أكثر أسهمها الإنكليز والإفرنسيون ..

وفي يوم ٢٨ أكتوبر من السنة نفسها قام الإنكليز والفرنسيون ، بالتعاون مع إسرائيل ، بالهجوم على مصر ، من البحر والبر والجو ، وقد سمي هذا العدوان الغادر الأثيم : العدوان الثلاثي ، وأمره معروف ..

كيف كان موقف السعودية من هذا العدوان ؟

لقد قامت السعودية بنصرة مصر في كل مجال ، فأعلنت التعبئة العامة ، وافتتحت مكاتب للتطوع ، لبى نداءها أمراء الأسرة المالكة مثل غيرهم من أفراد الشعب ، وتحركت قواتها إلى حدود الأردن لمجابهة إسرائيل ، وقطعت البترول عن بريطانيا وفرنسا وقطعت علاقاتها السياسية معهما ، وقامت بمساع ديبلوماسية عالية لحمل أميركا على التدخل لحمل المعتدين على الإنسحاب من الأراضي المصرية ، وقدمت مساعدات مالية جليلة إلى حكومة مصر وإلى ضحايا العدوان .

ولما تم انسحاب المعتدين ، أعلن جمال عبد الناصر ، في احدى خطبه ، تقديره لموقف السعودية ، التي أبلغته ، بلسان ملكها ، أنها تضع تحت تصرفه « جيش السعودية ، وأموالها ، وأنها مستعدة لفعل أي شيء .. » .

بعد العدوان

لم تكد حكومةمصر تخرج من العدوان الثلاثي ،حتى ألقت بنفسها في أحضان الإشتراكية المتطرفة واتجهت إلى التعاون بقوة مع الإتحاد السوفياتي ولم تكتف بذلك ، وإنما أرادت أن تجر سائر البلاد العربية وراءها .. وتفرض عليهم زعامتها ..

لم تكن المملكة العربية السعودية تميل إلى الإتحاد السوفياتي ، ولكنها لم تحاول قط استفزازه ، وكانت ترفض الشيوعية والإشتراكية في بلادها، ولكنها لم تحاول إلزام البلاد العربية الأخرى بآرائها ، فلكلٍ رأيه واجتهاده ..

يقول الشاعر : (إختلاف الرأي لا يفسد للود قضيه) ...

ولكن حكومة مصر لم تكن تصدر في سياستها ، بعيد العدوان ، عن فهم عميق لمعنى التعايش السلمي مع شقيقاتها العربيات ، وخصوصاً المملكة العربية السعودية ، وطن المسلمين الروحي وحاملة لواء الدعوة إلى الإسلام ، فكيف يريدون منها أن تتنكر لرسالتها وتبشر معهم بالماركسية المادية ؟

.. وربما زاد في استياء جمال عبد الناصر من المملكة أن الملك سعود عاد من زيارته إلى أمريكا – حيث اجتمع بالرئيس أيزنهاور – ودعا إلى التقارب بين البلاد العربية وبين أمريكا .. ليبعدهن عن الخطر الشيوعي ، وكانت هذه المساعي ، من جانب الملك سعود، تبدو لعبد الناصر في صورة التحدي لزعامته، ولذلك أضمر العداء للملك، ولم يستثن مملكته ..

وقد زاد الاختلاف بين مصر والمملكة بعد انفصال سورية عن مصر ، لأن حكومة مصر توهمت أن السعودية عملت لهذا الإنفصال ، مع أن الفيصل، وكان رئيساً للوزراء ، أعلن رأيه الصريح في الوحدة السورية المصرية وفي غيرها، فقال ، في بيان له :

« لقد ارتضى اخوة لنا في سوريا ومصر وحدة بينهم ، كما ارتضى اخوتنا في اليمن اتحاداً معهم ، وكما ارتضى اخوة لنا في العراق والأردن اتحادا بينهم .

وموقف حكومة جلالة الملك من هذا ، سبق أن أعلن بتاريخ ٥–٨–١٣٧٧ هـ . وهي تتمنى الخير والتوفيق لأولئك الإخوة) .

بعد أزمة اليمن

ولكن الخلاف بين مصر والسعودية بلغ ذروته بعد نزول القوات المصرية في اليمن ، وسنفصل ذلك في كلامنا عن اليمن .

تابعت الإذاعة والصحافة المصرية ، خلال أزمة اليمن ، الحملات والشتائم المقذعة ضد الحكام السعوديين ، وألقت الطائرات المصرية أسلحة في بعض مناطق المملكة لمخربين كانوا ينتظرونها .. ولكنهم لم يظهروا .. وأرسلت المخابرات المصرية جماعة من « الفدائيين المرتزقة » للتخريب وتفجير المفرقعات في الفترة التي تمت أثناءها زيارة الملك حسين ورئيس مجلس السيادة السوداني للمملكة ، ولكن قوى الأمن السعودي الساهرة والشعب السعودي الواعي ، الوفي لحكامه ونظامه واستقراره ، كل أولئك قضى على المتآمرين والمخربين وأحبط المحاولات المصرية للنيل من متانة الوضع الداخلي للمملكة ، وإن كان استدعى مزيداً من الجهود والنفقات لتقوية أجهزة الأمن .

ولم تتورع حكومة مصر ، في آخر المطاف ، عن مصادرة الممتلكات السعودية في مصر ، فقابلتهما السعودية بإغلاق مصرفين سعوديين في المملكة ..

هذه السلسلة من الإستفزازات والإعتداءات على السعودية آلمت في غير شك الفيصل ، ولكنها أدخلت على نفسه كذلك ، في وقت من الأوقات ، شيئاً من الاستياء والقرف ،ولقد جرت على لسانه فيصل مرة أو مرتين عبارات تنم عن ضيقه فقال ، مثلاً ، إنه لا يطلب من البلاد العربية الأخرى — وهو يعني حكومةمصر طبعاًوإن كانلايذكرها—أي شيء..وإنمايريدمنهاأنتكف أذاها..

وقال في احدى خطبه أيضاً :

(نحن لا نريد من إخواننا العرب إلا أن نتصافى فيما بيننا باخوة ونتعاون على اسعاد شعوبنا والنهوض بها وأن لا نستعمل قواتنا وبوليسنا في التدمير أوالتخريب وفي إرهاب المواطنين وفي سلب أموالهم وحرياتهم وكرامتهم .. نحن لا نطلب من اخواننا العرب أية مساعدة ولكن نريد منهمأن يحترمونا كاخوة لهم وأن يحترموا استقلالنا وحريتنا وأن يحترموا وطننا وابناءوطننا.أمامن أراد أن يغمط هذه الحقوق وأن يعتدي فسيقابل بأشدمايمكن من قبلكم أنتم أيها الإخوان لأنكم أيهاالاخوةلم تتعودوا في حياتكم أن تحكموا من الخارج ولا أن يتسلط عليكم أحد).

نحو الإنعزالية ؟

وكانت طائفة من الصحف – كجريدة الأوريان » في بيروت – تقدر أن موقف مصر والدول التي تسير على غرارها تجاه السعودية ، ستدفع حتماً المملكة العربية السعودية إلى سياسة « انعزالية » ، فتكتفي بمعالجة أمورها الداخلية ورخاء شعبها ، وتنفض يدها من قضايا العرب التي لا تعود عليها إلا بالمضايقات..

ولكن الفيصل ، على ألمه وامتعاضه ، لم يفعل ذلك .

لقد أعرب في احدى خطبه الشعبية عن شعور القرف .. ولكنه أعرب أيضاً عن استمراره في العمل لقضايا العروبة ، قال :

« إن سياسة حكومتكم ، تجاه أخواتها العربيات ، هي سياسة سلم وسلام ، وصداقة وتعاون ، ولكنها في الوقت نفسه ليست سياسة خنوع وذل وتبعية !

« .. إننا لا نعتدي على أحد ولا نتهجم على أحد وليست لنا أطماع في أحد وسنظل – كما كنا دائماً – في طليعة الركب العربي بالنسبة للدفاع عن قضايا العروبة » .

بعد العدوان الإسرائيلي الجديد

ويقع العدوان الإسرائيلي الجديد في ٥ حزيران ١٩٦٧ على مصر وسورية والأردن ، ويبلغ العدو الغادر في هجوم صاعق ، أعدّ له أحدث الأسلحة وأقواها ، إلى الضفة الشرقية من قناة السويس ، فتنسى السعودية كل ما بينها وبين حكومة مصر من خلاف ، وتهب لنجدتها في كل مجال ، وتقدم إليها ، بعد مؤتمر « الخرطوم » معونة مالية ضخمة جداً ، تستمر ما استمر أثر العدوان.

وتدرك حكومة مصر أن « وحدة الهدف » كما كانت تفهمها أو وحدة الجبهات الثورية .. أو ما يشبه ذلك من الشعارات ، التي يدعوها إليها بعض السياسيين في بلد عربي آخر ، هي ، في هذا الوقت العصيب خاصة ، ضرب من العبث الضار ، وتشعر بحاجتها إلى التعاون مع شقيقاتها العربيات ، وفي مقدمتهن المملكة العربية السعودية ، فتوفد إليها كبار شخصياتها لمفاوضة الحكومة السعودية والإتفاق معها على إعادة العلاقات بين القطرين العربيين إلى أحسن ما كانت عليه من الصفاء والمودة ، لا على الصعيد السياسي فحسب ، ولكن في مجالات الإقتصاد والتجارة والثقافة وغير ذلك .

حقق الله الآمال ..

الجنوب العربي

في آخر تشرين الثاني من عام ١٩٦٧ م . جلت بريطانيا عن « إتحاد الجنوب العربي » ، الذي ألفته عام ١٩٥٩ من محمية عدن ومن عدد كبير من الإمارات والمشيخات الصغيرة ..

وقد نشأت ، بعد الجلاء البريطاني ، في تلك المنطقة ، دولة جديدة ، أطلقت على نفسها اسم : « جمهورية جنوب اليمن الشعبية » .

إنها دولة عربية مستقلة جديدة ، تنضم إلى مجموعة الدول العربية ، فما هو موقف السعودية منها ؟

يعتقد كثير من الغربيين أن المملكة العربية السعودية هي وحدها الوريثة الطبيعية للنفوذ البريطاني في الجنوب العربي وفي إمارات الخليج العربي ، لأنها المملكة العربية الكبيرة المستقلة التي تشغل أكبر مساحة في شبه الجزيرة العربية وفيها حكم قوي مستقر ، ولها موارد كافية ، فهي أولى من غيرها بحكم البلاد العربية المتصلة بأراضيها وتحقيق وحدة الجزيرة الكبرى .

وقد أُشيع في أعقاب نزول القوات المصرية في اليمن ، أن حكومة مصر تريد بسط سلطانها على « اتحاد الجنوب العربي » كما فعلت في اليمن .. ولذلك سأل مندوب التلفزيون البريطاني الملك فيصل عن موقف المملكة في حال قيام الحكومة المصرية ، بمحاولة للتسلط على الجنوب العربي ، فأجابه جلالته :

(قبل كل شيء ، نحن لا نعتبر الجمهورية العربية المتحدة عدوة للمملكة العربية السعودية ، بالعكس نحن نعتبر أننا أخوة ويجب أن يسود التفاهم فيما بيننا لما فيه صالح بلادنا وشعوبنا ..

وأنا لا أعتقد أن الجمهورية العربية المتحدة لها أي مطامع في الجنوب العربي .

وسأله صحفي آخر عن موقف المملكة من « حضرموت » .. في حال بقائها خارج الإتحاد ، لأن الحضارمة لهم مصالح كبيرة في المملكة ، فأجابه :

قبل كل شيء ، نحن لا نعتقد أن هناك أية مصلحة في أن ينفرد أي جزء من الجنوب العربي عن الأجزاء الأخرى ، ويجب أن تشكل في مجموعها كياناً قائماً مستقلا ، بكل معنى الكلمة . أما ما يقال عن شيء من الإرتباط مع المملكة العربية السعودية ، فنحن لا نقر هذا ، وليس لنا أي مطمح في أي بلد ..

سوريه الكبرى

وحلف بغداد

من مشاريع الإتحادات الإقليمية ، التي كافحتها المملكة العربية السعودية مشروع « سورية الكبرى » ومشروع « الهلال الخصيب » .

وقد اشتركت مصر مع السعودية في مكافحة هذين المشروعين واستطاعتا القضاء عليهما .

كانت السعودية معذورة في مقاومة المشروعين ، فمشروع « سورية الكبرى » ، كان يرمي إلى توحيد سورية والأردن في ظل ملكية الملك عبد الله ، الذي كان يعد خصماً عنيداً لحكام السعودية — وإن كشف في آخر أيامه عن تغير رأيه في الملك عبد العزيز وأثنى عليه كثيراً .

ومشروع « الهلال الخصيب » ، الذي يرمي إلى توحيد سورية والعراق ، كان يتزعمه الأمير عبد الإله ، وكان يعلن دائماً أنه لا يعترف بحكم السعوديين للحجاز .. وكان نوري السعيد يبشر بهذا المشروع أيضاً وينفق في سبيل إنجاحه الجهود والأموال ..

وهناك حلف ثالث أوسع ، دخلته العراق ، وهو : « حلف بغداد » ، الذي اشتركت فيه تركيا وإيران والباكستان وبريطانيا العظمى ، بينما اكتفت أمريكا بتأييده والمشاركة في لجانه ، وكان يقال إن الغرض من تأليفه تعاون بلاد الشرق الأوسط على الدفاع عن أراضيها وأنظمتها ضد الشيوعية .

هذا الحلف قاومته السعودية أيضاً .. فلماذا قاومته ؟

قيل إن السعودية كانت تخشى أن يستدعي هذا الحلف نقمة الإتحاد السوفياتي على البلاد العربية ، ويوقعها في أزمات وحروب هي في غنى عنها ..

وقيل أيضاً إن السعودية كانت تخشى أن يتقوى حكام العراق بهذا الحلف ويستخدموه وسيلة للتوسع وتحقيق (الهلال الخصيب) ، لا للدفاع ضد الشيوعية..

وكل هذه الاقوال ، في الحقيقة، ضرب من الظنون، فرأي الفيصل في موضوع الأحلاف عامة، مستمد من المصلحة العربية العليا، وهو أن البلاد العربية مجتمعة، أو ممثلة في جامعتها العربية، هي صاحبة الحق في إنشاء المحالفا ت أو الانضمام إليها ولا يجوز لدولة عربية أن تنفرد بالإنضمام إلى حلف أجنبي، من غير استشارة شقيقاتها العربيات والحصول على موافقتهن، بعد التثبت من سلامة الحلف من كل شائبة من شوائب التبعية وخلوه من فكرة التكتلات والمعسكرات التي تمزق وحدة العرب وتفسد علاقاتهم الأخوية .

لقد انتصرت السعودية على حلف بغداد، ولكنها وجدت نفسها، بعده، أمام خصومات وتكتلات جديدة .. ولن يضيق صدرها، إن شاء الله، بهذه المتاعب التي تثيرها بين يديها بلاد شقيقة ..

«سورية الكبرى» .. غير سورية !

إن مكافحة المملكة لمشروع «سورية الكبرى» ، لا يعني اطلاقاً مقاومتها لمطالب السوريين القومية، وعلى العكس، فقد كانت المملكة منذ انشائها تناصر السوريين في كفاحهم من أجل الحرية وتحمي الثائرين منهم على الاستعمار واللاجئين إلى بلادها، وللملك عبد العزيز، ثم لابنه الفيصل، فضل لا ينكر على السوريين، لا لأنهما فتحا أبواب المملكة لنشاطهم واستخدموا كثيراً منهم في مناصب الدولة فحسب، ولكنهما ساعدا سورية على الظفر باستقلالها، ثم أمداها بالقروض المالية السمحة، وعقدا معها الإتفاقات التجارية ، لا بروح التجارة ولكن بروح الأخوة .

ولقد ساهم الفيصل بقوة في تحقيق جلاء الإفرنسيين عن سورية ولبنان ، وكانت له جهود عظيمة ومواقف رائعة في هيئة الامم المتحدة لتحقيق هذا

الجلاء، ولذلك دعته الحكومة الوطنية في سورية عام ١٩٤٦ م. لحضور أول عيد جلاء وطني للجلاء يقام في سورية، أعربت لسموه عن شعور جميع السوريين نحو سموه ونحو المملكة، بالوفاء والعرفان والتقدير .

وقد حضر سموه بنفسه هذا العيد الوطني الكبير الذي كان من أعظم أعياد الحرية التي عرفتها مدينة دمشق، وكان سموه مسروراً بما أنعم الله على سورية من نعمة الاستقلال يومئذ، مثل سرور زعماء الشام أنفسهم، لأنه يعتبر كل بلد عربي بلده، يفرح لفرحه ويتألم لألمه – ١ –

---

(١) تحدث السيد عبد المعين عثمان، في كتاب عن المملكة صدر عام ١٩٥٧ . ، عن مشاركة فيصل في منظمة الامم المتحدة، ومما قاله:

فطن سمو الامير فيصل منذ الجلسة الاولى لهذه المنظمة العالمية، أن سورية ولبنان غير ممثلتين فيها، على الرغم من أن حكومتي هذين البلدين قد سبق لهما أن أعلنا الحرب على المحور، عملا بالنظام التأسيسي لهيئة الامم المتحدة . ولقد عز على سموه كثيراً أن يرى هذين البلدين بعيدين عن الاشتراك في المنظمة العالمية الوحيدة التي تقود مصير العالم، ولهذا فسموه لم يقف مكتوف اليدين بل سارع الى الاتصال بحكومات الدول العربية التي دعيت الى دخول هيئة الامم المتحدة، لتقرير العمل الموحد المشترك وللاتصال بالامين العام لهذه الهيئة، وبالدول الداعية، لتقوم بدورها بدعوة كل من سورية ولبنان لارسال وفد رسمي يمثلها في هذه المنظمة .

وبعد جهود مضنية، ومقابلات عديدة، واتصالات شخصية وجماعية، وفق سموه الى ما كان يصبو اليه، وقامت الدول الداعية المؤسسة بالاشتراك مع الامانة العامة لهيئة الامم المتحدة، بدعوة سورية ولبنان للانضمام الى هذه الهيئة، وهكذا كسبت الامة العربية، على يد سموه، وبالتعاون مع المجموعة العربية التي كانت عضواً في المنظمة كسباً دولياً .

وبعد أن تحدث المؤلف عن انضمام سورية ولبنان الى المنظمة، وحصولها على الاستقلال التام بعد جلاء الافرنسيين عن أراضيها، قال: «لقد كان للامير فيصل موقف رائع في جلاء الافرنسيين عن سورية» .

السياسة مع الغرب

حدّد الفيصل سياسة المملكة العربية السعودية مع الدول الغربية ، في حديث أدلى به عام ١٩٥٧ قال :

(ان علاقات المملكة مع دول الغرب تختلف باختلاف ما تقتضيه مصلحة المملكة وسلامتها وأمنها ، وما تقتضيه المصلحة العربية العامة .

ان سياسة حكومة جلالة الملك كانت ولا تزال ، تهدف لمصادقة كل دولة لا تعتدي عليها ، وتسعى لأن تتعامل مع كل دولة في العالم طبقا لما تقتضيه مصلحتها والمصلحة العربية العامة ، غير مقيدة بأي اتجاه أو ارتباط تجاه أي دولة أجنبية لا يتلاءم مع مصالحها ومصالح العرب .)

مرونة هذه السياسة وحريتها

هذه الكلمات صريحة جدا وقوية جدا ، انها تشد سياسة المملكة الخارجية إلى الدفاع عن العروبة ، وتعلن تحررها من أي التزام يربطها بسياسة أية دولة غربية ، فالأصل أن تصادق المملكة كل دول الغرب ولكنها تعادي كل من يعاديها أو يعادي العرب .

ان صداقة المملكة وخصومتها ليستا من أجل نفسها فقط ولكنهما كذلك من أجل شقيقاتها العربيات ، وقد أثبتت ذلك غير مرة ، فهي لم تقطع علاقاتها السياسية مع فرنسا وأنكلترا ، مثلاً ، لعدوان وقع من هاتين الدولتين على أراضيها وإنما قطعتها انتصاراً للبلاد العربية المعتدى عليها ، وهذا ما يقال أيضا في سبب قطعها للبترول عنهما .

ويمكننا القول ، بوجه عام ، ان للمملكة علاقات صداقة مع جميع الدول الغربية ، وهي تتبادل مع أكثرها التمثيل السياسي أو القنصلي .

وقد أخذت شركات افرنسية وايتالية تعمل في مشاريع المملكة المختلفة ، وتبعتها ، وستتبعها شركات ومؤسسات وأفراد من دول أخرى في التعامل مع المملكة لتوسعها المطرد وكثرة مشاريعها، وكل ذلك على أساس المنافسة الحرة .

وسنتحدث في شيء من التفصيل عن علاقات المملكة بكل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأميركية ، بعد كلمة خاطفة عن علاقاتها بفرنسا والإتحاد السوفياتي.

العلاقات مع فرنسا

أخذت المملكة بتنمية علاقاتها مع فرنسا بعد اتجاه الحكومة الفرنسية نحو تأييد العرب والابتعاد عن اسرائيل . وتقوم الآن شركة « أوكسيراب » وغيرها من الشركات الفرنسية بمشاريع مهمة في المملكة،وفي (الخرج) معمل سلاح اشترته المملكة من فرنسا ، يعمل فيه خبراء افرنسيون .

وصلات المملكة بفرنسا قديمة ، لأن فرنسا كانت صاحبة امبراطورية استعمارية كبيرة ، تضم أعدادا كبيرة من العرب والمسلمين .

ولم تقم بين المملكة وفرنسا مشاكل تذكر ، ولكن المملكة قطعت مرة علاقاتها بفرنسا انتصارا لمصر ، كما أشار إلى ذلك الفيصل ، في حديث له ، قال :

(لقد قطعت المملكة العلاقات مع الحكومة الفرنسية ، على أثر عدوانها على مصر ، وبعد انسحابها من الأراضي المصرية جرت مباحثات بين الطرفين ، انتهت باعادة مبالغ كانت سلمت إلى الجهات الفرنسية ثم أسلحة منعت الحكومة الفرنسية تصديرها ...

وبعد هذا لا يوجد ما يمنع الحكومة العربية السعودية من اعادة العلاقات مع الحكومة الفرنسية في الوقت الذي تتجه فيه الأمور إلى اعطاء اخواننا المكافحين في الجزائر حقوقهم في الحرية.)

مع المعسكر الشيوعي

ليس بين الدول الشيوعية وبين السعودية تمثيل سياسي ، وقد أوضح الفيصل سبب ذلك في بيان له عام ١٣٧٧ هـ . ، قال :

(انه وان لم يكن بين المملكة العربية السعودية والدول « الشرقية » تمثيل سياسي ، فان العلاقات قائمة بينها وبين هذه الدول على أساس ميثاق هيئة الأمم المتحدة وفي نفس الوقت فان حكومة جلالته لا تسمح لأي مبدأ يختلف مع مبادىء الشريعة الاسلامية بالظهور في بلادها .)

وهكذا تقوم بين السعودية والدول الشيوعية علاقات صداقة .. ولكن بدون علاقات سياسية .

ومما يحسن التنبيه اليه ان الإتحاد السوفياتي كان من أوائل الدول التي اعترفت بملكية عبد العزيز على الحجاز ، وكان له في (جدة) قنصل يدعى « حكيموف » فلما استدعته حكومته إلى موسكو ، رفض .. والتجأ إلى المملكة .

العلاقات مع بريطانيا

كان مكان بريطانيا ، عند الملك عبد العزيز ، في الصدارة ، ان لم نقل إنها كانت الدولة الغربية الوحيدة التي حظيت بعنايته واطمأن إلى صداقتها ، وكان ذلك من منطق الاشياء والظروف منذ مطلع القرن العشرين إلى عام (١٩١٩ م.).. وفي هذا العام، أخذ شيء من الشك يحوك في صدر عبد العزيز بسبب انحياز البريطانيين إلى خصمه ، يومئذ ، الشريف حسين ، في أعقاب معركة « تربه » .

.. ثم عادت الصداقة سيرتها الأولى ، بعد الاستيلاء على الحجاز واعتراف بريطانيا بملكية عبد العزيز وعقدها معه معاهدة « جدّة » على أساس الاستقلال التام .

وفي عام ١٩٣٣ أخذ جو العلاقات بين المملكة وبريطانيا يتجهم ، بسبب الاختلاف على الحدود و « البريمي » ، وبلغ هذا التجهم ذروته عام ١٩٥٥ حين استولت بريطانيا على واحة البريمي بالقوة ..

قطع العلاقات مع بريطانيا

وفي عام (١٩٥٦) اشتركت بريطانيا في العدوان الثلاثي على مصر ، فأسرعت السعودية إلى قطع علاقاتها معها ، قال الفيصل ، في حديث له (عام ١٣٧٧ هـ .) :

(لقد ساءت العلاقات بين حكومة جلالة الملك والحكومة البريطانية ، على أثر نقض الحكومة البريطانية لاتفاقية التحكيم واعتدائها على منطقة البريمي والمناطق الاخرى المتنازع عليها والواقعة في الجنوب الشرقي من المملكة ، وكانت حكومة جلالة الملك تعمل بالطرق السلمية لحل هذه المشكلة ، ولكن كانت كل مساعيها بدون جدوى ، ثم قامت بريطانيا وفرنسا وراء اسرائيل بالاعتداء على مصر فوجدت حكومة جلالته لزاما عليها ، دفاعا عن المصالح العربية وتأييدا للضمان الجماعي ، أن تقطع علاقاتها السياسية مع بريطانيا وفرنسا ، وأن تمنع تزويدهما بالبترول .

ولما أوقف عدوان بريطانيا على مصر وانسحبت قوات المعتدين عن الأراضي المصرية ، زال السبب المباشر الذي قطعت العلاقات من أجله .

ولكن هناك أعتداء بريطانيا آخر لا يزال قائما في البريمي والمناطق الاخرى المتنازع عليها ، فاذا حلّ هذا الخلاف بسحب قوات العدوان البريطانية .. وحل الخلاف على هذه المناطق بطريق التحكيم الذي تعتبره حكومة جلالة الملك لا يزال قائما ، أو بطريقة حل أخرى يتفق عليها ، اذا تمّ ذلك فلا مانع لدى الحكومة العربية السعودية من أعادة علاقاتها مع بريطانيا) .

استئناف العلاقات

وفي عام ١٩٦٣ استؤنفت العلاقات الديبلوماسية بين السعودية وبريطانيا ، فانتقدت ذلك الصحف المصرية ، فرد عليها (الفيصل) في إحدى خطبه الشعبية ، في شيء من التهكم اللاذع ، قال :

(كنا — كما تعلمون — قد قطعنا العلاقات مع الحكومة البريطانية ، حين الإعتداء على قناة السويس ، في سبيل مصر

وبعد أن سوّيت مسألة مصر ، طلبنا من الحكومة البريطانية أن تحلّ مشكلة الحدود بيننا وبينها ، ورفضنا أن نعيد العلاقات قبل حل هذه المشكلة .

ولكن شقيقتنا مصر ، التي قطعنا العلاقات مع الأنكليز ، من شأن خاطرها ، سبقتنا إلى أعادة العلاقات معهم ، وهي تعلم أن بيننا وبين الأنكليز مشكلة الحدود والبريمي ، ولم تكلف الحكومة المصرية نفسها — حتى من باب المجاملة — أن تسألنا رأينا في ذلك .. فصبرنا ، وقلنا ، بالاصطلاح المصري : « معليش برضه » ! .. في سبيل الأخوة !) .

الزيارة الملكية لبريطانيا

أخذت الحكومة السعودية ، بعد إعادة العلاقات مع بريطانيا ، تستخدم بعض الفنيين والخبراء البريطانيين في المملكة ، وتعاقدت مع بعض الشركات البريطانية الكبرى وأوصت على طائرات وأسلحة .

وفي عام ١٩٦٧ قام جلالة الملك فيصل بزيارة بريطانيا ، بناءً على دعوة رسمية، فاستقبله الانكليز ، ملكة وحكومة وشعبا، استقبالاً منقطع النظير ، وكان ذلك إيذاناً « بتدشين » عهد جديد من الصداقة والتعاون بين المملكتين ، ولكننا لا نعتقد أن بريطانيا قادرة على استرجاع محلها الاول في المملكة العربية .

وها نحن نورد الآن الخطابين المتبادلين بين ملكة انكلترا اليزابيت الثانية وبين جلالة الفيصل ، ثم نتبعهما بمقتطفات من خطاب وزير الخارجية البريطانية ، خلال زيارة الفيصل العظيم لبريطانيا :

خطاب ملكة انكلترا

أرحب بجلالتكم في هذه البلاد باسم الشعب البريطاني كصديق عزيز نعتز بصداقته ، ولقد اتيحت عدة مناسبات لوالدي استقبلكم فيها في لندن وإني مسرورة لاستقبالكم هذا المساء كصديق قديم وعزيز نيابة عن الشعب البريطاني .. ومما يزيد من سروري قيام جلالتكم بزيارة بريطانيا لأول مرة وأنتم ملك للمملكة العربية السعودية . وإن زوجي لا يزال يذكر بالشكر الحفاوة التي قابله بها والدكم في السعودية عام ١٩٥٠ وكذلك الترحيب الحار الذي استقبلتموه به في عام ١٩٦٥ .

ان جلالة والدكم هو الذي بنى المملكة العربية السعودية، ووحد شعبها بشجاعته ، ودبلوماسيته الحكيمة وهو الذي أشاع السلام في ربوع بلادكم ، وإن رخاء بلادكم وتقدمها يعود الفضل فيه إلى صفاته الفذة وحنكته السياسية

اننا في بريطانيا ننظر إلى تقدم بلادكم بكل اعجاب وتقدير واننا نعترف بصفة خاصة بالانجازات البارزة التي حققها جلالتكم بقيادة المملكة العربية السعودية في ظروف صعبة للغاية من التغيير والتطور الذي لا بد لأي بلد أن يمر به في هذا العالم الحديث .

وان جلالتكم كذلك حارس مقدسات الاسلام ، الدين الذي يتبعه حوالي ربع سكان الكومنولث . وإن التسامح الديني كان ولا يزال التقليد المتبع في الكومنولث . وإن الحاجة للدين في العصر الحاضر أكثر من أي وقت مضى للشعوب المؤمنة بربها ، لتستطيع مساعدة ودعم بعضها في وجه كثير من التيارات والتأثيرات الشريرة .

إن ظروف التاريخ الغامضة قد تركت لبريطانيا مسؤوليات خاصة في شبه الجزيرة العربية وان الظروف والأحوال قد تغيرت ، ولذا فأننا نعترف بالحاجة الكاملة لاجراء بعض التعديلات المناسبة وعلى كل حال فأن السبيل أمام اجراء هذه التعديلات يعتبر سبيلا شاقا ولكن رغبتنا الملحة تبقى في اجراء هـــذه التعديلات بالطرق السلمية وبطريقة تضمن مصالح شعوب وأقطار المنطقة .

ان سياستنا صريحة وشريفة وإننا دوما نسعى إلى التعاون مع الصادقين وإننا ندرك ان هذه الامور متصلة اتصالا وثيقا باهتمام جلالتكم وإنني أرغـــب مخلصة في أن يعمل بلدانا دائماً بثقة وتفاهم متبادلين .

ان السنوات الاخيرة قد شهدت نهضة ملحوظة وتطورا بارزا في اقتصاديات المملكة العربية السعودية . ويعود الفضل في ذلك إلى حد بعيد للحكمة الـــتي اتبعتموها في استخدام عائدات الزيت التي لا حدود لها . ولقد جرت تحسينات عظيمة على الزراعة والمواصلات والصحة والتعليم لما فيه صالح للشعب السعودي وإنني مسرورة من أن الصناعة البريطانية قد استطاعت أن تلعب دورا في هذا التطور .. وان التجارة المزدهرة والتعاون التجاري الفعـــال واستمرار تبادل الطلاب والخبراء تعتبر أسسا ثابتة تقوم عليها صداقات الشعوب وتزدهـــر .

انني وزوجي وجميع سكان هذه الجزر نرحب بجلالتكم كصديق وكبطل قومي وسياسي عالمي . وانني أرجو لكم ولشعبكم دوام السرور والســـلام والازدهار برعاية الله سبحانه وتعالى الذي يرعانا جميعا).

نص خطاب جلالة الملك فيصل

وقد رد جلالة الفيصل على خطاب الملكة، بكلمة سامية قال في مطلعها :

(صاحبة الجلالة اسمحوا لي ان اتقدم إلى جلالتك بعظيم الشكروالامتنان لما تفضلتم به من عبارات كريمة لا تصدر الا عن خلق كريم ان هذه الفرصة السعيدة تعيد إلى ذكراي المرات العديدة التي ساعدني الحظ فيها بزيارة بلدكم العظيم. لقدكان لي الحظ أن تعرفت إلى جدك العظيم وكذلك إلى والدك الراحل العظيم، وها أنا ذا الآن أتعرف على جلالتك والسرور يملأ نفسي اغتباطا بهذه المناسبة السعيدة. ان العلاقات الوطيدة بين بلدينا وشعبينا والتي أسسها جلالة

المرحوم الملك عبد العزيز هي من أهم الروابط التي تربط بيننا لقد مضى على هذه العلاقات ما يزيد قليلا عن نصف قرن وكانت هذه العلاقات على مر السنين تزداد نموا واضطرادا ولو انه لسوء الحظ في بعض الاحيان يشوب هذه العلاقات شيء من الفتور أو الاضطراب ، ولكن هذه الخلافات مهما كانت لم تؤثر على الاساس المتين من العلاقات التي تربط بين البلدين والشعبين .

انه من المشهور عن بلدينا وشعبينا ايمانهم بالله وتمسكهم بهذا الايمان ، وان العلاقات التي تبنى على الايمان والعقيدة الراسخة هي أمتن العلاقات التي يمكن أن تدوم .

وانه لمن دواعي سرورنا أن نرى بريطانيا في عهدها الحاضر تتجه الاتجاه الصحيح في محاولة اعطاء الشعوب حريتها واستقلالها ومساعدتها على الاحتفاظ بهذه الحرية والاستقلال ، وان هذا الاساس المتين الذي يربط بين بريطانيا وبين الشعوب العربية لهو حرى بأن يزداد قوة ومتانة في سبيل خير الجانبين وخير البشرية . وحينما أقول البلاد العربية لا أخص بها المملكة العربية السعودية لوحدها ولكنني أقصد كل الشعوب العربية ، وهذا طبعاً لمن يريد أن يسير في الطريق الصحيح .

أننا في عصر اليوم نتعرض إلى تيارات وإلى هزات تتجاذب العالم لمصالح ولاتجاهات مختلفة ، ولكن علينا في هذه الاحوال أن نتحصن بحسن النية وبالقوة وبالصبر لمواجهة هذه الاخطار واني لعلي يقين أن جلالتكم وحكومتكم وشعبكم لا تريدون الا الخير والحرية للجميع ولهذا السبب وفي هذا الاتجاه فنحن نرحب كل الترحيب بالتعاون المثمر بين بلدينا فيما فيه خير الطرفين وفيما تعود فائدته للبشرية .»

وختم جلالته كلمته قائلا :

وإني لا تفوتني الفرصة بأن أتقدم إلى جلالتك وإلى حكومتك وإلى الشعب البريطاني العظيم على حسن الاستقبال الذي لقيناه منذ وطأنا بلدكم العظيم في هذا اليوم. واني في ختام كلمتي لادعو الله سبحانه أن يوفقنا جميعا بل والبشرية أجمع إلى السعي لما فيه خير العالم وخير حاضرنا ومستقبلنا . »

كلمة وزير الخارجية

أقام وزير الخارجية البريطانية ، مستر براون ، مأدبة عشاء على شرف الفيصل ، حضرها كبار الساسة والعسكريين البريطانيين ، وألقى خلالها وزير الخارجية كلمة ترحيب بجلالة الملك فيصل ، ومما جاء فيها :

ان جلالتكم قد استهدفتم في سياستكم خير المنطقة وازدهار شعوبها بكل تصميم واصرار .

ان صوت المملكة العربية السعودية قد أصبح مسموعا في جميع انحاء العالم ليس بسبب حجمها أو ثروتها الطائلة ولكن لان جلالتكم قدم لها القيادة والتصميم الواعي الذي يعترف به الكثير في منطقة الشرق الاوسط بالشكر والتقدير .

وان علاقات بريطانيا بالمملكة العربية السعودية تعتبر مثلا رائعا في وضع الخلافات بين الدول جانبا عندما تريد استثمار المصالح المشتركة العميقة فيما بينها وتصميمها على تطوير تلك المصالح لما فيه خيرها جميعا .

ان زيارة جلالتكم الراهنة لبريطانيا تعتبر خطوة أخرى في تحسين العلاقات وتنسيقها بيننا وبينكم في كافة الميادين وانني يا صاحب الجلالة لا أتكلم هنا عن الميدان السياسي فقط ولكنني أشير أيضا إلى الميادين التجارية والتبادل الثقافي وميادين أخرى كثيرة يمكن لبلدينا أن تستغلها لتوثيق العلاقات بينهما وتطويرها .

جواب جلالته

وقد رد جلالته على تحية (براون) بمثلها ، وأعرب عن شكره لما لقيه من حفاوة الشعب البريطاني ، وعالج طائفة من القضايا العربية باختصار ، ثم قال :

« يا صاحب المعالي .. حينما نعلن عن تعاوننا وصداقتنا وعلاقاتنا الطيبة ، فلسنا نقصد من وراء ذلك الاضرار بالغير أو التعدي على الغير أو اصطناع مشاكل تعقد أمور البشر ..

كل ما نطمع اليه هو أن يتمتع كل شعب وكل بلد بحريته واستقلاله وأمنه واستقراره ، وأن تتاح لكل بلد الفرصة ليبني مستقبله بيده ، وبالتعاون مع أصدقائه . » .

العلاقات مع امريكا

توطئة

لم يكن للولايات المتحدة الأمير كية أي تدخل في سياسة الشرق الأوسط ، قبل الحرب العالمية الأولى

وكان « الوجود » الأمير كي في الشرق يتجلّى في بعثات تبشيرية وثقافية وخيرية وأعمال تجارية محدودة ، وخصوصاً في لبنان ..

وكان العرب يحبون الأمريكان ، لأنهم ثاروا على الانجليز ، مستعمريهم القدامى ، وأعلنوا في دستورهم مباديء كريمة ، وأقاموا للحرية تمثالاً ضخماً جداً ، يحمل في يده مشعل نور ..

وقد تغنّى أمين الريحاني بتمثال الحرية الأمريكي ، وتمنّى أن يدير وجهه نحو الشرق !

.. واستجاب تمثال « الحرية » للنداء ، فرأينا الرئيس ويلسون ، بعد الحرب العامة ، يعلن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ثم رأينا مستر كراين يفد إلى سورية ، على رأس بعثة أمير كية ، فيدرس ميول السوريين ومطالبهم ويقرّر أنهم لا يريدون حماية الانكليز ولا وصاية الإفرنسيين ، وإنما يريدون الحرية والإستقلال الكاملين ، فإن كان لا بُدَّ من مساعدة أجنبية ، في أول الأمر ، فلتكن مساعدة أمريكا ، البعيدة عن المطامع الإستعمارية ! .

وكان صباح ، وكان مساء .

فإذا « الصهيونية » تجرّ الأمريكان إلى مساندتها ضد العرب ..

وفي عهد الرئيس روزفلت ، وخصوصا بعد اللقاء التاريخي بينه وبين الملك عبد العزيز ، ثم في عهد الرئيس « ايزنهاور » ، خلال معارك السويس ، أيد الأمير كيون حق العرب ، وعرف لهم العرب الأحرار ذلك .

ولكن موقف أمريكا الجديد من العدوان الاسرائيلي الجديد ، أدخل على النفوس شيئا عظيما من الاستياء والمرارة .

أمريكا والمملكة السعودية

لعل من أعجب الاشياء أن اتفاقية « التمثيل السياسي والقنصلي والتجارة والملاحة » التي عقدت بين أمريكا والسعودية عام ١٩٣٣ ، قد عقدها وزير السعودية المفوض في لندن مع سفير الولايات المتحدة هناك ، مع أن الاسلوب الطبيعي هو أن تعقد في واشنطن أو جدة .. وهذا وحده يدلنا على ضعف العلاقات السعودية الأمريكية في ذلك الوقت !

والواقع هو أن أمريكا لم تعن بالمملكة إلا بعد ظهور البترول ..

والملك عبد العزيز نفسه لم يكن يهتم بأمريكا ... لأنه كان يرى أمامه ، وفي جواره ، أنكلترا وحدها ، وكانت عنده أعظم الدول وأدهاها . لأنها لم تعرف الهزيمة في تاريخها الطويل ، وأما أمريكا .. فكانت بعيدة ولا مصالح لها في الشرق !

.. وكان الملك على حق !

وكان الملك على حق ، بعد ذلك أيضاً ، حين غيرّ رأيه في أنكلترا قليلاً أو كثيراً ، بعد تعاقده مع شركات البترول الأمريكية ، وبعد اجتماعه بالرئيس روزفلت ، وأخيراً ، بعد خروج أمريكا من الحرب العالمية الثانية قوية عزيزة ، تتزعم العالم الحر ، بينما خرجت منها أنكلترا ضعيفة ، منقوصة الهيبة والسمعة .

التمثيل السياسي

في عام (١٩٤٢) أرسلت أمريكا إلى « جـدّة » أول وزير مفوض أمريكي ، مقيم في المملكة ، وهو « جيمس موز » ، وأما قبل ذلك فكان يمثل المصالح الأمريكية لدى المملكة الوزير الأمريكي المقيم في مصر !

ولم ترفع أمريكا درجة تمثيلها في المملكة إلى مرتبة سفارة الا عام ١٩٤٩ فجعلت وزيرها في جدّة « ايفس تشايلد » سفيرا ، ثم أخذت ترسل ممثلين لها برتبة سفير .

حقيقةالعلاقات السعودية مع أمريكا

المصالح البترولية الضخمة التي تملكها الشركات الأميركية في المملكة ، بالاضافة إلى مركز المملكة الكبير في العالمين الاسلامي والعربي ، جعلتها

موضع عناية خاصة عند الولايات المتحدة الامريكية ، ولا يعني ذلك أن المملكة تضع نفسها تحت النفوذ الأمريكي ، وانما يعني وجود مصالح متبادلة بين الدولتين وقيام تعاون بينهما يعود نفعه على الطرفين ، وهذا أمر لا يستنكر ..

ولكن خصوم المملكة المغرضين أحبوا ، في فترة من الزمن ، أن يثيروا قصة مطار الظهران .. ليزعموا أن المملكة جعلته قاعدة عسكرية استراتيجية لأمريكا .. وأنها دخلت مع الأمريكان في محالفة ضد الاتحاد السوفياتي وأنها تتلقى منهم المساعدات لهذا السبب ..

وها نحن نبحث في هذه المزاعم .

مطار الظهران

لنعترف ، بكل صراحة ، أن المملكة العربية السعودية لم تكن تملك مطاراً صالحاً لهبوط الطائرات قبل انشاء الأمريكان لمطار الظهران ، ولم تكن لديها الإنشاءآت والتجهيزات الفنية الحديثة الضرورية للطيران .. ولا الخبرة الفنية ، فقبلت الإتفاق مع الأميركيين على إنشاء مطار في الظهران ، لقاء تسهيلات محدودة يستمتعون بها خلال مدة محدودة ، وقد استطاعت الحكومة السعودية أن تحصل من الاميركيين ، بسبب مصالحهم البترولية في المملكة وبسبب مطار الظهران نفسه ، على فوائد مقابلة لذلك .

لقد أوضح (الفيصل) طبيعة العلاقات القائمة بين السعودية وأمريكا ، فقال إنها علاقات صداقة ، لما بينهما من المصالح الإقتصادية المشتركة ، ولكنه وضع النقط على الحروف حول قصة « مطار ظهران » التي أراد بعضهم استغلالها لانتقاد سياسة المملكة نحو أمريكا ، فقال منذ عام ١٣٧٧ :

(تودحكومة جلالة الملك أن تعلن أنه لا توجد في الظهران قاعدة أمريكية ، وأن مطار الظهران مطار سعودي وقاعدة سعودية .

وكل ما للحكومة الامريكية في هذا المطار ، هو تسهيل المرور لبعض الطائرات وللتموين بالوقود .

ليس هذا المطار مقراً لأية قوات عسكرية .

كما أنه ليس مخزناً لأية أسلحة حربية من أي نوع كانت ، كما أنه غير مسموح بمرور الأسلحة والذخائر الحربية فيه .) .

انهاء اتفاقية الظهران

وفي عام ١٩٦٣ أصبح مطار الظهران ملك المملكة العربية السعودية وحدها وأنهيت الاتفاقية التي كانت معقودة مع الأمريكيين واستمرت عشر سنوات تقريباً ، لم تشك المملكة خلالها من أية محاولة أمريكية للإخلال بسيادتها أو تجاوز حدود الاتفاقية .

إيزنهاور والعدوان على مصر

ساءت العلاقات بين العرب وأمريكا في عهد الرئيس ترومان ، الـذي خلف الرئيس روزفلت ، وتعصب لإسرائيل ، ولما تولى (أيزنهاور) الرئاسة ، قابله الأمير فيصل ، في شهر آذار من عام ١٩٥٣ — أي في آخر أيام والده المغفور له الملك عبد العزيز — وتحدث اليه في القضايا العربية ، وصدر عـن البيت الأبيض بلاغ رسمي عن هذه المقابلة ، جاء فيه ما يأتي :

«استقبل الرئيس صاحب السمو الملكـي الامير فيصـل وزير الخارجية العربية السعودية اليوم في البيت الابيض ، وقد بحث خلال الاجتماع أمور ذات أهمية متبادلة للبلاد العربية السعودية والولايات المتحدة ، وقد أعرب الرئيس عن سروره العظيـم بفرحة المقابلة مع مثل هذا المندوب البارز المتميز لدولة تتمتع الولايات المتحدة بعلاقات خاصة وثيقة معها ، كما عبر الرئيس عن قلقه لبعض الدلائل على حدوث تدهور مؤخرا في العلاقات بين الامم العربية والولايات المتحدة وقد ذكر الرئيس انه سيكون هدفه الثابت للعمل على اعادة روح الثقة التي كانت تتسم بها هذه العلائق من قبل ، وهو يرجو أن يكون الزعماء العرب محفوزين بنفس هذا الغرض ، وقد أشار الرئيس الى الروابطالقوية الكثيرة من علمية وثقافية التي تمت بين العالم العربي والولايات المتحدة وعلى مـر عشرات السنين وذكر الرئيس أنه متيقن من أن هذه الروابط قد اعتبرت أساسا من الثقة الحسنة يمكن الابقاء عليه خلال السنوات المقبلة للمصلحة المشتركة المتبادلة وكذلك أكد الرئيس اهتمامه الشخصي العظيم برفاهية وتقدم البـلاد العربية السعوديـة والبلاد الاخرى في الشرق الادنى .

ثم طلب من الامير فيصل أن يبلغ تحياته القلبية الى جلالة الملك عبد العزيز . »

موقف أمريكا من العدوان

وعند وقوع العدوان الثلاثي على السويس ومصر ، وقف الرئيس الأمريكي موقفاً كريماً ، قدّره له العرب ، ولم يكن هذا الموقف غريباً عن المساعـي

السعودية ، بصورة خاصة .

مبدأ أيزنهاور

رأى الرئيس أيزنهاور أن النفوذ الشيوعي السوفياتي يتوسع كثيراً في الشرق الأوسط ، وخاف على المصالح الأميركية وعلى الحضارة الغربية كلها من ذلك فأحب أن يقف في وجهه،فاستصدر من الكونغرس الأمريكي قانوناً عـرف باسم « مبدأ أيزنهاور » ، وهو يقوم على الأساسين الآتيين :

أولاً – استقلال دول الشرق الأوسط وسلامتهم أمر حيوي بالنسبة للولايات المتحدة وللسلام العالمي .

ثانياً – للرئيس الأميركي أن يستعمل القوى المسلحة الأميركية لمساعدة أية منطقة في الشرق الأوسط تطلب هذه المساعدة لمقاومة عدوان مسلح تقوم به منطقة خاضعة للشيوعية الدولية .

ويستطيع الرئيس الأميركي أيضاً إعطاء المناطق المعرضة للخطر الشيوعي مساعدات اقتصادية وعسكرية وله أن ينفق لهذا الغرض حتى (٢٠٠) مليون دولار ، وذلك دون استشارة الكونغرس .

أيزنهاور والملك سعود

وقد قام الملك سعود بزيارة الرئيس أيزنهاور ، فطلب منه أن يتوسط بين أمريكا والدول العربية للتعاون والاستفادة من مبدأ ايزنهاور ، فقبل القيـام بهذه الوساطة .

ولكن « الدعاية » المصرية سبقت الملك سعود إلى الرأي العـام العربي وأشاعت انه تلقى « هدية » ضخمة جداً من الرئيس الأميركي ، وأن هـذه الوساطة تقضي على فكرة « الحياد الإيجابي » التي يجب على الدول العربيـة اعتناقها لضمان مصالحها العليا ، وأن الاتفاق مع أمريكا كان يكون مقبولاً لو أنه كان موجهاً ضد اسرائيل .. لا ضد الشيوعية الخ .. الخ ..

وقد أخفق الملك سعود فعلاً في وساطته ، ونشأت بينه وبين الرئيـس المصري عداوة كبيرة ، كان من بعض مظاهرها مؤامرة «السراج» التي أشرنا إليها في مكان آخر .

تجهيز السعودية بالسلاح والمعدات

على أن رحلة الملك سعود إلى أمريكا قد نشأ عنها اتفاق سعودي أمريكي ، تعهدت فيه أمريكا بتجهيز الجيش السعودي بالسلاح والعتاد والطائرات والتدريب ونحو ذلك ، كما مددت اتفاقية مطار الظهران خمس سنوات أخرى .

بين فيصل وكندي

اجتمع فيصل بالرئيس الأمريكي كنيدي ، عند نشوب أزمة اليمن عام ١٩٨٢ ﻫ وكان الفيصل يومئذ وزيرا لخارجية المملكة ورئيس وفدها إلى منظمة الأمم وممثلها في اجتماع وزراء الخارجية العرب في نيويورك .

وقد صدر عن البيت الأبيض البلاغ الآتي :

(في أعقاب الزيارة التي قام بها سمو الأمير فيصل للرئيس كنيدي ، عقد صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ، ولي عهد المملكة العربية السعودية ، والرئيس كنيدي ، محادثات خاصة في الخامس من أكتوبر الحالي ، وجرت بينهما محادثات صريحة ودية حول العلاقات السعودية الأمريكية والوضع الدولي .

ان سمو الأمير فيصل والرئيس جون كنيدي على ثقة من أن هذه الفرصة ستؤدي إلى زيادة التفاهم المشترك بين المملكة السعودية والولايات المتحدة .)

رسائل فيصل وكندي

أعقب اجتماع فيصل وكنيدي تبادل كتابين رسميين بينهما .

وقد لوحظ أن الرئيس « كنيدي » لم يذكر في كتابه اسم الملك سعود اطلاقا ، وقد فسر بعضهم هذا الاهمال بأنه نتيجة لشعور كنيدي بأن السلطة الحقيقية ، في المملكة ، أصبحت في يد الفيصل وأن آمال البلاد معلقة عليه .

ولوحظ أيضاً أنه يتحدث عن تطور المملكة وعن احتياجها إلى الاستقرار لتمضي قدماً في سياستها البناءة ، وأن أمريكا مستعدة لمؤازرة المملكة مؤازرة تامة في المحافظة على سلامة كيانها .

أفيعني ذلك أن أمريكا تتدخل في شئون الدولة السعودية ؟ كلا !

ذلك أن كتاب الرئيس كنيدي إلى فيصل إنما يصور أو « يعكس » صدى الآراء في تلك الأيام ، فقد كان بعضهم يزعم إن (اليمن) متأخرة لا تقوم حكومتها بأي إصلاح ، ولذلك جاء المصريون إليها ليصلحوها .. فأراد الرئيس

كنيدي أن يظهر للملأ بوضوح أن هذه الحجة لا ترد مطلقاً بالنسبة إلى المملكة السعودية ، وما دامت هذه المملكة ، تحت قيادة فيصل الحكيمة ، تسير في طريق التقدم ، فإن كل محاولة أجنبية لتعويق نهضتها والعدوان عليها ستقابل ، من ناحية الولايات المتحدة الأميركية ، بالاستنكار والمقاومة .

فإذا فكر الشيوعيون ، مباشرة أو بواسطة حلفاء لهم ، أن يعتدوا على المملكة ، فبوسع المملكة أن تعتمد على مؤازرة الولايات المتحدة ..

رسالة كنيدي

وهذه رسالة « كنيدي » إلى الفيصل :

(يا صاحب السمو ،

في الوقت الذي تنهضون فيه سموكم بالمسؤليات الجديدة والمهمة ، لدى عودتكم إلى البلاد العربية السعودية ، أرغب في أن أستذكر زيارتكم للبيت الأبيض في ٥ أكتوبر ، فلقد ذكرت لكم حينذاك وأود أن أكرر الآن أن البلاد العربية السعودية تستطيع أن تعتمد على صداقة الولايات المتحدة وتعاونها في تصريف المهام العديدة التي تمثل أمام بلادكم في الأيام المستقبلة .

ان للولايات المتحدة أهتماما عميقا ومقيما في استقرار البلاد العربية السعودية ، وتقدمها ، وإنني واثق من أن البلاد العربية السعودية ، بقيادتكم الحازمة والحكيمة ، ستمضي قدماً وبنجاح في جادة التطوير العصري والإصلاح اللذين ترغبون فيهما رغبة واضحة أي وضوح ، ففي اتباعكم هذا السبيل لكم أن تكونوا على ثقة من مؤازرة الولايات المتحدة مؤازرة كلية في الحفاظ على سلامة كيان المملكة العربية السعودية .

إنني على تمام العلم بأنكم كي تبلغوا أهدافكم ينبغي أنيتوفرلكم الهدوء الذي لا غنى عنه والذي يتمثل في جو خال من المهاترات والتحريضات من الداخل أو من الخارج وإنني أشاطركم قلقكم من أجواء التوتر المخيمة على المنطقة والتي تعرقل خططكم لتقوية الجهاز الحكومي والكيان الإجتماعي في البلاد العربية السعودية ، وكما أبلغتكم في واشنطن فأن الولايات المتحدة راغبة في أن تكون ذات عون على إيجاد وسائل لتخفيف هذه التوترات .

والذي أراه لبلدينا في المستقبل ، ليس هو مجرد الإستمرار في العلاقة الودية التي بدأت تلك البداية الخيرّة في عهد والدكم المجيد جلالة الملك الراحل عبد العزيز ، بل إنني أرقب انفتاح فصل من العلاقات السعودية الأمريكية ، تكون فيه العروة التي تربط بيننا من تعهد كل منا مصالحه تعهداً مستنيراً مثبتة تشبيتاً وثيقاً بولائنا المشترك لما للإنسان من حقوق راسخة في تحقيق الذات والتقدم والحرية .

انني أتمنى لكم النجاح ، وأبعث اليكم بأحر اعتباراتي الشخصية ، كما أرجو الله أن يحفظكم ويحفظ الشعب السعودي ،وأن يمنحكم السلام من لدنه.

بإخلاص : التوقيع : جون ف . كنيدي .

رسالة الفيصل إلى كنيدي

(حضرة صاحب الفخامة الرئيس جون كنيدي — رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . واشنطن . دي . سي .

فخامة الرئيس .

١ — تلقيت نص الرسالة البرقية التي تفضلتم بتوجيهها إلي ، والتي قدم لي نصها سعادة سفيركم بجدة بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٦٢ م .

٢ — ان فخامتكم قد أعدتم إلى الاذهان في هذه الرسالة ، الزيارة التي كان لي فرصة القيام بها للبيت الأبيض في ١٥ أكتوبر الماضي ، والتي ذكرتم لي أثناءها — ووكدتم ذلك من جديد في رسالتكم الأخيرة — أن المملكة العربية السعودية تستطيع الإعتماد على صداقة الولايات المتحدة في اضطلاعها بمختلف الأعباء التي ستواجهها في المقبل من الأيام ، ذلك بأن الولايات المتحدة تحرص على أن يسود الإستقرار والتقدم في المملكة العربية السعودية .

٣ — ولقد تفضلتم بالاعراب عن ثقتكم بأن الحكومة التي أرأسها ستمضي قدما في الأخذ بالنظم العصرية والاصلاحات التي هي ضالتنا المنشودة ، وبأننا في سيرنا نحو هذه الأهداف نستطيع الاعتماد على مؤازرة الولايات المتحدة في الحفاظ على سلامة كيان المملكة العربية السعودية .

٤ — ثم أبنتم فخامتكم أن بلوغ هذه الأهداف يقتضي إشاعة جو من الهدوء والطمأنينة لا تعكر صفوه حملات معادية أو اتهامات واستفزازات سواء من

الداخل أو من الخارج ، وأضفتم أنكم تشاطرونني القلق بالنسبة لحالة التوتر التي تحيط بالمنطقة ، والتي من شأنها تعطيل ما عقدنا عليه العزم من تقوية في نظام الحكم في بلادنا والسير بمجتمعنا في مدارج التقدم ، ، ثم أشرتم إلى ما صرحتم لي فخامتكم به أثناء أجتماعنا ، بواشنطن ، من أن الولايات المتحدة راغبة في استنباط الوسائل المؤدية إلى تخفيف حدة هذا التوتر .

٥ ــ ولقد عبرتم فخامتكم عما يخالج صدركم من أنكم تعقدون الآمال ــ لا على مجرد استمرار العلاقات الودية بين بلدينا فحسب ــ تلك العلاقات التي بدأت بداية مثمرة في عهد المغفور له والدي الملك عبد العزيز ــ بل وعلى افتتاح عهد جديد في العلاقات الأمريكية ــ السعودية ، تتميز بأن تكون الرابطة ، التي تربط بين البلدين ، قائمة على تعهد كل منا لمصالحه ، تعهداً مستنيراً على أساس من الإيمان الراسخ بما لبني الإنسان من حقوق أكيدة في أن يحققوا قابلياتهم في الرقي والحرية .

٦ ــ وإنني إذ أبادر بالإعراب لفخامتكم عن شكري العميق على ما تضمنته رسالتكم من مشاعر المودة والنوايا الصادقة نحو بلادي ومن تمنيات طيبة نحو تقدمها ونهضتها ، وكذلك على ما تفضلتم بابدائه نحو شخصي من عبارات كريمة ، أود أن أعيد إلى ذاكرتكم أن تعهد وتوطيد علاقات المودة والتعاون بين الولايات المتحدة وهذه البلاد ــ منذ أن أرسى والدي أسسها ــ كان ولا يزال محل اهتمامنا وعنايتنا ، ولقد كان من دواعي سروري أن تؤكدوا عزمكم في رسالتكم لي ، وأثناء اجتماعنا في البيت الأبيض ، على المضي قدماً نحو توطيد هذه العلاقات وزيادتها توثقاً ورسوخاً ، ونحن من جانبنا لا ندخر أي جهد في سبيل إقامة العلاقات على أساس الادراك الواعي للمصالح الحقيقية لكل من البلدين لخيرهما المشترك ، ومن أجل هذه الغاية ستمضي حكومتي نحو توثيق علاقات الصداقة والمودة التقليدية ونحو زيادة وتنمية أسباب التعاون المثمر ، في كافة الميادين بين البلدين .

٧ ــ ولقد قدرنا لفخامتكم إدراككم لخطورة ما يسود المنطقة من جو متوتر وما يفتعلها من اتهامات ومشاحنات عقيمة لا تؤدي ، في تقديرنا ، لغير بعثرة

الجهود البناءة المثمرة ، ولغير تحويل الإنتباه عن القضايا الأصلية لشعوب هذه المنطقة : ألا وهي مكافحة التخلف ورفع مستوى السكان واستغلال كافة طاقاتهم وزيادة دخلهم القومي وتزويدهم بمؤسسات ديمقراطية يستطيعون في ظلها التعبير عن ذاتهم وأمانيهم وآمالهم في حرية بناءة تستهدف ادراك قابليتهم في مختلف الميادين .

ونحن على ثقة أنه لا يخامر المنصفين أي شك في أننا لم يكن لنا أي نصيب في إهاجة هذه الحملات وإثارة هذه الإتهامات والمجادلات ، وليس أحب إلى نفوسنا ونحن نبدي شديد أسفنا لهذه الحالة من ازالة أسبابها واقتلاع جذورها. وأيــاً كان الأمر ، فنحن ماضون في تنفيذ ما عقدنا عليه العزم من تزويد بلادنا بمؤسسات حديثة للحكم تناسب بلادنا وتلتئم مع مزاجها وينعم المواطن في ظلها بحقوقه الإنسانية الأساسية وبادراك ذاته واستخلاصه قابلياته لخيره وخير المجتمع الذي يعيش فيه ، كما نحن ماضون في تنفيذ سياستنا الإصلاحية الشاملة التي يعود نفعها على طبقات الشعب جميعاً ، وفي سبيل إدراك هذه الغايات سنعتمد على جهودنا الذاتية وعلى طاقاتنا الكامنة في المقام الأول . لكن مجتمع اليوم أصبح وثيق الترابط وقد زالت حدوده أو كادت ولذلك سنلجأ لمعونة الدول الصديقة لإمدادنا بخبراتها وبماضي تجاربها ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية .

ولن تثنينا عن المضي في هذه السياسة الإصلاحية الشاملة أية عقبات بالغة ما بلغت ، ولو أننا نأمل مخلصين أن تزول العوامل التي تضطرنا إلى تكريس حظ كبير من جهودنا ومواردنا للدفاع عن كياننا ضد ما يوجه إلينا من محاولات وحملات للنيل منا ، حتى نوجه كل إمكانياتنا وطاقاتنا للعمل الإنشائي البناء .

وفي الختام أكرر لفخامتكم شكري على رسالتكم وعلى ما تضمنته من عبارات وتمنيات طيبة لخير بلدينا والإنسانية جمعاء ، ويطيب لي أن أبادلكم نفس الشعور والآمال .

وأنتهز هذه الفرصة لأجدد الإعراب لفخامتكم عما أرجوه لكم من صحة وهناء ، ولمستقبل علاقات بلدينا من نمو مثمر وازدهار وبناء .

المخلص : فيصل .

المساعدات الأمريكية

حاول بعضهم أن يصور العلاقات القائمة بين أمريكا والسعودية في صورة غير مستحبة للنيل من كرامة المملكة ، فقالوا انها تتلقى من أمريكا المساعدات لتؤيد سياستها وتتابعها في كل شيء ..

والحقيقة هي أن أمريكا قدمت إلى المملكة خلال الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها بعض المؤن والمعونات ، كما فعلت مع أكثر بلدان الشرق الأوسط ، ولكن المملكة كانت أسرع البلاد الشرقية إلى الإستغناء عن هذه المعونة المحدودة وغير المشروطة ، وقد اعترف بذلك مستر هوارد ، في كتابه « سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأدنى » ، وفسر عمل المملكة الذي انفردت به دون غيرها بأنه حركة عزة قومية ، واستقامة ، فالمملكة أصبحت قادرة على تموين نفسها وسداد احتياجاتها منذ عام (١٩٥٣) .

قد يقال لاعتراض على المعونة المذكورة ، وإنما يتوجه المعترضون بانتقاداتهم إلى المساعدات الأخرى التي تتخذ طابعاً حربياً وتكون مجانية، لتحكم السيطرة الأمريكية على البلاد التي تقبلها .. .

وهنا نترك للفيصل نفسه أن يناقش هذه الأقوال بصراحته المعهودة .

قال الفيصل ، في احدى خطبه أثناء أزمة اليمن :

أيها الإخوان :

قالوا عنا إننا التجأنا إلى الأمريكان، فما هو التجاؤنا إلى الأمريكان وما معناه؟ إذا كان الإلتجاء إلى الأمريكان هو المساعدات فهم الذين يأخذون المساعدات من الأمريكان ونحن لم نأخذ شيئاً ، وإذا كانت المساعدات هي التي تفرض الإستعمار على البلد فإذاً يجب أن نعتبر مصر مستعمرة لكل دول العالم ..

أما ما ينسبونه إلى الأمريكان فليس هناك خلاف ما رأيتموه .. لقد عرضت علينا أمريكا صداقتها ومعاونتها فقبلنا ذلك.قبلنا الصداقة والمعاونة غير المشروطة. لم نستلم من الأمريكان مساعدات . استوردنا الأسلحة من أمريكا ودفعنا قيمتها علمنا أبناءنا في أمريكا ودفعنا مصاريفهم .

لدينا بعض الفنيين يعملون في الجيش وفي سلاح الطيران ونحن نتحمل قسماً من مصاريفهم .

أيها الإخوان لسنا ممن يعمل الإتفاقيات السرية ولسنا ممن يعمل وراء الستار ، فكل ما بيننا وبين الأمريكان هو الكتاب الذي بعثه الرئيس كنيدي إلي وجاوبته عليه ، وقد نشر في الصحف واطلعتم عليه .

أيها الإخوان إذا كان الإستعداد كمعاونة يعتبر استعماراً فأرجع إلى ست سنوات مضت حين حوادث السويس حينما تكلم خروشوف وهدد الإنكليز والفرنسيين بأنه سيتدخل إذا لم يوقفوا اعتداءاتهم على مصر فهل تعتبر مصر مستعمرة لروسيا ؟

أمس الماضي اعلن ناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية أنه إذا تعرضت الهند لهجوم آخر من الصين فان السلاح الجوي الأمريكي والإنكليزي سيدافعان عن الهند، فهل تعتبر الهند مستعمرة؟ نحن لن نصل إلى هذا الحد ولن يدافع عنا أحد، ولكن عرضت علينا صداقة ومساعدة فقبلناهما، فهل يعتبر هذا استعماراً ؟

موقف الفيصل من السياسة الأمريكية

موقف الفيصل من السياسة الأميركية مستمد من مباديء سياسته العامة ، فهو ينتقدها ويقاومها كلما اتجهت إلى معاداة العرب ، ولكنه لا ينكر عليها أعمالها الحسنة ، ولا يصر على معاداتها إكراماً لعيون « الشيوعية » كما يفعل آخرون ، لأنه غير ملتزم نحو أحد ؛ وهو فوق ذلك متحرر من عقدة «النقص» والخوف .. فإذا رأى في التعاون مع الأميركيين أو غيرهم من الغربيين خيراً لبلاده ، لم يتردد في ذلك ، ضمن حدود المصالح العربية العليا .

ولقد أكسبته هذه « الواقعية » ، المقترنة بالتمسك بالمثل العليا وعدم التفريط بشيء من حقائق السيادة والحرية ، مقاماً عظيماً في الغرب والشرق ، رأينا آثاره في تصريحات المسؤولين وكتب المؤلفين ومقالات الصحف .

زيارة الفيصل للولايات المتحدة

وقد زار جلالة الملك فيصل ، في مايو ١٩٦٦ الولايات المتحدة تلبية لدعوة رسمية ، وقوبل فيها بحفاوة عظيمة جداً ، من الحكومة والشعب ، باستثناء ما كان من تظاهر اليهود في « نيويورك » ضده ، وهو أمر لا يستغربه الفيصل لأنه يكره اسرائيل وله تاريخ طويل جداً في مقاومتها على كل صعيد .

خطابا الفيصل وجونسون

وها نحن ننقل نص الخطابين اللذين ألقاهما الرئيس الأمريكي جونسون ترحيباً بالملك فيصل، وجلالته في الردعليه. وكذلك خطاب وزير الخارجية الأميركية (دين راسك) في الترحيب بالفيصل ، أمام أعضاء « الكونغرس » الأمريكي ورد الفيصل عليه .

كلمة جونسون

يا صاحب الجلالة :

« **أهلاً وسهلاً بكم** » وإن يكن لفظي لهذه العبارة الترحيبية العربية غير صحيح إلا أنها تنم عن الحرارة والإخلاص اللذين نرحب بهما بجلالتكم في بلدنا .. لقد انتظرنا طويلا هذه الزيارة الملكية وإنه لمما يشرفنا أنكم بيننا في هذا اليوم ضيفاً علينا . إنني عالم بأنك لست بغريب يا صاحب الجلالة في بلدنا فقد زرتها للمرة الأولى في عام ١٩٤٣ عندما كنت ضيفاً على الرئيس الراحل روزفلت في وقت كنا فيه في حرب كونية ضد العدوان وإنني متأكد بأنكم أحسستم عندئذ في تلك الأيام المظلمة بتكريسنا التام ، بتكريس هذه الأمة وهذا الشعب ، لقضية الدفاع عن الحقوق البشرية وعن كرامة الفرد وعن الحرية والاستقلال لجميع البلدان .

وإنكم أنتم أيضاً يا صاحب الجلالة قد أسهمتم اسهاماً بالغا في تعزيز هذه المباديء باشتراككم في عام ١٩٤٥ بمؤتمر سان فرانسيسكو الذي قامت بعده منظمة الأمم المتحدة .

ومن بين العلاقات القائمة بين بلدينا أنناتعاونامعا فيسبيلالأمم المتحدةدفاعاً عن السلام وعن التقدم والرفاهية .

ومنذ تلك الأيام المثيرة لقد زرتم بلادنا بصفات كثيرة مراراً عديدة .

إن هذه الزيارات ، أنا متأكد بأنها أعطتكم إدراكاً عميقاً للمشاكل التي نواجهها ولما نبذله من مساع في سبيل التغلب عليها وقد أعطتنا الفرصة لكي نستفيد من حكمتكم وأن نتعلم منكم .

إن بلادكم يا صاحبالجلالة، **تحت حكمكم الرشيد قد أحرزت خطوات واسعة في سبيل التقدم والنجاح** . لقد بنيت طرق وتوفرت أسباب وسائل الصحة

وبنيت مدارس جديدة ووسائل تعليمية أصبحت متوفرة للشبيبة السعودية . إن كل هذا ليشهد شهادة واضحة بما أحرزتموه من نجاح في عهد حكمكم وقد تتبعنا كل ذلك بكثير من الإعجاب والإهتمام ونحن الأمريكيين فخورون بأن نكون قد لعبنا دوراً في تنمية المملكة العربية السعودية ومن هذا التعاون قد نشأ الاحترام المتبادل بين حكومتينا وبلدينا . إن علاقتنا بالمملكة العربية السعودية طويلة ووثيقة وعلاقات ودية ولقد امتازت على مر الزمن بالمودة والصداقة والإخلاص والصراحة إننا نعيش في عالم متبدل ولكننا نؤمن بالتبدل بالطريقة السلمية وبهذه الطريقة فقط يمكن للانسان أن يكرس مواهبه المعطاة له من الله في سبيل حل مشاكل البشرية .

يا صاحب الجلالة اننا سعيدون جداً بان تكونوا بيننا في هذا اليوم، إنه يوم عظيم بأن يكون بيننا زعيم محترم حائز على اعجاب شعبه والشعب الأمريكي . إن الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي يرحبان بجلالتكم وأنا واثق بأنكم ستلقون أن القول المأثور العربي الذي يقول «إن بيتنا هو بيتكم» سينطبق في هذه المناسبة وإنني أرحب بكم وأرجو أن تكون المحادثات بيننا مثمرة ناجحة ، في الأيام المقبلة .

جواب الفيصل

يا صاحب الفخامة ،

إنه ليسرني أن أتقدم إلى فخامتكم ببالغ الامتنان والشكر على ما تفضلتم به من عبارات إن دلت على شيء فإنما تدل على ما لفخامتكم من مكانة عظيمة وروح طيبة وشعور نبيل، إنه في الوقت الذي تفضلتم فخامتكم وقلتم بأنكم انتظرتم هذه الزيارة وقتا طويلا فإنني كذلك من ناحيتي كنت منتظرا لقاء فخامتكم لما لفخامتكم من المكانة ليس في أمريكا فقط وإنما في العالم أجمع .

يا صاحب الفخامة إننا نلتقي معكم فيما تفضلتم فيه من أمل في إيجاد عالم يسوده السلام والرخاء وتسوده المحبة والعلاقات الخيرة . لقد تفضلتم فخامتكم فذكرتم في خطاب لكم في مايو الماضي وقلتم إنكم تريدون مجتمعاً تحترم فيه كل أمة حقوق الأمة الأخرى ويرفرف عليه السلام . إنني أؤكد لفخامتكم

أننا متفقون معكم في هذا الإتجاه تمام الإتفاق .. إننا في هذه الأيام التي يتجاذب العالم فيها عدة تيارات وعدة مشاكل نريد عالماً تسوده الحرية ، يسوده السلام ، يسوده التعاون ، تسوده المحبة . لقد فرضت علينا هذه التيارات وهذه الإتجاهات أن ندافع عن مبدأ الحرية ومبدأ الإستقلال ومبدأ الخير والاستقرار في العالم أجمع ، إن هذا الدفاع يفرض علينا أن نؤمن بالله قبل كل شيء ، وبعد ذلك أن نسلك خير السبل لتمكين هذا العالم وهذه الشعوب من أن تعيش بسلام واستقرار ومحبة .

إنني — كما تفضلتم فخامتكم — لست بغريب عن هذه البلاد ، وقد لمست في هذا الشعب وفي مسؤوليه ، من أول زيارة قمت بها ، محبتهم وإيمانهم بالحرية والاستقرار والخير للجميع ، ومنذ ذلك الوقت سعيت بكل ما في طاقتي بأن أقرب بين الشعب الأمريكي وبين الشعوب العربية أجمع ،ولله الحمد قد نجحت بعض النجاح وإن كان يسود العلاقات العربية الأمريكية في بعض النواحي في هذه الأيام ما يسودها ولكنني مطمئن إلى أن النتيجة ستكون بحول الله وقوته تعايشاً بين العرب وأمريكا على ما فيه خير الجميع ، اننا إذا سرنا في طريق إيجاد سلام يقوم على الحق والعدالة ويشجب الإعتداء واغتصاب حقوق الغير فإننا سنصل بحول الله إلى نتيجة سلمية .

يا صاحب الفخامة لقد تفضلتم وأشرتم إلى ما نقوم به في بلادنا من محاولة لإيجاد سبل الخير والتقدم لشعبنا إن ما نقوم به يا صاحب الفخامة لا نزال نراه غير كاف لما نتطلبه ولما يطمح اليه شعبنا من تقدم ورفاه ورخاء ولكننا نسير في طريقنا حسب إمكانياتنا وقدرتنا وإننا لنرجو مخلصين أن نصل إلى الغاية التي يصبو إليها شعبنا في أقرب وقت ممكن وإنه ليسعدني يا صاحب الفخامة أن أكون وزملائي ضيوف فخامتكم وضيوف الشعب الأمريكي الصديق . وإنني لارجو كما تفضلتم فخامتكم أن تسفر مباحثاتنا في الأيام القليلة القادمة عما فيه خير لشعبينا وللعالم أجمع إن شاء الله . وأجدد شكري لفخامتكم على ما لقيناه في هذا الإستقبال الكريم من حفاوة وتكريم .

كلمة دين راسك

صاحب الجلالة :

أصحاب السمو والسعادة والمعالي واعضاء الكونجرس أيها السادة :

إن الرئيس جونسن قد أعرب في هذا الصباح عن سرورنا الفائق العظيم في استقبالنا إياكم في هذا اليوم إنه لمما يشرفنا أن تحلوا ضيوفاً بيننا .

إنكم خير ابن لأب كريم إن الاسم الذي تحمله يكنى عن شيء حاد ، ولقد خدمتم بلادكم بشجاعة واستقامة . بدأتم هذه الخدمة الجليلة عندما كنتم في السن الرابعة عشرة من عمركم .

إننا نقدر لجلالتكم ذلك الصوت الذي رفعتموه عالياً في القضايا الدولية وأيضاً في قضايا تهم شعب بلادكم . إن ما عملتموه وما أحرزتموه من نجاح في ميادين الثقافة والمرافق العامة وفي رفع مستوى بلادكم وشعبكم الذي يبلغ عدده بين الستة والسبعة ملايين لمما يشهد على حكمتكم واستقامتكم وأعمالكم الجليلة وهذا ما نقدره فيكم كل التقدير . إن الولايات المتحدة تعتبركم صديقاً مخلصاً لها وهي كذلك تكن لكم كل الصداقة وإنني أود أن أؤكد لجلالتكم ، أن أملنا وهدفنا هو استقلال واستمرار استقلال بلادكم وسلامتها وازدهارها في المستقبل . كما اننا نأمل أن الزعامة التي مارستموها لحد الآن تستمر ليس فقط بين إخوانكم العرب والمسلمين وإنما أيضاً في مختلف أنحاء العالم .

رد جلالة الملك

أصحاب المعالي المحترمين أعضاء الكونجرس والنواب أصحاب السعادة أيها السادة يسرني أن أعبر عن عظيم شكري وامتناني لما تفضل به معالي وزير الخارجية من عبارات كريمة صدرت عن إخلاص وشعور كريم شريف وإنني لاتقبل بكل سرور ما تفضلتم به عن ما يربط بين بلدينا وشعبينا من صداقة وتعاون بني على حب للحق وتقدير للعدل وزغبة في رفاه الشعوب وسعادتها . إننا يا معالي الوزير لا نقصد أن نكون معتدين ولا نقصد أن نغمط حق فرد أو جماعة ولكننا في نفس الوقت لن نقبل ولن نرضى بأن نكون هدفاً للاعتداء لأن الرغبة في السلم والرغبة في الإصلاح ليس معناها الخور عند الحاجة إن ما

تفضلتم به وذكرتموه عما نقوم به في بلادنا من سعي لإصلاح شؤون البلاد وأهلها والنهوض بالمرافق الهامة فيها فإن ذلك نعتبره من أقدس واجباتنا واقل ما يمكن أن نقدمه لبلادنا ولشعبنا ما دمنا ندعي لانفسنا بأننا نخدم شعبنا وبلادنا بإخلاص وإننا لعلى يقين من أنه إذا اهتم كل مسؤول أو كل قائد في أي بلد كان بشؤون شعبه وباصلاح بلده وبالنهوض بمستويات المعيشة في بلده فإن في ذلك ما يشغل وقته عن أن يمد يده أو نظره إلى أن يتدخل في شؤون غيره أو يؤذي غيره . وإننا يا معالي الوزير في بلادنا نحمل لهذا البلد الصديق كل صداقة آملين أن يكون من وراء هذه العلاقات ما فيه خير للدنيا وللبشرية أجمع وان نكون قدوة للعاملين في الخير المبتعدين عن النوايا الشريرة والتحدي لمقدسات الغير أو مصالحهم أو احترامهم وإننا يا صاحب المعالي في دعوتنا إلى التقارب الإسلامي بين الشعوب الإسلامية لا نقصد من وراء ذلك حمل العداء لغير المسلمين ولا نقصد من وراء ذلك مصالح خاصة أو زعامات مزيفة ولكننا نقصد قبل كل شيء أن نخدم ديننا وأن نؤكد إيماننا بالله سبحانه وتعالى ونحن ندعو غيرنا من جميع الأديان السماوية أن تتعاون مع إخوانهم المسلمين فيما يصلح البشرية وما يصلح العالم في وقت أصبحت فيه التيارات الهدامة تتجاذب الناس وتأخذهم يمينا وشمالا وتهدم فيهم ، في اقتصادياتهم وفي معنوياتهم وفي كرامتهم وتسلب الفرد كرامته كإنسان خلقه الله ليعمل وأن يكون كريما ..
إنني يا صاحب المعالي في ذكري لهذا أريد أن يكون معلوماً بأننا في دعوتنا لا نستهدف من وراء ذلك لا مطمعاً شخصياً ولا مطمعاً مادياً وإنما نستهدف الخير للجميع ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم علينا نعمة خدمة ديننا وأمتنا وشعبنا والرقي بهم في مدارج الصلاح والرفعة التي نحن في أشد الحاجة إليها .
وإنني أكرر شكري وامتناني لما تفضلتم به من عبارات فياضة تحمل في طياتها كرم محتدكم وتحمل كذلك أماني ورغبة الشعب الأميركي في إدامة هذه العلاقات بين بلدينا وشعبينا التي نرجو ان نجني من ورائها الخير ليس لنا فقط كما قلت ولكن لجميع البشر بحول الله وقوته والسلام عليكم .

كلمة الرئيس جونسون :

وألقى الرئيس الأمريكي جونسن الكلمة التالية في حفل العشاء الذي أقامه فخامته على شرف جلالة الملك :

صاحب الجلالة .

إن حضوركم هنا في هذا المساء يذكرنا بأواصر الصداقة الوثيقة القائمة بين بلدينا، ان هذه العلاقات المتينة أنشأها رجلان اثنان من أبرز الزعماء الذين أنجبتهم بلادكم وبلادنا هما المغفور له والدكم الملك عبد العزيز بن سعود والرئيس الراحل فرانكلين روزفلت . كان اجتماعهما عام ١٩٤٥ حدثاً تاريخياً عظيماً ولقد وضعا أسس التفاهم والتعاون بين بلدينا .. تلك الأسس الوطيدة التي ما زالت راسخة حتى الآن وستبقى كذلك والتي ستكون بلا شك مرشداً لنا في المستقبل .. كان همهما وكانت أهدافهما أن يحسنا أوضاع شعبيهما وأن يحفظا لشعبيهما بركات السلام والإزدهار مع أن الظروف والأوضاع تبدلت فإننا نسعى اليوم وراء الأهداف ذاتها بالنشاط ذاته الذي تميزت به جهودهما .

إن اجتماعنا الأول اليوم زاد إدراكي للمشاكل المتشابهة التي تجابهها بلدانا

إنني يا صاحب الجلالة من جزء من هذه البلاد يشبه إلى حد بعيد بلادكم ومشاكل المياه وقلتها وإمكانية توفرها عن تحويل مياه البحر إلى مياه حلوة هي مشاكل تجابهونها أنتم في بلادكم يقال إن كل شيء كائن مفيد مخلوق من الماء أو ناتج عن الماء وإننا نسعى عن طريق الوسائل التكنولوجية الحديثة أن نوفق إلى تحلية مياه البحر وتحويلها إلى مياه صالحة للشرب وقد بلغنا أن حكومتكم قائمة الآن ببناء مصنع كبير في بلادكم لتحلية مياه البحر وجعلها صالحة للاستعمال ونحن راغبون كل الرغبة في التعاون معكم في سبيل تحقيق هذه المشاريع الهامة . إننا نسعى إلى توفير وسائل التربية والتعليم في بلادنا للشبيبة وتوفير كل ما يحتاج إليه هذا الشعب ، هذا ما تسعون أنتم أيضاً في سبيله . إننا متطلعون ومعجبون كل الإعجاب بما قد أحرز في بلادكم في ظل حكمكم الرشيد وتحت رعايتكم الحكيمة ، إن الضيوف الذين حضروا هذا العشاء المقام على شرف جلالتكم في هذا المساء يمثلون الطرق المختلفة التي

تعتمدها بلادنا في التعاون على حل هذه المشاكل التي نتجه لحلها برفع مستوى شعبنا وينتفع الجميع منها . إنني أدرك يا صاحب الجلالة أن الحلول التي نتوصل إليها لهذه المشاكل التي ذكرتها ليست دائماً متشابهة فهناك فوارق بيننا يفرضها علينا التاريخ والعادات والتقاليد والأوضاع الجغرافية التي تضطرنا أحياناً إلى اتخاذ مواقف متباينة مختلفة إلا أنني متأكد أنه يمكننا أن نتعلم وأن نستفيد من هذه الفوارق وأن نستخدمها في سبيل مصلحة البلدين إن احترامنا المشترك لكرامة الفرد وللحرية وإيماننا الحي بالقيم الروحية يشكلان حجر الأساس للعلاقات التي قامت بيننا فيما مضى وكذلك ستكون في المستقبل وإن وجود جلالتكم بيننا وأنتم معروف عنكم أنكم تناصرون هذه المباديء العليا مما يجعلنا سعيدين جداً ، ونغتنم هذه المناسبة لنرحب بكم أجمل ترحيب نرجو أن تكون إقامة جلالتكم بين ظهرانينا إقامة ممتعة وموفقة ومما حصل اليوم فإننا نعتقد كل الإعتقاد بأنك ستترك معنا أكثر مما سنأخذ منكم . يا صاحب الجلالة والآن أدعو أصدقائي الذين حضروا من مختلف أنحاء البلاد أن يشتركوا معي في شرب نخب جلالتكم وأنتم يا صاحب الجلالة حاكم عظيم ورجل حكيم وصديق وفي) .

كلمة جلالة الملك

صاحب الفخامة :

اسمحوا لي أن أؤكد لفخامتكم سروري وامتناني لما لمسته على أثر محادثات اليوم من نوايا طيبة وتفكير ناضج يستهدف الخير والسعي إلى تحقيقه ترك في نفسي أكبر الأثر لما لفخامتكم من فكر صائب وشخصية فذة تفكر وتسعى وتنفذ لما فيه خير المواطن وخير الجميع بصورة عامة . إن ما تفضلتم به يا فخامة الرئيس من بدء هذه العلاقات بين بلدينا على أيدي الرجلين العظيمين فخامة الرئيس روزفلت وجلالة الملك عبد العزيز لقد ذكرني بالأدوار التي مرت على هذه العلاقات منذ أكثر من واحد وعشرين سنة إلى الآن. إن هذه العلاقات لحسن الحظ التي وضع أسسها الرجلان العظيمان تقدمت وتتقدم في هذه الفترة من حسن إلى أحسن . إنه وإن كان في هذه الفترة التي مضت كما يحدث عادة شيء من الخلاف في الرأي فإن هذا ليس معناه أنه يؤثر على الأسس

التي بنيت عليها هذه العلاقات لأن هذه الأسس بنيت على اخلاص في الإتجاه وأمانة في العمل لخير الجميع ولذلك فإنه مهما اختلفت الآراء فإن هذه الأسس لن يطرأ عليها أي تعديل . إنني لمقدر كل التقدير ما تفضلتم به فخامتكم من تأكيد للتعاون بيننا فيما فيه خير البلدين والشعبين . ومن ضمن ذلك محاولة إيجاد طرق لسد النقص الذي نعانيه في بلادنا كما تعانيه بعض الأجزاء في بلادكم وهو نقص الماء وهذه الناحية كما تفضلتم يا فخامة الرئيس قد ذكر القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حي)، فبدون الماء لا يمكن أن تكون حياة . وإننا يا فخامة الرئيس لنجد صعوبات في تنفيذ ما نرغب في تنفيذه في بلادنا ولكن أشد هذه الصعوبات وضعاً هو نقص الماء لأن طبيعة البلاد جعلتها في حالة ينفد فيها هذا المصدر الهام من مصادر الحياة . وان في تعاوننا فيما بيننا أملا عظيماً في أن نوجد لهذا الإشكال حلاً يؤمن للشعب في المملكة العربية السعودية أو في الولايات المتحدة قضاء حياة رحبة حياة طيبة يتمتع فيها كل فرد بحاجته في الحياة . إنني يا فخامة الرئيس بعد أن تفهمت نواياكم واتجاهاتكم فيما تعملونه لصالح الشعب ولمستقبله يجعلني أنظر إلى فخامتكم بما تستحقونه من تقدير وإكبار حينما تسعون لصالح المجموعة أكثر مما تسعون لصالح نفسكم . وإننا يا فخامة الرئيس حينما ذكرتم ما نقوم به في بلادنا ولشعبنا فإننا نمثل النظرة التي تفضلتم بشرحها وايضاحها وأملنا بالله أن نصل جميعاً إلى ما نصبو إليه من خير للجميع يتمتع فيه كل فرد بما يحتاج إليه من معيشة وكرامة وأمن ودعة . وإنني لأشكر لفخامتكم إتاحة هذه الفرصة للتعرف على مختلف الهيئات ومختلف الشخصيات التي لها مركزها ولها قدرها ولها جهودها فيما تعمله لبلادها ولصالح الجميع إن شاء الله .

وإنني في هذه اللحظة أكرر شكري وتقديري لفخامتكم لما أحطتموني به من عناية كريمة وما لمسته من شعور فياض يدل على ما تحملونه من قلب كبير ورأي ناضج وعزم صادق في تحقيق الخير والبركة وأشكركم يا فخامة الرئيس وأشكر الحاضرين .)

البريمي [1]

ما هي قضية البريمي ، التي ملأت الدنيا وشغلت الناس .. وانعقدت لهـا المؤتمرات ، وقامت الوساطات ، وتشكلت هيئة تحكيم ، وأثيرت فضائـح وحملات ، وكادت تقع بسببها حرب بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا العظمى ؟

ليست واحة البريمي ، في الحقيقة ، الا جزءا من أزمة الحدود التي نشبت عام ١٩٣٣ م . بين المملكة وأنكلترا ، ولكن اسمها طغى على الأزمة كلها ، وليس ذلك مستغربا ، فهي بيت القصيد .. لأنها على صغر حجمها وبعد موقعها على طرف الربع الخالي ، تؤلف قطعة غالية من التراث السعودي ، الوطـني والعاطفي .

البريمي والبترول

لقد تحدثنا عن « البترول » ، وجوانبه الخيرّة ، وقلنا انه لا يخلو من جوانب سيئة .. ومن جوانبه السيئة : هذا الخلاف الذي قام بسببه بين المملكة وبريطانيا — ١ — .

---

(١) جاء في كتاب (عرض البريمي) الذي اصدرته الحكومة العربية السعودية ان المنطقة المتنازع عليها تقارب (٧٣٥٠٠) كم٢ تقع جنوب الخليج الفارسي ، بين شبـه جزيرة قطر غربا وشبه جزيرة روس الجبال شرقا ، وهي في اغلبها جافة مجدبة ، ما عدا واحات صغيرة ، فيها نخيل وزرع .

وتطالب المملكة العربية السعودية بالشاطيء الجنوبي للخليج العربي ، شرقا من نقطة على الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة قطر (خط العرض الشمالي ٢٤ درجة و٤٨ دقيقة) الى نقطة تقع بين المرفأ وبندر المغيراء (ومن النقطة الاخيرة شرقا يتكـون الساحل الجنوبي للخليج من ارض لا تدخل النزاع الحالي)

اما (منطقة البريمي) ، كما تصفها اتفاقية التحكيم ، فهي دائرة تشمل حوالـي (١٩٨٥)كم٢ ويبلغ نصف قطر الدائرة حوالي ٢٥ كم .

كان الملك عبد العزيز شديد الحرص على إعطاء الإنكليز امتياز البترول في بلاده ، ولكن الأنكليز لم يقدموا إليه عروضاً مقبولة ، فاضطر الى التعاقد مع الأمريكان ..

وكان مستشارو الملك يتعجبون من مداراته للأنكليز ، ولكنهم أدركوا ، فيما بعد ، سر هذا الموقف ..

فالملك لم يفضل الأنكليز لأنهم « أصدقاؤه القدامى » ، ولكنه أراد أيضاً إتقاء « دسائسهم » ..

وقد حدث ما كان يخشاه ، وما كان يكتمه في نفسه عن مستشاريه ..

فلم تمض أشهر على توقيع اتفاقية البترول مع الأمريكيين عام (**١٩٣٣**) حتى جاء وزير بريطانيا المفوض في جدة (سير أندرو ريان) ، الى وزارة الخارجية السعودية متأبطاً شراً .. أعني مذكرة من حكومته ، تقول فيها إنها قدمت الى الحكومة الأمريكية ، بناءً على طلبها ، صوراً عن الإتفاقات المعقودة بين أنكلترا وتركيا قبل الحرب العالميةالأولى بشأن الحدود بين نجد والبـــلاد المجاورة ..

ذلك أن أتفاقية البترول بين المملكة العربية السعودية والشركات الأمريكية تنص على أن الأراضي التي يشملها الامتياز في المنطقة الشرقية من المملكة ، تمتد من حدودها الشرقية الى الحافة الغربية من الدهناء ومن الحدود الشمالية الى منتهى الحدود الجنوبية للمملكة الخ ....

فأحبت أمريكا أن تعرف موضع هذه الحدود بين المملكة وبين جاراتها في الشرق والجنوب ، أي عمان ومسقط وأبو ظبي وقطر ، اللائي تمثلهن انكلترا بحكم وصايتها المفروضة عليهن ، ففتحت أنكلترا جعبتها الإستعمارية العتيقة ، وأخرجت منها « خريطة » رسم عليها (خط أزرق) ، هو خط الحـــدود المزعومة بين نجد من جهة وبين قطر وسائر المحميات البريطانية من جهة ثانية !

.. « الخط الأزرق » !

كلمة فوجىء بها الملك عبد العزيز ، فهو لم يسمع في حياته بهذا الخط .. ولما قيل له ان تركيا وافقت عليه عام (١٩١٣) .. أجاب : ان الحكومة التركية لا تملك حق الكلام باسم نجد ، فقد كانت نجد دولة مستقلة وهي وحدها تملك حق تقرير مصيرها وتعيين حدودها ، والدولة البريطانية نفسها اعترفت عام (١٩١٥) باستقلال نجد وملحقاتها ، في الحدود التي ستعين فيما بعد .. ووصفتها بأنها « ممالك ابن سعود وممالك أجداده السابقين » !

ولم يذكر في هذه المعاهدة خط أزرق .. ولا أسود !

.. وأجابت الحكومة السعودية على المذكرة البريطانية برسالة تستنكر فيها « خطاً » لا تعرفه ولا تقرّه ، وتوضح أن للمملكة حدوداً « متعارفة » منذ عهود الأجداد والآباء ، فإذا كانت هناك رغبة في تعديلها فيجب أن يتمّ ذلك باتفاق حر نزيه بين المملكة والبلاد المجاورة لا بالدعاوى المصنوعة والخطوط الموهومة !

ولم يمر وقت طويل على رسالة المملكة ، حتى عاد وزير بريطانيا المفوض الى مقابلة الملك عبد العزيز ، وحمل اليه رد حكومته على الرسالة السعودية ، فقال ما خلاصته :

(ان الحكومة التركية كانت تملك شرعيا البقاع العربية التي تمّ تحديدها ، (بالخط الأزرق)، بينها وبين أنكلترا ! ..

ولا تستطيع الحكومة السعودية اليوم أن تتحدث عن ممالك الأجداد السعوديين ، فقد يوصلنا ذلك الى تجاهل استقلال عمان ومسقط والغاءحدودهما.

وأجابه الملك عبد العزيز ، وهو يتكتّم غضبه :

(.. الأتراك لم يكونوا في الإحساء والقطيف أصحاب حكومة مشروعة ، وإنما كانوا غاصبين ، وقد أخرجتهم من بلادي بقوة السيف ..

.. والحكومة التركية لم يكن لينفذ حكمها خارج سور الإحساء .. ولم تكن متنفذة حتى على الطريق بين العقير والحساء ..

.. وقطر وعمان وكل تلك النواحي هي ملك آبائي وأجدادي ، وهم كانوا

يودون ، ولا يزالون يودون الإلتحاق بي ، ولكني سكت لعدم رغبتي في الشقاق بيني وبين الحكومة البريطانية .

إن أصحاب قطر وعمان يعلمون أنه ليس لهم حدود خارج قراهم ، والبادية من رعايانا ، منذ أول زمان الدرعية إلى اليوم !)

وأردف عبد العزيز قائلا :

(اني لا أطالب بقطر نفسها وعمان ، وان كانت تابعة لي من قبل ، ولا أريد المناقشة فيها ، نظرا لرغبتي في المودة مع الحكومة البريطانية ، ولكـني أطلب الانصاف في ما وراء ذلك !)

وتحدث الملك عن قبائل آل مرة ، وطاعتهم لآل سعود ، ثم قال ، وهو يشير الى منطقة « البريمي » خاصة :

(نعم ، سبق أن خرجت « الرياض » من أملاكنا ونفوذنا وأخذها ابن رشيد ، وأخذ الأتراك الأحساء والقطيف ، أما هذه القطعة فلم يملكها عربي ولا عجمي غيرنا ..

ولا يوجد إنسان يريد أن يعتدي على تلك القطعة من بلادنا ، إلا إذا كان يريد رقبتي هذه ! — وأشار إلى رقبته، وأضاف :

القول بأن تلك القطعة تابعة لقطر أوعمان ، كالقول بأني .. أنا ابن سعود لست من آل سعود ، وإنما أنا .. من آل ثاني !

.. يمكن أن تذهب من أيدينا الأحساء ، وأما هذه فلا يمكن .. لأنها ملجأنا ومصدر قوتنا ومقر عرباننا ورعايانا وهجرنا !

ثم أنهى الملك كلامه ، قائلا :

لقد دُهشت عندما أطلعني (فؤاد) على خط الحدود الذي يخرج عنا نصف أملاكنا التي هي ملجأنا ، بعد الله ، في الملمات ، لأني لا أعلم شيئاً من هذا ولم أسمع به ..

ولم تتكلم الحكومة البريطانية به ، الا حينما أعطينا امتياز البترول للشركة الأمريكية ، وأي ذنب اقترفناه ؟ لقد عرضنا هذا الأمر على الحكومة البريطانية لتعرضه على شركاتها ، وقد اجبت أنت يا سير أندرو .. أن شركة عبادان وشركة شل لا ترغبان في أخذ الإمتياز ..)

والواقع إن قضية الحدود بين المملكة وأنكلترا إنما أثيرت بعد توقيع امتياز البترول ..

فالسعوديون يقولون ان البريطانيين أرادوا بسط سلطتهم على الأراضي السعودية على حدود قطر ومسقط وأبو ظبي ، وخصوصا المنطقة المعروفة باسم « البريمي » لأنها تحتوي ، كما يظن ، على مستودع كبير من البترول ، ولأنهم رادوا ، فوق ذلك ، الإنتقام من الملك عبد العزيز لترجيحه الأمريكان عليهم ..

وأما البريطانيون فيدّعون أن السعوديين هم الذين أرادوا انتزاع هذه المنطقة من المحميات البريطانية ، بعد أن ظهر عليها دلائل الثروة البترولية .. وأن البريطانيين لم يثيروا المشكلة وإنما أثارتها الشركات الأميركية التي أعطتها الحكومة السعودية امتياز البترول ، فقد جاء موظفوها على سيارات « جيب » وتوغلوا داخل أراضي مسقط وأبو ظبي بحثا عن البترول .. كأنهم « يتوهمون » أن مسقط وأبو ظبي داخلة في حدود امتيازهم ، فاضطرت الحكومة البريطانية الى تصحيح أوهامهم .. ووقفهم ، واعادتهم الى قواعدهم !

المفاوضات

جرت المفاوضات بين المملكة وبريطانيا للاتفاق على الحدود في المناطق المتنازع عليها ، لكن هذه المفاوضات المباشرة لم تصل الى أية نتيجة ، وأعلنت الحرب العالمية الثانية فتوقفت المفاوضات تماماً ..

وبعد انتهاء الحرب قام شيخا مسقط وأبو ظبي بمنح الشركات البريطانية امتياز استثمار البترول في اراضيهما ، فكان يلتقي أحياناً على نفس الأرض : منقبون وخبراء متنافسون — إن لم نقل متخاصمين وأعداء — وهم البريطانيون والأميركان .. بل حدثت بين الشركات البريطانية التي تحميها أنكلترا ، وبين الشركات الأميركية ، التي تحميها المملكة ، منازعات كان يخشى أن تؤدي الى أزمة شديدة بين المملكة وبريطانيا ، فاتفقتا على وضع حد للنزاع بالإتفاق على خط فاصل للحدود يقف عنده كل فريق ولا يتجاوزه !

خط الحدود السعودي

اقترحت الحكومة السعودية أن يكون تعيين الحدود على أساس إلحاق أراضي كل عشيرة بالبلاد التي تخضع إليها تلك العشيرة ، وعملاً بهذا الأساس رسمت خطاً للحدود بينها وبين قطر ، وخطاً للحدود بينها وبين أبو ظبي .

ولكن الحكومة البريطانية رفضت هذا الاقتراح . ! ..

وفي عام ١٩٥٠ أرسلت الحكومة السعودية عمالا لتحصيل الزكاة من عشائر منطقة البريمي ، فمنعتهم الحكومة البريطانية من ذلك ..

وتم الاتفاق أخيرا على تأليف لجنة مشتركة لتخطيط الحدود ، على أن يمتنع الفريقان المتنازعان خلال قيام اللجنة بعملها عن القيام بأى نشاط في المناطق المختلف عليها ..

مؤتمر لندن

وفي عام ١٩٥١ دعت الحكومة البريطانية وزير الخارجية السعودية الأمير فيصل ، الى لندن للمناقشة في الحدود البحرية ، بين المملكة ، والبحرين والكويت.

وقد انتهز الأمير فيصل فرصة زيارته للندن ، فاقترح على الحكومة البريطانية أن تتم تسوية سائر الحدود المتنازع عليها في مؤتمر يعقده زعماء البلاد المعنية حول مائدة مستديرة ، على أن تمتنع شركات البترول عن الدخول الى المناطق المختلف عليها حتى يتم الإتفاق ، وكذلك تبعد القوى المسلحة العمانية عن تلك المناطق !

وقبلت الحكومة البريطانية هذا الإقتراح ..

مؤتمر الدمام

انعقد مؤتمر المائدة المستديرة في الدمام في آخر يناير من عام ١٩٥٢ وحضره الأمير فيصل بنفسه ، وترأس الوفد البريطاني سر روبرت هاي ، المقيم السياسي في الخليج ، وكان يصحبه شيخ قطر وشيخ أبو ظبي .

طلب المندوب البريطاني ، باسم شيخ أبو ظبي ، أن يكون خط الحدود بين أبو ظبي والمملكة مبتدئا من « سوداء نيثل » حتى القريني .. حتى أم الزمول.

فردّ عليه الأمير فيصل رداً قوياً ، ودافع عن حقوق المملكة ، خلال

جلسات المؤتمر كلها دفاعاً مجيداً، ولو كان يتكلم أمام قضاة نزيهين، لربح القضية بقوة حجته، ولكن البريطانيين ما كانوا يصغون الا لصوت .. مصالحهم المادية .

ومن الأمور التي ظهرت خلال المؤتمر، وتستحق التقدير، أن حاكم قطر صرح بأنه يعتبر الملك عبد العزيز بمنزلة والده، ويقبل منه أن يرسم الحدود بين مملكته وبين قطر كيف يشاء !

وأغضب ذلك المندوب البريطاني، فأعلن أنه هو، لا الشيخ، يتكلم باسم قطر ويمثلها ..

.. فردّ عليه الأمير فيصل قائلاً : ليس البريطانيون أصحاب الأراضي المتنازع عليها .. وفي اعتقادي أننا تفاهمنا في لندن على عقد مؤتمر يقوم فيه حكام البلاد هم أنفسهم، بوصفهم أصحاب الشأن، بتقليب أوجه الخلاف فيما بينهم بروح المودة والحوار .

وفي آخر جلسات المؤتمر قال المندوب البريطاني إن المناقشات يجب أن تدور على اساس (الخط الاحمر) للحدود الذي اقترحه فؤاد حمزة عام (١٩٣٥) . ومعنى هذا انه لا يقبل مبدأ البحث في التخطيط الذي اقترحته الحكومة السعودية عام ١٩٤٩ .

فأجاب الأمير فيصل ان «الخط الأحمر» لا يمثل وجهة نظر المملكة، ولكنه سيعرض على جلالته الأمر ويتلقى تعليماته .

وتقرر في أعقاب ذلك تأجيل المؤتمر..

الغاء اتفاق لندن

نشطت الدعاية البريطانية في واحة البريمي بين شيوخ القبائل، ولكن «تركي ابن عطيشان»، الذي أرسله الملك عبد العزيز للإشراف على شؤون العشائر كان خبيراً بأساليب الدعوة، فقاوم الدسائس البريطانية، فأحنق ذلك السلطات البريطانية كثيراً، لأنها كانت ترى وراء تصرفاته تصميماً سعودياً على الاحتفاظ

بمنطقة البريمي، تابعة للملك عبد العزيز، كما كانت تابعة من قبل لأجداده. وقد اصطنع البريطانيون مزاعم كثيرة تمهيداً لنكولهم عن اتفاق لندن.

وفي نيسان من عام ١٩٥٣ قدم السفير البريطاني في جدة مذكرة الى الحكومة السعودية يقول فيها إن اتفاق مؤتمر لندن أصبح لاغياً، بسبب تصرفات الموظفين السعوديين في واحة البريمي، وإن بريطانيا وشيوخ المحميات استعادوا حريتهم في التصرف كما يريدون..

حوار شديد..

وأرفق السفير البريطاني المذكرة بكتاب وجهه مستر تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا، الى الملك عبد العزيز يعلن فيه عزم حكومته على القيام بتعهداتها نحو دول الخليج!

وأظهر تشرشل أسفه لأن ذلك سيسيء الى صديق عظيم، ولكن بريطانيا، في زعمه، لا تستطيع أن تترك اصدقاءها فريسة للقوة المعتدية! ..

راعي الايام السود

أما الملك عبد العزيز فقال للممثل البريطاني، بعد أن قرأ رسالة تشرشل:
(ان تشرشل يدعوني: «راعي الايام السود». ولكنه يجيء الآن ليطلب ارضي..) وذكر الملك موقفه خلال الحرب الى جانب بريطانيا، ثم قال:
(أين هذه الصداقة؟ اني لست مستعداً للتخلي عن شبر من أرضي!
.. تعالوا ودعونا نبحث المسألة كأصدقاء، لكي نحل المشكلة في ساعة واحدة على أساس: ما كان ملكاً لآبائي وأجدادي فهو ملكي الآن).

ويظهر ان الحكومة البريطانية التي أضاع صوابها ما تحصل عليه الشركات الأميركية من خيرات البترول السعودي، صممت على الاحتفاظ بمنطقة البريمي مهما يكلفها الأمر، فأمرت جنودها المسلحين بالدخول الى الواحة، وكانت تحميهم أسراب من الطائرات.

ولم يشأ الملك عبد العزيز أن يقابل التحديات البريطانية التي تحمل طابع «الغيرة» والحسد والطيش بتحديات مثلها، فكتب الى وزير الخارجية البريطانية مستر ايدن كتاباً يدعوه فيه الى وقف الأعمال العدوانية، حتى لا تضطر الحكومة السعودية الى رفع شكواها الى مجلس الأمن واتخاذ التدابير الحربية للدفاع عن حقوقها..

وأجاب مستر إيدن على برقية الملك مبرراً عمل حكومته ومظهراً استعداده لسحب القوات البريطانية من البريمي بشرط أن تسحب السعودية ابن عطيشان أيضاً..

اتفاقية التوقف

وأخيراً – بعد مفاوضات ووساطات – عقدت بين المملكة وبريطانيا اتفاقية دعيت «اتفاقية التوقف»، اشترك في وضع نصوصها الأمير فيصل والسفير البريطاني مستر بلهام، وخلاصتها:

– يبقى الطرفان في البريمي ويحتفظان بمراكزهما.. ولا يعززان قواهما . ويسمح لهما بتموين رجالهما هناك ويتوقف الطيران البريطاني فوق البريمي.

– يمتنع جميع الاطراف عن الأعمال المثيرة .

– تستأنف المباحثات بين السعودية وبريطانيا لحل المشكلة بالطرق الودية .

الاخلال بالاتفاقية

أخلت السلطات البريطانية غير مرة باتفاقية التوقف، فأدخلت موظفين مسلحين الى البريمي ومنعت التموين عن ابن عطيشان، فتبودلت الرسائل بين الملك وتشرشل وإيدن لوضع حد لهذه الحالة المؤسفة، وحققت الحكومة البريطانية للملك بعض مطالبه، ولكن هذه «الترضيات» المحدودة لم تكن هي الغاية، وإنما الغاية هي الوصول الى حل جذري للخلاف .

وقد توفي الملك عبد العزيز ، قبل أن تقر عيناه بتحقيق أمنيته في «البريمي» ولكنه لم ييأس منها قط ..

عرض الخلاف على التحكيم

بعد وفاة الملك عبد العزيز، استؤنفت المباحثات بين المملكة وبريطانيا لإيجاد حل سلمي لقضايا الحدود المختلف عليها ، فتم الاتفاق على عرضها على هيئة تحكيم، ووضع لذلك «صك تحكيم»، وقعه الامير فيصل، رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية، عن السعودية، والسفير البريطاني في جدة، عن بريطانيا العظمى بتاريخ ٢٩ ذي القعدة عام ١٣٧٣ هـ — ٣٠ يوليو عام ١٩٥٤ م.

يتألف صك التحكيم من عشرين مادة، ولكن المواد الأساسية هي المواد الأولى والثانية والرابعة، امـــا بقية المواد فتبحث في أساليب العمل وتقديم المذكرات، وهي أمور ثانوية .

هيئة التحكيم — تتألف — كما جاء في المادة الأولى — من خمسة اعضاء، يختار كل من الطرفين حكماً، ويختار هذان الحكمان الأعضاء الثلاثة الآخرين، واذا لم يتفقا على ذلك قام رئيس محكمة العدل الدولية باختيار الأعضاء المتممين للنصاب .

موضوع التحكيم — تقول المادة الثانية :

يطلب من هيئة التحكيم أن تقرر :

أ — موقع البلاد المشتركة بين البلاد العربية السعودية و(أبو ظبي)، فيما بين الخط الذي طالبت به الحكومة العربية السعودية في سنة ١٩٤٩ والخط المطالب به باسم أي به باسم أبو ظبي في مؤتمر الدمام في سنة ١٩٥٢ .

ب — السيادة في المنطقة الداخلة في دائرة مركزها قرية البريمي ويمر محيطها عبر نقطة تلاقي خط العرض ٢٤ درجة ٢٥ دقيقة شمالاً مع خط الطول ٥٥ درجة و٣٦ دقيقة شرقاً . وهذه المنطقة تتنازع السيادة عليها : المملكة ومسقط وأبو ظبي .

مستندات التحكيم

وتقول المادة الرابعة :

(تنظر الهيئة أثناء مباشرتها اجراءاتها وفي اعدادها لحكمها، بما يجب من الرعاية، الى جميع اعتبارات القانون والواقع والإنصاف، ذات الأثر في الموضوع مما

يوجه الطرفان نظر الهيئة إليها بمقتضى المادتين ٥ و٦ أو ما يظهر للهيئة بعد مباشرتها للسلطات المخولة اليها بمقتضى المادة السابعة، وبصفة خاصة – دون ان يكون في ذلك تحديد – ستأخذ الهيئة بعين الاعتبار الأمور الآتية ، حيثما ترى انها ذات أثر في الموضوع :

ا – الوقائع التاريخية المتعلقة بحقوق حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وآبائه واجداده ، وحقوق الحكام الآخرين ذوي الشأن وآبائهم واجدادهم .

ب – الولاء التقليدي لسكان المنطقة ذات الشأن

ج – التنظيم القبائلي وطرق حياة القبائل الساكنة في المنطقة ذات الشأن .

د – ممارسة السلطة وأي نشاط آخر في المنطقة ذات الشأن .

ه – أية إعتبارات أخرى يوجه أي الطرفين نظر الهيئة إليها .

اجتماع هيئة التحكيم

عقدت هيئة التحكيم في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٧٤ هـ (٢٢ يناير ١٩٥٥ م .) جلستها الأولى في بلدة « نيس » الإفرنسية ، وأجلت اجتماعها الى ٢٣ أيلول ١٩٥٥ . وذلك ليتمكن ممثلو كل من الفريقين المتنازعين من إعداد « عرض » كامل لمستنداته ومطاليبه .

وقد أعدت الحكومة السعودية عرضاً ، يتألف من ثلاثة كتب ، مشحونة بالوثائق التاريخية ، وجداول تحصيل الزكاة ، ويعد هذا العرض من أحسن المراجع لتاريخ البلاد العربية السعودية .. وإن كان بعض المؤرخين البريطانيين يشكون في صحة عدد من الوقائع التاريخية التي تضمنها .

المستندات السعودية

وقد لخصت مذكرة وضعتها وزارة الخارجية السعودية مستندات المملكة في ملكيتها لمنطقة (البريمي) ، وهذا أهم ما جاء فيها :

منطقة البريمي .. جزء لا يتجزأ من المملكة العربية السعودية وإقليم من أقاليمها ، يدين سكانها بالولاء لملك السعودية الحاضر كما دانوا لآبائه واجداده من قبل ، كما تثبت ذلك الوثائق التاريخية . والصلات الجغرافية والعنصرية واللغوية والدينية .

ــ كان أهل عمان طلبوا من الإمام عبد العزيز بن محمد أن يضم بلادهم إلى الحركة الجديدة الداعية الى التوحيد عام ١٢٠٨ هـ . فأرسلت الحكومــة السعودية (ابراهيم بن عفيصان) ، ممثلاً لها ، واستقر في (البريمي) وكــان أول أمير سعودي فيها ، وذلك عام ١٩١٠ م .

وقد بنى قصراً هناك لا يزال قائماً .

وبقيت البريمي في طاعة الحكام السعوديين خلال الدولة السعودية الأولى كلها .

ولماانتقلت الإمامة الى تركي بن عبد الله ، أرسل عام ١٢٤٣ هـ . أميراً سعودياً على البريمي .

وخلف الإمام فيصل أباه تركي ، فأرسل أمراء من قبله إلى البريمي أيضاً . وكانوا يتعاقبون على حكمها .

..وبقي الأمر يسير على هذا المنوال حتى أيام الملك عبد العزيز ..

وهكذا ثبت تاريخياً أن البريمي كانت دائماً تابعة للحكام السعوديين .

وأما مسقط وأبو ظبي .. فلم يكن لهما أمراء في البريمي يحكمونها .

ويلاحظ « العرض » السعودي أن مشيخة أبو ظبي صغيرة جداً .. وأنها تطالب بمنطقة أكبر منها كثيراً .. ولا صلة جغرافية تربطها بها ...

ويستعرض العرض السعودي أهم القبائل في منطقة البريمي كآل مــرة ، والمناصير ، والمزاريع ، والعوامر ، والمناهيل ، وآل راشد ، والدروع ونعيم والظواهر وبنو قتب وبنو كعب وكلهم موالون للحكم السعودي ، وليس في المنطقة إلا عدد تافه من البدو يظهرون الولاء لمسقط وأبو ظبي .

ويتحدث « العرض » عن منطقة البريمي ، كما تصفها اتفاقية التحكيم ، فيقول إنها دائرة تشمل حوالي (١٩٨٥) كيلو متراً مربعاً ..

وهي تحتوي على ثماني قرى وعدد من البساتين ..

ثم يقرر ان المنطقة المتنازع عليها ، والبريمي جزء منها ، منطقة فقيرة جداً ، تتألف من رمال في الداخل وسباخ عند الساحل ، وليس فيها إلا قليل من الزرع .

والمملكة العربية السعودية لا تعلن تمسكها بها ، لأنها تريد مزيداً من الثراء أو التوسع في الأراضي .. ولكنها إنما تدافع عن جزء من أرض الوطن .

انحلال لجنة التحكيم

كانت لجنة التحكيم مقبلة على إصدار حكمها في جانب الحق السعودي .

..ولكن الأنكليز أذاعوا وأشاعوا في العالم أن الشيخ يوسف ياسين، الممثل السعودي ، يشتري الشهود ويقدم مستندات غير صحيحة وأنه يعرض الرشاوى الهائلة على أعضاء هيئة التحكيم أنفسهم .. وأوعزوا الى العضو البريطاني في هيئة التحكيم أن يستقيل ، فاستقال ..

وبذلك تعطلت أعمال هيئة التحكيم ..

العدوان على البريمي

كان مستر إيدن ، في العام ١٩٥٥ ، رئيس الوزارة البريطانية .. وكان مصمماً ، فيما يبدو من تصرفاته، على رفع مكانة بريطانيا باسلوب القوة والعنف. وقد ربط المرحوم « أمين سعيد » بين العدوان على البريمي عام ١٩٥٥ والعدوان على مصر عام ١٩٥٦ ، وكلا العدوانين قام بهما ، أو اشترك فيهما : مستر إيدن !

وقع العدوان يوم ٢٦ تشرين الأول ١٩٥٥ ، اذ قامت القوات البريطانية بالهجوم على قوة الأمن السعودية واعتقلت أفرادها وساقتهم الى ابو ظبي ، وأعقب ذلك احتلال الجنود البريطانيين لمنطقة البريمي بكاملها ، ولم يخجل رئيس وزراء بريطانيا من التصريح ، في البارلمان البريطاني ، بأن (قوات سلطان مسقط وشيخ أبو ظبي ، اللذين تربطهما معاهدة مع بريطانيا .. احتلت واحة « البريمي » التي يدور عليها النزاع مع المملكة العربية السعودية) !

الوساطة الاميركية

احتجت الحكومة السعودية على هذا العدوان الفظيع ، وسحبت سفيرها من لندن ، واستعدت لاتخاذ التدابير اللازمة .. ولكن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية توسطت لإيجاد حل سلمي يرضى عنه الفريقان، بطريقة المباحثات.

الغربيون لا يعرفون الا الملك سعود !

ويذكر المؤلف « كيرك » في كتابه « السياسة العربية المعاصرة » إن الرئيس الأميركي أيزنهاور قال لمستر إيدن :

(يجب عليك أن تأخذ بالإعتبار الرأي العام العالمي !

إن عامة الناس يجهلون تماماً « مسقط » والبريمي » ولكنهم يعتقدون ان جميع الجزيرة العربية تعود ، أو يجب أن تعود ، إلى الملك السعودي !)

ولعله قال له أيضاً :

إن أحداً لا يصدق أن الإنكليز يدافعون حقاً عن مسقط ، والملك العربي أحق على كل حال بتلك الأرض العربية .. أحق بها من الإنكليز ، لأنهم غرباء ، وأحق بها من مسقط وأبو ظبي ، لأن بلاده حرة مستقلة قوية ، فانضمام البريمي إليها خير من انضمامها إلى محميات خاضعة للانكليز !

ويقول كاتب إفرنسي إن الحكومة السعودية كانت تنتظر من الحكومة الأميركية أن تنصرها في قضية البريمي نصراً قوياً ، ولكن أمريكا اكتفت بواسطة متواضعة ، وهو يفسر فتور الموقف الأمريكي بسببين :

الأول — أن الأمريكان كانوا مستائين من الملك سعود ، لأنه وقع في عام ١٩٥٤ اتفاقاً مع اليونان « أوناسيس » لنقل البترول على سفنه ، وأهمل الشركات الأميركية .

الثاني — أن شركة البترول الأميركية (أرامكو) اتفقت مع زميلتها شركة « تنمية عمان » البريطانية .. فلم تعد أمريكا منافسة لإنكلترا ، وإنما أصبحت شريكة لها ..

العدوان على مصر

وبينما كانت الحكومة السعودية تنتظر ، بعد الوساطة الأميركية — استئناف المباحثات بينها وبين انكلترا ، وقع العدوان الثلاثي على مصر ، فقطعت المملكة علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا ومنعت تصدير البترول إليها .

وساطة الامم المتحدة

وفي عام ١٩٦٠ قام الأمين العام للأمم المتحدة – وكان وقتئذ مستر همرشولد – بوساطة ودية بين المملكة وبريطانيا وأعد مشروعاً للتوفيق يقوم على أساسين :

الأول –تسحب انكلترا قواتها فوراً من(خور العديد) وتعيده إلى السعودية .

الثاني – يمضي الجانبان في مباحثاتهما للإتفاق على المناطق الأخرى المختلف عليها ، فإذا لم يتفقــا ، وجب أن يلتجئا الى التحكيم الدولي أو الإستفتاء

وفي أوائل عام١٩٦٣ استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين المملكة وبريطانيا، وصدر عن وزارة الخارجية السعودية البلاغ التالي :

(نتيجة للمباحثات التي تمت في نيويورك بين صاحب السمو الملكي الأمير فيصل وبين وزير خارجية بريطانيا في شهر سبتمبر الماضي ، ثم ما تبع ذلك من اتصالات غير رسمية ، فقد اتفقت حكومة المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة على استئناف العلاقات الدبلوماسية والعودة الى تبادل السفراء في وقت قريب .

ولقد اتفقت الحكومتان على أن بحث قضية البريمي والمسائل الأخرى المتعلقة بها ، ينبغي ان يمضي قدماً تحت اشراف الأمين العام للأمم المتحدة وبمساعدة ممثله الشخصي ، كما كان جارياً من قبل)

جمدتها الاحداث

إن قضية البريمي التي نشأت منذ أربع وثلاثين سنة لم تحل حتى اليوم ، وقد سئل جلالة الملك فيصل عن مصيرها ، فأجاب : إن الأحداث الراهنة – وجلالته يعني أحداث اليمن ، ثم أحداث العدوان الإسرائيلي – قد « جمّدتها » الآن، وهي ، على كل حال ، قيد النظر .. في أمانة الأمم المتحدة !

اليمن

في ٢٦ أيلول عام ١٩٦٢ م . (١٣٨٢ هـ .) ، بعد عام أو أقل من إعلان سورية انفصالها عن الجمهورية العربية المتحدة ، وبعد أيام معدودة من وفاة ملك اليمن الإمام أحمد والبيعة للإمام البدر ، فوجيء الناس بقيام انقلاب عسكري في (صنعاء) وبإعلان اليمن جمهورية إشتراكية ، يتولى رئاستها ضابط من الجيش اليمني يدعى : عبد الله السلال .

وقد أذاع الإنقلابيون أنهم دمّروا القصر الملكي في صنعاء ، ودفنوا الإمام البدر تحت أنقاضه .

ولم تمرّ على هذا النبأ ثلاثة أيام حتى كانت السفن والطائرات المصرية تنقل الجيوش والأسلحة والمعدات والمؤن من مصر إلى اليمن .. وبذلك أقامت الحكومة المصرية الدليل على أن الإنقلاب لم يكن غريباً عنها ، وأنها وضعته تحت حماية أسلحتها ودعايتها و « ديبلوماسيتها » ..

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الأول ١٩٦٢ أعلنت القاهرة رسمياً انهاعقدت ميثاق «دفاع مشترك» مع حكومة السلال ووضعته موضع التنفيذ .

كان الرئيس جمال عبد الناصر ، قبل يومين من الإنقلاب ، أرسل إلى الإمام البدر برقية تهنئة بتوليه الملك وتمنى له (أعظم التوفيق في خدمة شعبه العظيم وفي ملاقاة أحلامه وأمانيه من أجل مستقبل عزيز) .. فما الذي حمله على مباركة خصومه ، وإرسال جيش عرمرم إلى صنعاء لتثبيت حكمهم ؟

كان الرئيس المصري يكره الإمام أحمد ، الذي رفض عند عودته من إيطاليا النزول في الإسكندرية لزيارة الزعيم المصري ، ثم نظم قصيدة في ذمّ الإشتراكية وأصحابها ، ولكن الإمام أحمد مات ، وخلفه الإمام البدر وكان صديقاً للرئيس المصري و « تقدمياً » .. وقد أعلن عزمه على القيام بكثير من

الإصلاحات .. فما هو « المبرّر » للقضاء عليه ؟

هناك تفسيران ..

التفسير الاول :

هو أن الرئيس المصري ، بعد الضربة التي تلقاها من السوريين ، حين أعلنوا انفصالهم عن الجمهورية العربية المتحدة ، وجرّدوا الضباطَ والجنودَ المصريين من أسلحتهم وأعادوهم إلى مصر ، كان يفكر في إلهاء الشعب المصري عن هذه الكارثة والتعويض عن هذه الخسارة ، فحلم حلماً ذهبياً واسعاً .. وهو أن يستولي على اليمن ، و « يطل » على المملكة العربية السعودية للحصول على شيء من مواردها الكبيرة من البترول ، ثم يزحف إلى الجنوب العربي وإمارات الخليج ، فيحلّ فيها محل السلطات البريطانية التي كانت مدعوةً إلى الرحيل أو عازمة عليه ..

حلم ضخم .. وآمال ثراء .. وتوسع ..

ذلك كان التفسير الشائع للتدخل المصري في اليمن .

التفسير الثاني :

أما الرئيس جمال عبد الناصر ، فكان يقول إن غايته من إرسال جيوشه إلى اليمن هي تثبيت النظام الجمهوري هناك ومؤازرة الشعب اليمني في كفاحه من أجل الحرية والتقدم والإشتراكية وتخليصه نهائياً من حكم الأئمة الذين كانوا يفرضون عليه الجهل والفقر والتخلف ..

المقاومة اليمنية

كان بعض المصريين يظنون أن احتلال اليمن كلها نزهة عسكرية .. وأن المملكة العربية السعودية ستنفض يديها من قضية اليمن ، متى حلقت طائرت « الميغ » المصرية فوق أراضيها ..

.. ولكن اليمنيين الملكيين لم يستسلموا للسلال ، وجاء الأمير (الحسن) ، عم الإمام ، إلى الرياض لتنظيم المقاومة ، ثم عاد إلى اليمن والتفت حوله قبائل يمنية قوية ، وتنادى الشباب اليمني ، الوفي للحكم الشرعي ، إلى الجهاد في صفوف الملكيين ضد المغتصبين ، تاركين المدارس والجامعات إلى ساحات القتال ، فكان ذلك عملاً بطولياً لفت النظر .

ثم حصلت الأعجوبة .. فقد ظهر الإمام البدر – الذي ادعي الإنقلابيون موته ! – وأعلن عزمه على الدفاع عن استقلال اليمن وتمسكه بحكمه الشرعي ، وقد طلب من الملك سعود أن يؤيده ، ولعله ذكره بسابقة أبيه عبد العزيز ، فقد كان على خلاف مع الإمام يحيى ، ومع ذلك رفض الإعتراف بحكم المتمردين الذين قتلوا الإمام يحيى ، وعنّفهم ، ثم أيد خليفة الإمام الشرعي .

وعد الملك سعود الإمام البدر بالتأييد ، ولكنه لم يمده بأية قوة عسكرية ، كما فعلت مصر مع خصومه ، وربما أعطاه شيئاً من المال وسهّل له سبيل الحصول على الأسلحة الخفيفة .

انقسام اليمن إلى ملكية وجمهورية .

التفت حول البدر قبائل كثيرة وانضمت إليه بلدان وقرى غير قليلة ، وهكذا انقسمت اليمن إلى قسمين : يمن جمهورية ، ويمن ملكية .

ولكن الحكومة المصرية لم ترض عن ذلك ، وراحت إذاعتها وصحافتها تكيل الشتائم لحكام السعودية ، وتدعو السعوديين إلى التمرد ، وانطلقت طائراتها تحلق فوق الأراضي السعودية ، ولم تحجم عن إلقاء قنابلها فوق المناطق السعودية الآمنة ، المجاورة لليمن ، فقتلت نساءً وأطفالاً وهدمت دوراً ..

لم يعرف الملك سعود ماذا يصنع ، فقد تحطمت أعصابه ، وكان مريضاً فزادته أحداث اليمن مرضاً ، وكان أخوه الفيصل يومئذ في أمريكا ، فطلب منه ، بإلحاح من عقلاء الأسرة ، أن يعود ، وتخلى له عن رئاسة الوزارة والسلطة الكاملة في توجيه سياسة البلاد .

الفيصل يعالج الموقف .

كان الفيصل ، عند وقوع الانقلاب اليمني ، في نيويورك ، يمثل بلاده في مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، فدعاه الرئيس كنيدي ، رئيس الولايات المتحدة الاميركية ، لزيارة واشنطن قبل عودته الى المملكة ، ففعل ، واجتمعا في اليوم الخامس من تشرين الأول ١٩٦٢ م . ، وأكبر الظن أنهما تذاكرا أحداث اليمن والأخطار التي قد تتعرض لها السعودية ، وإن كان البلاغ الرسمي الذي صدر في أعقاب هذا الإجتماع يكتفي بالقول إنه دارت بين الرئيس والأمير (محادثات ودية وصريحة حول العلاقات السعودية الأميركية والوضع الدولي .)

وما ندري .. لعل الرئيس الأميركي أكد للأمير أنه في حالة قيام الجيش المصري بهجوم على المملكة ، مستخدماً الطائرات الروسية ، فإن أمريكا مستعدة لمؤازرة المملكة ، بوضع طائراتٍ أميركية تحت تصرفها ، للدفاع عن سلامة حدودها .

ومهما يكن الأمر .. فإن اعتماد الفيصل كان على الله سبحانه ثم على شعبه ، وأما ضمان السلامة عنده فهو : الشجاعة ورباطة الجأش أمام كل التحديات .

مؤتمر وزراء الخارجية

أما مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، فقد أخفق أخفاقاً مريعاً ، وبدلاً من أن توحد الدول العربية جهودها لمقاومة الخطر الصهيوني وكل خطر خارجي ، فتح بعضها جبهة جديدةً في اليمن ، وتنكر بعضها للدول التي لا تشاطرها انحيازها للبلاد الشيوعية وتمسكها بالأساليب التي يسمونها « الاشتراكية »..

وقد عبرّ الفيصل عن أسفه العميق لهذا التفرق ، في جوابه على صحافي سأله إن كان قد فكر في دعوة الجامعة العربية للنظر في أزمة اليمن ، قال :

(.. إن الجامعة العربية هي الدول العربية .. فإذا كانت الدول العربية غير مستعدة لأن تجتمع وتتعاون وتتخذ المقررات ، فليست هناك جامعة ! ...

.. وبالمناسبة أقول لكم إننا ذهبنا الى نيويورك ، على أساس أن هناك اجتماعاً لوزراء الخارجية العرب ، ولكن وجدنا فريقاً من العرب لا يريدون

الإجتماع الى العرب .. وقد أثر ذلك على جميع القضايا العربية ، المطروحة على بساط البحث ، حتى سمعت بعض المندوبين الغربين يقولون : ليس هناك قضايا عربية ، فأين هم العرب ؟ !)

حديث في نيورك

وقيل مغادرة فيصل الولايات المتحدة ، أدلى للصحفيين بحديث عن اليمن ، قال فيه :

(أول ما نشعر به هو ضرورة وقف الجمهورية العربية عن التدخل المسلح في اليمن ، لأن تلك الأسلحة التي ترسل إلى هناك ليس لها من نتيجة سوى قتل أفراد من الشعب العربي .

وقال أيضاً : إن حكومة المملكة العربية السعودية تعتبر الإمام محمد البدر الممثل الوحيد للسلطة الشرعية في اليمن .

حديث في بيروت

وقال عند وصوله الى بيروت ، في طريقه الى المملكة : (لم ترسل المملكة العربية السعودية أية قوات إلى اليمن . ونحن نأمل ألا تتدخل الدول العربية في شؤون اليمن الداخلية .)

عودة الفيصل

وصل فيصل إلى المملكة ..

وكان الرأي العام في السعودية في حالة شديدة من القلق و « التوتر » ، فالدعاية المصرية ، أو وسائل المخابرات ، استطاعت أن تغري ثلاثة من الطيارين السعوديين بالهرب بطائراتهم الى القاهرة ... وألقيت القنابل على الأراضي السعودية المجاورة لليمن ، ونشط الطابور الخامس في نشر الدسائس وحملات التشكيك ، وكان في المملكة آلاف من المصريين يعملون في الوزارات والمؤسسات والشركات ، ولم تكن مراقبتهم أمراً يسيراً ..

هنا تجلت عبقرية الفيصل ووطنيته ، فهو لم يكتفِ بالعمل على الطريقة التي يسلكها أكثر الملوك والرؤساء ... لم يكتفِ بتوجيه وزرائه أو معاونيه والإشراف عليهم من بعيد .. ولكنه خاض المعركةَ بنفسه ، في كل الجبهات : الجبهة الخارجية والجبهة الداخلية ، الجبهة الرسمية والجبهة الشعبية ، الجبهة السياسية والجبهة العسكرية .

ولقد صنع فيصل وحده ما يعجز عنه العصبة أولو القوة، وكان في وقت واحد : زعيماً شعبياً وخطيباً « جماهيرياً » ، ومفاوضاً سياسياً من الطراز الأول ومحامياً عن قضايا بلاده قوى الحجة ، مع قدرة هائلة على ضبط النفس والصمود للأعاصير . وسنستكثر من خطبه وأحاديثه ، ليزداد القاريء معرفة بهذه الشخصية العظيمة وتقديراً لها ، وليعيش في « جوها » ..

لماذا تدافع المملكة عن اليمن؟

نحب قبل كل شيء ، أن نبدأ من النقطة التي بدأ منها الفيصل هو نفسه ، فنتساءل : لماذا تدافع المملكة العربية السعودية عن اليمن ؟

والجواب : هو أن السعودية انما تدافع عن نفسها أولاً ، وعن جار وحليف وأخ معتدى عليه ثانياً .

الدفاع عن النفس

أما دفاعها عن نفسها ، فلأن قادة مصر قد صرحوا (بأنهم انما ذهبوا الى اليمن وقاتلوا ليهدموا كيان السعودية ويحطموه ويستولوا عليه)

ولذلك قال الفيصل في خطاب ألقاه في الطائف عام ١٣٨٣ هـ :

(لقد وجدنا أنفسنا في موقف يحتم علينا أن نعمل بحسب مبادئنا وما يوجبه علينا ديننا وشرفنا . ذلك أنهم وضعونا ، في وضع يفرض علينا الدفاع عن النفس . والدفاع عن النفس حق مشروع : لكل أمة ، ولكل بلد ، ولكل دولة .)

والمملكة ، فوق هذا ، تدافع عن حليف لها معتدى عليه ، وليس لها من وراء مساعدته أي غرض سياسي أو عسكري . قال الفيصل :

(ليس لنا مطامع في اليمن ، لا سياسية ولا عسكرية ولا اقتصادية .. وحينما حدثت الحوادث في اليمن لم نتدخل .. ليقرر أبناء اليمن مصيرهم بأنفسهم ..

ولكن لم يمض على الثورة المشؤومة يوم أو يومان ، حتى رأينا الأساطيل البحرية والجوية تنقل القوات المصرية الى اليمن ..

إن هناك اتفاقية تربط بين هذه البلاد وبين حكومة جلالة إمام اليمن ، وفي القانون الدولي أن حق الدولة يبقى قائماً ما دامت الدولة قائمة ، ولا يخلّ به أن تنتقض عليها زمرة من أبناء شعبها .

فنحن ، بناءعلى هذا المبدأ واتباعاً للعرف الدولي ، عضدنا الدولة الشرعية في اليمن .)

ويقارن الفيصل بين موقف مصر وبين موقف السعودية من اليمن ، فيقول ان حكومة مصر سارعت الى الإعتراف بالمتمردين (قبل أن يتوفر في المتمردين الحد الأدنى للشروط المقررة دولياً لمثل هذا الإعتراف .. ثم أرسلت اليهم القوات المسلحة والطائرات والدبابات والسفن الحربية التي تعمل تقتيلاً وتخريباً في أبناء اليمن وممتلكاتها .)

أما العربية السعودية ، فكانت مساعداتها لحكومة اليمن الشرعية قاصرة على الغذاء والكساء والمال وشيء من السلاح الخفيف ، ولم ترسِلْ إلى اليمن لا جنوداً ولا دبابات ولا طائرات ..

وحتى هذا القدر اليسير من المساعدة العسكرية ، ما كانت السعودية لتمد به الملكيين اليمنيين لو أن حكومة القاهرة استجابت لنداء العربية السعودية ووقفت تدخلها في اليمن ، تاركة أبناء اليمن يحلّون قضاياهم فيما بينهم !

تكاثرت ، بعد ذلك ، تحدّيات المصريين للمملكة ، فإذاعاتهم وصحافتهم تكيل الشتائم والسباب المقذعة لحكام العربية السعودية وتدعو إلى التمرد عليهم . والطائرات المصرية ، من صنع الروس ، تقذف قنابلها أراضي المملكة المجاورة لليمن (منطقة نجران) وتقتل نساء وشيوخاً وأطفالاً ، (بحجة أن الملكيين يذهبون إلى حدود السعودية ، ويتناولون منها المؤن والسلاح) ، وكأن المصريين كانوا يظنون أن المملكة العربية السعودية سوف تخاف من الإصطدام بهم .. بل حسبهم أن يسقطوا على أراضيها قنابلهم حتى يثور الناس على الحكام وتقع الفوضى ... ولكنهم أخطأوا كثيراً في تقدير صلابة مناظريهم ..

توعية الرأي العام

قام الفيصل ، في طول البلاد وعرضها ، بحملة صادقة لتوعية الرأي العام وإفهامه حقيقة الموقف في اليمن ، والرد على اتهامات الدعاية المصرية والكشف عن سوء نيتها ، وتبصير الشعب بالأخطار التي تتهدده ، وتوحيد صفوفه واستنهاض همته للدفاع عن حريته واستقلاله وكرامته وموارد ثروته .

وقد وفق الفيصل في هذا العمل توفيقاً كاملا ، ظهرت آثاره في هذا التجاوب الواضح بينه وبين الجمهور بعد كل خطاب كان يلقيه ، وقد يصعب إحصاء الخطب التي ألقاها أمام الجماهير ، والأحاديث التي أفضى بها إلى الصحف والإذاعات ، ولكنها كانت كثيرة جداً ، وكان الفيصل يتنقل من مدينة إلى مدينة ، في مختلف مناطق المملكة ليبلغ صوته إلى كل مكان ، ولم يترك شيئا لم يصارح به الجمهور ، ليكون على بيّنة من الأمر كله .

وبذلك ازداد الشعب السعودي معرفةً بحقائق الموقف في اليمن ، وعرف أباطيل الدعايات التي كانت تُصَوِّرُ له التدخلَ المصري في اليمن كأنه حركةُ تحريرٍ و «تطور» ، وعرف أن وراء ذلك مطامع وأغراضاً سياسية تهدّد سلامة المملكة وكرامتها ، فوقف صفاً واحداً أمام التحديات والعدوان ، وفهمت الدول الأجنبية أيضاً متانة الوحدة الداخلية في المملكة وأن الدعاية المصرية أخفقت في اكتساب الرأي العام السعودي إلى جانبها ..

إعلان التعبئة

وفي أوائل شعبان عام (١٣٨٢ هـ.)، وبعد تكاثر اعتداءات الطيران المصري على الحدود السعودية، اتخذ الفيصل، في مجلس الوزراء، قراراً باعلان التعبئة العامة، وأذاع ذلك على الشعب ببيان أوضح فيه حوادث العدوان في تسلسلها وأنهاه بقوله:

(بني وطني،

انكم لتدركون من هذا العرض أننا حرصنا دائماً وفي جميع الظروف على استدامة العلاقات مع حكومة القاهرة، ولكن مساعينا كانت تقابل من جانبها بشن الحملات وتدبير المؤامرات وإثارت الفتن والقيام بالعدوان.

ومن حيث أن هذه الأعمال العدوانية المتكررة – وما يتبعها من التهديد المستمر – واضحة الدلالة على النية المبيتة من حكام القاهرة والمتآمرين معهم من عصاة صنعاء على تعمد متابعة سياسة العدوان على هذه البلاد،

ولما كان أول الواجبات المفروضة على الدولة، حكومةً وشعباً، هو المحافظة على سلامة البلاد وأهلها وممارسة حقها الطبيعي في الدفاع المشروع عن النفس.

فلجميع ما تقدم، قرر مجلس الوزراء، في جلسته المنعقدة بتاريخ ٧ شعبان ١٣٨٢ هـ. تعبئة قوى البلاد العاملة، سبيلاً للدفاع عن نفسها، وتكليف مجلس الدفاع الأعلى باتخاذ كافة التدابير والوسائل اللازمة لوضع البلاد في حالة تمكنها من المحافظة على أمنها الداخلي والخارجي، مع النهوض بأعباء الدفاع المشروع عن مقدساتها وحرماتها وكيانها ورد كل اعتداء يقع على السكان والممتلكات.

وان حكومة المملكة – في سبيل النهوض بهذا الواجب المقدس – لا تتردد في التماس كل وسيلة لدعم قواتها المسلحة وزيادة فعاليتها، وهي لعلى ثقة من أنها ستجد في ذلك تأييداً مادياً ومعنوياً وتفهماً من جميع الشعوب والحكومات الحريصة على استقرار السلم بين الدول واحترام القانون والعرف الدوليين، متمثلين في أحكام ومباديء وميثاق جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.

وان الحكومة العربية السعودية – رغم اضطرارها لاتخاذ هذه التدابير الدفاعية – فانها حريصة على أن تؤكد أن هذه البلاد العربية الإسلامية ، منشأ العروبة والإسلام ، ستظل متمسكة بسياستها السلمية التقليدية نحو اخوانها من العرب والمسلمين أينما كانوا ، ونحو البلاد التي تبادلها هذه الرغبة .

ولذلك فإنها ستأخذ نفسها ، ما استطاعت ، بالتزام جانب الدفاع عن النفس في صبر وإيمان وثبات . والله المسؤول أن يوفق هذه البلاد وأهلها لما فيه خير العرب والمسلمين .)

اتفاق « فلك الإرتباط » .

قام الرئيس كندي بمسعى قوي لإنهاء ازمة اليمن ، فاتصل مندوبه بحكومتي الرياض والقاهرة والتمس منهما الإتفاق على وقف مساعدتهما لليمن ، فتسحب مصر جيوشها ، وتكف السعودية عن مؤازرتها الملكيين بالمال والسلاح ، وقد نجحت أمريكا في مسعاها ..

وهذه قصة الإتفاق ، كما رواها فيصل نفسه ، في احدى خطبه الشعبية الكبرى :

أيها الإخوان :

جرت اتصالات من قبل الأمريكان لوضع حد للمآسي في اليمن ، وكان موقفنا في الماضي ألا نقبل أي بحث ما دام هناك احتلال أو تدخل أجنبي في اليمن ، ولكننا حباً بحقن الدماء وشفقةً على إخوان لنا يقتلون في اليمن ، سواء أكانوا يمنيين أم جنوداً مصريين مدفوعين بغير إرادتهم ، وافقنا على إبرام اتفاقية بيننا وبين مصر ، بعد توسط الأمريكان) .

وقد أطلق على هذه الإتفاقية اسم : « إتفاق فبل الإرتباط » .. ولعلهم يعنون ارتباط المصريين بالجمهوريين اليمنيين ، وارتباط السعوديين بالملكيين.

نص الإتفافية

قال الفيصل ، متابعاً خطابه :

هذه هي الإتفاقية ، التي وقعت لتنفيذها نصاً وروحاً :

(أولاً – قيام الحكومة العربية السعودية ، في تاريخ يعين ، بإنهاء مساعدتها للملكيين ، وبمنع الزعماء الملكيين من استخدام أراضيها لمواصلة الصراع في اليمن .

ثانيا – بدء الجمهورية العربية المتحدة بسحب جنودها في الوقت الذي تسحب فيه المساعدة السعودية عن الملكيين ، ويحدث بأسرع ما يمكن سحب قوات الجمهورية المتحدة من أوجه نشاط الميدان الى قواعدها ريثما تغادر اليمن ، وتمنع الجمهورية العربية المتحدة عن اتخاذ إجراءات عقابية ضد الملكيين اليمنيين على أساس قيام الملكيين بالمفاوضة قبل حدوث بعض التباعد .

ثالثا – قيام الجمهورية العربية المتحدة بإنهاء هجماتها على الأراضي السعودية

رابعاً – اقامة منطقة مجردة من السلاح ، تمتد إلى مسافة عشرين كيلومترا على جانبي الحدود اليمنية بين المملكة العربية السعودية واليمن ، ولا يسمح بدخول قوات مسلحة أو معدات حربية الى تلك المنطقة .

خامساً – وضع مراقبين محايدين على جانبي الحدود في المنطقة المجردة من السلاح ، يكون من بين مسؤولياتهم التنقل خارج المنطقة المجردة كلما تقتضي الحال للتحقق من إيقاف نشاط المساعدة السعودية ومن تحرك قوات الجمهورية العربية المتحدة ومعداتها ومغادرتها المطارات والموانيء اليمنية .

سادسا – تتعاون كل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية مع ممثلي الأمين العام للأمم المتحدة أو وسيط اخر مقبول لدى الطرفين للتوصل إلى اتفاق حول طريقة التباعد والتحقق منه)

بعد الإتفاقية ..

وبعد أن تلا الفيصل نص الإتفاقية ، أردف قائلا :

(هذه ، أيها الاخوان ، هي الإتفاقية التي تم التوقيع عليها بيننا وبين مصر . تم الاتفاق عليها في أوائل شهر ذي القعدة ، وكانت المباحثات قد جرت حينما زارنا مندوب الرئيس كندي ، السفير بنكر ، وقد تم التوصل الى هذا الإتفاق فيما بعد ونقل بواسطة أصدقائنا الأمريكان الى الأمم المتحدة ، وتبنته الأمم

المتحدة .

أيها الاخوان ، نتساءل الآن عما تم من مراحل ، لتنفيذ هذا الإتفاق..

لقد قامت المملكة العربية السعودية بتنفيذ ما يخصها من هذا الإتفاق ، بكل أمانة واخلاص ، فقد منعت المساعدات عن الملكيين ، ونحن نتحدى أياً كان أن يثبت بالدليل المحسوس أن المملكة العربية السعودية قد نقضت عهدها أو أخلت به .

أيها الإخوان ، رأينا تصريحات تنسب إلى بعض ممثلي الأمم المتحدة أو الى جهات أخرى ، بأن المملكة لم تتوقف .. ولم تنفذ الإتفاق ، أو كما قيل ، في تقرير السكرتير العام المقدم الى الأمم المتحدة ليلة أمس ، ان هناك مساعدات خصوصية غير رسمية تبعث من المملكة العربية السعودية الى الملكيين وان هناك بعض الأسلحة لا تزال في المنطقة المجردة من السلاح !

ففي هاتين النقطتين أحب أن أوضح لكم حقيقة الموقف .

أما وجود الأسلحة في المنطقة المجردة من السلاح ،فليس هناك أية أسلحة أو قوات عسكرية ، ما عدا بعض المدافع المضادة للطائرات ، موجودة في مدينة « نجران » .

وقد راجعنا ممثلو الأمم المتحدة في ذلك،وقابلني في الطائف الجنرال فون هورن وتحدث معي في هذا الموضوع ، فسألته :

هل هذه المدافع تُعتبر أسلحةً هجومية أو أنها تطلق على الطرف المقابل ؟

فقال : لا ، انما هي أسلحة تطلق على الطائرات حينما تهاجم البلاد .

وقلت له : ألم تتكرر اعتداءات المصريين على هذه المنطقة ، حتى بعد حضور الممثلين الدوليين والمراقبين ؟

فقال : نعم .

فقلت له : أرجو أن تسلمني تصريحاً من الأمم المتحدة بأنها تضمن لي سلامة الأهالي والمواطنين في نجران ، وبعد هذا سأنقل مدافع الطائرات ولن يبقى فيها مدفع واحد !

فقال : هذا ليس من شأني ، ولكنه من شأن الرؤساء ..

فقلت له : كيف يطلب مني أن أترك مواطنين عزلاً خالين من أية قوة ،

معرضين لخطر الهجوم عليهم في أية لحظة ، ولا يكون عندهم على الأقل مدافع وشاش للطائرات ؟

فسكت الرجل وانصرف ..

هذا فيما يختص بدعوى وجود اسلحة في المنطقة المجردة من السلاح .

أما فيما يختص بالمساعدات التي قيل ، في تقرير السكرتير العام ، انها لا تزال تذهب الى اليمن ، فسأروي لكم قصة المراقبين وتصرفاتهم على الحدود.

راجعنا ممثلو الأمم المتحدة ، منذ بعض الوقت ، قائلين إن هناك خمس سيارات محملة ببعض الأطعمة والذخائر ، بل « **نصوا** » .. على أن بعض الذخائر الموجودة فيها هي .. من قنابل مدافع الهاون عيار « ١٢٠ » ! .

أزعجنا ذلك طبعاً ، لأن هذا يخل بكلمتنا التي أعطيناها ، وكلمتنا إذا أعطيناها اعتبرناها كلمة شرف وعهداً في رقابنا ، فحالاً كلفت وزير الدفاع بارسال هيئة، تحقق في هذا الموضوع وتكشف الحقائق ، فذهبت الهيئة برئاسة قائد منطقة الطائف ، وحققوا في جميع الدوائر ، في نجران والمركز التابعة للحكومة ، فلم يجدوا أثراً ...

لقد ذكر ممثلو الأمم المتحدة أن لون السيارات أصفر ،وليس لدى الدولة سيارة لونها أصفر إلا سيارات الحرس الوطني في نجران ، فذهب المحقق الى رئيس الحرس الوطني في نجران وسأله عن الحقيقة ، فقال :

الذي أتذكره أننا في هذا التاريخ أرسلنا ثلاث سيارات تحمل أطعمة وبعض الخضر الى فريق الحرس الوطني الموجود في « شرورة » ، وليس بينها أية ذخيرة ، حتى ولا رصاصة واحدة !

عندئذ استدعوا مندوبي الأمم المتحدة في نجران وسألوهم : كيف أثبتم أن هذه السيارات تحمل ذخائر ، ومنها قنابل الهاون أو الميدان « ١٢٠ » ؟

فقالوا : اننا رأينا هذه السيارات على بعد خمسة كيلومترات ، ورأينا فوق الحمولة صناديق ، اعتقدنا أنها صناديق ذخائر وقنابل الهاون ..

فسألوهم : لماذا لم توقفوا السيارات وتفتشوها وتعيدوها ، اذا كانت تحمل أسلحة وذخائر ؟

فقالوا : ان هذا ليس من مهمتنا ..

بعد ذلك طلبنا من ممثل الأمم المتحدة أحد ثلاثة أمور :

إما أن يوقف المراقبون أنفسهم ما يشتبهون فيه ويفتشوه ويعيدوا ما هو محظور منه — وقد قالوا ان هذا ليس من مهماتنا ! —

فقلنا : إذن فاسمحوا بأن نرسل لكم دوريات سعودية تقوم بهذه المهمة ! فقالوا هذا خارج عن صلاحياتنا ولا نسمح بذلك .

فقلنا لهم : فاسمحوا لنا بأن نقيم مراكز على الحدود لتفتيش السيارات الذاهبة والآتية ، فما وَجَدَتْ فيه محظوراً أعادته إلى مقرّه .. (لأننا كنا سحبنا ، بعد الإتفاق ، كل مراكزنا التي على الحدود تنفيذاً للاتفاق)

فقالوا : إن تعليماتنا وما عندنا من صلاحيات لا تسمح بذلك !

فما هو ذنبنا نحن .. إذا كنا لا نشرف على الحدود ، ولا يسمح لدورياتنا بأن تمشي مع دوريات الأمم المتحدة ، وإذا كانت دوريات الأمم المتحدة لا تستعمل سلطتها ، هي ، وتفتش الذاهب والآيب ، وتمنع كل ما لا يتفق مع الإتفاقية ؟ .. ما هو ذنب الحكومة السعودية ؟

لسنا عبيداً .. ولن نحني لهم رؤوسنا !

أيها الاخوة ، إننا لا ننظر الى الإتفاقية على انها مجرد مواد كتبت على ورق ، ولكننا ننظر الى الكلمة التي أعطيناها ، وهي كلمة شرف ، والعربي المسلم اذا قال كلمة مات دون تنفيذها ..

هذه قصة الإتفاقية وتنفيذها والملابسات التي أحاطوها بها ، شرحتها لكم بتفاصيلها لتكونوا على علم بدقائقها ، وتحكموا بأنفسكم ، لأنكم أصحاب الشأن ، فأنتم أصحاب البلد ، وأنتم أصحاب الإتفاقية ، وأنتم المسؤولون عن كل شيء فيها ، والحكومة ليست الا رمزا ، تعبر عن آرائكم ومشاعركم ورغباتكم .

أما من ناحية الطرف الثاني .. فلست في حاجة الى ان أذكر شيئاً ، فأنتم تعرفون المجازر الجارية الآن في اليمن ، وما يقع يومياً من غارات إبادة وترويع ،

اجتماع أركويت

في أيلول عام ١٩٦٤ انعقد مؤتمر القمة في الإسكندرية ، فحضره الأمير فيصل ، واجتمع الى الرئيس جمال عبد الناصر ، فاتفقا مبدئيا على التماس حل سلمي لأزمة اليمن ، ثم انعقد في القاهرة مؤتمر « دول عدم الإنحياز » في تشرين الأول من ذلك العام نفسه ، وحضره الفيصل أيضاً ، فكان لقاء ثان بين الفيصل والرئيس المصري ، انتهى الى اتفاقهما على :

١ – التعاون التام في حل الخلافات القائمة بين الأطراف المختلفة في اليمن ، ومنع الاشتباكات المسلحة ،

٢ – القيام بالتوسط لدى الأطراف المعنية (اليمنية) لتهيئة جو من التفاهم للوصول الى حل الخلافات القائمة بالطرق السلمية .

وتحقيقاً لهذا الإتفاق تقرر أن يدعى ممثلون عن الملكيين اليمنيين والجمهوريين للاجتماع في بلد محايد ، لعلهم يضعون اسس السلام والمصالحة في بلادهم ، فتم الاتفاق على اختيار مدينة « أركويت » في السودان مكانا لهذا الإجتماع ، وفعلا جاءالى السودان مندوبانعن كل من الفريقين اليمنيين ،الملكيوالجمهوري ، وعقدوا اجتماعا ، حضره مراقبون من قبل المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، وتقرر فيه كما قال الفيصل ، في حديث للصحفيين :

أولا – وقف القتال

ثانياً – التهيئة لعقد مؤتمر يضم عددا كبيراً من الجانبين – ويتم فيه الإتفاق النهائي .

وهكذا اعتبر اجتماع أركويت مجرد اجتماع تحضيري لمؤتمر وطني أكبر ، ينعقد في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٤ في بلدة حرض .

ولكن هذا المؤتمر لم يجتمع في وقته، وتأخر انعقاده سنة كاملة.. لأن الجمهوريين اليمنيين ، ومن ورائهم الجيش المصري ، لم يحترموا اتفاق وقف القتال .

فيصل يقترح حكماً انتقاليا

اقترح الفيصل على جمال عبد الناصر أن تؤلف في اليمن حكومة انتقالية ، تشرف على استفتاء يقرر اليمنيون فيه مصيرهم بكامل حريتهم ، ولكن الرئيس المصري لم يقابل هذا الإقتراح بالرضى .

وهذه هي المباديء التي يقوم عليها مشروع الفيصل كما وصفها هو نفسه :

(نحن ، كوسطاء ، رأينا من الواجب علينا أن نتقدم بمقترحات ، ليس فيها شيء من صفة الالزام ، ولكنها « محاولات » لتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة .. وقد تقدمنا بهذه المقترحات أولاً أمام اخواننا المصريين ، حتى إذا وافقونا عليها قدمناها مجتمعين الى المؤتمر ..

وهذه المقترحات تتلخص في إيجاد دولة يمنية ، يديرها :

أولا — مجلس رئاسي يتكون من خمسة أعضاء أو سبعة .

ثانياً — يكون بجانب المجلس الرئاسي : مجلس وزراء يتفق على عدد أعضائه.

ثالثا — يكون بجانب المجلسين مجلس استشاري يساعد في ادارة الحكم والاشراف على التنفيذ .

هذه الحكومة ، أو هذه « التشكيلة » ، تستمر لمدة ستة أشهر أو سنة ، كفترة انتقال ، يتم خلالها انسحاب القوات المصرية من اليمن ، وتتوقف المملكة السعودية عن اعطاء أية مساعدات حربية أو عسكرية للملكيين .

وحينما يتحقق الهدف المذكور — انسحاب المصريين وتوقف المساعدات السعودية — يدعى الشعب اليمني لاستفتاء حر نزيه يقرر بموجبه نظام الحكم الذي يريده بنفسه والأشخاص الذين يريدهم لإدارة شؤونه وتتعهد ، عند الموافقة على هذا المشروع ، جميع الأطراف المعنية دون قيد أوشرط بقبول نتيجة الاستفتاء .

هذا هو مشروعنا ، وليس لنا أي مطمع ، لا في اليمن ولا في غيرها

من بلاد العالم ، ومشروعنا مستوحى من حق الشعوب الطبيعي في تقرير مصيرها بنفسها ومن الإلتزام الطبيعي المفروض على المسلمين في أن يؤازر بعضهم بعضا ومن المباديء الأساسية للجامعة العربية في أن لا تتدخل دولة عربية في الشؤون الداخلية لدولة عربية أخرى . ولئن كان هذا المشروع لم يحظ حتى الآن بموافقة الجانب الآخر ، نظراً للصعوبة التي تعترض قضية سحب قواته من اليمن ، الا أننا من جانبنا ما زلنا عند عرضنا له وعلى استعداد للعمل على تنفيذه متى وجدت النية الحسنة لدى جميع الأطراف المعنية في هذه القضية) .

خرق اتفاق وقف القتال :

لم يحترم المصريون اتفاق وقف القتال ، بينما نفذت السعودية التزاماتها ، ولذلك اضطرت هي أيضاً الى التحلل من هذا الإتفاق .

قال جلالة الفيصل :

(. . عندما اتفقنا مع المصريين على وقف التدخل في اليمن والسعي لدى الطرفين المتقاتلين لايجاد تسوية ودية للنزاع ، تضع حداً للمعارك والقتال ، أوقفنا نحن بالفعل كل مساعدة عسكرية لليمنيين من جانبنا ، وعملنا ما في وسعنا لإيجاد تسوية عادلة صحيحة لهذه المشكلة .

ولكن الطرف الآخر لم يف بوعده ، وبدلاً من أن يوقف التدخل العسكري ضاعف قواته وزودها بمزيد من السلاح والعتاد ، وقام بما لا يُحصى من الغارات أملاً في القضاء على اليمنيين المجاهدين ووضع العالم أمام الأمر الواقع ، وازاء نكوث الطرف الآخر بوعوده اعتبرنا أنفسنا في حلّ مما التزمنا به ، ونحن في الحالة هذه أحرار في أن نتصرف على ضوء انعدام هذه الإتفاقيات نتيجة إخلال الطرف الآخر بها واعتبارها غير قائمة .)

مؤتمر خمر

لم تستطع القوات المصرية التغلب على الملكيين ، وكانت خسائرها تتعاظم ، بينما كان الإستياء يعمّ أوساط الشعب اليمني كله ، فرأينا الجمهوريين أنفسهم يعقدون مؤتمراً لهم في (خمر) ويتصلون بالقبائل المختلفة ويلتمسون حلا سلميا لمنازعاتهم ثم يطلب رئيس المؤتمر ورئيس الحكومة اليمنية الجمهورية

نفسه من جلالة الملك فيصل ، ببرقية مشتركة أرسلاها الى جلالته ، أن يساعد (الشعب اليمني في مساعيه الرامية الى حقن الدماء واحلال السلام في اليمن ، حتى يتمكن الشعب اليمني من الإستقرار وبناء حياته الجديدة) .

وقد أجاب الملك فيصل على برقية الزعيمين اليمنيين بالبرقية الآتية ، ويلاحظ أنه خاطبهما باسم الأخوة ، حتى لا يظن بأنه يعترف بصفتهما الرسمية ومن ورائها بالنظام الجمهوري :

(اخواني السيد أحمد محمد نعمان والشيخ عبد الرحمن الأرياني—صنعاء

تلقيت برقيتكم ، وأخبركم باننا حرصنا كما يعلم الجميع ،منذ بدء النزاع القائم بين اخواننا في اليمن ، على عدم توسيع شقة الخلاف ، وناشدنا مختلف الأطراف لتحكيم كتاب الله فيما بينهم ، وإيجاد حل يتفق مع مباديء العدل وحق الشعب اليمني في تقرير مصيره بارادته الحرة بعيداً عن أي مؤثرخارجي وذلك لعلمنا الأكيد بما سيجره هذا النزاع من كوارث وويلات على اليمن العزيزة نفسها ، وتأثيره المباشر على المحيطين الإسلامي والعربي . ولقد بذلنا كل المساعي وبنية ، يشهد الله ، أنها صادقة مخلصة لحل هذا النزاع ، مستلهمين السبيل الى ذلك من تعاليم ديننا الحنيف ومن الواقع الذي تعيش فيه اليمن الروابط الروحية والتقليدية التي تربطنا بشقيقتنا اليمن العزيزة ، وذلك حقناً لدماء المسلمين التي كان الأجدر بها أن تراق في سبيل إعلاء كلمة الله ، والدفاع عن حقوق العرب المسلوبة ، وإننا نؤكد للاخوان ، بأننا لا نألو جهداً في أي وقت ، من بذل ما بوسعنا ، لإحلال الأمن والإستقرار في ربوع اليمن ، على أن يكون ذلك بالإتفاق بين جميع الأطراف المعنية في اليمن ، وفي ظل ظروف تمكنهم من إقرار ما يريدونه بحرية تامة ، بعيدة عن أي مؤثرات خارجية عن اليمن .

والله تعالى هو الموفق والملهم للصواب .)

فيصل

ميثاق الطائف

وفي أوائل أغسطس ١٩٦٥ عقد عدد كبير من رجال اليمن ، ملكيين وجمهوريين ومستقلين ، اجتماعات في (الطائف) انتهت الى توقيعهم على

ميثاق عرف باسم « ميثاق الطائف » ، تعاهدوا فيه على العمل البناء ونسيان الماضي وأحقاده ، واقامة حكومة انتقالية في اليمن تجري استفتاء شعبياً لتقرير شكل الحكم وتشرف على انسحاب القوات المصرية ووقف المساعدات السعودية .

اتفاق جدة

وأمام هذا كله لم يستطع الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلا أن يتحرك بدوره ، فجاء الى المملكة واجتمع بجلالة الفيصل ، وانتهت اجتماعاتهما الى اتفاق عرف باسم : « اتفاق جدة » .

وقد قدم الزعيمان العربيان هذا الإتفاق الى الجمهور ببيان مشترك يبشر بالتفاهم الكامل بينهما وبدء عهد جديد من التعاون البناء .

قال البيان :

(لقد كانت الأهداف الكبرى التي توخاها جلالة الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر طوال المحادثات بينهما ، هي التمكين للارادة الحرة اليمنية ، وحماية كل المكاسب الوطنية للشعب اليمني ، وتوفير الاستقرار على الارض اليمنية ، لكي يستطيع شعبها المجيد أن يبدأ عملية بناء حياته شرفا وتقدما لنفسه وللامة العربية كلها .

ومن ناحية أخرى فلقد وضع الجانبان أمامهما ضرورة وضع العلاقات بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة حيث كانت وينبغي أن تكون دائماً ، قرباً وتعاونا وثيقا ، يقدران على خدمة أماني الشعبين وعلى خدمة أمتهما العربية ، وعلى الاسهام الخلاق في تعزيز وتأكيد السلام العربي والامل العربي حيث يكون .

ولقد توصل الجانبان ، بتوفيق الله ورعاية من لدنه ، الى اتفاق يحقق كل هذه الأهداف ويصونها ويستجيب الى الأماني الصادقة التي علقتها جماهير الشعوب العربية على اجتماع جدة ويفي بأمانة الاسلام والقومية .

وتدعيماً وتوثيقاً لهذه الخطوة المباركة فان الرئيس جمال عبد الناصر قد وجه الدعوة الى جلالة الملك فيصل ليقوم بزيارة الجمهورية العربية المتحدة .)

نص اتفاق جدة:

وهذا نص اتفاق جدة :

(ان الهدف الذي قصد اليه الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل في مباحثاتهما التي تمت في جدة أيام ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ . (الموافق ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ آب ١٩٦٥ م) هو التمكين للارادة الحرة للشعب اليمني ، حتى تكون قادرة على خدمة الآمال الكبيرة التي تحدو هذا الشعب العربي المجيد ، وتوفير جو السلام الذي يعطي هذه الآمال موضوعيا المناخ الملائم للنمو والازدهار ، هذا فضلا عن ازالة كل سبب للخلاف الطاريء بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وتوثيق الروابط التاريخية بين شعبيهما ، وتأكيد الحرص على الرغبة الأكيدة في صون هذه الروابط من مضاعفات أي سبب للخلاف .

وفيما يخص علاقات الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بالموقف الحالي في اليمن ، فان الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر — بعد الإتصال بكل ممثلي الشعب اليمني وقواه الوطنية والتعرف على رغباتها — يريان أن طريق الحق والأمان لمواجهة المسؤولية تجاه الشعب اليمني ، وضمانا للهدف الذي قصد اليه من الإجتماع ، يتحقق على النحو التالي :

١) يقرر ويؤكد الشعب اليمني رأيه في نوع الحكم الذي يرتضبه لنفسه وذلك في استفتاء شعبي في موعد أقصاه ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ م.

٢) تعتبر المدة الباقية حتى تاريخ الاستفتاء فترة انتقالية بقصد الإعداد والترتيب للاستفتاء المذكور .

٣) تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة في تشكيل مؤتمر انتقالي ، يتكون من خمسين عضوا ويمثل جميع القوى الوطنية وأهل الحل والعقد للشعب اليمني ، بعد التشاور مع الفئات اليمنيـــة المختلفة حسب ما يتم الاتفاق عليه . ويجتمع المؤتمر المذكور في مدينة حرض يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ م ، وعلى هذا المؤتمر القيام بالمهام التالية :

أ — تقرير طريقة الحكم في فترة الانتقال وحتى اجراء الاستفتاء الشعبي .

ب — تشكيل وزارة مؤقتة تباشر سلطات الحكم خلال فترة الانتقال .

ج — تقرير شكل ونظام الاستفتاء الذي سيتم في موعد أقصاه ٢٣ تشرين

٤) تتبنى الحكومتان قرارات المؤتمر الانتقالي اليمني المذكور وتدعمانها ، وتتعاونان في انجاح تنفيذها . وتعلنان من الآن قبولهما لوجود لجنة محايدة منهما للمتابعة والإشراف على الاستفتاء ، وذلك فيما اذا قرر المؤتمر ضرورة لوجود مثل هذه اللجنة المحايدة .

٥) تقوم المملكة العربية السعودية على الفور بايقاف كافة عمليات المساعدة العسكرية بجميع أنواعها أو استخدام الأراضي السعودية للعمل ضد اليمن .

٦) تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب كافة قواتها العسكرية من اليمن في ظرف عشرة شهور ابتداء من يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ .

٧) توقف الاشتباكات المسلحة في اليمن فورا وتشكل لجنة سلام مشتركة من الجانبين تقوم بما يأتي :

أ — مراقبة وقف اطلاق النار بواسطة لجان خاصة للمراقبة .

ب — مراقبة الحدود والموانيء وإيقاف المساعدات العسكرية بجميع أنواعها ، أما المساعدات الغذائية فتتم تحت اشرافها . وللجان المراقبة المذكورة أن تستخدم وسائل التنقل اللازمة ، ويمكن لها أن تستخدم بحرية الأراضي اليمنية كما يمكنها أن تستخدم الاراضي السعودية — اذا دعت الضرورة لذلك — التي توصلها لنقط المراقبة التي سوف يتفق عليها .

٨) تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة وتعملان ايجابياً على تأمين تنفيذ هذا الاتفاق ، وفرض الاستقرار في الأراضي اليمنية حتى اعلان نتيجة الاستفتاء ، وذلك بتخصيص قوة من الدولتين تستخدمها اللجنة عند اللزوم للقضاء على أي خروج على هذا الاتفاق أو أي عمل على تعطيله أو إثارة القلاقل في سبيل نجاحه .

٩) بغية دفع التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية الى التقدم واجتياز المرحلة الحالية الى الوضع الطبيعي كما كانت وكما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين البلدين ، يتم اتصال مباشر بين الرئيس جمال عبد

الناصر وجلالة الملك فيصل لتلافي حدوث اي مصاعب تقف في طريق تنفيذ هذا الإتفاق .)

لقاء الاسكندرية

وقد تم فعلاً ، بعد اتفاق جدة ، لقاء بين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر في الاسكندرية بتاريخ ٩ أيلول ١٩٦٥ ، قبل انعقاد مؤتمر الملوك ورؤساء الدول والحكومات العربية أكدا فيه (التزامهما بالنتائج التي توصلا إليها في اتفاق جدة وعبرا عن ارتياحهما للخطوات التي اتخذها الجانبان لتنفيذ الاتفاق وهما يؤمنان بالاهمية البالغة من أجل التمكين للارادة الحرة للشعب اليمني وتوفير الاستقرار على اراضيه حتى يتاح له ان يبني حياته شرفاً وتقدما لنفسه وللامة العربية كلها .

كما استعرض الجانبان الخطوات التي اتخذت لدعم العلاقات بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة والوصول بها إلى المستوى الأمثل الذي يقتضيه الصالح العام والتعاون بين البلدين في المجالات الاقتصادية والثقافية وغيرها واتفقا على مضاعفة الجهود في هذا السبيل . .)

مؤتمر حرض :

بديء بتنفيذ اتفاق جدة .. فدعي إلى الإجتماع في (حرض مؤتمر يمثل الجانبين اليمنيين : الجانب الملكي ، والجانب الجمهوري ، وعقدت الجلسة الأولى للمؤتمر في ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ ٢٩ رجب ١٣٨٥ هـ) بحضور هيئة الرقابة السعودية — المصرية ولجنة السلام المشتركة .. وقد استمرت اجتماعات المؤتمر الى يوم ٦ يناير ١٩٦٦ — أي اسبوعين — ولم يستطع الجانبان التفاهم .. لان الملكيين يصرون على تطبيق المادة الثامنة من الاتفاق والبدء بتقرير طريقة الحكم في فترة الإنتقال ، بينما يريد الجمهوريون البدء بوضع « نظام المؤتمر الداخلي »،لغاية لم تعرف تماما ، ولعلهم كانوا يريدون الوصول الى اسلوب من التصويت يضمن لهم الاكثرية، أو كسب الوقت.. بحيث يستمر الحكم الجمهوري القائم في اليمن أطول مدة ممكنة .

.. وأخيرا تطورت المناقشات الى ما يشبه المهاترات ..

وجهة النظر الجمهورية :

وخلال ذلك أرسل رئيس الوفد الجمهوري رسالة الى كل من جلالة الملك فيصل وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، يقول فيها :

« قد اختلفنا في تفسير الإتفاقية ، التي فهمها كل جانب على حسب تعبيره

وحين رجعنا الى لجنة الرقابة واجهتنا بالحقيقة الرهيبة وهي الغاء النظام الجمهوري القائم ، ثم اختيار طريق وسط للحكم ، لا جمهوري ولا امامي ، حتى يتم استفتاء خلال عشرة اشهر كما جاء في اتفاقية جدة .

ولم تأتِ أية اشارة حول أسرة حميد الدين التي كانت السبب فيما وصل اليه الحال من خراب ودمار ..

فاذا كانت الدولتان الشقيقتان قد اتفقتا على هذا الحل ، الذي أعلنته هيئة الرقابة ، فاننا ممثلي الجمهوريين ، نحمل الدولتين المسؤولية .. ونترك قضية شعب اليمن في يديهما ، لانهما أقوى على نزع السلاح الذي قدمتاه للفريقين خلال ثلاث سنوات . . .

ان الجمهوريين متمسكون بنظام شرعي قائم معترف به من الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية .. » الخ

وهكذا ظهر بجلاء أن الجمهوريين غير مستعدين للسير خطوة الى الأمام ، للالتقاء بالملكيين ، في حل وسط ..

وجهة النظر الملكية :

أما الملكيون فأرسلوا كتباً الى جلالة الفيصل والرئيس عبد الناصر يشكون فيها من تعنت الجمهوريين ، ومما قاله رئيس الوفد الملكي الاستاذ أحمد الشامي في كتابه :

(أولا — ان وفد الجانب الآخر يضم بين أعضائه شرذمة من السفاحين الذين قتلوا النفوس البريئة ونهبوا الأموال وعاثوا بالحرمات تحت شعار

« الجمهورية » المفروضة ..

ثانياً – التعسف الذي اتبعه أعضاء الوفد المذكور بانكارهم لاتفاقية جدة ، وعدم تقيدهم بجدول اعمال المؤتمر ورفضهم أن يخضعوا لما تمليه ارادة الشعب .)
جواب جلالة الملك :

وقد قام الدكتور رشاد فرعون ، رئيس الجانب السعودي في مباحثات حرض ، بإبلاغ رئيس الوفدين الملكي والجمهوري ، جواب جلالة الملك فيصل ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

(بعد التحية ، جواباً على برقيتكم لجلالة الملك فيصل ، فقد أمرني جلالته أن أخبركم بما يلي :

تنفيذا لنص وروح اتفاقية جدة ، فانه ليس من مهام مؤتمر حرض الحوض في بحث :

أولا – نظام الحكم ، سواء أكان جمهوريا أم ملكيا .

ثانياً – الحكم على أسرة حميد الدين بالخروج من اليمن ، لان هذا الموضوع ليس من حقنا ولا من حق مصر حتى ولا من حق المؤتمرين ، وانما هو من حق الشعب اليمني حينما يقرر مصيره .

وجلالته متمسك بنص وروح اتفاقية جدة ، ويناشد المؤتمرين التمسك بها ، هذا اذا كانوا يرغبون حقاً الخروج باليمن من المأساة التي تعيشها .

أما إذا جانبوا الحقيقة والواقع ، فعليهم تقع مسؤولية ما ينتج عن ذلك .)

ثم أرسل الدكتور رشاد فرعون ، بصفته رئيس الجانب السعودي ، رسالة إلى أعضاء هيئة الرقابة ولجنة السلام يوضح فيها رأيه في تفسير ما جاء في اتفاق جدة بشأن تقرير طريقة الحكم في فترة الانتقال ، ومما جاء فيها :

(.. نظرا لانه لم يتمكن أحد من الجانبين المتنازعين في فترة الثلاث سنوات الماضية من الوصول عسكريا ، الى اهدافه ، فكان لا بد من التفكير في حل «سياسي سلمي» يرضى عنه الجانبان المتنازعان .

وهذا ما أوصى به السكرتير العام للامم المتحدة في تقريره الذي رفعه لمجلس الأمن قبل سنتين . . .

وهذا ايضاً ما رمت اليه اتفاقية الاسكندرية التي تمت بين الزعيمين الكبيرين فخامة الرئيس عبد الناصر وجلالة الملك فيصل في سبتمبر عام ١٩٦٥ م وانبثق عنها مؤتمر أركويت في السودان .

ومن هذا المنطلق أيضاً ، فكر الزعيمان الكبيران ، تحدوهما الرغبة الأكيدة والنية الخالصة، في ايجاد حل يرضي الشعب اليمني ويمنع الاشتباكات المسلحة بين الطرفين .

ومن هذه الروح الخيرة ، انبثقت اتفاقية جدة التي فسرها الجانب السعودي منذ أول يوم ، بحضور هيئة الرقابة ولجنة السلام وممثلي الجانبين ، بما يلي :

١) أن يصهر النظامان القائمان حالياً في اليمن في شكل طريقة للحكم في فترة الإنتقال لا تحمل اسم الجمهورية ولا الملكية ، وذلك باتفاق الطرفين المتنازعين .

٢) أن تكون الحكومة المؤقتة هي وحدها المسؤولة عن مباشرة الحكم في فترة الإنتقال وتنظيم شكل ونظام الاستفتاء الذي يقره المؤتمر ؛

٣) يقرر في الاستفتاء الشعبي نوع الحكم الذي يرتضيه الشعب اليمني لنفسه بارادته الحرة ، دون ضغط أو مؤثر خارجي ، سواء أكان هذا النوع جمهوريا أم ملكيا ، ، أو نوعاً آخر يتفق مع رغباته .)

توقف المؤتمر

..توقفت جلسات المؤتمر ، وجرت محاولات لاستئناف عقد الجلسات ، ولكن الجمهوريين طلبوا تأجيل المؤتمر شهرين . . فرفض الملكيون ذلك ، فغادر الجمهوريون بلدة حرض عائدين الى صنعاء .. وبدأت الاذاعة اليمنية تشن حملة لا هوادة فيها على الملكيين وتعلن التمسك بالنظام الجمهوري القائم ، وكأن مؤتمر حرض لم يكن ..!

مؤتمر الخرطوم

وعدت الحكومة المصرية غير مرة مرة بسحب قواتها من اليمن تدريجياً ، ولكنها لم تفعل ، لأسباب لا نحب التبسط فيها ، ولكنها الآن بدأت بسحب قواتها فعلاً من الأراضي اليمنية ، بعد مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في مدينة «الخرطوم» ، في أعقاب العدوان الصهيوني الأثيم على فلسطين والبلاد العربية المجاورة لها .

أعاد مؤتمر « الخرطوم » الى الدول العربية شيئاً كثيراً من تعاونها المفقود .. وقامت حكومة السودان بمسعى نبيل لتقريب وجهات النظر بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، فاجتمع الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر واتفقا على حل لقضية اليمن يقضي بانسحاب الجيش المصري من البلاد اليمنية ووقف المملكة العربية السعودية مساعداتها عن الملكيين اليمنيين ، وإنشاء لجنة ثلاثية تتألف من مندوب سوداني رئيساً (وهو الآن رئيس الحكومة السودانية) ومندوب دولة عربية تختارها السعودية ، وقد اختارت مغربياً ومندوب دولة عربية تختارها الجمهورية العربية المتحدة ،وقد اختارت عراقياً ، ومهمة هذه « اللجنة الثلاثية » هي وضع الترتيبات اللازمة لإقامة حكم يجمع تحت لوائه اليمنيين على اختلاف مشاربهم ، في دولة واحدة .

.. بدأت اللجنة عملها في بيروت ولعلها توفق إلى إتمامه في (صنعاء) ، محققة الآمال العريضة المعلقة عليها ، إن شاء الله .

سقوط السلال

كان رئيس الجمهورية اليمنية عبد الله السلال يعارض في تنفيذ اتفاق الخرطوم وقد قام انقلاب جديد في اليمن .. وأقصي السلال عن الحكم وتألفت حكومة جديدة اشترك فيها كثير من الزعماء الجمهوريين الذين كانوا قد اجتمعوا في « خمر » ودعوا إلى المصالحة الوطنية » بين الجمهوريين والملكيين .. فلعل هذا الإنقلاب يساعد على وضع حد لمأساة اليمن ..

البترول

(لولا ما منّ الله به علينا من النعم في هذه البقعة من خروج البترول ودعم الإقتصاد العربي السعودي لما كنا في ما نحن فيه اليوم من تقدم وارتقاء !
ولهذا ، فلنقابل ما منّ الله به علينا بالحمد والشكر !) .

فيصل

بفضل الله ، ثم بفضل موارد البترول :

..نشأت ،في المنطقة الشرقية، موانيء وبلدان حديثة جميلة ، كالظهران والدمّام والخبر .

..وأقيمت في الرياض وجدة ومكة والمدينة ، وفي غيرها من بلدان المملكة ، المباني العظيمة ، ومُدّدت شبكات الكهرباء والهاتف والماء ، وعبدت الشوارع العريضة وغرست على جوانبها وفي أواسطها الأشجار والحشائش والأزهار ، وزينت الساحات الواسعة بالنوافير ، وأبدلت الجمال بالسيارات ، وا لجياد بالطائرات ، والآبار العتيقة التي كان يستخرج منها الرجل بيديه أو مستعيناً ببعض ماشيته يسيراً من الماء .. بالمضخات الحديثة تعطيه أنهاراً تتدفق ..

.. وأنشئت مستشفيات حديثة كبيرة ،وقامت جامعات ومعاهد ومدارس كثيرة ، وتكاملت مؤسسات اجتماعية مختلفة تبذل خدماتها مجاناً .

وسيطول الكلام كثيراً اذا أردنا تعداد خيرات البترول ، فلنشكر الله سبحانه على هذه النعمة التي أنعم بها على المملكة !

كان مورد المملكة الكبير : موسم الحج ، فأصبح هذا المورد عشر معشار واردات المملكة ، بعد ظهور .. البترول ، فكأنه المعني بقول الشاعر :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

والبترول ، مع فضائله كلها ، لم يخلُ من لوم لائم ونقد عائب ...

فهناك أقوام يدّعون أن موارد البترول أغنت المملكة عن طلب الرزق في مجالات أخرى ، فأهملت الزراعة مثلا ، وركن كثيرون الى حياة الدعة والفراغ بدلا من التوفر على العمل المنتج ! ..

.. وحتى « فيلبي » ، الذي ساهم في إعطاء الأمريكان امتياز البترول ، يتحسر على ظهور هذا الذهب الأسود ، لأنه ، فيما يزعم ، أفسد الأخلاق وقضى على المثالة الروحية وحطم هذا الدرع الفولاذي الذي حصن به محمد ابن عبد الوهاب صدور أهل نجد حقبة من الزمن، فاذا بهم، بعد البترول والثراء ، ينتقلون من التقشف إلى الإنغماس في مناعم الحياة المادية ..

وهناك كتاب يخافون على البلاد العربية المنتجة للبترول من سيطرة الأجانب عليها واستعبادهم لها ، فالشركات البترولية – كما يقولون – تخشى من الحكام المستقلين المتحررين على مصالحها ، لأنهم يتشددون في معاملتها ويتهددونها بسحب رخصتها ، ولذلك تعمل على ارضائهم وشرائهم بالمال ليبقوا تحت سلطانها ، فإذا تمردوا عليها تخلصت منهم وسلمت الحكم الى من يستسلم إليها ويخضع لشروطها – وهي تملك من الوسائل ما يساعدها على تنفيذ غاياتها !

يقول « نقولا سركيس » في كتابه (البترول والإقتصاديات العربية) ما ترجمته ، ملخصاً :

« . . إن تقسيم البلاد العربية إلى عدد من المناطق الصغيرة ، لم يكن غريباً عن قصة البترول . . والشركات السبع التي تؤلف « كارتيل » البترول الكبير . . تسيطر على البترول العربي وتتمتع بحرية واسعة في « تصرفاتها » ، تجاه البلاد التي تعمل فيها . .

. . وهي شركات قوية جداً تقوم بعمليات البترول ، بكل أنواعها ، وبكل مراحلها .
. . ويزيد في قوة « الكارتيل » — أو الإتحاد — ضعف مقدرة البلاد العربية على المساومة ، وضعف اقتصادها !

وقد نشرت لجنة التجارة الإتحادية في « الكونغرس » الأمريكي عام ١٩٥٢ تقريراً بعنوان : « الكارتيل الدولي للبترول » ، كشفت فيه الستار عن حقائق مثيرة بل فضائح مفزعة ، وكاد بعض المسؤولين في الكارتيل يساقون الى المحاكمة ، لولا فوز « أيزنهاور » برئاسة الجمهورية ، وكان مديناً ببعض فوزه إلى شركات البترول . .

. . ومما هو معروف أن هذه الشركات كانت وراء انقلابات وقعت في الشرق الأوسط ، فحسني الزعيم ، مثلاً ، قام بانقلابه في سورية ليضمن مرور البترول الأمريكي ، عبر الأراضي السورية ، بأنابيب التابلين التي عارضها الحكم الوطني .

وكان هناك تنافس بين الانكليز والأمريكان في مسائل البترول ، ولكنهم تعاونوا ووحدوا مصالحهم ابتداء من عام ١٩٥٤ ، بعد أزمة البترول الإيراني . . فلم يبق أمل للبلاد العربية في تنافس هاتين الدولتين !)

نعمة . . ونقمة !

هذا هو البترول . . ولكن . . أيهما أكبر : إثمه أم نفعه ؟

والجواب ، في الجملة : هو أن نفعه أعظم من ضرره !

أما الخطران اللذان يخشى منهما على البلاد العربية من البترول ، وهما :

الخطر السياسي والخطر الاقتصادي ، فإنهما لم يغيبا عن نباهة الفيصل وحكومته بل يمكن القول إن هذا الأمر كان موضع العناية منذ أول اتفاق عقدته الحكومة السعودية في عهد الملك عبد العزيز ، فقد نص في المادة (٣٦) من اتفاقية البترول المعقودة عام (١٩٣٣) على ما يأتي : (يحظر على الشركة ، وعلى كل شخص تابع لها ، التدخل في الشؤون الإدارية أو السياسية أو الدينية في المملكة العربية السعودية)

الخطر السياسي

إن الخطر السياسي يتجلى قبل كل شيء في سيطرة الشركات البترولية على سياسة الحكومة التي تعمل الشركات في أراضيها ، وقد قال المؤلف الايتالي « فيلتشه بيلوتي » للفيصل ، وكان أميراً لم يتولّ الملك بعد :

– إن (الآرامكو) دولة ضمن دولة !

فأجابه الأمير :

ليست الأرامكو دولة في دولة ، ولكنها شركة صاحبة امتياز ، كأية شركة ، وتستطيع شركات أخرى أن تحصل على امتيازات جديدة . . .

ولم يكن جواب الفيصل مجرد كلام ، ولكنه كلام مسؤول ، فقد تقدمت شركات أخرى يابانية وإفرنسية بعروض حسنة ، وحصلت على امتيازات ، فعلاً ..

ويجب علينا الإعتراف بأن الشركات الأمريكية نالت الإمتياز بمنافسة حرة ، فأقدمت حين أحجم غيرها ، ودفعت أكثر .. ، والمملكة لم تتعاقد معها خوفاً منها ، أو خضوعاً لضغطها السياسي ، وإنما حملها على التعاقد معها الحرص على توفير الموارد للدولة والشعب ، ولو كانت هناك شبهة « ضغط سياسي » لكان الإمتياز من نصيب الإنكليز ، أصحاب الصولة والدولة ، لا من نصيب الأمريكان ، الذين لم يكن لهم في البلاد السعودية أي تمثيل .

الخطر الاقتصادي

ليس الموضوع في الحقيقة موضوع خطر .. وإنما هو موضوع ربح ، أو الحصول على مبالغ كبيرة ، مقطوعة أو نسبية ، وفرض شروط وامتيازات على الشركات البترولية ، لمصلحة الدولة .

لم تكن نسبة الأرباح التي فرضتها الحكومة على أول امتياز حصلت عليه الشركات الأميركية ، كبيرة ، لأن الأرباح كانت ، في ذلك الوقت ، على هذا المستوى تقريباً ، في أكثر البلاد المنتجة للبترول في الشرق .

ثم تغيرت الظروف ، فتغيرت شروط المملكة أيضاً !

البترول في عهد عبد العزيز

يقول فيشر : في عام ١٩٢٣ ، منح عبد العزيز ، وكان يومئذٍ سلطان نجد ، الشركة الإنكليزية المسماة (ذي إيسترن جنرال سانديكت) امتياز استخراج البترول في منطقته ، لقاء ريع سنوي قدره عشرة آلاف جنيه ، وقد دُفِعَ إليه مرتين ، ثم تخلت الشركة عن حقها ، بناءً على تقارير الجيولوجيين البريطانيين الذين ثبت لهم خلو البلاد من البترول !

ويزعم « فيلبي » إن شركة إنكليزية تعرف باسم نقابة الشرق الأوسط « ميدل إيست كوربورشن » طلبت عام ١٩٢٦ من الملك عبد العزيز منحها امتياز الزيت في الحجاز — ولعلها كانت تستند إلى رخصة للتنقيب عن البترول كان المستر غارود Garood حصل عليها من الملك حسين عام ١٩٣٠ برسالة خاصة — فأفهم فيلبي ممثلي الشركة أن الملك ابن سعود غير ملزم برسائل الشريف حسين ! ..

ووقف الأمر عند هذا الحد ! .

وفي عام ١٩٣٢ — كما يقول الشيخ حافظ وهبة — (بذل الأمير فيصل مجهودات عظيمةً أثناء زيارته للندن ، سواء مع وزارة الخارجية أو في بعض الدوائر المالية ، لبيع امتياز البترول لإحدى الشركات البريطانية فلم تثمر مساعيه) .

ويقول فيلبي ، في كتابه « مغامرات الزيت العربي » الذي نشر بعد وفاته ، إنه حاول إقناع الملك عبد العزيز بضرورة إعطاء الشركات الأجنبية القوية رخصة باستخراج النفط ، فكان الملك ينصرف بوجهه عنه ، لأنه ما

كان يريد إغضاب المتعصبين والمتزمتين من أهل بلاده ، برغم قلة الموارد ، وتناقص عدد الحجاج ، واشتداد الأزمة ...

قال فيلبي : زرت الملك في الطائف ، وقلت له : إنك تشبه رجلاً نائماً فوق كنوز مطمورة ، ولكنه لا يجد في نفسه لا الرغبة ولا الإرادة في البحث عنها ، وهي تحت فراشه !

.. وفي ذات يوم ، قال لي الملك :

« يا فيلبي ، إذا دفع إليّ إنسان الآن .. مليون جنيه ذهباً سلفاً ، فأنا أعطيه الرخصة .. »

فقلت له : سيأتي أكثر من هذا المبلغ ، متى اكتشفت الكنوز ، وهناك رجل يستطيع أن يعيننا في الكشف عن الكنز ، وهو : مستر كراين !

وفي شباط من عام ١٩٣١ جاء مستر كراين إلى جدة ، وكانت تحيط بكراين هالة من الشهرة ، لأنه رجل نبيل ، محب للعرب ، أعطى بلاد اليمن معونة مالية حسنة ، وأرسل إليها الخبراء على نفقته ليساعدوها في البحث عن ثرواتها وتحسين أحوالها الإقتصادية ، وهو ابن صاحب معمل كبير ، مات وخلف له ثروة ضخمة ، وكان الرئيس ويلسون قد أرسله في مهمة تحقيق إلى سورية والعراق وفلسطين في أعقاب الحرب العامة لمعرفة آراء السكان في تقرير مصيرهم ، فوضع تقريراً أغضب الإنكليز والإفرنسيين .. ولكنه أكسبه شهرة عظيمة .

قابل المستر كراين الملك عبد العزيز ، وأهدى إليه صندوق تمر من نخيل زرعه في أمريكا ، فكان .. كمن يهدي التمر إلى هجر ، والماء إلى البحر !

ولكنه أرسل إلى الملك بعد ذلك هدية أثمن ، وهي : الخبير الجيولوجي مستر توتشل ، الذي كان يعمل في اليمن .

كانت مهمة تويتشل الأولى البحث عن الماء .. في الحجاز ، لأن الملك كان يطلب الماء قبل كل شيء ، وقد ثبت لتويتشل أن الماء قليل في الأراضي

الحجازية ، كما توجد فيها معادن ، ولكنه قرر أن مناجم الذهب في الحجاز ، حتى منجم سليمان عليه السلام ، ليست شيئاً أمام تلك الكنوز المطمورة ، هناك .. في الأحساء !

في عام ١٩٣٢ ، سمع الناس أخبار البترول الذي تفجر في البحرين ، على مقربة من الأحساء ، وثبت أن طبيعتهما « الجويولجية ، البترولية » ، واحدة !

وهكذا دقت طبول البشائر !

وفي عام ١٩٣٣ اتصلت شركة « زيت كاليفورنيا » ، التي اكتشفت البترول في البحرين ، بتويتشل ، واتخذته مستشاراً فنياً لها ، وطلبت من « فيلبي » أن يمهد لها الطريق للإتصال بالحكومة السعودية .

وتم الإتفاق على مجيء ممثل عن الشركة إلى جدة لمفاوضة الحكومة في الحصول على رخصة للتنقيب .

وبلغ البريطانيين الخبر فتحركوا مرة أخرى وطلبوا الحصول على امتياز هذا السائل الأسود ، الذي كانوا ينكرون وجوده ..

كان عبد العزيز يميل إلى منح الشركات البريطانية امتياز البترول في بلاده ، حتى لا تظن بريطانيا أن ابن سعود ، الذي تعده صديقاً لها ، لم يعد يحسب للبريطانيين حساباً ، بعد اتساع سلطانه واستقرار ملكه .. ولكن عروض الشركات الإنكليزية كانت عروضاً تافهة بل مضحكة ، ولذلك اضطر الملك إلى التعاقد مع الشركة الأمريكية ، بعد أن جمع مستشاريه وسألهم رأيهم في ذلك ، فأجمعوا على ضرورة إعطاء الإمتياز إلى الأمريكان لسببين :

الأول — أنهم يدفعون أكثر من الإنكليز !

الثاني — أنهم « أسلم » من الوجهة السياسية ، فليست لهم مطامع وأغراض استعمارية ، وهم لا يملكون مستعمرات ، ولا يريدون الإستعمار !

اتفاقية البترول الاولى

في ٢٩ مايو ١٩٣٣ وقع وزير المال الشيخ عبد الله السليمان ، نيابة عن المملكة ، ومستر هاملتون ، نيابة عن شركة « ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا »

الأمريكية اتفاقية التنقيب عن البترول واستثماره ، وهذا نص المادتين الأولى والثانية من الإتفاق :

المادة الأولى – تمنح الحكومة للشركة بمقتضى هذه الإتفاقية ، ووفقاً للشروط الآتي بيانها والخاصة بالمساحة المحدودة أدناه ، الحق المطلق لمدة ستين سنة تبتدىء من تاريخ سريان مفعولها للتحري والتنقيب والحفر واستخراج ومعالجة وصنع ونقل ومعاملة وأخذ وتصدير البترول والإسفلت والنفط والشحومات الطبيعية والشمع الكريه والسوائل الكربونية الأخرى ومستخرجات جميع هذه المحصولات .

من المفهوم على كل حال أن هذا الحق لا يتضمن منح الحق المطلق لمبيع المنتوجات الوسخة أو المكررة في داخل المنطقة المشروحة أدناه أو في داخل المملكة العربية السعودية .

المادة الثانية – إن المنطقة التي يشملها الحق المطلق المشار إليه في المادة الأولى من هذه الإتفاقية هي كامل الجهة الشرقية من المملكة العربية السعودية من حدودها الشرقية (بما فيها الجزر البحرية والمياه الساحلية) إلى منتهى الحافة الغربية للدهناء ومن الحدود الشمالية إلى منتهى الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية ، على شرط أنه من النهاية الشمالية للحافة الغربية للدهناء يستمر هذا الحد الغربي للمنطقة المشار إليها من خط مستقيم متجه إلى الشمال بانحراف ثلاثين درجة غرباً حتى نقطة ملتقى خط الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية ، وأنه من النهاية الجنوبية للحافة الغربية للدهناء يستمر هذا الحد الغربي للمنطقة المشار إليها في خط مستقيم متجه إلى الجنوب بانحراف ثلاثين درجة شرقاً حتى نقطة ملتقى خط الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية .

ومن أجل السهولة ستسمى هذه المنطقة بـ (المنطقة المشمولة) .

أهم مضامين الإتفاق

مدة الإتفاق ستون سنة (مددت فيما بعد إلى ست وستين سنة).

تأخذ الحكومة السعودية عن كل طن صاف من الزيت الذي تستخرجه الشركة مبلغ أربعة شلنات ذهبية أو ما يعادلها .. وثمن $\frac{1}{8}$ حاصلات بيع الغاز .

تقدم الشركة إلى الحكومة قروضاً ثلاثة تبلغ في مجموعها مئة ألف جنيه ذهباً ، وإيجاراً سنوياً مقداره خمسة آلاف جنيه .

وتستخدم الشركة أشخاصاً أمريكيين ولكنها تستخدم السعوديين أيضاً ما أمكنها ، ويخضع عمالها لقوانين البلاد .

وتتعهد الشركة بإنشاء معمل لتأمين احتياجات الحكومة من البنزين والغاز وتعطيها ٢٠٠ ألف جالون أمريكي من البنزين ومئة ألف جالون من الغاز مجاناً .

– للشركة الحق في بناء واستعمال الطرق والأبنية والمخيمات وإنشاء موانيء وأرصفة وخطوط للتحميل البحري .

– تعرض الخلافات بين الحكومة والشركة على حكمين منهما ويختار هذان الحكمان الشخص الثالث « الوازع » وعند اختلافهما على تعيينه يقوم رئيس محكمة العدل الدولية بتعيينه .

وعند انتهاء مدة الإمتياز تنتقل ملكية أموال الشركة غير المنقولة إلى المملكة العربية السعودية .

الإتفاقية الملحقة

استمرت عمليات التنقيب عن الزيت خمس سنوات ، وأخيراً ، في عام ١٩٣٨ ، اكتشت الزيت بكميات تجارية ، وتبلورت الآمال ..

وكانت البئر الأولى المكتشفة هي بئر الدمام المحدّدة برقم «٧» ..

وفي ٣١ مايو عام ١٩٣٩ عقدت اتفاقية بين الحكومة والشركة أوضح فيها أن البترول ظهر بكميات تجارية في اليوم السادس من أكتوبر ١٩٣٨ م.

واتفق على توسيع المنطقة المشمولة بالإمتياز فشملت المنطقة المحايدة السعودية – الكويتية والمنطقة المحايدة السعودية – العراقية .

وزيد ما تعطيه الشركة إلى الحكومة مجاناً من البنزين فأصبح مليون و ٣٠٠ ألف جالون غير معبأ . وعند اكتشاف البترول في المناطق الجديدة ترتفع الكمية إلى مليونين و ٣٠٠ ألف جالون .

ومدّدت مدة الإمتياز ست سنوات أخرى فأصبحت ستاً وستين سنة .

ووافقت الشركة على إعطاء الحكومة مبلغ ١٤٠ ألف جنيه إنكليزي ذهباً أو ما يعادلها ، يضاف إليه مبلغ مئة ألف جنيه عند اكتشاف الزيت بكميات تجارية . وجعل الإيجار السنوي عشرين ألف جنيه ذهباً ..

تغيير اسم الشركة

وفي عام ١٩٤١ تغير اسم الشركة الأمريكية المستثمرة للبترول في المملكة ،

فأصبح : شركة الزيت العربية الأمريكية أو اختصاراً – آرامكو –
وقد اشتركت في آرامكو أربع شركات بترولية مساهمة كبيرة ، وهي :

ستاندرد كاليفورنيا	٣٠٪
تكساسكو	٣٠٪
نيوجرسي	٣٠٪
وسكوني موبيل أويل	١٠٪

المنطقة المغمورة

وفي عام ١٩٤٨ عقدت المملكة مع الآرامكو امتيازاً جديداً لاستثمار المنطقة المغمورة ، على نفس الأسس المقبولة في الإمتياز القديم ، مع إضافة خمسة بالمائة من الدولار عن كل برميل .

إتفاقية المنطقة المحايدة

في ٢٠ فبراير ١٩٤٩ (٢٢ ربيع الثاني ١٣٦٨) أعطت المملكة شركة « باسفيك وسترن أويل كوربوريشن » حق استثمار ما تملكه من المنطقة المحايدة بينها وبين الكويت، وتدفع الشركة للحكومة :

أولا – مبلغ تسعة ملايين دولار ونصف المليون عند توقيع الإتفاقية .

ثانياً – ١٢ ونصف بالمائة من حاصلات بيع الغاز المصنع بمعرفتها .
و ٢٥ بالمائة من صافي أرباح الشركة من بيع الغاز المصنع بمعرفة غيرهـا .

رابعاً – تعطي الشركة للحكومة بدون مقابل كل سنة مئة ألف جالون من الغازولين وخمسين ألف غالون من الكيروسين .

وقد تحول اسم الشركة فيما بعد فأصبح يعرف باسم شركة (جيتي) أو « جيتي أويل كونباني » .

ضريبة الدخل ومناصفة الارباح

كانت شروط اتفاقية البترول ، في فترة السنوات الأولى تبدو للناس حسنة ، أو غير سيئة على الأقل ،والقضية قضية « عرض وطلب » ، ولم تعرض شركة أخرى عروضاً أفضل ، حتى يتهم المفاوضون بترجيحها على غيرها لمنافع شخصية ..

لقد بدأت الشركة استثمارها للبترول بمقادير غير كبيرة ، ولكن الأرقام قفزت ، بعد ذلك ، قفزات خيالية ، بحيث اختلت تماماً نسبة ما تربحه الحكومة وما تربحه الشركة .. ووجب على الحكومة أن تتحرك ..

هناك طريقتان لتعديل الإتفاق ،الأولى تفترض قبول الآرامكو ، فهل تقبل الآرامكو إنقاص أرباحها وتعديل شروطها ؟

والثانية طريقة قانونية بسيطة تتفادى الجدل الطويل ، وهي أن تعمد الحكومة إلى فرض ضريبة كبيرة على الدخل ، ففعلت ذلك بمرسومين صدرا في محرم وربيع الأول من عام ١٣٧٠ هـ .

لم تشأ الأرامكو أن تتمرد على الحكومة ، لأن أرباحها كانت جسيمة جداً ، وكان من حق الحكومة أن تفعل شيئاً ... فجنحت الأرامكو إلى المسالمة وعقدت بينها وبين الحكومة اتفاقية دُعيَت : (اتفاقية مناصفة الأرباح) ، وقد وقعت في اليوم العشرين من ربيع الأول عام (١٣٧٠) هـ. وبموجبها قبلت الأرامكو الخضوع لضريبة الدخل بشرط « ألاّ يتجاوز مجموع تلك الضرائب وجميع الضرائب الأخرى والريوع والإيجارات واستحقاقات الحكومة عن أية سنة من السنوات ، عن خمسين بالمائة من إجمالي دخل الأرامكو ، مخصوماً منه مصاريف التشغيل ، بما فيها الخسائر والإستهلاكات ، الخ ...)

ولقاء هذا التحديد زيدت حصة الحكومة السنوية المجانية من البنزين إلى ٢,٦٥٠,٠٠٠ غالون ومن الكيروسين إلى ٢٠٠ ألف غالون وأعطيت فوق ذلك (٧٥٠٠)طناً سنوياً من الأسفلت .

وتعهدت الأرامكو بدفع ٧٠٠ ألف دولار لنفقات ممثلي الحكومة في الشركة والحرس الذين يقومون بحفظ الأمن في مؤسسات البترول .

حقول البترول الكبيرة

اكتشفت خلال حياة الملك عبد العزيز الحقول البترولية التالية :

الدمام	عام	١٩٣٨
أبو حدرية	—	١٩٤٠
بقيق	—	١٩٤١
القطيف	—	١٩٤٥
عين دار	—	١٩٤٨
حرض	—	١٩٤٩
العثمانية	—	١٩٥١
شدقم	—	١٩٥٢

وقد عرفت هذه الحقول الأربعة الأخيرة — يضاف إليها عام ١٩٥٣ حقل (الحوية) وعام ١٩٥٧ (فزاران) باسم : (الغوار) .

وحقل الغوار هو أكبر حقل للزيت في المملكة ومن أعظم حقول العالم .

وفي عام ١٩٥١ اكتشف حقل (السفانية) ، في المنطقة المغمورة ، تحت المياه ، ويعد أكبر حقل للزيت من نوعه في العالم كله ..

كان إنتاج البترول في عام ١٩٣٨ وهو العام الأول من استخراجه بكميات تجارية أقل من نصف مليون برميل ، وقبيل وفاة الملك عبد العزيز قفز هذا الإنتاج إلى ثلاثمائة مليون برميل !

وبهذه النسبة ارتفعت حصة المملكة من عائدات البترول فبلغت عام (١٩٥٢) ، ما يعادل مئتي مليون دولار وأزيد قليلا ..

خط التابلاين

وفي عهد الملك عبد العزيز أنشأت الأرامكو خطاً من الأنابيب طوله (١٠٦٨) ميلا يمتد من منابع البترول إلى مرفأ صيدا في لبنان (الزهراني) ، وكان هذا الخط ينقل نحو ربع مليون برميل في اليوم ! .

أما بقية صادرات البترول إلى العالم فتنقلها السفن .

ويعرف هذا الخط باسم « التابلاين » ، ويعد أكبر خط من الأنابيب البترولية في العالم ، وهو يمر بأربع دول : السعودية ، سورية ، الأردن ، لبنان ، والثلاث الأخيرة تتناول رسوماً عن مروره في أراضيها ، وأما العربية السعودية ، فلها موارد من هذا الخط تحسب على أسس مخصومة .

ما تخلت عنه الارامكو

مؤسسة الارامكو

تخلت الأرامكو ، تحقيقاً لبنود الإتفاق ، عن عدد من رقاع الأراضي المشمولة بامتيازها ، بحيث كانت مساحة الأراضي التي احتفظت بها لاستثمارها (٣٤٠) ألف ميل مربع ، خلال العام ١٩٥٢ أي أنها تخلت عن مئة ألف ميل مربع .

وفي عام ١٩٦٣ كانت المساحة الباقية للأرامكو (١٢٥) ألف ميل مربع .

تشغل الأرامكو في المملكة حيزاً ضخماً جداً ، ولا يشعر الإنسان بعظمة شأنها إلا في المنطقة الشرقية . فهناك مدينة (الظهران) ، التي تعتبر بحق عاصمة الأرامكو ، ففيها مكاتب الشركة والبيوت الحديثة التي أنشئت لموظفيها ، وهناك ميناء (الدمام) ، الذي أنشأته الآرامكو لحساب المملكة ، ولم يكن من قبل شيئاً مذكوراً ، فإذا هو الآن مدينة كبيرة الخطر ، بل بلغ من خطورتها أن الحكومة جعلتها عاصمة المنطقة الشرقية — أي مقر إمارتها — بدلاً من الهفوف ! .

وإلى جانب الدمام نجد بلدة (الخبر) التي تعيش من مشتريات موظفي الآرامكو وأسرهم ، وفيها كثير من البيوت التي شيدت لهم .

وهناك أيضاً (رأس تنورة) ، وهي — كما يدل عليها اسمها — رأس أرض ، أو شبه جزيرة ، داخلة في البحر ، وفيها معامل للتكرير والغاز السائل المبرّد ، ومنها يشحن الزيت خاماً ومكرراً إلى العالم .

سكة الحديد

وقد أحب الملك عبد العزيز أن يصل عاصمة الرياض بالبحر ، فقامت شركة الآرامكو نفسها بتحقيق هذا المشروع وأنشأت سكة للحديد بين الرياض والدمام .

ويعمل في الآرامكو أكثر من عشرة آلاف موظف ومستخدم سعودي .

امتياز الشركة اليابانية

أنشيء في عهد الملك سعود مجلس وزراء ، كان على رأسه سمو الأمير فيصل ، إما بالأصالة أو بالنيابة عن الملك ، وأصبح مجلس الوزراء صاحب الحق في اعطاء الإمتيازات ، لا الملك وحده ، كما كان الحال سابقاً .

وفي عام ١٩٥٧ طلبت الشركة اليابانية للبترول (التي عرفت فيما بعد باسم شركة الزيت العربية اليابانية المحدودة) الحصول على الإمتياز في القسم المغمور من المنطقة المحايدة،وهو قسم مشترك بين المملكة والكويت،فجرت المفاوضات بين ممثل الحكومة السعودية وممثل الشركة وانتهت الى اتفاق في اليوم العاشر من شهر ديسمبر عام ١٩٥٧ ، وهذا الإتفاق أفضل كثيراً من اتفاق الأرامكو ، إذ نص فيه على أن تدفع الشركة للحكومة ريعاً سنوياً يوازي :

٢٠ ٪ من الزيت الخام
٢٠ ٪ من الاسفلت
٢٠ ٪ من الغاز الطبيعي

ومتى تبين للحكومة أن مجموع ما تأخذه من الشركة ، ريعاً وضريبة دخل ، لا يبلغ ٥٦٪ من دخل الشركة الصافي ، فلها الحق ان تفرض على الشركة ضرائب إضافية بحيث تبلغ حصتها ٥٦ ٪ من مجموع أرباح الشركة !

.. وللحكومة السعودية عشر أسهم الشركة ، أي عشر رأسمالها !

ومدة الإمتياز أربعون سنة .

وتتعهد الشركة بأن تستخدم ٧٠ ٪ على الأقل من السعوديين ، وأن تساوي رواتبهم برواتب غيرهم من الموظفين المعادلين لهم بالشهادات والمؤهلات ، ويرجح مواطنو البلاد العربية عند عدم وجودسعوديين صالحين للإستخدام.

كان توقيع هذه الإتفاقية نصراً كبيراً ، لأن الدولة لا تكتفي بأخذ عائدات حسنة عن البترول الذي تستخرجه الشركة ، ولكنها تشترك معها في كل الأرباح التي تحققها بنسبة تتجاوز النصف ! . —١—

---

(١) المنطقة المغمورة تبدأ من مستوى انحسار الماء بالجزر على الخليج الفارسي الواقع على بر المملكة وتشمل الأراضي الواقعة تحت ماء الساحل البحري الذي تملك الحكومة السعودية حق السيادة عليه ...

تعديل اتفاقية الارامكو

ليس من طبيعة الفيصل أن يعرض سمعة المملكة المالية للإنهيار بسلوكه أسلوباً عنيفاً أو ثورياً مع الشركات الأجنبية ، بحيث تنفر الشركات الأخرى من التعامل مع المملكة في المستقبل ، أو تقوم بدسائس ومؤامرات انتقامية تمس سيادة البلاد وكرامتها ، ولذلك يستعمل الحكمة في الوصول الى غرضه الأسمى ، وهو تحقيق المصلحة العامة .

وقد سئل سموه في أمريكا عام ١٩٦٣ ، عن مستقبل العلاقات بين الحكومة السعودية ، وشركات الزيت الأجنبية ، فقال : إن سياستنا كانت دائماً تقوم على التعاون مع الشركات الأجنبية ، مع التمسك في الوقت نفسه بحقوق البلاد في مواردها المالية !

وأضاف : إن علاقاتنا مع الشركات الأجنبية حسنة للغاية ، ولا نتوقع أن يطرأ على هذه العلاقات تبديل .

إلا أن سموه قال : إن هناك بعض القضايا الثانوية مطروحة الآن على بساط المفاوضات ، كمسألتي الأسعار واقتسام الأرباح ،والمفاوضات تدور في جو ودي . وأعرب سموه عن اعتقاده بأنه ينبغي على شركات الزيت أن تأخذ بعين الإعتبار مصالح البلاد المنتجة ..

لقد استطاعت حكومة الفيصل أن تحصل من شركة الآرامكو بمفاوضات سلمية على تعديلات وشروط جديدة ، تم أكثرها ان لم نقل كلها بعد تولي فيصل رئاسة مجلس الوزراء ثم سلطات الملك ، ثم المناداة به ملكاً .

ففي اليوم الأول من ذي القعدة ١٣٨٢ هـ . أصدر الفيصل مرسوماً ملكياً صدق فيه على الإتفاقيتين الجديدتين بين الحكومة والأرامكو في ٢٤ مارس ١٩٦٤ .

وتتضمن الإتفاقية الأولى اسلوباً جديداً في حساب الضرائب على الأرامكو والتابلين ، وفي تحديد أسعار الزيت ،وفي مواعيد دفع ضرائب الدخل الخ .. وكل ذلك لمصلحة المملكة .

وتنص الإتفاقية الثانية على تخلي الأرامكو عن أجزاء جديدة من منطقة امتيازها ، بحيث يبقى لها (١٢٥) ألف ميل مربع ، وتعهدت بالتخلي عن

أقسام اخرى كل خمس سنوات بحيث يبقى لها، بعدمرور ثلاثين سنة، عشرون الف ميل مربع فقط . —١—

وفي عام ١٩٦٦ م . أعلن عن توقيع اتفاقية مع شركة الأرامكو حول الغاء حسومات المبيعات التي كانت مقررة لشركة الأرامكو ، وبفضل هذا التدبير تحقق المملكة ربحا مقداره (٣٠٠) مليون ريال عن المدة الماضية ، اذ جعل للاتفاق مفعول رجعي .

---

(١) في ٢٨ آذار سنة ١٩٦٤ أذاع وزير البترول والثروة المعدنية الأستاذ أحمد زكي يماني بياناً على الشعب السعودي حول اتفاقياته مع الآرامكو ، ومن أهم ما جاء في هذا البيان :

١ – أسعار الزيت السعودي تختلف باختلاف كثافته ، وباختلاف الميناء الذي يتم تسليمه فيه . ويتم تسليم الزيت في ميناءين: رأس تنووة في السعودية، الزهراني في صيدا (لبنان) حيث يصل بواسطة أنابيب التابلاين .

كانت الأرامكو تحاسب الحكومة عن الزيت الذي تبيعه في الزهراني على أساس سعر الزيت في رأس تنورة !

وبذلك تخسر الحكومة الفرق بين السعرين .

وقد سلمت الأرامكو أخيراً بحق الجانب السعودي في الفرق ، سواء بالنسبة إلى الماضي أم بالنسبة إلى المستقبل .

٢ – الضريبة – اتفق على دفعها أولا بأول بالتدرج .. مما يحقق للحكومة زيادة في واردتها تبلغ مئة مليون دولار وأكثر ..

٣ – التابلاين – ضمنت الأرامكو للحكومة حداً أدنى لرسم المرور هو ٩,٧ سانتي أمريكي..

البترول في المنطقة الغربية

ظهر البترول في المنطقة الشرقية في المملكة على ساحل الخليج ، ولكن الفيصل لم يهمل المنطقة الغربية وكان يفكر دائما فيها ، ولذا قامت الأجهزة المختصة في حكومته باستقدام الخبراء وشرعت في مسح «سيزموغرافي» للمنطقة الغربية براً وبحراً وجواً ، فثبت لها وجود طبقات أرضية رسوبية سميكة قابلة لتجمع الزيت فيها ، فرسمت الحكومة لنفسها سياسة بترولية جديدة تؤمن منافع كبيرة ، لم تعرف من قبل في الإتفاقات التي عقدتها المملكة نفسها أو أية دولة من دول الشرق .

وفي ٣ ذي الحجة ١٣٨٤ (نيسان ١٩٦٥ م.) وقعت الحكومة اتفاقا مع شركة « أوكسيلير دولاريجي أوتونوم دو بترول » « الإفرنسية ، التي تعرف اختصاراً باسم « أوكسيراب » ، للتنقيب عن البترول واستخراجه ، وفي ٢٧ شوال ١٣٨٥ هـ . صدر مرسوم ملكي بتوقيع « الفيصل » ، بالموافقة على اتفاقية تحديد المنطقة التي يشملها امتياز الشركة .

وقد اجمعت الأوساط البترولية على القول بأن هذا الإتفاق يعد مبدأ عهد جديد بل فتحاً جديداً في تاريخ الإتفاقات البترولية لأنه يؤمن للبلاد المنتجة للبترول مزايا كبيرة ويساعد مؤسساتها الوطنية على المشاركة في أعمال الإنتاج والتصنيع ، ثم الإستقلال بها ، بدلاً من الإكتفاء باستلام العائدات وإنفاقها !

مزايا الاتفاق

وقد عدد مصدر مسؤول في وزارة البترول والثروة المعدنية للصحف مزايا الإتفاق المعقود مع الأوكسيراب ، وهذا أهم ما جاء في التصريح :

١ ـ تحقيق المشاركة الفعالة بين المملكة والشركة على اساس اقتصادي سليم يكفل للمملكة تطور مؤسساتها الوطنية (المؤسسة العامة للبترول والمعادن) المعروفة اختصاراً باسم (بترومين) ـ ودخولها بشكل فعال ميدان صناعة

الزيت بآفاقه المختلفة وأهمها التسويق على نظام دولي .

٢ – ألغي أسلوب التحكيم عند المنازعات وتخلى حاملو الأسهم الأجانب عن الرجوع عند المنازعات الى الوساطات الديبلوماسية .

٣ – خفضت مدة الإمتياز الى ثلاثين سنة فقط .

٤ – اشتركت الحكومة السعودية والمواطنون السعوديون بأربعين بالمائة على الأقل من أسهم الشركة .

٥ – للسعودية في التصويت والإدارة وعضوية مجلس الإدارة عدد مساوٍ للشركة ، مع أن اشتراكها في الأسهم أقل .

٦ – جعل عدد الأيدي السعودية ٧٥ ٪ على الأقل .

٧ – تخضع الشركة لجميع الضرائب المفروضة والتي ستفرض في المستقبل بالغة ما بلغت ..

٨ – تدفع الشركة للحكومة ريعاً مقداره ٢٠ ٪ من الزيت الخام و١٢٪ من الغاز الطبيعي .

٩ – تدفع الشركة إيجاراً عن كل كيلومتر مربع من رقعة امتيازها مقداره دولار واحد في الخمس السنوات الأولى ثم يرتفع تدريجيا حتى يصل إلى (٥٠٠) دولار ابتداء من السنة السادسة والعشرين للامتياز .

١٠ – يجوز للحكومة أن تشتري عشر منتجات الشركة بسعر الكلفة مع زيادة ٢ سنت للبرميل الواحد .

١١ – يجب على الشركة أن تتخلى للحكومة تدريجياً عن المناطق غير المستثمرة . .

١٢ – تضع الشركة برامج لتدريب الموظفين السعوديين على جوانب صناعة الزيت كلها بما فيها الرقابة والإدارة .

١٣ – مساهمة الشركة في تحقيق رفاهية الشعب السعودي بتقديم الخدمات المختلفة التعليمية والطبية والصحية والوقائية .

١٤ – تحديد اسعار الزيت بأحسن ما يمكن الحصول عليه في سوق المنافسة الحرة .

١٥ – تفضل ناقلات الزيت السعودية وناقلات الشركة على الناقلات الأخرى في شحن منتجات الشركة الى الأسواق ..

١٦ – اتفق مبدئيا على أن تقوم بأعمال الحفر الأولية شركات سعودية أنشأتها المؤسسة الوطنية السعودية للبترول المعروفة باسم « بترومين » ..
واشترط على الشركة أن تقوم خلال السنتين الأوليين بحفر بئر واحدة على الأقل إلى عمق عشرة آلاف قدم .

منطقة الإمتياز

تقع منطقة الإمتياز على ساحل البحر الأحمر ، وتبلغ مساحتها (٢٦٧٠٠) كيلومتر مربع وهي تتألف من ثلاثة أقسام :

١ – القسم الشمالي الأول ، قرب ضبا – وأبقيت منطقة خالية أو «محجوزة» للحكومة السعودية – ويشمل هذا القسم جزيرتي تيران وسنافروا .

٢ – القسم الثاني الشمالي ، قرب الوجه .

القسم الثالث قرب جازان ، ويشمل جزيرة فرسان .

السعودية بلاد الاقتصاد الحر

سأل صحفي جلالة الملك فيصل ، بعد اتفاقية الأوكسيراب : هل هـذا يفسر باتجاه سياسي معين ، أو أنه عمل اقتصادي بحت ، فأجاب جلالته :

(نحن ، كما هو معروف في بلادنا ، غير مرتبطين بجهة ، ولا منحازين لجهة ، وبلادنا تتبع النظام الإقتصادي الحر ، وتتعامل مع الكل ، وليست مرتبطة بفئة دون فئة ...

.. فاذا كانت الشركات الفرنسية قد أخذت امتيازاً ، وإذا جاءت غـداً شركات ايطالية وأخذت امتيازاً ، واذا جاءت بعد غد شركات هولنديـة وأخذت امتيازاً ، فهذا غير مستنكر على بلاد حرة من كل قيد أو شرط ، ومن الإنحياز الى أية دولة أو أية جهة ..)

احصاءات ومعلومات بترولية

ـ أصبحت المملكة السعودية أكبر منتج للبترول في الشرق الأوسط ورابع دولة في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي وفنزويلا .

وكانت الكويت تشغل هذا المكان ، قبل احتلال السعودية له . والفرق بينهما على كل حال غير كبير .

ـ يقول تقرير (أسو سيتدبرس ـ دوجونز) للتقارير الإقتصادية :

ـ كان إنتاج البترول عام ١٩٤٦ : (٦٠) مليون برميل ، وزاد عام (١٩٦٦) على (٩٠٠) مليون برميل !

ـ كانت واردات الزيت حوالي ١٠ ملايين دولار ، فأصبحت حوالي (٨٠٠) مليون دولار

وقالت صحف المملكة في أوائل عام (١٩٦٦) :

علمنا من مصدر مطلع في وزارة البترول بأن معدل إنتاج الزيت في المملكة لشهر فبراير ١٩٦٦ وصل إلى ٧٠٠ و٩٨٤ و٢برميل يومياً.وقد كان معدل يناير ١٩٦٦ (٩٧٨ـ٧٥٩ـ٢) يومياً . ويعتبر هذا أعلى معدل لإنتاج الزيت الخام في الشرق الأوسط .

وقبل ذلك بقليل ، كانت الإحصاءات تكشف عن الأرقام الآتية :

الدولة	معدل الإنتاج اليومي لعام ١٩٦٦	نسبة الزيادة عن عام ١٩٦٥
السعودية	٢,٦٢٠,١٠٠	١٧,٦٪
الكويت	٢,٤٤٦,١٠٠	٢,٣٪
إيران	٢,٠٣٢,٨٠٠	١٩,١٪
العراق	١,٦٢٢,٣٠٠	١٠,٩٪
قــطر	١٩٩,٨٠٠	٣,١٪

بولونيا ½ طن يومياً

أمريكـــا ½ ١ طن
رومانيـــا ½ ٧ طن
فنزويلا ٢٥ طناً
الشرق الأوسط ١٠٠٠ طن يومياً

وفي كتاب : « الولايات المتحدة والشرق الأوسط » :

– في الشرق الأوسط : (٧٠) بالمائة من مصادر البترول الموجودة في العالم الحر .

– (٨٠) بالمائة من احتياجات أوروبا الغربية البترولية يقدمها الشرق الأوسط ، وهي تزيد عن مليوني برميل كل يوم .

ويصل منها إلى أوروبا أكثر من النصف بطريق قناة السويس والباقي بطريق الأنابيب الممتدة عبر الأراضي العربية إلى البحر الأبيض المتوسط .

يبلغ احتياطي البترول في الشرق الأوسط نحو ثلثي احتياطي العالم . ويقدرونه بنحو مئة وخمسين مليار برميل .

إنتاج البترول في الشرق الأوسط أقل من إنتاج القارة الأمريكية .

فأمريكا الشمالية أنتجت عام (١٩٥٥) أكثر من نصف مجموع الإنتاج العالمي للبترول ، وأمريكا الجنوبية أنتجت حوالي الخمس ، ولم ينتج الشرق الأوسط كله سوى ٢٣ ٪ فقط .

– وتستطيع أمريكا تأمين احتياجات أوربا الغربية كلها من البترول ، بحيث تستغني عن الشرق الأوسط ، لولا عقبتان ضخمتان جداً تعترضان هذا السبيل :

الأولى – أخذ البترول من موانىء الشرق الأوسط أسهل وأقل كلفة من أخذه من أمريكا .

الثانية – سعر البترول الأمريكي في خليج المكسيك ٣,٢٥ دولار ، وسعره في الخليج الفارسي : (١,٩٧) دولار فقط !

وهناك أيضاً عقبة ثالثة : وهي أن أمريكا تبيع بترولها بالدولار ، ولا تقبل العملة الوطنية للمشترين !

بل هناك عقبة رابعة ، وهي أن أمريكا تبيع بترولها مكرراً في معاملها ، بينما تستطيع أوربا شراء البترول خاماً من الشرق الأوسط ، وتتولى هي

نفسها تكريره في معاملها .

ـــ كانت بريطانيا تسيطر وحدها على نصف إنتاج البترول في الشرق الأوسط ولكن حصتها أخذت تتناقص ، بينما كانت حصة أمريكا ترتفع ، والآن تملك أمريكا ٦٠ بالمائة من هذا البترول ، وتملك إنكلترا ٣٠ بالمائة .

ـ كان الأمريكان والهولنديون والبريطانيون والإفرنسيون قد عقدوا فيما بينهم عام ١٩٢٨ اتفاقاً عرف باسم « إتفاق الخط الأحمر Red line » تعهدوا بموجبه أن كل امتياز تحصل عليه إحدى شركات هذه الدول الأربع في الشرق الأوسط يجب أن يفسح فيه المجال لشركات الدول الثلاث الأخرى للإشتراك فيه بمعدل ٢٣ بالمئة لكل واحدة من الشركات بالتساوي..

وبعد عودة روزفلت من مؤتمر يالطا ، أعلن أن هذا الإتفاق باطل ، ولا قيمة له، وبذلك تحررت الشركات الأمريكية تماماً من قيود كانت تضايقها ، ولم تعد تحسب لغيرها حساباً ..

ـــ تعاقدت الحكومة السعودية مع شركة أمريكية ذات سمعة عالمية في خبرتها ، لدراسة مكامن الزيت ومعرفة قدرتها على الإنتاج في المستقبل ، وهذه الشركة تستخدم في عملها أحدث الأساليب والأدوات والآلات الإلكترونية .

ـ المملكة عضو في منظمة الدول المنتجة للبترول المعروفة باسم « أوبيك » ، وقد قامت هذه المنظمة حتى اليوم بجهد صادق في الدفاع عن مصالح الدول أمام الشركات المستثمرة وحققت لأعضائها مزيداً من الموارد والضمانات والحقوق .

أسماء الشركات البترولية في المملكة

١ ـــ أكبر شركة بترولية تعمل في المملكة ، في أوسع رقعة ، وأضخم إنتاج ، هي شركة الآرامكو في المنطقة الشرقية .

٢ ـــ شركة (جيتي) ، في المنطقة المحايدة ، بين السعودية والكويت .

٣ ـــ الشركة اليابانية ، في المنطقة المغمورة .

وهذه الشركات كلها مضى عليها في الإنتاج المتزايد سنوات ..

٤ ـــ شركة « أوكسيراب » الفرنسية ، في المنطقة الشرقية ، على ساحل البحر الأحمر ، وما تزال في طور التنقيب . (عند نشر هذا الكتاب) ..

الملحق الاول

فلسطين

لا نريد ان نروي ، في هذا الكتاب ، قصة فلسطين الشهيدة ، فذلك وراء جهدنا وطاقتنا — ويستطيع القاريء العربي أن يرجع إلى الكتب والدراسات الكثيرة التي وضعت عن فلسطين في هذه السنوات الأخيرة — ولكننا نريد أن أن نتحدث ، باختصار ، عن مساهمة المملكة العربية السعودية في هذه القضية الكبرى ، وخصوصاً مساهمة الملك فيصل ، سواء في حياة أبيه المغفور له الملك عبد العزيز أم بعده .

ولذلك سنكتفي هنا باستعراض خاطف للمراحل التي مرت بها قضيةفلسطين

الحركة الصهيونية

اليهود منتشرون في كثير من أنحاء العالم ، وعددهم حوالي خمسة عشر مليوناً أو أقل ،وهم أعراق مختلفة ، ففيهم السامي والآري ، فضلا عن أنهم ينتمون إلى جنسيات متعددة ، وكثرتهم تقيم في الولايات المتحدة الأمريكية — وخصوصاً في نيويورك — وفي الإتحاد السوفياتي .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، فكر جماعة من اليهود الغربيين في انشاء دولة خاصة بهم .. يتجمع فيها اليهود المضطهدون من كل أنحاء العالم ..

وقد قويت هذه الفكرة كثيراً ، بعد صدور كتاب « الدولة اليهودية » الذي ألفه هرتسل عام ١٨٩٥ ، وكان له دوي هائل .

وفي عام (١٨٩٧) عقد اليهود مؤتمراً في بلدة (بال) السويسرية ، وقرروا فيه إنشاء دولة يهودية ، باسم « دولة اسرائيل » ، على أرض فلسطين ، والفوا « وكالة يهودية » لتنظيم الدعاية وجمع الأموال ووضع الخطط للاستيلاء على فلسطين ، وقد أطلق على حركتهم اسم « الصهيونية » نسبة إلى جبل صهيون في القدس . أما اسم اسرائيل ، فهو لقب يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

محاولة صهيونية لشراء عبد الحميد

حاول اليهود ، في أوائل القرن العشرين ، شراء السلطان عبد الحميد ،

فاتصل به الزعيم الصهيوني « هرتسل » وعرض عليه مبالغ كبيرة من المال ، وتسديد ديون الدولة العثمانية كلها ، لقاء إذنه لليهود بإقامة مستعمرة لهم في فلسطين ، ولكن السلطان المسلم رفض هذا العرض وصرف صاحبه بسلام ...

لم يحمل ذلك الصهيونيين على اليأس ، فانصرفوا إلى شراء الأراضي في فلسطين ؛ وسجلوها على أسماء أفراد من اليهود الغربيين ، استطاعوا الحصول لهم على الجنسية العثمانية .

وقد تنبه النواب العرب في البارلمان العثماني للخطر الصهيوني على عروبة فلسطين ، ولكنهم لم يستطيعوا مقاومته .

ويقول النائب الشهيد (شكري العسلي) في بيان له عن المساعي الصهيونية قبل الحرب العامة إن اليهود استطاعوا أن يستولوا (على ثلاثة أرباع طبرية ونصف قضاء صفد وأكثر من نصف قضاء يافا حيفا واليوم يسعون للدخول في قضاء الناصرة ليستولوا على سهل شارون ويزرعيل المذكور بالتوراة والمعروف اليوم بمرج « بني عامر » ، الذي يشقه الخط الحجازي من الغرب إلى الشرق .

وهم لا يخالطون العثمانيين ولا يشترون منهم شيئاً ، ولهم بنك يقرضهم بفائدة واحد في المائة للسنه .

وقد جعلوا كل قرية وحدة إدارية ، ولكل منطقة نصبوا مديراً عاماً ...

ولهم راية ، لونها أزرق ، وفي وسطها خاتم ابنة صهيون ، ويرفعون هذا العلم مكان العلم العثماني في أعيادهم واجتماعاتهم .

وهم مسجلون عثمانيين في سجلات النفوس ، كذباً وبهتاناً ..

وهم يعلمون أبناءهم الرياضة البدنية واستعمال السلاح ، وترى بيوتهم طافحة بالأسلحة وفيها كثير من المارتين .

ولهم بريد خاص وطوابع خاصة وغير ذلك ، مما يبرهن على أنهم بدأوا بتأسيس مقاصدهم السياسية .)

خلال الحرب العامة الأولى

اتصل زعماء الصهيونية العالمية ، وعلى رأسهم الدكتور وايزمن ، الكيمائي المشهور ، بالحكومة الأنكليزية ، خلال الحرب العامة الأولى ، وأقنعوها بمساعدتهم على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ووعدوها لقاء ذلك وعوداً كثيرة ، كالمعونات المالية والدعم الأدبي ودفع الولايات المتحدة الأميركية

إلى دخول الحرب معهم ، هذا إلى تزويدهم بمادة « الآستون » ، التي اكتشفها وايزمن ، وهي ضرورية للصناعات الحربية ..

ولم تجد الحكومة البريطانية في نفسها حرجاً من الجمع بين الصيف والشتاء على صعيد واحد ، فبينما كانت ماضية في توكيد وعودها للعرب بأنها قررت تحرير البلاد العربية كلها من سيطرة العثمانيين ومنحها الإستقلال ، استجابت لمطالب الصهيونيين ، أعداء العرب ..

وعد بلفور المشؤوم

في اليوم الثاني من نوفمبر ١٩١٧ اصدر وزير الخارجية البريطانية اللورد بلفور ، تصريحا عرف باسم : « وعد بلفور » وهذا نصه :

(ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جلياً انه لا يجوز عمل شيء قد يضر بالحقوق المدنية او الدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق او المركز السياسي الذي يتمتع بـه اليهود في البلدان الاخرى .)

صك الإنتداب

ولم يكتف اليهود بوعد بلفور ، فلما انتهت الحرب ، بذلوا جهـودا كبيرة في المجتمعات الدولية ، فاصدرت عصبة الامم ، في يوليو من عـام ١٩٢٢ « صك الانتداب » ، فاذا به يتضمن تحقيق وعد بلفور ...

وتبع ذلك اختيار الانكليز للسر هربرت صموئيل ، وهو يهودي انكليزي مندوباً سامياً في فلسطين .. فنفذ صك الانتداب تنفيذاً عجيباً ، بفتحه ابواب الهجرة لليهود وإعطائهم الجنسية الفلسطينية ، وتسليمهم مناصب الحكم وأصبحت اللغة العبرية لغة رسمية كاللغة العربية . وانطلق اليهود يثبتون قواعدهـم في فلسطين ويضعون أسس الدولة اليهودية التي كانت ، من قبل مجرد حلـم .. واصبحت « الوكالة اليهودية » كأنها حكومة .. ونظم جيش يهودي مسلح..

تظاهرات وثورات

أضرب العرب ، واحتجوا ، وتظاهروا ، ليضعوا حداً لتفاقم الخطر الصهيوني ويقفوا الهجرة اليهودية فلم يجدهم ذلك نفعاً ، ثم ثاروا ثورة عارمة ، فأصدر الأنكليز « الكتاب الأبيض » لتحديد الهجرة ، ولكن اليهود تحدوه وأمعنوا في الهجرة وإنشاء المستعمرات والتسلح واستفزاز العرب ، فثار العرب مرة أخرى ، وخرج عليهم الانكليز بمشروع لتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام : قسم القدس وبيت لحم يصبح دولياً ، وقسم يضم إلى الأردن ، وقسم تقام فيه دولة اسرائيل .

وقد رفض العرب هذا المشروع وثاروا عليه :

ثم دخلت فلسطين مرحلة نسميها « دولية » ، لأن قضيتها أصبحت تبحث في مؤتمرات تعقد في الخارج ، ويحضرها غير أبناء فلسطين .

فيصل في مؤتمر لندن

لما دخلت قضية فلسطين المرحلة التي أسميناها « دولية » ، كان الأمير فيصل وزيراً للخارجية ، فتولى هو نفسه تعهدها والسهر عليها .

وقد دعت الحكومة البريطانية الدول العربية المستقلة وممثلين عن عرب فلسطين إلى مؤتمر يعقد في لندن ، في شهر فبراير عام ١٩٣٩ للبحث في القضية الفلسطينية فقرر الملك عبد العزيز ان يقوم الفيصل بتمثيل المملكة في هذا المؤتمر الخطير .

افتتح المؤتمر — الذي أطلق عليه اسم مؤتمر « المائدة المستديرة » — في جو يسوده التفاءل ، والقى الأمير فيصل بيانا قويا كان له أحسن الأثر في النفوس ، لانه أعرب فيه عن مساندة المملكة بقوة لعرب فلسطين ، وضمنه حججاً متينة في تأييد حق الفلسطينيين العرب ، وقد لخصته « الأهرام » ، بقولها :

(بسط الأمير فيصل العهود المقطوعة للعرب ، وأقام الأدلة على صحتها وقوتها وتكلم عن علاقات الصداقة الوثيقة بين بلاده وأنكلترا ، وقال إن هذه العلاقات التي يريدها العرب وطيدة ، يخشى أن تتصدع ، إذا لم يعامل عرب فلسطين بالعدل والانصاف ، فان الخطر الذي يهدد كيانهم أثار في العالمين العربي والاسلامي روح استياء شديد ، لا يمكن الاطمئنان إلى نتائجه ، وان

الهياج المتزايد من جراء ذلك في العالم الاسلامي يجب ان يحسب له حساب .
ثم طلب الأمير فيصل تحقيق العهود المقطوعة للعرب تعزيزا للصداقة وتأمينا لمصالح الامتين، وحل مشكلة فلسطين التي هي موضوع الخلاف بينهما.)
لم تستطع الحكومة البريطانية ، بعد ان استمعت إلى آراء العرب واليهود ، التوفيق بين الفريقين ، فاخفق المؤتمر ، وعادت الوفود العربية إلى بلادها .
وفي عام (١٩٤٥) عقد مؤتمر في (يالطا) أسماه بعض المؤرخين : «مؤتمر اقتسام العالم » ، حضره رؤساء أمريكا والإتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى ، وما تزال مقرراته سرية ..ويقال انهم اتفقوا على إنشاء دولة إسرائيل .

بين الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت

وبعد انتهاء مؤتمر يالطا ، عاد الرئيس روزفلت إلى اميركا ، ولكنه توقف قليلا في مصر ، ليجتمع فيها بالملك عبد العزيز — وكان قد وجه اليه دعوة للإجتماع ووضع تحت تصرفه بارجة اميركية خاصة لنقله ،فجاءالملك العربي ، تحدوه الرغبة في خدمة قضية فلسطين ،وكان يرافقه ابنه الامير فيصل .
كان اللقاء بين الملك وروزفلت لقاءً تاريخياً عظيماً ، ترك في نفس الرئيس الاميركي أثراً عميقاً ، بل بدل رأيه في موضوع فلسطين تبديلاً جذرياً ، حتى قال الزعيم اليهودي (باروخ) ، وكان صديقا لروزفلت : لم يقابل الرئيس الاميركي ، خلال حياته كلها ، مناظراً من طراز ابن سعود .
وخاطب الملك ضمير الرئيس الديمقراطي فهزّه هزاً عميقاً ، حتى مدّ اليه الرئيس يده وهو يقول له : (أعدك انني لن أصنع شيئاً يضر العرب ما دمت على رأس الولايات المتحدة الاميركية ، ولن اتخذ قراراً بشأن فلسطين إلا بعد استشارة العرب وبرضائهم ! ..) .
وهكذا حقق الملك عبد العزيز بقوة شخصيته وبقوة منطقه انتصاراً عظيماً ، وكسب رئيس الولايات المتحدة !
وقد أعرب الرئيس الأميركي لأصدقائه وللصحافيين عن إعجابه الشديد بالملك العربي وأطلق هذه الجملة الخالدة : (لقد تعلمت من حديث الملك ابن سعود معي ، خلال دقائق ، أكثر مما عرفته عن فلسطين خلال سنوات طويلة).
لم يكتف الملك عبد العزيز بأحاديثه الشفهية مع روزفلت ، وإنما أحب أن يحصل على عهد خطي منه ، فكتب إليه رسالة طويلة .

عهد روزفلت

وقد ردّ الرئيس الاميركي روزفلت على كتاب عبد العزيز، بهذه الرسالة:
(الصديق الطيب العظيم،

لقد تلقيت الرسالة التي بعثتموها جلالتكم بتاريخ ١٠مارس ١٩٤٥ والتي اشرتم فيها إلى قضية فلسطين واهتمام العرب المستمر بسير التطورات التي تؤثر في تلك البلاد.

اني ممتن من جلالتكم لأنكم انتهزتم هذه الفرصة لإلفات انتباهي لآرائكم في هذه القضية، وقد أعطيت ادق الإنتباه للبيانات التي ادرجتموها في كتابكم،

واني لمليء الخاطر بالمحادثات التي لا تنسى التي جرت بيننا منذ امد غير بعيد، والتي في أثنائها تهيأت لي الفرصة لإدراك أي أثر حسي لآراء جلالتكم في هذه القضية.

تذكرون جلالتكم أنه في مناسبات سابقة ابلغتكم موقف الحكومة الاميركية تجاه فلسطين، واوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يختص في الوضع الاساسي في تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كلا العرب واليهود، ولا شك اني سوف لا اتخذ عملا بوصفي رئيسا للفرع التنفيذي لهذه الحكومة يبرهن انه عدائي للشعب العربي. وإنه لمما يسرني ان اجدد لجلالتكم التأكيدات التي تبلغتموها جلالتكم سابقا بخصوص موقف حكومتي وموقفي كرئيس للسلطة التنفيذية فيما يتعلق بقضية فلسطين، وأن اعلمكم بان سياسة هذه الحكومة في هذا الخصوص غير متغيرة).

موت روزفلت وتنكر ترومان له

ولكن روزفلت لم يعش إلا أياماً قليلة بعد كتابة رسالته النبيلة إلى الملك عبد العزيز، فكانت تلك الرسالة.. وصية ميت.

وخلفه ترومان روزفلت. فتنكر لعهد روزفلت، واعتبره عهدا شخصيا.

ثم انطلق ترومان في خدمة المقاصد الصهيونية، فطلب من رئيس الحكومة البريطانية مستر (اتلي)، السماح بدخول مئة الف مهاجر يهودي إلى فلسطين..

ورأى (أتلي) الفرصة مواتية لتخليص بريطانيا من بعض متاعبها في الشرق الاوسط، بإشراك أميركا في هذه المتاعب، فاقترح على «ترومان» إنشاء لجنة تحقيق مشتركة، أميركية – أنكليزية، تدرس القضية الفلسطينية وتضع

توصياتها حول مستقبل فلسطين ومسائل الهجرة وأوضاع اللاجئين اليهود ونحو ذلك ، فقبل ترومان الإقتراح ، وتألفت اللجنة المشتركة .

.. واجتمعت اللجنة ، ووضعت توصياتها ، وهي تتلخص بالموافقة على هجرة مئة الف يهودي إلى فلسطين ومنح اليهود حق تملك الاراضي ، وتحويل الانتداب البريطاني على فلسطين إلى « وصاية » تمارسها هيئة الامم المتحدة مباشرة .

مؤتمر ثان في لندن

أراد الانكليز القيام بمحاولة جديدة للتفاهم مع العرب فانعقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب في لندن وحضره الأمير فيصل باسم المملكة العربية السعودية .

وقد عرض الانكليز خلال المؤتمر مقترحات لحل قضية فلسطين فرفضها العرب ،وعرض العرب حلولاً فرفضها الأنكليز . وأخفق المؤتمر !

مشروع تقسيم فلسطين

وبعد اخفاق انكلترا في محاولاتها المتكررة لحل قضية فلسطين ، رفعت القضية كلها إلى منظمة الامم المتحدة ، لتأخذها على عاتقها وتقرر فيها ما تريد .

ألفت منظمة الامم لجنة خاصة لدراسة القضية الفلسطينية ووضع التوصيات والمقترحات ، وكان أبرز تلك التوصيات : توصية بتقسيم فلسطين إلى دولتين :

١ – دولة عربية . ٢ – دولة يهودية .

.. ووضع القدس تحت الوصاية الدولية .

وقد احيلت التوصيات إلى الهيئة العامة لمنظمة الامم المتحدة ودعيت إلى الاجتماع للمناقشة واتخاذ القرار الحاسم .

خطاب فيصل في المنظمة

سافر الفيصل إلى نيويورك ، لحضور هذا الاجتماع الخطير ، والدفاع فيه عن حق عرب فلسطين . وفي ١٦ من شهر سبتمبر عام ١٩٤٧ افتتحت الهيئة العامة للامم المتحدة دورتها العادية الثانية ، فتكلم مستر مارشال ، رئيس الوفد الاميركي ، مؤيداً توصية اللجنة الخاصة بتقسيم فلسطين .

فنهض سمو الامير فيصل ، ورد عليه بشدة ، ومما قاله :

« ما كان ينتظر من المستر مارشال أن يجنح إلى تأييد التقرير المذكور قبل ان تبدي اللجنة السياسية التابعة لهيئة الامم المتحدة رأيها فيه ، وترفعه لجمعيتها العمومية .

ان كان مقصود مستر مارشال من تاييده .. التأثير على أعضاء الجمعية العمومية مقدماً .. تمهيداً لحملها في النهاية على موافقتها له ، فذلك لا ينطبق على روح العدالة المؤملة في أعضاء هذه الجمعية الاممية .

ثم قال انه يعتقد « ان لدى اعضاء هذه الجمعية ضمائر حية لا تسمح لهم ان يتأثروا بمجرد أقوال ، لا تتفق مع روح الحق والانصاف ، ودون دراسة وتمحيص »..

المنظمة تتجه نحو التقسيم

ولكن منظمة الامم المتحدة ، باكثرية اعضائها ، اتجهت إلى قبول التقسيم ، وكان مندوب الاتحاد السوفياتي من المتحمسين للتقسيم وانشاء دولة يهودية ، ومما قاله :

« ان الدافع الوحيد الذي دفع باليهود لطلب تشكيل دولة خاصة بهم هو آلامهم التي قاسوها في اوروبا ليس الا » ثم قال : « ان اجتماع اليهود مع العرب في دولة واحدة أصبح أمرا مستحيلا ، بعد حوادث العنف التي وقعت بين الشعبين . »

وانهى المندوب السوفياتي خطابه قائلا :

« اذا تمكنت الجمعية العامة ، في هذه الدورة ، من اتخاذ قرار بتشكيل دولة يهودية ودولة عربية تكون قد خطت بعملها هذا خطوة جبارة نحو ايجاد حل للقضية الفلسطينية بمجموعها »

فيصل ينتقد الولايات المتحدة

ويظهر ان مندوب الولايات المتحدة كان يقوم بمساع كبيرة لاستدراج أعضاء المنظمة إلى القبول بمشروع التقسيم ، فعاد الامير فيصل إلى الكلام ، بوصفه رئيسا لوفد المملكة العربية السعودية ، فحمل على ما يدعيه الصهيونيون من حقوق لهم في امتلاك أرض فلسطين ، وأعلن ان « الحل الوحيد إنما هو اعلان فلسطين دولة مستقلة وتشكيل حكومة ديمقراطية فيها » ، ومما قاله سموه :

(هناك امر واحد لا سبيل إلى فهمه أو تفسيره ، ذلك هو تدخل حكومة الولايات المتحدة في مسألة فلسطين وتأييدها الصهيونيين .

كما انه لا يمكن فهم الصمت الذي تلوذ به ازاء أعتداء الصهيونيين وأساليبهم الإرهابية .

فاذا كانت البواعث الإنسانية هي التي تدفع الولايات المتحدة إلى هذه السياسة فلم لا تفتح ابوابها للاجئين البؤساء ، وهي أغنى وأوسع رحابا من فلسطين التي اكتظت بأولئك المعتدين الغرباء ؟

وماذا سيكون موقف حكومة الولايات المتحدة وشعبها اذا جاء برلمان احدى الدول الاجنبية وأقر قانونا بفتح الأبواب أمام هجرة اليهود إلى أميركا ، لاجئين وغير لاجئين ، لا لشيء إلا لان الولايات المتحدة الاميركية رحبة في إمكانها أن تستوعب الملايين ؟

ألا تنهض الحكومة الاميركية والشعب الاميركي في هذه الحالة وتنددان بمثل هذا التدخل ؟

وما خطب ميثاق الاطلنطي ، وميثاق الامم المتحدة ؟ ان المداد الذي كتبت به موادهما لم يجف بعد !

اننا نرى مندوب الولايات المتحدة يحاول إثارة العالم كله من أجل المسألة اليونانية ، فما ظنه بفلسطين؟ هل نسي مبادىء الميثاق أم أنه ينكر تلك المبادىء؟)

منظمة الامم المتحدة تقر مشروع التقسيم

وفي يوم ٢٩ نوفمبر صوتت الجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع التقسيم، ففاز بأكثرية ٣٣ صوتا ضد١٣صوتا واستنكاف عشرة وغياب عضو واحد .

والدول التي عارضت التقسيم هي :

الباكستان ، الهند ، ايران ، تركيا ، الافغان ، اليونان ، كوبا ، والدول العربية الست الممثلة في الامم المتحدة يومئذ وهي (مصر ، اليمن ، العربية السعودية ، سورية ، العراق ، لبنان .) .

فيصل يتكلم بحرقة وامتعاض

وتكلم سمو الأمير فيصل بعد صدور هذا القرار ، فقال هذه الكلمات

التي تدل على مبلغ ألمه وامتعاضه :

(كنا نرجو أن ترفع الأمم المتحدة المقاييس الأدبية وأن تكون سنداً للعدالة وتحافظ على السلم والأمن . نعم كنا نرجو ان توجد قاعدة سليمة لتفاهم متبادل.

غير أن القرار الذي اتخذ اليوم بدد هذه الآمال وقضى على الميثاق .

وإننا لنعلم أن بعض الدول الكبرى كانت تضغط على مختلف المندوبين ..

لهذه الأسباب ، تسجل المملكة العربية السعودية الحقيقة التالية ، وهي أنها ترى أنها غير مقيدة بهذا القرار ، وأنها تحتفظ لنفسها بكامل الحق في أن تتصرف حرة مختارة على الطريقة التي تراها مناسبة .)

بريطانيا تجلو عن فلسطين

كانت بريطانيا راغبة في اشراك امريكا عسكرياً ومالياً في الاشراف على فلسطين ، ولكن ترومان لم يفعل . فلم تجد امامها ، بعد رفض الاميركيين مشاركتها في مسؤولياتها بفلسطين ، الا حلا واحدا .. وهو أن تعلن رغبتها في التخلي عن انتدابها ، الذي يثقل كاهلها ، وان تحدد يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ موعدا لجلائها عن فلسطين .

اليهود المسلحون يغتصبون أراضي العرب

كان اليهود ، قبل جلاء البريطانيين عن البلاد ، قد نظموا فرقا مسلحة استخدموا فيها عددا كبيرا من الخبراء الاجانب ، واشتروا لها كميات كبيرة من السلاح الخفيف والثقيل، وكانت لديهم طائرات حربية .. فقرروا الاستيلاء بالقوة على أراضي فلسطين واخراج العرب منها وراحوا يعتدون على العرب ويقتلونهم ويطردونهم من أراضيهم وبيوتهم ، ليتم لهم تأسيس دولتهم في مناطق فلسطينية أخلوها من سكانها العرب .

وامام ذلك اندفع متطوعون من البلاد العربية في الدخول إلى فلسطين لمساعدة اخوانهم العرب الفلسطينيين. وقد أطلقوا على تنظيماتهم غير الرسمية اسماء مختلفة.

ولما تعاظم عدوان اليهود ، اضطرت الدول العربية المستقلة ، وهي سورية والاردن والمملكة السعودية والعراق ومصر ، إلى ارسال فرق من جيوشها إلى فلسطين لتحول دون قيام الدولة اليهودية واجلاء العرب ، فوقعت معارك كثيرة بين العرب واليهود ، وتقدمت فرقة عربية إلى حدود تل ابيب ، معقل اليهود وعاصمتهم الاولى .

اليوم المشؤوم والهدنة المشؤومة

في ١٤ مايو ١٩٤٨ م . أعلن اليهود انشاء « دولة اسرائيل » على ارض فلسطين في قلب البلاد العربية . وسارعت الدول الكبرى إلى الاعتراف بها وفي مقدمتها : الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي . أما الجيوش العربية ، جيوش مصر وسورية والعراق والاردن والمملكة العربية السعودية ولبنان ، التي دخلت فلسطين لتحول دون قيام دولة اسرائيل واخراج العرب من ديارهم ، فاشتبكت في قتال مع القوات الاسرائيلية ، ودحرتها في غير معركة ولكنها بضغط من (مجلس الامن) والدول الكبرى ، قبلت وقف القتال ، وهو ما اسموه « الهدنة الاولى » ، وكان ذلك غلطة .. لان الاسرائيلين افادوا من هذه الهدنة في تقوية انفسهم وجاءتهم من الغرب اسلحة وامدادات لاحصر لها.

وقد استؤنف القتال في (٩) يوليو ، ولكنه لم يستمر أكثر من اسبوع ، واضطر العرب إلى وقف القتال مرة ثانية ، تنفيذا لقرار (مجلس الامن) ، ووقعت اتفاقيات « الهدنة »: الدول العربية الاربع التي تجاور اسرائيل وهي ، سورية والاردن ولبنان ومصر .

أما المملكة العربية السعودية فلم توقع أي اتفاق ، وهي في ، الاصل ، لا تملك حدودا مع اسرائيل .

اسرائيل تستولي على اربعة اخماس فلسطين

كانت النتيجة التي اسفرت عنها المعارك واتفاقيات الهدنة : استيلاء اسرائيل على ما يقرب من اربعة اخماس فلسطين ، متجاوزة بذلك الرقعة التي « خصصها » لها قرار التقسيم ... واضطرت مئات الآلاف من العرب سكان الاراضي المحتلة ، الذين نجوا من الموت إلى الهرب إلى الاردن ولبنان وسائر البلاد العربية ، حيث أقام أكثرهم تحت الخيام ، واطلق عليهم اسم : (اللاجئين الفلسطينيين) ..

أما أراضي فلسطين التي كانت تدافع عنها جيوش سورية والاردن ومصر عند الهدنة الثانية ، فما كان منها تحت ايدي الاردنيين — وهو ما يسمونه « الضفة الغربية » — انضم إلى الاردن وأصبح جزءا منها ، وما كان تحت أيدي المصريين ، وهو منطقة صغيرة على الساحل — أي «قطاع غزة» —فبقي تحت ادارة المصريين ، وما كان تحت أيدي السوريين ، وهو جزء صغير جدا ،

فانتهى الأمر بانسحابهم منه ..

السعوديون في ميدان القتال

لم يكن اشتراك المملكة العربية السعودية في خدمة القضية الفلسطينية قاصراً على المساعدات المالية والتأييد المعنوي في منظمة الامم والمؤتمرات والاندية الدولية فقد ساهمت ايضا في القتال الذي دار على ارض فلسطين بين العرب واليهود ، عند اعلان التقسيم ، و قد ذكر الفيصل بهذه الحقيقة ، في احدى خطبه ، خلال اشتداد ازمة اليمن ، فقال :

(ان معارك دير شيبة وبطاح فلسطين لتشهد بان ابناءنا الذين ذهبوا ليدافعوا عن وطنهم – وطن اخوانهم – لم يعد منهم الا ربعهم .. وقد استشهدوا على ارض فلسطين المحتلة)

وعاد الفيصل يؤكد استعداده هو واخوته للاشتراك في القتال ، متى ازفت الساعة وأصبح العرب مستعدين لدخول المعركة الحاسمة ، فقال :

(نحن لسنا ممن يديرون المعارك من وراء المكاتب واجهزة التلفون ، فاذا حلت الساعة وبدأ النضال فسوف أكون بنفسي واخواني وابنائي امامكم ، لا اقول هذا رياء ولا تزلفا ، ولكنني أقوله عن عقيدة ثابتة ، لاننا اذا لم ندافع بدمائنا وبكل ما نملك عن قضايانا ، فلن تقوم لنا قائمة .

واذا اقتصرنا على الخطب والتصريحات والوعود والوعيد فلن يكون لنا شأن ، وليس هذا من طبعنا .)

بعد النكبة

لم تتخل الحكومة السعودية قط عن نصرة فلسطين ، بعد كارثة قيام اسرائيل ، وهي تساهم في قضية اللاجئين الفلسطينيين مساهمة كريمة وتشارك في الدفاع عن حقوق فلسطين ، على الصعيدين الدولي والإسلامي .

فلسطين والاسلام

من أعظم الخدمات التي اسداها فيصل لقضية فلسطين مساهمته بقوة في طرحها على الصعيد الاسلامي الرحب .

لقد زار الفيصل بلاداً اسلامية كثيرة ، و اجتمع إلى رؤسائها ، وخطب في شعوبها ، وتحدث إلى أصحاب الرأي فيها ، ودعا إلى « التضامن الاسلامي » وكانت قضية فلسطين تأتي في المحل الأول من عنايته ، فاكتسب لها تأييد

الدول والمؤسسات والجماهير ، وهي قوة عظيمة لا يستهان بها .

احدث خطبة للفيصل عن فلسطين
في منظمة الامم المتحدة

خطب الفيصل مرارا في منظمة الامم دفاعا عن قضية فلسطين ، وآخر مرة تكلم فيها في المنظمة قبل مبايعته بالملك، كانت عام ١٩٦٣ وهذه فقرات من خطابه :

(عندما يأتي الكلام عن السلام والاستقرار في الشرق الاوسط فإن من واجبنا ، نحن الشعوب العربية ان نشعر الامم المتحدة بان الشيء الوحيد الذي يهدد السلام في تلك المنطقة ، بدون شك ، هو مشكلة فلسطين .

ومنذ اللحظة التي اتخذت فيها الامم المتحدة قرار التقسيم فلسطين وخلق اسرائيل فإن السلام قد تعرض للخطر مراراً .

ان ظهور اسرائيل يشكل طغياناً واضحاً لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل .

ان فلسطين ارض عربية وأهلها الشرعيون هم عرب فلسطين .

لقد مضت اربعة عشر عاما ، ثبت فيها ان العرب على حق في تحذيرهم من الخطر الناجم عن خلق اسرائيل في قلب البلاد العربية .

ان مليونا من عرب فلسطين قد شردوا واحتجزت املاكهم واحتلت وسلبت مدنهم وقراهم ، في الوقت الذي يتدفق الآلاف من المهاجرين الصهيونيين إلى ارض سكنها العرب من عصور طويلة ..

وليس في نيتي ان اسهب في الحديث عن هذه الناحية الانسانية ، فقد سبق لوفدنا في مناسبات سابقة ان ناقش، في تفصيل ، النواحي المختلفة لهذه المسألة ، ومع ذلك فاود ان اوكد لهذه المنظمة المحترمة : باننا لن نتخلى او نتخاذل عن فلسطين كبلد عربي ، وسنستمر في بذل جهودنا لنمكن عرب فلسطين من ان يعيشوا على ارضهم ليستمتعوا بالحرية والاستقلال والسيادة القومية .

واني اجد من واجبي في خلال تصريحاتي عن المسألة الفلسطينية ان اعبر عن بالغ اهتمامنا فيما يختص بتزويد اسرائيل بالاسلحة الصاروخية ، اسرائيل نفسها التي عرفت لدى الامم المتحدة كمعتد وخارق لميثاق الامم المتحدة ، اسرائيل نفسها التي ادانها مجلس الامن مرارا بالاعتداء الفاضح الغليظ ، كما اننا نصر على ان تزويد اسرائيل بالاسلحة سيبعثها على اعتداءات اخرى..)

سياسة فيصل « الفلسطينية »

وقد نستطيع تلخيص السياسة « الفيصلية » نحو فلسطين بما يأتي :

اولا — عدم الاعتراف بقيام اسرائيل ، مهما تكن الظروف .

ثانيا — على الصعيد العربي : توحيد الجهود باخلاص ، وترك الإختلافات والمؤامرات .. حتى لا يفتح العرب جبهات « جانبية » تستنفد جهودهم وأموالهم ودماءهم ..
وترك التهديدات الفارغة ، إلى التصميم الواعي والعمل المنظم .

ثالثا — على الصعيد الفلسطيني : إنشاء هيئة تمثل فلسطين تمثيلاً صادقاً تتولى الكلام باسم اهل فلسطين وتقترح الحلول وتتخذ المقرارت .

رابعا — على الصعيد الإسلامي : إشراك المسلمين في الدفاع عن قضية فلسطين بحيث يعتبرونها قضيتهم هم ايضا ، لا قضية العرب وحدهم .

خامسا — على الصعيد الدولي : العمل بكل وسيلة لإظهار حق العرب ودحض اباطيل الاسرائيليين ..

نرفض الاعتراف بوجود اسرائيل ، إلى الابد !

رسم الفيصل للمملكة سياستها أمام تقسيم فلسطين ، وهي تقوم على رفض هذا التقسيم رفضا باتا لا موضع للرجوع عنه .. ولذلك ردّ في احدى خطبه على الداعين إلى القبول بقرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين ، فقال :

(اذا كان هناك الآن من يقول بان يقبل العرب بقرارات الامم المتحدة ، فاننا نرفض ذلك رفضا باتا ، لاننا اذا قبلنا بقرارات الامم المتحدة فعلينا ان نعترف بدولة الصهاينة ، لا ن الامم المتحدة معترفة بها .

وكذلك علينا ان نقبل بتقسيم فلسطين الذي نصت عليه مقررات الامم المتحدة .. وهذا ما لا يمكن ان نقبل به او نرضى عنه .

واذا اجمع العرب ، في بلاد أخرى .. على ان يرضوا بوجود اسرائيل وتقسيم فلسطين ، فلن ندخل معهم في هذا الاتفاق .)

الطريق الصحيح لانقاذ فلسطين

وقال الفيصل في تصريح للصحفيين ، عام ١٩٦٤ :

(ان السبيل لمعالجة القضية الفلسطينية ووضعها في طريقها الصحيح ، يكمن في توحيد الجهد العربي وتوفير الطاقات العربية وبذل المزيد من الاخلاص في العمل لقضية العرب الاولى .

لقد مضى وقت الكلام وجاء دور العمل ، وعلينا جميعا ان ندرك هذه الحقيقة كما علينا ان ندرك بان التضامن وتوحيد الصف العربي بكل طاقاته وامكاناته هو السبيل إلى تحقيق اهداف الامة العربية في استرداد فردوسها السليب .

.. ان التلويح بالتهديد لا يجدي نفعا اذا لم يقترن بالعمل المجدي الرادع . ان التهديدات الكلامية العديدة التي اطلقها العرب منذ كارثة فلسطين ولمدة ستة عشر عاما متوالية .. قد ذهبت كلها ادراج الرياح ولم تترك أثرا واحداً .

والتصميم الواعي والعمل المنظم هما الكفيلان باعادة الحق إلى نصابه ..)

الهيئة الفلسطنية المنشودة !

قال الفيصل ، في تصريح له ، عام ١٩٦٤ :

(قال الملك عبد العزيز للزعماء العرب الذين اتوا لمقابلته :

دعوا الفلسطينيين يأخذون على عاتقهم عبء الجهاد ، وانتم ونحن جميعاً نساعدهم بالمال والسلاح والمتطوعين .

فما استجابوا له ، فكانت النتيجة تشتت الفلسطينيين تحت كل نجم ، وكارثة كبيرة تجر وراءها كل يوم كوارث جديدة على العرب .

يريد اخواننا الفلسطينيون الكيان الفلسطيني ، الكيان الذي اقترحت إنشاءه منذ سنوات عديدة ، إن كل عربي ومسلم يريد هذا الكيان ، ولكن على ان لا يكون مفروضا .

ليجتمع الفلسطينيون من كل قطر يكونون فيه ، ولينتخبوا ممثلين عنهم ، وتتشكل من هؤلاء الممثلين هيئة تنتخب من بينها هيئة تنفيذية ، وعند ذلك تفرض هذه الهيئة نفسها على العرب والمسلمين ، وتكون القلوب والصدور كلها مفتوحة لها .

العدوان الاثيم

اشتركت إسرائيل في العدوان الثلاثي (انكلترا – فرنسا – إسرائيل) على مصر ، الذي اشرنا اليه في مكان آخر ، فأصابت نجاحا أغراها بالاستعداد لعدوان آخر .. وفي ٥ حزيران ١٩٦٧ قامت اسرائيل بهجوم صاعق على مصر والاردن وسورية ، فاستولت خلال خمسة أيام على شبه جزيرة سيناء وبلغت إلى الضفة الشرقية من قناة السويس ، على الجبهة المصرية ، واضطرت القوات الاردنية إلى الجلاء عن الضفة الغربية من فلسطين ، واحتلت المرتفعات السورية على الحدود وتجاوزتها إلى مسافات كبيرة داخل الاراضي السورية .. وما تزال جيوشها في هذه البلاد كلها حتى اعداد هذا الكتاب للطبع .

موقف فيصل من العدوان

كان الملك فيصل قبيل حدوث العدوان في زيارة لانكلترا وبلجيكا وفرنسا ومع انه كان على خلاف شديد مع مصر بسبب اليمن وغيرها ، فقد عقد مؤتمرا صحفياً في لندن قال فيه :

(نحن نعتقد ان أي عربي يتخلف عن تأييد الاخوان العرب في معركتهم المصيرية مع اسرائيل ، فهو لا يستحق ان يطلق عليه اسم عربي .

ربما يتبادر إلى بعض الاذهان ان هناك بعض الخلافات بين الدول العربية ولكن هذا يجب ان لا يؤخذ بعين الاعتبار . ان الخلاف بين اخوين لا يكون عائقا دون تعاونهما ضد عدوهما المشترك .

والمملكة العربية السعودية تؤيد شقيقاتها الاخرى في موقفها ضد اسرائيل واعتداءاتها على البلاد العربية ، وقد ابلغنا الحكومة ان تضع كل القوات المسلحة السعودية تحت الانذار ، وان تكون مستعدة لخوض المعركة المصيرية ضد اسرائيل ونحن نعتقد ان كل الاضطرابات في المنطقة حدثت ، اصلا ، بعد خلق اسرائيل غير المشروع)

الملحق الثاني

التاريخ السعودي

يقسم المؤرخون التاريخ السعودي إلى ثلاثة أقسام :

الدور الاول

يبتدىء منذ سنة ١١٥٧ هـ . — ١٧٤٤ م . — وهي السنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى بلدة « الدرعية » ، واتفق مع أميرها محمد بن سعود على التمسك بالتوحيد وإقامة أحكام الشرع وترك العادات الشركية والأساليب العشائرية .. وبذلك تأسست :

الدولة السعودية الاولى

وينتهي هذا الدور في العام ١٢٣٣ هـ . — ١٨١٧ م . عند استسلام الإمام ابن سعود إلى قائد الحملة المصرية .

وربما ألحقوا به فترة الفوضى التي تبعته .

الدور الثاني

يبتدىء هذا الدور سنة ١٢٤٠ هـ . — ١٨٢٤ م . — وهي سنة استيلاء تركي بن عبد الله على مدينة الرياض ، وتحريرها ثم تحرير سائر نجد من الحاميات الأجنبية ويسمى هذا الدور :

الدولة السعودية الثانية

وهو ينتهي باستيلاء ابن رشيد على الرياض وضمها إلى إمارته .

الدور الثالث

يبتدىء هذا الدور سنة ١٣١٩ هـ . — ١٩٠٢ م . — وهي سنة استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض ، ثم سائر بلاد نجد وملحقاتها والحجاز ، وتأسيسه :

المملكة العربية السعودية

توطئة

قبل أن نتكلم عن الادوار التاريخية التي مرّ بها الحكم السعودي ، لا بدّ لنا من القاء نظرة على احوال « نجد » ، المنطقة التي نشأت فيها الدولة السعودية، لنقارن بين ما كانت عليه وما صارت إليه ..

كانت نجد ، قبل القرن الثاني عشر ، كلمة .. في كتب التاريخ والأدب.. أما في الواقع ، فما كان شيء يدل على وجودها .. ووحدتها ..

كانت كل عشيرة في نجد دولة ، وكل بلدة إمارة أو مشيخة ، بل حدثونا أن بلدة واحدة صغيرة قسمت أرباعاً ، فكان يتولى كل ربع فيها رئيس .

وكانت الحرب ، بين هذه الدويلات العجيبة ، قائمة موصولة ، كأنها جزء من طبيعتها ، فكانت البلاد تعيش في رعب دائم ، بين عدو يأخذها بالقهر وحليف يأخذها بالغدر ، وما كانت تعرف السلم إلا قليلا ، وحتى هذا السلم الهزيل كان يقف عند أسوار البلد .. فما يستطيع أهلها الإبتعاد عنها إلا بمغامرة، لأن الطرق مرصودة .. بالجن ، وقطاع الطرق ، وطلاب الغرّة .

ذلك أن نجداً كانت تجسيداً أو تجديداً لقصة ملوك الطوائف ، الذين قال فيهم الطبري :

« كل منهم كان ملكه قليلا ، إنما هي قصور وأبيات ،
وحولها خندق ، وعدوه قريب منه، له من الأرض
مثل ذلك ونحوه ، يغير أحدهم على صاحبه ،
ثم يرجع كالخطفة . » .

قالت ليدي بلنت :

(لم تكن الجزيرة العربية خاضعة للسلطنة العثمانية المركزية ، وكانت كل بلدة فيها تبدو مستقلة بذاتها ..

وكان عنصر البداوة هو المسيطر ، فكانت كل بلدة ، بل كل قرية من جزيرة العرب ، تعتبر ملكاً أو « إقطاعاً » لأحد شيوخ العشائر ، وكانت تدفع إليه « الاخاوة » أي ضريبة .. لقاء ما يدعيه من حمايتها ! .

كان الشيخ يقيم مع عشيرته على حدود البلدة ، وقد يتخذ لنفسه داراً ضمن أسوارها ، وربما يستبد به الطمع ، فيفرض نفسه حاكماً على البلدة ، يمارس

السلطة ويجبي الأموال ، ويؤلف حرساً له من الفتيان .. ويدعو الناس إلى خطابه بلقب « أمير » .. بدلاً من لقبه الأول وهو : « الشيخ » !)

تلك كانت حالة نجد ، من ناحية السياسة ..

أمـــا من ناحية الدين ، فكانت الحـــالة أشد سؤاً ، ولم يكن الرحـــالة « بلغريف » الذي زار بلاد نجد في تلك الأيام ، مسرفاً حين وصفها بقوله :

(.. إن عبادة الجن ، في ظل شجرة ، أو في أعماق كهف ، وتقديس الموتى والنذر للقبور ، كل أولئك يختلط عند أهل نجد بعادات « سبئية » قديمة أحيوها ، بينما أهملوا الصلاة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج ..)

الدرعية قبل الدعوة

تلك كانت حالة نجد عامة ، ولم تكن بلدة الدرعية مختلفة عنها .

كانت الدرعية بلدة صغيرة ، لا يزيد عدد بيوتها على سبعين بيتاً ، وكان شيخها محمد بن سعود يديرها على أسلوب عشائري إبتدائي ، ويأخذ من أهلها ضريبة تسمى « القانون » أو « الاخاوة » .

كان أهل الدرعية سنيين حنابلة ، وكان لهم مطوع .. ولكنه كان مطوعاً منغمساً في البدع ، يكتب للناس الحجب والطلاسم ، ويتقبل منهم النذور لغير الله .. فقد كان أكثر أهل الدرعية يؤمنون بقدرة « أوليائهم » على جلب الخير لهم ودفع الضرر عنهم ، وكانوا يعتقدون مثل ذلك ببعض الأحجار والأشجار .

الدولة السعودية الأولى

قصة تأسيس الدولة السعودية الأولى في الدرعية ، هي قصة كفاح رجلين عظيمين وهما :

١ – الأمير محمد بن سعود

٢ – الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ففي عام ١١٥٧ هـ . جاء إلى الدرعية المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي كان يدعو إلى التوحيد والاخلاص في عبادة الله ، ويكافح الشرك والالحاد والفساد ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعلم الناس ويعظهم ويحضهم على الخير ، هارباً من بلدة « العيينة » لتنكر أميرها له ، فاستقبله شيخ الدرعية محمد بن سعود ، وأكرم وفادته ، وتبايعا على التوحيد واقامة شريعة الله !

كان هذا اللقاء بداءة تحول كامل في حياة نجد وبركة على بلاد العرب كلها !

قال ارمسترونغ :

(كان ابن سعود ، امير الدرعية . طموحاً ، وعرف منزلة ابن عبد الوهاب وقدره ، فاتفق معه ، واستطاعا حمل العرب على الدخول في الدين ، ببركة الدين وقوة السيف .

وكان نجاحهما سريعا ..

كان ابن سعود زعيما وقائداً ،

وكان ابن عبدالوهاب عالماً وداعياً إلى الله ، تسيطر كلماته على خيال العرب.

وبفضل تعاونهما : حطمت الاوثان ، وهدمت الابنية المقامة على اضرحة الاولياء ، ونفذت اوامر القرآن ، واكره الناس على الصلاة خمس مرات في اليوم ، وعلى صوم رمضان ، ومنع شرب الخمرة واستعمال الدخان ، وخضعت القبائل واحدة بعد الاخرى) .

. . . ونشأت دولة عربية حرة قوية في قلب نجد !

خلية نحل

اصبحت الدرعية ، بعد هجرة الشيخ ، ومبايعته للامير ، وبيعة الامير له ، تشبه « خليه النحل » ، لكثرة حركتها ونشاطها ..

وقد بنى فيها الشيخ (مسجداً) وفرشه بالحصا ، واقام فيه حلقة للدرس ، وعلم الناس اصول التوحيد ، ولم تمض عليه سنة حتى بايعه سكان الدرعية كلهم!

وارسل الكتب إلى العلماء والمطوعين في بلدان نجد يدعوهم إلى الدين الصحيح . فتوافد على الدرعية رجال من أكثر بلاد نجد . وكان الشيخ يجتهد ما استطاع في الانفاق عليهم ، وبفضلهم صار لمحمد بن سعود جيش من المؤمنين المجاهدين الذين لا يهابون الموت .

تغييرات عظيمة في حياة الدرعية

تحققت بزعامة محمد بن عبد الوهاب وبارشاده تغييرات مذهلة في حياة الدرعية ، ونستطيع تلخيصها بما يأتي :

اولاً — ابطل الاسلوب « العشائري » ، الذي كان يحكم به الناس ، وحل محله حكم نظامي ، مدني ، دستوره الاسلام .

ثانياً — ابطلت الإخاوة ، او « القانون » ، واصبحت موارد الدولة هي الموارد الشرعية من الزكاة والغنائم ، ونحوها من الموارد التي احلها الله .

ثالثاً — اقيم قضاة لفصل الخصومات بين الناس بالحق ، ولم تعد القوة حكماً في الخلافات التي تقوم بين الناس .

رابعاً — نشطت حركة التعليم نشاطاً عظيماً ، وتولى الشيخ بنفسه مهمة التدريس والاشراف على المدرسين وأصبحت الدرعية «مدينة جامعية» ، يتوافد اليها الطلاب من كل مكان ، ويجتمع اليها العلماء من مختلف البلدان .

خامساً — حمل الناس بالقوة على الصلاة وتنفيذ اوامر الدين .

سادساً — حل الجهاد ، لاعلاء كلمة الدين ، محل الغارات العشائرية القديمة ، التي كان يقصد منها مجرد السلب والنهب والعدوان .

سابعاً — اصبحت الدرعية مركزا للدعوة ، ينطلق منه الدعاة ، وترسل الكتب ، وتأتي اليه الوفود والضيوف .

توسع الامارة وتوحيد البلاد

منذ وصول الشيخ إلى الدرعية عام ١١٥٧ ﻫ . حتى عام ١١٧٩ ﻫ . وهو عام وفاة محمد بن سعود ، كانت الدعوة إلى توحيد الله ، ثم إلى توحيد بلاد نجد تحت زعامة امير الدرعية ، قائمة موصولة ، سلماً وحرباً ..

وكان لدعوة الشيخ في هذا التوحيد فضل اعظم من الحرب ، لان تلامذته

وانصاره في كل مكان تكاثروا وقوي امرهم واستطاعوا ان يرغموا حكامهم على الانضواء تحت راية ابن سعود، وهي راية الشيخ، وفوق ذلك: رايةالتوحيد.

حروب محمد بن سعود

كانت الامارات القوية ، في زمن محمد بن سعود : امارة الرياض ، وامارة العيينة ، وابعد من ذلك : امارة الاحساء .

ولم تكن امارة الدرعية على مستوى هذه الامارات . ولكنها استطاعت ان تتغلب عليهن ، بفضل الله ، ثم بفضل الايمان والدعوة ..

وكانت اعظم المعارك التي دخلها محمد بن سعود معاركه ضد امير الرياض ، وصاحب نجران ، وامير الاحساء .

استشهد لابن سعود ولدان في محاربة امير الرياض ، وهما فيصل وسعود . واستمرت الحرب ضد الرياض من عام ١١٥٩ ﻫ . إلى عام ١١٧٧ ﻫ .

وفي عام ١١٧٧ ﻫ . ارسل دهام بن دواس إلى امير الدرعية ، يعرض عليه الطاعة ، ودفع اليه الفي دينار ذهبي .

وفي ذلك العام ايضاً ، جاء صاحب نجران ، من اليمن إلى نجد ، لمساعدة عشيرة العجمان والثأر لهم من ابن سعود الذي قتل منهم واسر خلقا كثيرا ، فوقعت بين جيش صاحب نجران وجيش الدرعية معارك رهيبة ، وكادت جيوش الدرعية تمنى بهزيمة .. ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب استطاع استرضاء صاحب نجران بالمال والكلام وحمله على العودة إلى بلاده .

وفي عام ١١٧٨ ﻫ جاء امير الاحساء (عرعر بن دجين) يريد الاستيلاء على الدرعية ، التي أخذ لمعان نجمها يهدد نفوذه في نجد .. فوقعت بينه وبين جيوش الموحدين معركة هائلة في « الجبيلة » ، وكتبت عليه الهزيمة فرجع إلى الاحساء مدحورا ..

موت محمد بن سعود

في ربيع الاولى عام ١١٧٩ ﻫ (١٧٦٥ م .) توفي محمد بن سعود ، وكان ورث عن والده امارة بلدة الدرعية وحدها .. فخلف لذريته ملكا يضم اكثر بلاد العارض ، كالعيينة ، ومنفوحة ، وضرمى ، وحريملا ، والعمارية ، والقويعية ، والحمل وثادق والقصب والفرعة والحوطة ..

.. ولكنه خلف لهم ايضاً ما هو أعظم من ذلك ، اعني تنظيما محكماً ،

وجيشاً مدرباً ، ودعوة منتشرة .. وكل أولئك كفيل بتوسيع الملك وبسط آفاقه إلى المدى الابعد ..

في عهد عبد العزيز

خلف محمد بن سعود بعد وفاته ، ابنه (عبد العزيز بن محمد) ، فكان عهده عهد الفتوحات والقوة والامن ، واستمر حكمه حوالي اربعين سنة ، ولما توفي كانت دولته تضم :

١ — بلاد نجد كلها ، ومعها الاحساء وجبل شمر .

٢ — تهامة ، ومعها جزء من اليمن .

٣ — ودخل جيشه الخليج ، كما دخلت عمان والبحرين والزبارة تحت سيطرته .

٤ — دخلت مدينة الطائف وما حولها (وكانت تدعى الحجاز) تحت طاعته .

٥ — فتح مكة عام ١٢١٧ هـ . ولكن الشريف غالب استعادها بعد قليل .

وكانت جيوش عبد العزيز قد دخلت مدينة كربلاء عام١٢١٦هـ.(١٨٠١م) وقتلت كثيراً من ابنائها وأخذت جواهر مسجدها ونفائسه ، فأراد أهلها الانتقام . فجاء أحدهم متنكراً في ثوب زاهد مهاجر إلى الدرعية ، وقتل عبد العزيز عام ١٢١٨ وهو يصلي ...

عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد

وفي عام ١٢١٨ خلف سعود أباه ، وكان رجلاً شجاعاً مهيبا ، خطيبا عالما ، وهو الذي كان يقود الجيوش في حياة والده .

وقد استطاع الاستيلاء على مكة وسائر بلاد الحجاز وأخرج منها جنود الاتراك وموظفيهم ، وبذلك حكم بلادا تعادل المملكة العربية السعودية في الزمن الحاضر أو تزيد ..

لذلك قالت لادي بلنت ، تصف الدولة السعودية الاولى :

(انها أول دولة عربية ، تنشأ بعد عصر الرسول ص . وتوحد تحت رايتها جزيرة العرب . على أساس من الشرع والتنظيم .)

وقال فيليب حتى ان الوهابين (وسعوا ملكهم من تدمر حتى عمان ، فكان اكبر ملك في الجزيرة ، منذ أيام النبي . ص .)

حلم الوحدة العربية

والحق ان الدولة السعودية كانت في طريقها إلى تحقيق حلم الوحدة العربية الكامل ، في الشرق العربي كله ، ولكن محمد علي باشا ، والي مصر . حارب هذه الدولة ، تنفيذاً الأوامر الترك ، ودمر عاصمتها وقضى عليها ..

قال طه حسين : « .. لولا ان الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب . وحاربوه في داره باسلحة لا عهد لاهل البادية بها ، لكان من المرجو ان يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ، كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الاول » .

نهاية الدولة السعودية الاولى

في اواخر أيام سعود بن عبد العزيز ، عزم السلطان العثماني على استعادة مكة والمدينة ومحاربة « الوهابيين » ، لأنهم الفوا دولة عربية متحررة من سلطة الاتراك ، ولكنه لم يستطع ، لضعفه وانشغاله بمحاربة الغربيين ، ان يرسل جيشا تركيا من الاستانة يحقق له اطماعه ، فطلب من ولاة الشام والعراق ومصر ان يقوموا ، هم ، بمحاربة الدولة العربية الصاعدة. فتلكأوا..ثم استجاب له محمد علي باشا ، والي مصر ، فانفد إلى الحجاز ونجد جيوشا كثيرة قاد بعضها بنفسه ، وقاد ولداه طوسون ثم ابراهيم بعضها .

استولى طوسون في عهد سعود على ينبع والمدينة ومكة الطائف ، ولكن جيوش الامام سعود هزمته في (تربة) هزيمة منكرة .

وجاء محمد علي على أثر ذلك، بنفسه إلى (الحجاز).. وجاءت معه، وبعده جيوش جديدة ومعدات ومؤن وأموال كثيرة ..

ومن سوء الحظ ان الامام سعود توفي خـــلال ذلك . عام ١٢٢٩ هـ . (١٨١٤) م فتزلزلت المواقف بموته كثيرا ..

خلف الامام عبد الله بن سعود أباه ، وكان شجاعا ، ولكنه لم يكن على مستوى أبيه بمواهبه الفكرية وحنكته السياسية .

وانتهت المعارك التي جرت بينه وبين طوسون ثم بينه وبين ابراهيم باشا إلى تدمير الدرعية ، واستسلام عبد الله ، فارسل إلى الاستانة مخفورا ومات

هناك شهيداً ، وقد قتلوه ونصبوا جسده أياماً للناس في ساحة عامة عام ١٨١٨

وبذلك انتهت الدولة السعودية الاولى في جزيرة العرب واستولى علـى بلادها المصريون باسم السلطان العثماني ولحسابه !

فترة الفوضى

وتلت نهاية الدولة السعودية فترة من الفوضى والظلم والظـلام .. لان الحاميات المصرية التركية كانت تقتل الناس لاتفه الاسباب ، وتصادر الاموال.

لم يستسلم أهل نجد ، في قرارة نفوسهم ، إلى الحكم الاجنـبي ، لان تمسكهم بدينهم واعتزازهم بعروبتهم وماضيهم ، وأنفتهم وحميتهم وكرامتهم كل أولئك يمنعهم من الذل والهوان ، ومصانعة المغتصبين .

ولكن هذه النفوس الغاضبة كانت تحتاج إلى زعيم ملهم يوجهها ويوحدها.

اراد احد الاغنياء ، واسمه : (محمد بن مشاري بن معمر) ان يتـولى زعامة البلاد ، فاعلن نفسه اميرا على « العيينة » بلدة اجداده ، ثم ذهب إلى الدرعية ، وشرع في اعادة بنائها من ماله الخاص ، فبايعه أهل الدرعية اميرا عليهم .

ثم ظهر مشارى بن سعود ، من اكابر آل سعود ، وهو احق من غـيره بملك آبائه ، فالتف حوله الجمهور ، وتخلى له ابن معمر عن امارة الدرعيـة وبايعه .. وكان ذلك مكيدة منه ، لانه باغته بعد ذلك في قصره وسلمه إلى الحامية التركية ، فمات في سجنها ..

وهنا برز رجل شجاع من آل سعود وهو تركي بن عبد الله ، فهجـم على ابن معمر وولده في الرياض عام ١٢٣٥ هـ .. وقتلهما انتقاما وثأرا لابن عمه مشاري ولم تقف الحامية التركية المصرية مكتوفة اليدين أمام هذا الحادث .. فانتشرت في الرياض ، تريد القبض على تركي وجماعته ، لتقتلهـم ، ولكن تركي استطاع الفرار إلى البادية ، حيث وجد مكاناً أميناً اختبأ فيه ..

الدولة السعودية الثانية

بقي تركي بن عبد الله مختبئا في بادية نجد ، حوالي ثلاث سنوات ، ولكنه لم ينقطع لحظة واحدة عن التفكير في تحرير البلاد من الغاصبين .. وفي عام ١٢٣٨ هـ . جمع حوله ثلاثين فارسا ، ودخل بهم بلدة شقراء ، ومن هناك كاتب زعماء البلاد وطلب منهم ان يقدموا اليه لتخليص اوطانهم من الحكم التركي ، فقدم اليه منهم عدد قليل .

وفي عام ١٢٣٩ هـ . بايعه اهل (سدير) بالامامة ، فازداد بهم قوة ومنعة ، واجتهد كثيراً في جمع المقاتلة وتسليحهم وتدريبهم على الحروب .

وفي عام ١٢٤٠ هـ . زحف إلى الرياض وشدد الحصار على حاميتها التركية وقاتلها واضطرها إلى التسليم والخروج من البلدة ، واتخذ (الرياض) عاصمة لملكه ، لان الدرعية كانت خرابا يبابا ، وللرياض فوق ذلك سور منيع ، يجعل الدفاع عنها امرا ميسورا .

كان لاستيلاء تركي بن عبد الله على الرياض واخراج الترك منها، دوي هائل في كل بلدان نجد وباديتها ، فاقبلت الوفود عليه تبايعه وتدخل في طاعته .

واستطاع بعد ذلك أن يحرر بلاد نجد كلها من الترك ومن المتغلبة .

وقد ساعده في عمله ابنه العبقري (فيصل) ، الذي كان منفيا في مصر فاستطاع الهرب بحيلة عجيبة ، وعاد إلى ابيه في نجد .

انتقال الملك الى فرع عبدالله

كان مؤسس الدولة السعودية الاولى ، محمد بن سعود ، وكان له ولدان : عبد العزيز وعبد الله .

وقد خلف عبد العزيز أباه محمد بن سعود ، ثم جاء بعد عبد العزيز ابنه سعود ، وبعد سعود ابنه عبد الله .

اما عبد الله بن محمد ، أخو عبد العزيز ، فلم يتول الامارة قط . ومعنى

تولي تركي للملك ان الملك انتقل من فرع عبد العزيز بن محمد إلى فرع عبد الله ابن محمد . وهو فيهم إلى اليوم .

ويصطلح المؤرخون على تسمية هذا الملك الجديد الذي أنشأه تركي بن عبد الله : « الدولة السعودية الثانية » أو الدور السعودي الثاني .

صفة تركي

كان تركي بن عبد الله نسيج وحده في الشجاعة والثبات وقوة الشكيمة وكان يخوض بنفسه الغمرات حتى تنجلي ..

وكان ، رحمه الله ، عملاقاً في نفسه وفي جسمه ، دخل بلد « ضرمى » المحصنة ، الممتلئة بالجنود ، وليس معه إلا نفر قليل لا يؤبه لهم ، واستطاع أن يصل إلى أمير البلد ، وهو على سطح بيت له ، فصارعه وبقي ممسكاً به حتى « سقطا جميعاً من أعلى السطح ، ولم يفلته تركي حتى قتله .

قال ابن بشر يصفه : « كان بطلاً شجاعاً .. وكانت له شجاعة ، وهمة يعجز عنها صناديد الأبطال والضراغمة الأشبال » .

ويقول (ويندر) عن تركي :

« كان تركي حاكماً صالحاً ، وكانت له صفات كثيرة تجعله حاكماً صالحاً في أي مكان ، وفي أي وقت .

كان يستعمل القوة عند الضرورة ، ويدعها عند عدم ضرورتها .

وكان حليماً كارهاً للانتقام .. معروفاً بكرمه نحو الفقراء والأيتام .

وقد استعاد أملاك الوهابيين كلها . بعد أن حررها من الأجانب . ما عدا الحجاز ..

واستطاع تركي أن يحقق غرضين عظيمين في سواحل الخليج ، فجعل بلدان الخليج تابعة له مباشرة ، أو موالية له تدفع الزكاة .. وحصل في الوقت نفسه على رضاء بريطانيا العظمى ! » .

مصرع تركي

وفي عام ١٢٤٩ هـ. مات تركي بن عبد الله شهيداً ، إذ قتله أحد رجال مشارى بن عبد الرحمن بن سعود ..

ويقول « ويندر » إن المصريين هم الذين دفعوا مشارى إلى هذا العمل الفظيع .

استولى مشارى فوراً على قصر الإمارة في الرياض ، ودعا الناس إلى بيعته ..

وكان (فيصل بن تركي) ، غائباً في الإحساء ، عند مقتل أبيه ، فلما بلغه الخبر ، اسرع في العودة إلى الرياض ، ودخلها على حين غفلة من حراسها ، وطوق قصر الإمارة ، واستطاع رجاله الصعود إلى قصر مشارى ، ثم قتل مشاري ، واخمدت الفتنة ، وأقبل الناس على **فيصل** بن تركي يبايعونه بالإمارة والإمامة .

وفي عام ١٢٥٤ هـ . قرر محمد علي باشا ، والي مصر ، أن يستعيد سلطته على نجد ، ويحكمها بواسطة أمير من أبناء سعود رباه على طريقته واتخذه صنيعة له ، وهو (خالد بن سعود) ، فأرسل جيشاً كبيراً إلى نجد ، وأسر فيصل بن تركي ونفاه إلى مصر ، وأقام (خالداً) مقامه ! .

وفي عام ١٢٥٧ هـ. استطاع الأمير عبد الله بن ثنيان أن يدخل الرياض ويستولي عليها ، بينما فرّ خالد بن سعود منها إلى مكة ، خوفاً على نفسه !

وفي عام ١٢٥٩ هـ. هرب فيصل بن تركي من منفاه في مصر ثانية ، وعاد إلى (حائل) ، وكاتب زعماء نجد ، وطلب منهم مبايعته ، فبايعوه ، ثم جاء إلى الرياض وطلب من ابن ثنيان مبايعته فأبى ، فأمسك به وسجنه ، ودخل إلى الرياض بموافقة أهلها واستقر له الملك .

ونعمت بلاد نجد في ظله بنعمة الحرية والأمن والإستقرار ، وكان يعد من أعظم ملوك نجد وأوسعهم حيلة .

وقد توفي عام ١٢٨٢ هـ. (١٨٦٥) م. ودامت ولايته الثانية ثلاثاً وعشرين سنة .

قال أمين الريحاني ، يصف حكم فيصل :

... حكم فيصل حكماً عربياً سعودياً ، فأقام العدل وعزز الأمن ، وأعاد إلى نجد شيئاً من اليسر وسالف المجد . بل إلى ما وراء نجد ، فقد بسط سيادته

على الشطر الأكبر من شبه الجزيرة فدانت له الأحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبل والقصيم ، دانت له حباً لا كرهاً ...

جمع في سياسته بين الشدة واللين فكان كريم الأخلاق ، وقوي الإرادة سمحاً حليماً محباً للعلماء ، رؤوفاً بالناس ، محسناً إليهم ، حريصاً على مصالحهم

قال عنه بلغراف ، وكان شديد اللهجة في انتقاده للوهابية :

(إن القوافل تجتاز القصيم وسدير والوشم ومقاطعات نجد الأخرى آمنة ، بفضل الحكم الوهابي ،شرالبدو وتعدياتهم ، ويسير التجار والحجاج والفلاحون في البلاد بأمن وسلام .) .

ويشير بلغراف إلى أن الإمام فيصل عمي آخر أيامه ، وضعفت إرادته ، والله أعلم .

امامة عبد الله ... ثم سعود

لما توفي الإمام فيصل عام ١٢٨٢ هـ . ، بويع ابنه الأكبر (عبد الله) بالإمامة ، وكان في مقدمة الذين بايعوه إخوته سعود ومحمد وعبد الرحمن ،وهو أصغر إخوته .

لم تكن ولاية عبد الله هادئة مستقرة ، فقد ثار عليه أخوه سعود وقاتله طويلا ، ثم انتصر عليه في موقعة « جودة » ، فاضطر عبد الله إلى الخروج من الرياض .

وانتهز الأتراك فرصة الخلاف بين الأخوين عبد الله وسعود ، فاحتلوا « الأحساء » وأخرجوا منها الحاميات السعودية ، فأغضب ذلك الأمير الفتى عبد الرحمن .. فسار إلى الأحساء ، واستولى عليها بمساعدة أهل الأحساء أنفسهم ومؤازرة الآلاف من عشائر بني « مرّة » وغيرهم ، ولكنه لم يستطع الإستيلاء على حصن الأحساء ، فعاد ..

إمامة عبد الرحمن الاولى

لم يمض على وصول عبد الرحمن إلى الرياض سوى يومين أو ثلاثة حتى توفي أخوه سعود ، فاجتمع أهل العقد والحل في البلدة وبايعوا عبد الرحمن إماماً عليهم ، وكان عمره يومئذ خمساً وعشرين سنة .

ثم جاء أخوه الأكبر عبد الله إلى الرياض فعرف له عبد الرحمن « أولويته » وتخلى له عن الإمامة .

لحكمة أرادها الله سبحانه ، ثار أبناء سعود على عمهم الإمام عبد الله بن فيصل وسجنوه في داره ، وتولى أحدهم (محمد) ، امارة الرياض ، وكان يعرف باسم « غزلان » ويطلق عليه لقب : « فارس جزيرة العرب » !

ويقول أمين الريحاني ، في كتابه : « نجد وملحقاته » :

(حدثني جلالة الملك عبد العزيز فقال : « لم يستقم الأمر لعبد الله ، لثلاثة أسباب :

أولاً — وجود أبناء أخيه في الخرج ، يحرضون القبائل عليه .

ثانياً — مناصرته لآل عليان ، أمراء القصيم السابقين ، على أعدائهم آل مهنا ، الأمراء الحاكمين في ذلك الحين . وكان هذا جهلاً من عبد الله ، لأنه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم ».

ثالثاً — ظهور محمد بن الرشيد ، الطامع بحكم نجد ، فقد تحالف مع آل أبي الخليل (من آل مهنا) ، وكانوا كلهم يداً واحدة على عبد الله.)

رأى ابن الرشيد ، في سجن أبناء سعود لعمهم الإمام عبد الله ، فرصته الذهبية ، فزحف إلى الرياض ، بحجة أن الإمام عبد الله استنجد به .. ولكنه كان يخفي في نفسه أطماعاً كبيرة ، فلم يكد يصل الرياض ويحتلها ، حتى أطلق الإمام عبد الله من سجنه ، ولكنه بدلاً من أن يعيده إلى الحكم ، اصطحبه معه إلى « حائل » ، كالأسير أو الرهينة .. وأخذ معه أيضاً أخاه عبد الرحمن، وأقام على الرياض أميراً من قبله ، يدعى « سالم بن سبهان » وبذلك ضم الرياض إلى ممتلكاته . وانتهت الدولة السعودية الثانية .

موت عبد الله ... بعد مقتل أبناء أخيه

كان ابن سبهان معروفاً بالقسوة والغدر ، فأعد خطة للفتك بأبناء سعود ، ونفذها وقتل أولاد سعود كلهم ، لم يستثن أحداً منهم ... وكان ذلك في ذي الحجة من عام ١٣٠٥ هـ.

ويقول فيلبي إن عبد الرحمن لم يصطحب معه اسرته إلى حايل ، ولذلك

شهد ولداه الصغيران « نوره » ، و « عبد العزيز » مصرع أبناء سعود و « عاشاه» فروعتهما أخبار تلك المجزرة الفظيعة .

وبلغ عبد الله وعبد الرحمن ، في حايل ، مقتل أبناء أخيهما على يدي ابن سبهان ، فأحزنهما ذلك كثيراً ، وكان عبد الله مريضاً مرضاً شديداً ، فخاف ابن الرشيد أن يموت عبد الله في حايل ، فينسب إليه قتله بالسم أو التعذيب ، فأذن له بالعودة إلى الرياض ، وأمر بتوليته إمارتها ، وسحب ابن سالم من البلدة إظهاراً لعدم رضائه عن فعلته !

إمامة عبد الرحمن .. الثانية

لم يمض على وصول الإمام عبد الله إلى الرياض غير قليل ، حتى أدركه أجله في ٢ ربيع الثاني عام ١٣٠٧ هـ. (١٨٨٩ م.) فالتف أهل الرياض حول عبد الرحمن ، كما فعلوا عند وفاة سعود ، وبايعوه بالإمامة للمرة الثانية .

ويظهر أن ابن الرشيد لم يرق له أن تستقر الإمارة لعبد الرحمن ، فأعاد ابن سبهان إلى الرياض ، ولا يذكر لنا المؤرخون المعروفون أخبار هذه الفترة ، ولكن ابن سحمان يذكر ، في كتابه « الضياء الشارق » ، أن ابن الرشيد أقام الأمير (محمد بن فيصل) أميراً على الرياض من قبله ، اسماً ، ولكن المتصرف فيها بأوامر ابن الرشيد كان ابن سبهان .

أراد ابن سبهان الفتك بعبد الرحمن وأمراء آل سعود ، كما فعل من قبل بأبناء سعود ، ولكن عبد الرحمن وقف على خطته ، فهجم عليه ، وأخذه قسراً وحبسه .

وجاء في كتاب « ملوك آل سعود » أن عبد الرحمن لما بلغه ما بيته ابن سبهان له وللأمراء من الغدر . (اجتمع بأبناء أسرته وخدامه .. فأطلعهم على الأمر فأجمعوا على أن يسبقوه .. فلما كان يوم عيد الأضحى من سنة (١٣٠٦) جاء سالم إلى عبد الرحمن يسلم عليه سلام العيد . وقد هم في ذلك اليوم أن يقضي على عبد الرحمن . وكان في صحبة سالم أربعون رجلاً مسلحاً . فلما أحس رجال عبد الرحمن من سالم بالغدر والخيانة . نهضوا .. وألقوا القبض على سالم ورجاله وجردوهم من السلاح وسجنوهم ..)

ولما بلغ ابن الرشيد ما فعله الإمام عبد الرحمن بسالم ورجاله ، زحف إلى الرياض وحاصرها أكثر من شهر ، ولكنه لم ينل منها منالاً ، فجرت مفاوضات للصلح بينه وبين عبد الرحمن . (فأرسل إليه عبد الرحمن وفداً . فيهم ابنه الفتى عبد العزيز ، وتم الصلح على أن تكون إمارة الرياض وتوابعها من بلدان العارض والمحمل وسدير والوشم وبلدان الجنوب من الخرج والأفلاج والحريق والحوطة ، تابعة للإمام عبد الرحمن . وأن ينقل ابن الرشيد حاميته من الرياض ، وأن يفرج عن الأسرى من آل سعود .. وأن يفرج عبد الرحمن عن .. ابن سبهان ورجاله .)

ويقول فيلبي إن هذا الصلح كان يستوجب بقاء ابن مهنا أميراً في القصيم ، ولكن ابن الرشيد لم يف بعهده ،وسار إلى أهل القصيم يقاتلهم ، فخرج عبد الرحمن لنجدتهم ، ولكنه أخبر وهو في طريقه اليهم ، بهزيمتهم في « المليداء » ، واستيلاء ابن الرشيد على بلادهم ، فأدرك عبد الرحمن أن ابن رشيد مقبل اليه لا محالة وأنه لا طاقة له بمقاومته ، فأسرع إلى العودة في الرياض وأخذ منها بعض أمواله وذهب إلى الربع الخالي ، ويقال إنه وضع ولديه « نوره » و « عبد العزيز » في عيني خرج ، على ذلول !

وانتقل عبد الرحمن ، من هناك ، إلى بادية الأحساء ، فقطر والبحرين ثم ذهب إلى الكويت ، واستقر فيها !

بقي الإمام عبد الرحمن في الكويت عشر سنوات ، أي حتى مطلع القرن العشرين .

مراحل تكوين المملكة السعودية

في مطلع هذا القرن ، كان « جبل شمر » إمارة مستقلة يحكمها ابن الرشيد ، حليف الترك ، وكانت « الاحساء » ولاية تركية ، يحكمها وال تركي ، وكانت « القصيم » تحت حكم ابن الرشيد ونفوذ الترك ، وكان « وادي السرحان » يحكمه ابن شعلان .. وكانت « عسير » تحت سلطان الأدارسة ، وكانت « الحجاز تحت حكم الملك حسين بن علي ، وكانت بلاد « العارض » نفسها تحت سلطان ابن الرشيد .. فكيف تحررت هذه البلاد من جنود الترك ونفوذهم ؟ وكيف توحدت ، مع اختلاف « أوضاعها » وتباعد أطرافها .. لتؤلف بين عشية وضحاها : أول دولة عربية حرة موحدة ، مهيبة الجانب ؟

تلك معجزة حققها عبد العزيز !

إن عبد العزيز ، هو ، مؤسس « المملكة العربية السعودية » ، وبفضل الله ، ثم بفضله تحررت أقطارها ، وتوحدت ..

وها نحن نذكر الخطوات التي خطاها عبد العزيز ، منذ ابتدأ معركته الأولى ، حتى حقق وحدة بلاده ، في تسلسلها الزمني ، باختصار ، ثم نفصلها بعد ذلك .

ـ ١ ـ

في عام ١٣١٩ هـ. ـ ١٩٠٢ م. فتح عبد العزيز الرياض ، وكانت وحدها ، خلال أشهر : الدولة !

ثم انضمت إليها الخرج ، والأفلاج ، والحوطة ، والحريق ، والدواسر .

وفي عام ١٣٢١ هـ. ـ ١٩٠٣ م. استولى عبد العزيز على بلاد الوشم وسدير والمحمل .

ـ ٢ ـ

وفي الأعوام ١٣٢٢ هـ ، إلى ١٣٢٦ هـ أتم عبد العزيز تحرير بلاد القصيم من الترك وابن رشيد والمتغلبة المحليين .

ـ ٣ ـ

وفي عام ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م.

حرر عبد العزيز « الأحساء » من الترك وضمها إلى نجد .

وهكذا اتسعت رقعة البلاد التي يحكمها عبد العزيز وزادت مواردها وتجاوزت ما كان يملكه والده الإمام عبد الرحمن ، قبل استيلاء ابن الرشيد على بلاده .

وكان من ثمرات هذه الإنتصارات الباهرة التي حققها عبد العزيز ، أن تنادى علماء نجد ورؤساء القبائل وحكام الأقاليم والوجوه إلى مؤتمر عقد في الرياض « عام ١٩٢١ م. نادوا فيه بأميرهم الشجاع العبقري ، عبد العزيز ، الذي حررهم من نير الترك والمتغلبين وردّ عليهم كرامتهم الوطنية : « سلطاناً » على نجد .

ـ ٤ ـ

وفي عام ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٠ م. تم ضم جبل شمر (حائل) الذي كان يحكمه ابن رشيد إلى نجد .

ـ ٥ ـ

وفي عام ١٣٤٢ هـ. — ١٩٢٣ م. تم اخضاع عسير .

ـ ٦ ـ

وفي عام ١٣٤٤ هـ. — ١٩٢٥ م : تم فتح الحجاز .

وفي يوم الجمعة ٢٥ جمادي الثانية عام ١٣٤٤ هـ. — ١٠ يناير ١٩٢٦ م. بايع أهل الحجاز لعبد العزيز بالملك ، وأصبح لقبه :

« ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »

وفي عام « ١٩٢٧ » م. نادى أهل نجد بعبد العزيز ملكاً على نجد وملحقاتها ، فأصبح ملكاً على الجميع .

ـ ٧ ـ

وفي عام ١٣٤٩ هـ. — ١٩٣٠ م : انضمت تهامة عسير « بلاد الأدارسة » إلى ملك عبد العزيز ، وكانت من قبل مجرد حليفة أو « محمية » !

ـ ٨ ـ

وفي ١٧ جمادي الأولى عام ١٣٥١ هـ. — « ١٨ » أيلول عام ١٩٣٢ م. أصدر الملك عبد العزيز أمراً ملكياً بتوحيد البلاد في دولة واحدة ، موحدة ، تدعى : المملكة العربية السعودية .

المملكة العربية السعودية

نزل الإمام عبد الرحمن بلدة الكويت لاجئا ، وكان معه ابنه عبد العزيز ، وكان فتى عبقرياً ، مقداماً ، قوي الإرادة ، عظيم الثقة بنفسه ، وقد آتاه الله بسطة في العقل وبسطة في الجسم .

وكانت الكويت ، في تلك الأيام ، ميداناً للتنافس بين الدول ، فالإنكليز والألمان والروس والترك يريدون أن تكون لهم فيها مواضع أقدام و« جسور » لسياستهم التوسعية في الشرق ، وكان على الكويت أمير داهية ، وسياسي محنك ، له ببريطانيا العظمى صلات وثيقة ، وهو الشيخ مبارك آل الصباح .

عرف أمير الكويت نباهة عبد العزيز واستقامته ، فأحبه وقربه منه ، وأفاد عبد العزيز من ذلك كثيراً ، فقد انتفع بتجارب المبارك ووقف منه على أساليب السياسة وخفايا المؤامرات الدولية .

لم يتعلم عبد العزيز فنون السياسة رغبة في العلم وحده ، وإنما أراد أن يستعين بها على بناء دولة ، وكان كل همه وتفكيره تحرير : الرياض واستعادة ملك الآباء والأجداد ..

ولكن المبارك لم يمده لا بالرجال ولا بالمال ولا بالسلاح ، لتحرير نجد .. ، وكان كلما طلب منه ذلك أجابه : إن الظروف غير ملائمة !

ثم يشاء القدر أن تتغير الظروف ، فيطلب مبارك من عبد الرحمن وابنه .. ما كان هو نفسه يأباه عليهما ..

ذلك أن أميراً جديداً تولى إمارة (حائل) ، واسمه : (عبد العزيز المتعب) ، وكان مغروراً جداً ، أوصاه سلفه محمد الرشيد ، وهو على فراش الموت ، بمسالمة مبارك آل الصباح ، وقال له :

(لا تعاد ابن الصباح ، فإنه يحاربك وهو على مسنده) !

ولكنه أبى إلا محاربة المبارك ، فهاجم عربان الكويت ، واستعد لغزو الكويت نفسها ، واعلن للناس : أنه ليس لديه إلا الحافر ، وصنع الكافر : (أي الخيل

والسلاح والحرب) .

وهكذا جاء المبارك إلى عبد الرحمن وطلب منه أن يساعده على ابن رشيد ، لأن أهل نجد يحبون عبد الرحمن ويعطفون عليه ، وهذه قوة معنوية كبيرة يريد المبارك استخدامها في إثارة النجديين ضد خصمه المتعب ، فتحالف المبارك وعبد الرحمن وتعاهدا على العمل يداً واحدة لتحرير نجد من سلطة أمير حائل ، ثم السير اليه في عاصمة ملكه وتدميره .

.. ولم ينقض عيد الفطر من عام ١٣١٨ هـ. حتى كان المبارك قد جهز جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل ، فسار به إلى نجد .

عبد العزيز يستعيد الرياض .. ثم ينسحب ..

ولما وصل الجيش إلى ماء (الشوكي) ، خطرت ببال عبد العزيز فكرة ملهمة ، تحقق له حلمه الكبير وترضي المبارك ، قال له :

(ألا تأذن لي بأن أسير على رأس فرقة من ألف مقاتل من هذا الجيش إلى الرياض ، لأستولي عليها ؟

إن عبد العزيز المتعب متى عرف ذلك،لحق بي ، وانشغل عنك، فاتسع أمامك المجال للاستيلاء على بلدان نجد ، خلال اشتباكه معي في المعارك) .

أعجبت المبارك هذه الفكرة ، وحققها ..

فانفصل عبد العزيز بفرقته وسار إلى الرياض ..

وتابع المبارك زحفه إلى نجد ، فاستولى على كثير من بلدانها ، واحدة بعد الأخرى ..

وصل عبد العزيز إلى الرياض واستولى عليها كلها ، ما عدا الحصن الذي كانت تتحصن فيه حامية لابن رشيد ، فقد امتنع عليه الحصن ، فشرع في حفر نفق يصله إليه .. وإنه لكذلك، بلغه أن معركة كبيرة وقعت في (الصريف) يوم ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ هـ. بين مبارك وابن رشيد ، اسفرت عن هزيمة ساحقة لمبارك .. وعودته إلى الكويت مخذولا .

ولم يسعه امام هذا الخبر المحزن إلا أن ينسحب من الرياض بمن معه ويعود إلى الكويت ..

المحاولة الثانية

لم يعد عبد العزيز إلى الكويت ليستسلم إلى النكسة والرقاد .. ولكنه عاد

ليستأنف القتال ، فطلب من أمير الكويت أن يمده بقليل من المال والسلاح والمراكب ، ليقوم على ابن رشيد بغزوات تنهكه ، فقدم إليه مساعدة يسيرة ، قيل انها لا تزيد على أربعين ذلولا وثلاثين بندقية وشيء قليل جداً من النقد ، فجمع عبد العزيز عددا من الفرسان ارتضوا السير معه ، ثم ضم إليهم عددا من البدو ، وقام بسلسلة من الغزوات الموفقة على بوادي نجد ، أصاب فيها غنائم غير قليلة ، وقيل إن عدد رجاله تزايد حتى بلغ ألف رجل ، وصار عنده مثل هذا العدد وأكثر من الإبل والخيل ، وكان يستمد ميرته « تموينه » من الاحساء ، ولكن ابن الرشيد طلب من ولاة الأتراك في العراق والأحساء ، أن يساعدوه على خصمه عبد العزيز وأن يمنعوا رجاله من دخول الاحساء للتموين ففعلوا ، وتخلى عنه بسبب موقف السلطات التركية العدائي كثير من البدو ..

ولما رأى أمير الكويت ما حل بعبد العزيز ورجاله من انقطاع المؤن وعداء الأتراك نصح إليه بالعودة إلى الكويت ، والإخلاد إلى السكينة ، حتى تأتي ظروف أفضل ..

عام ١٩٠٢

المغامرة الكبرى

فتح الرياض

أبى عبد العزيز أن يرجع إلى الكويت مخذولاً مهيض الجناح ، وآلى على نفسه أن يدخل الرياض أو يموت عند أسوارها ، واستطاع بقوة إيمانه وحماسته ، وتأثيره السحري في سامعيه أن يقنع اخوانه بأن يبايعوه على النصر أو القبر ..

بايعه على ذلك بقايا السيوف وتقلبات « الظروف » .. وهم ستون رجلا من الشجعان المجربين ، بينهم عدد غير قليل من أقربائه آل سعود .

..غابت أخبار هؤلاء الرجال في مطاوي الصحراء ، حتى اعتقد بعضهم أنهم ماتوا ودفنوا تحت الرمال .. ولكنهم كانوا يسيرون في الليل ، وينامون في النهار ، حتى بلغوا اسوار الرياض ، لا يدري بسيرهم أحد ، وفي اليوم الثالث من شوال ١٣١٩ هـ. دخل عبد العزيز وسبعة من رجاله في إحدى دور الرياض ، القريبة من دار أمير الرياض ، وتبعه بعد ذلك نحو ثلاثين نفراً وقاموا بهذا العمل الخارق ، الذي يشبه الأساطير ، والذي شاع ذكره في

الشرق والغرب وما زال الناس يتحدثون به ، يملكهم الإعجاب وتهزهم الدهشة .

ذلك أن عبد العزيز وقبضة من أقربائه ورجاله الشجعان استطاعوا قتل أمير الرياض، وحملوا جيشه الكبير، المدجج بالسلاح والمتحصن وراء الأسوار، على الإستسلام ..

وعند طلوع الفجر ،خرجوا إلى ساحة البلد،ونادى مناديهم : الله أكبر ! والملك ، بفضل الله : لعبد العزيز !

وأقبل أهل الرياض إلى عبد العزيز فرحين مستبشرين ، يبايعونه ويعلنون ولاءهم .

بعد استقرار الملك لعبد العزيز في الرياض ، وخلال عام واحد ، انضمت إليه مناطق الخرج والأفلاج والحريق والحوطة ووادي الدواسر والوشم وسدير والمحمل .

احتلال عنيزة

وفي عام ١٣٢١ هـ. سار عبد العزيز إلى القصيم يريد تحريرها من ابن الرشيد وكان هذا الأخير قد عرف ذلك واستعد له ، فأرسل إلى عنيزة جيشاً بقيادة (ماجد الحمود) ، لمساعدة حاميتها في الدفاع عنها ، ولكن الله القى الرعب في صفوف مقاتلة ماجد فلم يصمدوا كثيراً ولا قليلاً أمام هجوم عبد العزيز ، واستولى عبد العزيز على كل ما كان معهم من سلاح وخيل وإبل وأثاث وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودخل (عنيزة) .

احتلال بريدة .. واخلاؤها .. ثم احتلالها !

سار عبد العزيز بعد ذلك إلى (بريدة) فاحتلها بسهولة ، ولكن حامية ابن الرشيد امتنعت عليه ، فحاصرها في حصنها حتى نفدت مؤنها وذخائرها ، فعرضت الإستسلام ، بشرط أن يؤذن لها بالعودة آمنة إلى حايل ، فقبل ذلك عبد العزيز ، وتم له الإستيلاء على الحصن .

وأقبل بعد ذلك ابن الرشيد بجيشه وجنود الترك إلى بريدة ، فاخلاها عبد العزيز ثم التقى الجيشان عند موقع يدعى (البكيرية) في أوائل عام ١٣٢٢ هـ. فاضطر عبد العزيز إلى التراجع والانكفاء لأن قسماً من جنده (وهم أهل القصيم)

كانوا بعيدين عنه ، ولما وصل أهل القصيم وضربوا ابن الرشيد من خلفه ضربة قوية عاد ابن سعود إلى الهجوم على (البكيرية) فاحتلها بعد ان اضطر ابن الرشيد إلى الإنسحاب منها .

سار ابن الرشيد ، بعد هزيمته في البكيرية ، إلى (الشنانة) واتخذها معسكراً له ومقراً ، ولكن الأمراض وهجمات جند عبد العزيز اضطرته — في رجب عام ١٣٢٢ هـ. — إلى الرحيل من الشنانة ، تاركاً لعبد العزيز ما كان عنده من أموال وسلاح ومتاع وماشية ، وكان شيئاً كثيراً ، شغل جنود عبد العزيز عن اللحاق بالرشيديين المنهزمين !

الأتراك في القصيم :

استنجد ابن الرشيد ، بعد هزيمته المنكرة ، في شنانة ، بالأتراك ، فقرر الأتراك أن يمدوه بالمعونة الكافية ، وعهدوا إلى المشير (أحمد فيضي باشا) باستعادة نجد .. ووضعوا تحت تصرفه عدداً كبيراً من الجنود، جمعوهم من العراق والحجاز ،وقد استطاع هذا المشير استعادة القصيم عام ١٩٠٥ م .

عبد العزيز يسترد القصيم

وفي عام ١٩٠٦ تجاهل ابن سعود وجود الترك في القصيم وطرد أمير بريدة الذي كان يحمل مثله لقب قائمقام ، وقاتل ابن الرشيد .. ولعبت الظروف لعبتها لمصلحة عبد العزيز ، إذ نشبت ثورة في اليمن ضد الأتراك ، فجاءت الأوامر من استنبول إلى فيضي باشا بالسفر إلى اليمن لتولي القيادة فيها .

وقعة روضة المهنا :

أدرك كل من عبد العزيز وابن الرشيد أن الترك انشغلوا عنهما بقضية اليمن وأن « القصيم » لمن غلب منهما .. فزحفا إلى القصيم .. وكان اللقاء الفاصل بين الجيشين : جيش عبد العزيز وجيش ابن الرشيد ، في معركة عرفت باسم مكانها « روضة مهنا » ، انهزم فيها الجيش الرشيدي هزيمة منكرة ، وزاد في هول المعركة أن ابن الرشيد جاء على فرسه إلى معسكر عبد العزيز ، وهو يظن نفسه بين جماعته فقتلوه بالرصاص .. وكان ذلك في أواخر صفر عام ١٣٢٤ هـ. (١٩٠٦ م.) وشرع عبد العزيز بعد نصره المؤزر في هذه المعركة بالاستيلاء على القصيم ، ففاوض جنود الترك وتكفل لهم بإيصالهم إلى المدينة سالمين آمنين ،

فقبلوا بالاستسلام ، فرحلهم كما وعدهم ، ورحل الجنود الذين جاؤوا من العراق إلى بلادهم أيضاً .

لم يكن إخلاء الترك للقصيم معناه استيلاء ابن سعود عليها استيلاء كاملاً بسهولة ويسر فهناك أمراء محليون طامعون بالسلطان لا يريدون أن يسيطر ابن سعود على القصيم ويضمها إلى دولة نجد .. وهناك أمير حايل الجديد ، سلطان الحمود ، الذي قتل الأمير متعب ، سلفه ، غدراً ، وحل محله ، فقد كان يراسل أهل القصيم ويعدهم ويمنيهم ضد ابن سعود ، مع أنه صالح ابن سعود على ما صالحه عليه سلفه متعب ، وهو التخلي عن بلاد نجد ، — وخاصة القصيم— وعدم التدخل في أمورها ، مقابل الاحتفاظ بإمارة حائل .

الاستيلاء على الاحساء

وفي عام ١٩١٣ — قبيل الحرب العامة — هاجم عبد العزيز الأحساء ، فاحتل (الهفوف) في ٥ مايو ، وفي منتصف مايو استولى على (القطيف) ، ثم له بعد ذلك بسهولة الاستيلاء على الأحساء كلها ، وأقام عليها عبد الله بن جلوى أميراً من قبله . أما الجنود الأتراك فهربوا بطريق البحر إلى قطر .

ويعد استيلاء عبد العزيز على الأحساء من الأعمال الحربية الرائعة لأنه مهد له باتصالات سرية ، فكان له فيها ما يشبه « الطابور الخامس » ... ثم استعمل في فتح البلاد أساليب « المغاوير » ... التي تستعمل في الحروب الحديثة .

عبد العزيز وال على نجد

لم يكن استيلاء عبد العزيز على الأحساء ، وطرد الترك منها ، كافيين لاستقرار حكمه فيها ، لأن الأتراك قد يحاولون العودة .. وهناك أيضاً الإنكليز.

وهكذا وجد عبد العزيز نفسه بين جبهتين ، يصعب عليه أن يتحداهما معاً .

كان عبد العزيز يميل إلى مهادنة الإنكليز ومصادقتهم ليحموه من عدوان الترك وابن الرشيد ، ولكن الإنكليز لم يستجيبوا لعروضه .. فاضطر إلى مجاملة الترك الذين عرضوا عليه في عام ١٩١٤ م . (١٣٣٢ هـ .) أن يعترفوا بحكمه في نجد والأحساء بشرط أن يقبل لقب «والي نجد » ويعترف بالولاء للسلطان العثماني شكلا ، ويظهر أن عبد العزيز لم يحمل هذا اللقب قط على محمل الجد... فما

كادت تركيا تدخل الحرب العامة، حتى رأينا عبد العزيز يلتفت صوب الإنكليز الذين كان يعتقد أنهم أنفع له من الأتراك ، وأقدر من غيرهم على مساعدته وحمايته ، وليس لهم طمع ببلاده وكل ما يطلبونه منه أن يكون محايداً أو أداة سلام في الخليج الفارسي.

معاهدة دارين

ولم يكن الإنكليز راغبين ، كما رأينا ، في عقد معاهدة مع عبد العزيز ، لأن نجد الداخلية لم تكن في نظرهم كبيرة الخطر ، وكانوا على صلة غير سيئة بالترك فما كانوا مستعدين لاغضابهم ، ولكن الأمر تبدل تبدلاً جذرياً ، بعد استيلاء عبد العزيز على (الأحساء) ، لأنه أصبح بذلك مسيطراً على قطعة كبيرة من الساحل على الخليج الفارسي ، والخليج عند بريطانيا ، منطقة حساسة بالغة الخطورة ، لأنها ترى السلام في منطقة الخليج أمراً ضرورياً لضمان سيادتها البحرية وسلامة طريقها إلى مستعمراتها في الهند وما حولها .

يضاف إلى ذلك أن بريطانيا أعلنت الحرب على تركيا ، فأصبحت في حل من اتفاقاتها السابقة معها ، فزالت بذلك الموانع التي تحول بينها وبين الاتصال بعبد العزيز .

وهكذا ارسل الإنكليز إلى الرياض أحد رجالهم الأكفياء الموهوبين ، وهو الكابتن « شكسبير » ليقنع عبد العزيز بمهاجمة الأتراك في العراق ، ولقاء ذلك تتولى بريطانيا مساعدته مالياً وحربياً ومؤازرته ضد ابن الرشيد وحلفائه الترك ، ولكن عبد العزيز اعتذر عن قبول هذا العرض ، لأن الحرب بينه وبين ابن الرشيد كانت على أشدها ، فما كان قادراً على التراجع أمام عدوه ، لمساعدة الإنكليز ، في العراق .

كان على شكسبير ، بعد هذا الجواب ، أن يعود إلى بلاده ، ولكنه بقي إلى جانب عبد العزيز ، وخاض المعارك معه ، وقام بتدريب الجنود على استعمال المدافع ، ثم أصابته رصاصة طائشة ، فسقط في ميدان المعركة .

وفي عام ١٩١٥ طلب السر برسي كوكس مقابلة عبد العزيز ، فاتفقا على الإجتماع في (دارين) على الخليج العربي .

وكان كوكس مكلفاً بعقد اتفاق مع عبد العزيز ، وقد نجح في تحقيق

غايته وحمل عبد العزيز على توقيع معاهدة تجعله حليفاً لبريطانيا متفاهماً معها في السياسة الخارجية ، ولو أن هذه المعاهدة كانت معقودة مع شخصية ضعيفة لكانت نوعاً من « الحماية » أو « الوصاية » ، ولكن قوة عبد العزيز حالت دون استغلال بريطانيا لنصوص هذه المعاهدة .. ثم وفقه الله إلى إلغائها والخلاص منها.

أما الأسباب التي حملت عبد العزيز على القبول بمعاهدة دارين فقد يكون أبرزها أنه كان يقف وحده أمام الشريف حسين ، في الحجاز ، وابن الرشيد في حائل ، ومن ورائه الترك .. فما كان يستطيع تحدي بريطانيا واغضابها . لأن بريطانيا كانت قادرة على فرض الحصار على بلاده وربما أنزلت جيوشها في الأحساء واحتلتها ..

بين عبد العزيز والحسين

بعد إعلان الحسين ، شريف مكة ، الثورة على الترك ، ارتفعت « أسهمه» عند الأنكليز ... وأخذ الأنكليز يتبادلون معه الرسائل والمفاوضات ..

وأشيع أن الأنكليز ربما ساعدوه ضد منافسيه ، ووصلت إلى نجد أخبار بهذا المعنى مبالغ فيها ، فاجتمع عبد العزيز بالكولونيل كوكس ، وأبدى له مخاوفه من أطماع الشريف حسين ، وسأله إن كانت معاهدة « دارين » أصبحت حبراً على ورق ..

فأجابه كوكس إن المعاهده تلزم بريطانيا بحمايته ، وان البريطانيين احتفظوا له بجميع حقوقه خلال مباحثاتهم مع الشريف حسين .

فأعرب عبد العزيز عن رضائه بما سمع .

وفي ٢٩ نوفمبر عقد في الكويت اجتماع ضم أمير الكويت الشيخ جابر وابن سعود والشيخ خزعل ،ولم يحضره الحسين . .

وتكلم ابن سعود في هذا الإجتماع فكان لكلماته أثر عظيم ، لأنها لم تكن منتظرة منه ..

بدأ بالثناء على الشريف حسين ، لأنه حمل السلاح ضد الترك ، وقال إن

واجب كل عربي مخلص أن يحاربهم معه .

ثم قال إن الترك ارتكبوا مظالم شنيعة ضد الشعوب العربية الخاضعة لهم ، وقد ساروا على سياسة منكرة ترمي إلى اضعاف العرب وتجزئة بلادهم ، بينما نرى الإنكليز يدعون إلى وحدة العرب .

المعارك الأولى بين الحسين والاخوان عام ١٩١٩ م.

كانت منطقة خرما ، تابعة للحجاز ، ولكن أميرها خالد بن لؤي انضم إلى الاخوان في نجد وساعد على نشر الوهابية في منطقته ، واظهر العداء للشريف حسين ملك الحجاز .. فدعاه الحسين إلى الطاعة فأبى ، فأرسل جيشاً لمحاربته فانهزم وارسل جيشاً آخر فانهزم أيضاً ، ثم أعد حملة كبيرة وجعل على رأسها ابنه الأمير عبد الله ، فاستنجد خالد بن لؤي بالأمير عبد العزيز بن سعود فسار لنجدته على رأس قوة من الاخوان النجديين يبلغ عددها أثني عشر ألف مقاتل !

دخل الأمير عبد الله بن الحسين بلدة « تربة » واستعد للزحف منها إلى مقر خالد في خرما ، ولكنه فوجيء بمقاتلة خالد يهجمون على تربة ، كالسيل المنهمر يكتسح في طريقه كل شيء ، ولم تستطع مدافعه أن تصنع شيئاً ضدهم ، حتى بلغوا معسكر عبد الله نفسه ، وكاد يقع في أسرهم ، لولا أن عبداً من عبيده شق له شقاً في الخيمة خرج منه وأركبه فرساً طارت به إلى الطائف ...

ولما وصل جيش عبد العزيز إلى موقع المعارك كان القتال قد انتهى ، بهزيمة الجيش الشريفي هزيمة كاملة ، فدخل عبد العزيز تربة بسلام ، وقسم الأغنام ، واحتفظ لنفسه بالمعدات الحربية .

أما الشريف حسين فالتجأ إلى بريطانيا لتحمل ابن سعود على الإنسحاب من تربة ، ففعلت ، وقبل ابن سعود الرجوع إلى نجد .. بعد أن أثبت قوته وضعف الحسين أمامه .

عام ١٩٢٠ م.

كانت منطقة عسير تابعة للأمير محمد الإدريسي ، الذي اتخذ بلدة « صبيا » عاصمة لإمارته ، ولكن الأمير حسن بن عائض ، عامله على عسير ، ثار عليه وحاربه وهزمه ، فلجأ الإدريسي إلى عبد العزيز بن سعود ليحميه ، فأرسل

عبد العزيز جيشاً من نجد إلى عسير [illegible] ثم قام الجيش السعودي بتقسيم بلاد الإدريسي إلى قسمين ، قسم يحكمه الإدريسي ، وهو القسم الذي يسمى عسير تهامة ، وأما القسم الآخر وهو عسير السراة ، أي المنطقة الجبلية ، فقد ضمت إلى بلاد نجد ، وكان ذلك عام ١٣٣٨ هـ .

عام ١٩٢١

فتح حائل والجوف

وفي أواخر عام ١٣٣٩ هـ. زحف عبد العزيز بجيوش كثيفة إلى حائل وحاصرها من كل أطرافها ، ومنع عنها المؤن ، فطلب أهل حائل الصلح ، فأبى عبد العزيز منهم إلا الإستسلام دون قيد ولا شرط ، فرفض حاكمها ذلك، واستمر الحصار ، وكانت تجري مناوشات غير كبيرة بين الجانبين .

وفي يونيو ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ. استسلمت حائل وضمت إلى نجد ، وكان آخر أمرائها « محمد بن طلال » ، وبعد استسلامه عاش في الرياض مكرماً ، ثم اغتاله احد عبيده عام ١٩٥٤ م.

وبعد الإستيلاء على جبل شمر ، استولى عبد العزيز على الجوف ووادي السرحان ، كما احتل واحتي خيبر وتيماء، بالقرب من الحدود الحجازية ، لأنهما كانتا تابعتين لسلطة أمير حائل .

فتح الحجاز

وبعد ذلك تم لعبد العزيز فتح الحجاز ، وهو ما ذكرناه في فصل آخر من هذا الكتاب، فأنشأ «المملكة العربية السعودية» وسار بها في طريق القوة والتقدم .

تصويبات

وقعت في هذا الكتاب أخطاء مطبعية ، تداركنا أكثرها خلال الطبع ، وبقي شيء منها في بعض النسخ ، .

وكثير من هذه الأخطاء لا يحتاج إلى الإشارة اليه والتنبيه عليه ، كالخطأ في موضع الهمزة ، وسقوط حرف من كلمة أو إبداله بغيره ..

ولكننا نحب ، على كل حال ، أن يتلطف القاريء بإصلاح الأغلاط الآتية ، إن شاء :

الخطأ	الصواب	السطر	والصفحة
بشطة الجاه	بسطة الجاه	١٣	(٣٩)
ولم	لم	٢١	(٩٤)
يلزم	يلتزم	٢١	(٩٥)
رأى بعضهم الفيصل	رأى بعضهم أن الفيصل	٢٢	(٩٥)
يتبين طريقة	يتبين طريقه	١٤	(٩٦)
أربابها فيها	أربابه فيه	١٤	(١٠٤)
استلام الملك علي	استسلام الملك علي	٢١	(١٢٩)
أذكر	الذكر	١٢	(١٥٨)
تحتج إلى التدخل	لم تحتج إلى التدخل	١٣	(١٦٨)
شبيهة	شبهة	١٨	(١٨٢)
المقت كالاعراض	المقت والإعراض	٦	(٢٧٧)
حريات الأمراء	حريات الأفراد	٤	(٢٥٦)
ألفين ومئة مليون ريال	مئات الملايين	١٦	(٢٩٩)
المواد الآتية	مواد تنظم الميزانية	١٨	(٣١٠)
الجمهورية العربية السعودية	الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية	١٢	(٤٠٤)

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الثاني
فيصل في الحجاز

ثمن النسخة : عشر ليرات لبنانية ــ اوما يعادلها ــ